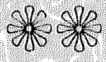
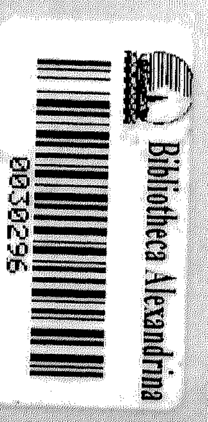
الشهب اللامعة في السياسة النافعة

لأبي القاسم ابن رضوان المالقي
المتوفى عام 783هـ/1381م



تحقيق
الدكتور علي سامي النشار




دار الثقافة
الدار البيضاء

الشهب اللامعة في السياسة النافعة

لأبي القاسم ابن رضوان المالقي
المتوفى عام 783هـ/1381م

تحقيق
الدكتور علي سامي النشار



دار الثقافة
34 – 32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 30.23.75 / 30.76.44
ص ب 4038 الدار البيضاء المغرب

الطبعة الأولى 1404 ــ 1984

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسر «الشركة الجديدة دار الثقافة» أن تصدر هذا الكتاب النفيس الذي يعتبر العمل الثاني – الصادر عن الدار – للمرحوم الدكتور علي سامي النشار بعد عمله الأول : الاشارة في أدب الوزارة للمرادي الحضري .. الذي يفنّد فيه حملات المغرضين على دولة المرابطين ..، أما هذا الكتاب القيم الذي ألفه أبو القاسم محمد ابن عبد الله بن رضوان الأندلسي المغربي فقد كشف فيه النقاب عن كثير من القضايا الثقافية ، والسياسية التي كانت تتفاعل بين المغرب والأندلس على عهد دولتي بني مرين وبني الأحمر أو «فاس وغرناطة» خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ..

إن ما بذله المحقق رحمه الله من جهود ورغبة علمية صادقة في إخراج هذا العمل على أكمل صورة وأصدقها ، يدفعنا إلى التنبيه على ما يلي :

إن المحقق رحمه الله كان قد وعد (صفحة : 39) بأن يعمل على اثبات مصادر ابن رضوان في كتابه «الشهب» ، وهذا الأمر لم يتم لأن المنية عاجلته وهو بصدد اعداده ،.. كما وعد (صفحة : 40) بأن يؤرخ للشخصيات الواردة في هذا الكتاب «الشهب» .. وهو عمل أيضاً لم يتم .. إلّا أننا قد قمنا بعمل مكمل ومواز لذلك ؛ هو إثبات ثلاثة فهارس الأول : للاعلام ، والثاني : للأسر والدول ، والثالث : للأماكن .

وإن المخطوطة (هـ) المرقمة بـ : 1083 بالخزانة العامة . غير موجودة بالأصل المخطوط . وقد عملنا على إثباتها في محلها مع تقديم الشكر لكل من ساعدنا في ذلك ..

وأخيرا فإننا سعداء بتقديم هذا العمل الذي بذلنا جهدنا لاخراجه في أجمل صورة وأكملها كما سلمه لنا المحقق رحمه الله .. كما نقدم خالص شكرنا وتقديرنا لفضيلة الدكتور محمد حجي الذي أعطانا من وقته الثمين ما ساعدنا على إنارة الطريق .. هذا وإن القارئ سيجد في هذا الكتاب مادة غنية تفيده فائدة كبيرة ثقافياً وتاريخيا وأدبياً وسياسياً ..

والله الموفـق ..

الناشـر

ابن رضوان

(حياته وعصره، وكتابه الشهب اللامعة في السياسة النافعة)

ان العصر المأساوي الذي عاشه الإسلام في الأندلس في القرن الثامن الهجري كتب فيه الباحثون — أوربيون ومسلمون — كل من وجهة نظره الابحاث المتعددة الكثيرة المختلفة المنازع والمشارب، كان عصر انتصار الصليبيين الشماليين — من اسبان وفرنسيين وغيرهم، وكان عصر انكسار وذلة لدار الإسلام، لقد انحسرت دار الإسلام شيئا فشيئا عن الأندلس، ولم يسبب هذه النكبة أبدا جمهور المسلمين في اسبانيا، انما سببها الأمراء والرؤساء — ملوك الطوائف أولا، ثم من تلاهم من رؤساء وأمراء يجرون وراء الجاه والمنصب الزائف، ويتسمون بمعتضد ومعتمد وغالب وناصر، ويبيعون أرض الإسلام للطاغية ويمالئونه ويهادنونه على أعراض المسلمين وحرمهم، لكي يستنصروا به على أعدائهم من أمراء النواحي المجاورة. وتضيع الأرض ويضيع الناس، وينحسر المد الحضاري الإسلامي، وينتهي في القرن الثامن إلى ثلاث نواح ضئيلة الرقعة، يكاد يختنق فيها المسلمون اختناقا: مملكة أو إمارة غرناطة ثم إمارة مالقة، وأخيرا، الجزيرة الخضراء وطريف. أما الأولى فكان يحكمها بنو الأحمر، قوم يدعون الانتساب إلى الصحابي الانصاري القديم سعد بن عبادة؛ وأما الثانية، فكان يتولاها بنو أشقيلولة، وكانوا أصهارا وأنسباء لبني الأحمر[1]. وأما الثالثة — الجزيرة الخضراء وطريف — فكانتا ثغر البلاد ومربط الجهاد — منها ينساب ملوك المغرب وكانوا حينئذ المرينيين — في محاولة للغزو — أو في محاولة لانقاذ البقية الباقية من دار الإسلام في الأندلس، وكان بين رؤساء الممالك الثلاث من الخلافات والتنازع أكثر مما كان بينهم وبين طاغية الروم، وكان الاثنان الأولان يتقربان للطاغية على حساب الشعب المسكين. وكانا يتنازلان له عن الحصون والقلاع لكي يمالئهما على عدوه ويستنصران به، إذا ما أحس

(1) لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة ج 1. ص 564، 565 وج 3 ص 376، 377.

أحدهما أن الآخر يكاد يطغى عليه ويسلب منه سلطانه أو بعض سلطانه . وما لبث الملك المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أن استولى على مالقة . ثم بعد أعوام ستة تركها لأحد أمراء بني الأحمر اسماعيل بن يوسف بن نصر وذلك في أواخر القرن السابع — ثم تولاها بعده ابنه الرئيس أبو سعيد فرج عام 682 هـ — وقد مهد هذا الرئيس ملك غرناطة لابنه اسماعيل (عام 713 هـ).

في وسط هذه المؤامرات الرخيصة في سبيل ملك رخيص، عاشت مالقة وغرناطة وارباضهما في عهد بني الأحمر، وقد باع بنو الأحمر بلاد الإسلام الأخيرة في الأندلس قطعة فقطعة حتى بلغت النكبة ذروتها في نهاية القرن التاسع حين سلمت غرناطة إلى طاغية الروم على يد أبي عبد الله ابن الاحمر الاخير، ولعلنا نلاحظ ظاهرة من اغرب الظواهر خلال تلك المعارك الأخيرة بين الرؤساء وأمراء البلاد في تلك الاثناء، وهي ظاهرة المرتزقة، ففي جيش أواخر الحكم الموحدي، كانت هناك فرق من الروم تحارب للسلطان الموحدي، وكانت هناك أيضا فرق من الروم تحارب في جيوش رؤساء بني الأحمر، كما كان هناك روم في جيوش أمراء بني عبد الواد، ثم احتفظ المرينيون أيضا بهذا التقليد، وكان لفرق المرتزقة هؤلاء قواد وأمراء، سرعان ما تدخلوا في حكم بلاد الإسلام، وكانت لهم بطبيعة الحال يد كبرى في اذكاء الفتنة بين أمراء المسلمين ينفذون سياسة التفريق بينهم، وذلك لمصلحة وسيادة ملوك النصارى الإسبان، كما فر عدد من الأمراء وأتباعهم إلى ملوك اسبانيا يستنصرون بهم على أعدائهم المتغلبين على البلاد الإسلامية. وكثيرا ما كان الملوك الإسبان يرسلون هؤلاء ثانية لحرب المسلمين، أو يساومون الأمراء الحاكمين على تسليمهم مقابل التنازل عن بعض القلاع والحصون، كانت خيانة الشعب الإسلامي والقضاء عليه شيئا فشيئا، واقتلاع حياته وسبي أطفاله ونسائه يتم كل يوم وليلة، بصورة لم يعهدها تاريخ المسلمين من قبل.

وانعكس كل هذا على الحياة الاقتصادية للمجتمع الإسلامي في الأندلس، حينئذ. انحاز المسلمون إلى السواحل الباقية في أيديهم وكانت السواحل قاحلة — اللهم إلا سهول غرناطة وأرباضها — وكان المسلمون الأندلسيون أصحاب فلاحة حقة وفن رفيع في الزراعة وأيضا في الصناعة، وقد حاولوا إصلاح الأراضي الساحلية، كما حاولوا إقامة صناعات في غرناطة ومالقة. ولكن الأمراء الجشعين

---

(2) لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة ج 1 ص 377 ، 397 .

ـ المتطلعين إلى المال وبناء القصور واتخاذ الجواري والقيان ـ علاوة على نفقات المرتزقة الروم وغيرهم ـ كل هذا اثقل كاهل هؤلاء بالضرائب الفادحة والمكوس الثقيلة ـــ بينما كان يعيش المترفون عيشة لم تعرفها قصور بغداد إبان إزدهارها . وكان أمراء بني الأحمر يسمون قصورهم باسم الجنات (جنة العريف) وابن الخطيب يذكر عن نفسه هو حين قامت الكائنة على سلطانه محمد بن يوسف ، أنه كان يعيش خارج غرناطة عيش كبار المترفين ، فيذكر بدون خجل ولا مواربة (وكنت عند الحادثة على السلطان ساكنا بجنتي المنسوبة إلي من الحضرة منتقلا إليها بجملتي ـــ عادة المترفين إذ ذاك من مثلي ـــ) وهاجمه الناس «فأخذوا كل طريف وتالد من أملاكه وأمواله ، فتخطاني الحتف ونالتني النكبة فاستطالت النعمة العريضة ، والجدة الشهيرة ، فما ابتقت طارفا ولا تالدا ولا ذرت قديما ولا حديثا[3]». ويصف ابن الخطيب هجوم الناس على منزل محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الوزير المشهور من وزراء بني الأحمر والمعروف بذي الرياستين بعد مقتله عام 808هـ «واستولت يد الغوغاء على منزله.... فضاع بها مال لا يكتب ، وعروض لا يعلم لها قيمة من الكتب ، والذخيرة والفراش والآنية والسلاح والمتاع والخرثي[4]» وفي موضع آخر يقول : «فشغلوا بانتهاب دار الوزير وبها من مال الله ما يفوق الوصف[5]» وحين فشل محمد بن اسماعيل بن فرج بن نصر من سلاطين بني الأحمر ـــ في ثورته على سلطان ابن الخطيب محمد بن يوسف بن اسماعيل ـــ فر إلى سلطان قشتالة وحمل معه من كنوز بني الأحمر ما يجل الوصف عنه «واشتمل على الذخيرة جمعاء ، وهي التي لم تشتمل خزائن الملوك مطلقا على مثلها ، من الأحجار واللؤلؤ والقصب». ولكن ملك قشتالة غدر به ، وقتله وقتل أصحابه ، وأرسل برؤوسهم إلى سلطان غرناطة ، وذلك لكي يهادنه إلى حين ، ولكي يستولي على ما حملوه من كنوز «وتحصل بسببهم بيد الطاغية كل ما تسمو إليه الآمال ، من جواد فاره ، أو منطقة ثقيلة ، وسلاح محلى ، وجوشن رفيع ، ودرع حصينة ، وبلبلة منيعة ، وبيضة مذهبة ، وبزة فاخرة وصامت عتيد ، وذخيرة شريفة»[6] .

---

(3) لسان الدين بن الخطيب ـــ الاحاطة 2 ص 27 ـــ 28
(4) نفس المصدر ج 2 ص 474
(5) نفس المصدر ج 1 ص 552
(6) لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة ج 1 ص 526 ، 527

وكان الأمراء والأغنياء يفرون بأموالهم من الأندلس بعد أن يعتصروا المال اعتصارا من أهلها من الجماهير، ما أسموه بالغوغاء والدهماء، بالمكوس الفادحة والضرائب العنيفة. وينصح ابن الخطيب أولاده بعدم اقتناء العقارات في الأندلس، وذلك لأنه كان يعلم أن الأمر إما إلى الإسبان وإما إلى ثورة عاتية من الغوغاء تأتي على الأخضر واليابس.

ولكن بالرغم من كل هذا ازدحمت مالقة وغرناطة بالعلماء — سواء من أهلها أو من الوافدين عليها — وازدهر فيهما أنواع من العلم الإسلامي — وهما في نهاية الدوامة القاعية لروح الحضارة الإسلامية. بينما كانت (مدينة الإسلام) تختفي وتبهت، ظهرت الومضات التي كتب لها الخلود، فكان هذا القرن، قرن ابن الخطيب وابن خلدون — وفي هذا القرن، وفي وسط تلك البيئة المنحلة العفنة العطنة، ولد أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي عام 718هـ في مدينة مالقة، ونستنتج من اسمه أنه ينتسب إلى الخزرج، قبيلة الأنصار — أنصار رسول الله، والمشهورة في مطلع الإسلام — ونلاحظ أيضا أنه يشارك أمراء بني الأحمر في هذا النسب الأنصاري إذ أنهم من نسل سعد بن عبادة الصحابي الأنصاري، وسيد الخزرج في عهد النبوة. ولكن لم تكن هناك صلة قرابة مباشرة بينه وبين بني الأحمر. لم يصرح بهذا أحد من المؤلفين القدامى، ولم يصرح ابن رضوان به أيضا في كتاباته. وقد حدد لنا تلميذه ابن الأحمر أصول ابن رضوان القريبة يقول: شيخنا الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو القاسم عبد الله بن القائد الفقيه يوسف بن الفقيه القاضي الخطيب رضوان النجاري الخزرجي المالقي المعروف بابن رضوان[7] وهذا تأريخ دقيق لجده ولأبيه. فأما جده رضوان، فقد كان عالما وفقيها. وكان من صالحي العلماء، ولما عرض عليه الرئيس أبو سعيد أمير مالقة الوزارة، أبَى ونصح الأمير أن يولي أخاه محمدا واكتفَى هو بالقضاء والخطابة. تولى أخوه الوزارة، ويؤرخ ابن الأحمر هذا بقوله: وجده القريب رضوان، ممن انحرف بالزهد عن العدوان، ولي القضاء والخطابة ..... وسلك مسلك الصالحين، وكان للأمراء من الناصحين. طلب منه جدي الأمير الرئيس أبو

(7) ابن الاحمر: كتاب مستودع العلامة ومبتدع العلامة (تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت التطواني) ص 51 وانظر أيضا أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثر الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان (تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية) ص 234

سعيد ، أمير مدينة مالقة السعيد ، أن يقدمه لوزارته ، وكتابة إمارته ، فطلب منه الإقالة ، وأحسن في ذلك مقاله ، ودله على أخيه محمد الوزير ، فاستوزره جدي أبو سعيد رب الكرم العزيز) .

وأما والد أبي القاسم بن رضوان : فهو يوسف بن رضوان . ذكر ابن الأحمر أنه تولى قيادة ديوان الجند ، ولكنه كان أيضا فقيها «شارك في حمل العلوم[9]» ويدعوه ابن السراج ، تلميذ ابن رضوان — في فهرسته «بالفقيه الوزير الجليل الماجد الأصيل الفاضل الكامل[10] أبي الحجاج يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري» وقد تزوج يوسف أخت القاضي الفقيه أبي الحكم عبد الرحمن بن ربيع الأشعري . وولد له مؤلفنا عبد الله في عهد الأمير إسماعيل بن الرئيس أبي سعيد ونشأ عبد الله بن يوسف بن رضوان في مالقة في بيئة مستنيرة غنية مترفة . درس على أبيه أولا — وقد أجازه إجازة عامة ، ثم على خاله . وبدأ الفتى اليافع يتردد على خيرة علماء مالقة ثم غرناطة ، وبالرغم مما كانت تعانيه مالقة من أخطار تهدد كيانها — وتقضي على دار الإسلام فيها ، فقد ازدانت بمجموعة كبيرة من العلماء ، وأخذ الفتى الشغوف الطلعة يدلف إلى الواحد منهم بعد الاخر يأخذ عنهم — علوم المسلمين كما كانت معروفة في عصره، وبخاصة علوم الدائرة المالكية، علوم العربية وعلوم القرآن ، من قراءات وتفسير ، ثم الحديث رواية ودراية والفقه وأصوله وأخيرا التصوف ، وقد فصل لنا تلميذه ابن السراج في فهرسته القيمة التي لم تنشر بعد ، أسماء العلماء الممتازين الذين درس عليهم ابن رضوان . ونلاحظ أنه كان يقرأ أو يدرس الكتاب الواحد على أساتذة متعددين ، ونلاحظ أيضا أن الكتب التي ذكر مؤرخوه أنه درسها انما كانت في نطاق علوم المسلمين البحتة . ويتبين هذا للقارىء ، حين يقرأ التاريخ الدقيق لهذه الكتب في فهرست ابن السراج . وقد رأينا أن ننشر الفصل الذي كتبه بن السراج عنه في آخر هذا الكتاب .

ولكن السؤال الهام — الذي يتبادر إلى الذهن... هل درس ابن رضوان العلوم العقلية أو بمعنى آخر هل درس الفكر الإسلامي ؟.. سواء أكان فلسفة أو كلاما أو سياسة . أما أنه درس علم السياسة ، فلا شك في هذا والدليل على ذلك كتابه

---

(8) ابن الاحمر : مستودع العلامة ص 52

(9) ابن الاحمر : مستودع العلامة ص 51 ، 52

(10) السراج : فهرست ص 276

(الشهب) ، بل ان طريقة تأليفه لهذا الكتاب تدل دلالة واضحة على أنه اطلع على كتب هذا العلم عند المسلمين ، وأنه كان يمتلك مجموعة كبيرة من كتب هذا العلم . اما دراسته للاجزاء الأخرى من كتب الفلسفة ، فقد رأينا أنه درس بعض نماذج من التصوف على أهم اساتذته وهو الإمام أبو بكر محمد بن عبيد الله بن منظور قاضي مالقة (توفي عام 750 هـ 1449م) . وكان لابن منظور كتاب هام في الفلسفة وهو كتاب السحب الواكفة والظلال الوارفة ، في الرد على ما تضمنه المضنون به على غير أهله من اعتقاد الفلاسفة . ولقد ذكر الدكتور احسان عباس في مقاله القيم عن ابن رضوان ، أن هذا الاخير قد قرأ الكثير من مؤلفات أستاذه ابن منظور[11] فهل لم يقرأ كتابا من أهم كتب استاذه ، يخوض في أكبر شخصية إسلامية كان العالم الإسلامي كله يعتني بها أكبر اعتناء : وهي شخصية أبي حامد الغزالي . ولقد كان الأندلس والمغرب ممتلئين بالدراسات العقلية والفلسفية عامة . إن معاصر ابن رضوان ، وهو ابن الخطيب ، قد درس الفلسفة على الفيلسوف الأندلسي أبي بكر بن الهذلي ، كما درس ابن زمرك في نفس هذا الوقت العلوم العقلية على أبي عبد الله التلمساني[12] . كما درس ابن خلدون الفلسفة على الإمام محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدري التلمساني المعروف بالآبلي (المتوفى عام 757 هـ) ، وكان الآبلي من كبار رجال الفلسفة والمعقولات والتعاليم . وقد درس الكثير من كل هذه المعلومات على الإمام ابن البنا — المتصوف الفيلسوف — كما درس التعاليم على (خلوف) اليهودي شيخ التعاليم في فاس[13] وكان الآبلي شيخ ابن خلدون يعيش في رحاب السلطان أبي الحسن المريني ، ثم صاحب ولده السلطان أبا عنان ، وكان ابن رضوان صاحب العلامة للسلطانين — فهل لم يدرس أيضا ولم يطلع على اعمال كبير علماء السلطانين ، وهو الفقيه العالم الذي كان يصاحب السلطان في غدوه ورواحه ويحضر مجالسه العلمية والإدارية . ان من المرجح ، ان لم يكن من اليقين ، ان ابن رضوان كان على اتصال بالفلسفة وعلم المعقولات ، وأنه استفاد بكل هذه الأبحاث في كتاب الشهب .

---

(11) د . إحسان عباس : ابن رضوان وكتابه في السياسة —كتاب العيد (بيروت 1967) ص 104.

(12) أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ص 283 والمقري : نفح الطيب ج 7 ص 147

(13) أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ص 245 ، 246

ولا شك أن الشاب الصغير اتجه إلى غرناطة ، وكانت حاضرة الإسلام الكبرى في عهد انهيار الأندلس ، فلا غرابة اذن أن ينتقل إليها علماء الأندلس من كل ناحية ، ويحط الرحال فيها علماء مالقة بالذات . ولذلك يبدو أنه درس في مالقة على عدد من كبار مشايخ الأندلس منهم النحوي المشهور أبو علي الفخار والفقيه المشهور أبو البركات ابن الحاج : محمد بن ابراهيم بن محمد السلمي البلفيقي ثم حين انتقلا إلى غرناطة ، انتقل الشاب الصغير إليها . وكانت رحلته إلى غرناطة من أهم رحلات حياته ، إذ قابل هناك الفقيه أبا القاسم ابن جزي الذي استشهد في موقعة طريف عام 741 هـ وقد لازمه ابن رضوان وتتلمذ عليه .

وعاد ابن رضوان إلى مالقة ، لكي يعمل فيها وهو شاب ، قاضيا عدلا يقول ابن الأحمر «وارتسم ببلدة مالقة في العدول ، فلم يظهر له عن الحق العدول ، ثم قوضت عن الأندلس للعدوة رحاله»[14] ويكرر هذا في نثر الجمان «كان شاهدا عدلا بسماط شهودها»[15] .

مغادرته النهائية للأندلس

كان ابن رضوان في مطلع شبابه قاضيا عدلا ، ولكن قوضت ، كما قال ابن الأحمر آنفا عن الأندلس للمغرب رحاله ، فما هي الأسباب التي دعته إلى رحيل نهائي عن وطنه ؟ وإصرار على عدم العودة ؟ اللهم إلا مرة واحدة اضطر فيها اضطرارا كما سنذكر هذا فيما بعد ، أو زيارات عابرة كرسول بين السلطان ، سلطان المغرب وسلطان غرناطة .

ويبدو أن هناك اسبابا متعددة وراء هذا الرحيل ، ومن المؤكد أن أولها أن دار الإسلام ، كما قلت ، كانت تتقوض شيئا فشيئا تحت ضربات الطاغية ، وتسقط المدن والقلاع واحدة بعد أخرى . وأحس كثيرون من الأندلسيين أن لا بقاء لهم ، فرحلوا إلى المغرب وتلمسان وتونس ، كما رحل البعض الى المشرق . ثانيهما : وهذا هو السبب القريب : تشوق ابن رضوان للخدمة في البلاط المريني. وكان السلطان أبو الحسن المريني بطل الإسلام في ذلك الوقت، تتعلق به آمال العالم الإسلامي

---

(14) ابن الاحمر : مستودع العلامة ص 51
(15) ابن الأحمر : نثير الجمان ص 235

عامة والأندلسيين خاصة في إنقاذ الأندلس . ولقد كان انتصاره البحري في بحر الزقاق على أسطول الإسبان أثر في الأندلس وردده في شعره ابن رضوان ، وكان ابن رضوان قد بدأ ينظم الشعر ، حقا انه هزم بعد ذلك في معركة طريف ، ولكن بقيت الآمال معلقة به أن يعاود الكرة ثانية .

ان صورة أبي الحسن المريني بلا شك جذبت الكثيرين من الأندلسيين إلى جوار العدوة والإقامة في ظله . وحبب إلى نفس ابن رضوان هذا خاصة صلة شيخه ابن جزي بالسلطان أبي الحسن وكان قد وفد على السلطان رسولا من بني الأحمر ، فأكرم وفادته هو وبقية زملائه ، وقد سجل ابن رضوان قصة وفادة ابن جزي على السلطان ، وتلطف السلطان به في كتابه الشهب ، ثالثا : شعر ابن رضوان بما يحيط ببلاط أمير غرناطة من دسائس ، وما يحاك حول الوزراء والكتاب من مؤامرات وشغب وكان يعلم تماما أن البلاط قد تعفن ، وأن من يعمل فيه سواء أكان وزيرا أو حاجبا أو كاتبا انما أمره إلى هلاك . ولذلك قرر قراره الحاسم مغادرة الأندلس .

ورحل ابن رضوان — فيما يذكر ابن خلدون إلى سبتة بعد واقعة طريف «ولقي بها السلطان أبا الحسن ومدحه ، واجازه السلطان» ، ولكن يبدو أن ابن رضوان ، قد فعل هذا بمعاونة القاضي ابراهيم بن عبد الرحمن التسولي المشهور بابن أبي يحيى . (وقد توفي ابن أبي يحيى ، بفاس بعد عام 748 هـ) .

وكان ابراهيم ابن أبي يحيى قاضي العسكر وخطيب السلطان ، وكان أيضا من كبار علماء عصره . كما كان رسولا وسفيرا للسلطان المريني إلى غرناطة ، وقد تردد عليها مرارا[16] ، ولابد وأنه قد عرف الشاب ابن رضوان من قبل في مالقة أو في غرناطة ، وتبين له براعته في الأحكام كقاض ، كما عرف مقدرته الخطابية وتفننه في العلوم ، وإجادته في الترسيل وبراعته في كتابة الوثائق ، وسرعان ما تدخل لدى السلطان في ضمه لخاصته . يقول ابن خلدون — وكان يستنيبه — اي ابراهيم بن يحيى ، في القضاء والخطابة[17] ، ثم أوصله القاضي ابراهيم بن يحيى في حلبة الكتاب بباب السلطان ، فاختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب والأخذ عنه[18] وعبد المهيمن (ولد سنة 675 هـ وتوفي سنة 749 هـ) هو أبو محمد عبد

(16) ابن الخطيب : الاحاطة ج 1 ص 272 ، 273
(17) ابن الأحمر : نثير الجمان ص 235
(18) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ص 20

المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي كان من أكابر علماء عصره ، وكان له في دولة بني مرين تاريخ طويل . وقد ذكره ابن الأحمر في كتابه مستودع العلامة بانه الفقيه الكاتب صاحب القلم الاعلى ، كاتب علامة عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني وكاتب علامة ابنه أمير المسلمين أبي الحسن ملك المغرب[19] ويحدد ابن خلدون العلامة «بانها هي التي توضع عن السلطان اسفل المراسيم والخطابات وبعضها يضعه السلطان بخطه[20]» ، ويعرفها ابن الأحمر ، وقد كتب كتابا افرده للعلامة واصحابها «والعلامة تكتب بقلم غليظ النقطة ، وهي شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود وقد اختلفت اراء الملوك فيها ، فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر ، ولم يتخذ لها كاتبا..... وبعض الملوك يقدم لكتبها رئيس كتبته ، وربما شارك بعضهم في كتب العلامة كاتبه المقدم عليها كبني مرين ملوك المغرب[21] ، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية هذه الوظيفة في دولة بني مرين ، والتي كان يتقلدها عبد المهيمن ، ثم سيتولاها فيما بعد ابن رضوان نفسه .

وقد استفاد ابن رضوان من عبد المهيمن اكبر استفادة علمية ، كما استفاد ابن خلدون منه . ويصف ابن خلدون علمه فيقول : «وكانت بضاعته في الحديث وافرة ، ونحلته في التقييد والحفظ كاملة» اما خزانته فيقول : كانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر في الحديث والفقه والعربية والأدب والمعقول وسائر الفنون مضبوطة كلها ، مقابلة ، ولا يخلو ديوان منها عن ثبت بخط بعض شيوخه المعروفين في سنده إلى مؤلفه ، حتى الفقه والعربية ، الغريبة الاسناد إلى مؤلفيها في هذه العصور[22]» . ومن المؤكد أن ابن رضوان وجد في هذه الخزانة ما يشبع نهمته في طلب العلم ، واحاطته بمختلف الكتب ، وهو ما يظهر واضحا — كما سنرى بعد — في كتابه الشهب . كما أنه أخذ عن عبد المهيمن أصول الترسيل ، وقد كان هذا فنا غير معروف في دولة بني مرين قبله ، وعاش ابن رضوان في كنف عبد المهيمن يأخذ عنه علمه ، كما يأخذ عنه صناعته .

وفي المغرب أخذ أيضا عن الكثيرين من علمائها . وكان وهو في صحبة السلطان

---

(19) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص 50
(20) ابن خلدون : التعريف ص 22
(21) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص 272
(22) ابن خلدون : التعريف ص 20

وصحبة عبد المهيمن يقابل العدد العديد منهم . وفي تلمسان قابل عالم المعقولات الكبير أبا عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي (المتوفى سنة 757) وحضر مجالسه .

ثم قرر السلطان أبو الحسن المريني غزو تونس ، ورافقه رجال حاشيته ، ومنهم عبد المهيمن وابن رضوان ، كما اصطحب السلطان أيضا عددا من العلماء منهم الآبلي وفي تونس تقابل الرجلان ابن رضوان وابن خلدون. كان ابن خلدون قناص علم ومنصب ، وكان ينتمي إلى أسرة تونسية كبيرة. فلما وصل السلطان أبو الحسن المريني إلى افريقية (تونس) وفي صحبته هذا العدد الجم من العلماء — وفيهم — عبد المهيمن والآبلي — اتصل ابن خلدون بهم — وقد استرعى نظره هذا الشاب الذي لم يتجاوز حينئذ الثامنة والعشرين، وهو في المنصب الخطير — الرجل الثاني — بعد عبد المهيمن في حضرة السلطان . ويصفه ابن خلدون «وممن قدم في جملة السلطان ابي الحسن : صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي . كان يكتب عن السلطان ، ويلازم خدمة أبي محمد عبد المهيمن ، رئيس الكتاب يومئذ . وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب في براعة خطه ، وكثرة علمه ، وحسن سمته ، وإجادته في فقه الوثائق ، والبلاغة في الترسيل عن السلطان ، وحوى الشعر ، والخطابة على المنابر ، لأنه كان كثيرا ما يصلي بالسلطان . فلما قدم علينا بتونس ، صحبته ، واغتبطت به ، وان لم اتخذه شيخا لمقاربة السن ، فقد افدت منه ، كما افدت منهم[23]» والنص نادر حقا ، فهو يؤكد معرفة ابن خلدون الوثيقة بابن رضوان . ويعترف ابن خلدون بانه استفاد منه ، كما استفاد منهم ، أي من بقية المشايخ الكبار الذين كانوا في صحبة السلطان ، ولكن طبيعة ابن خلدون القلقة المتوثبة ، وغروره وتعجرفه المشهوران ، كل هذا مما جعله يأبى أن يقول : ان ابن رضوان كان من مشايخه . مع أن (العلم) في عصور الإسلام المتعددة ، إنما كان أخذاً وعطاءً . يتتلمذ هذا على ذاك وذاك على هذا . ولكن أليس من المحتمل أن ابن خلدون قد أراد بانكار تلمذته على ابن رضوان، أمرا أبعد من هذا. انه بلا شك كان يتشوق في أعماقه إلى مثل وظيفة ابن رضوان، بل أكبر من وظيفة ابن رضوان في البلاط المريني، وسينجح في هذا، ولكن ان من المرجح أنه أراد بهذا أن يوهم القارئ بانه لم يطلع على كتاب الشهب، وعلى غيره من كتب، لكي يثبت أصالته هو فيما كتبه عن العلم الجديد الذي اكتشفه كاملا ، أو الذي خيل له

---

(23) ابن خلدون : التعريف ص 22 ، 23

أنه اكتشفه . أيا ما كان الأمر ، فإننا سنعود إلى بحث هذا المسألة فيما بعد .

وعاش ابن رضوان في تونس ، في ظل السلطان ، يؤدي عمله كأحسن ما يكون الاداء ، ويستزيد علما من حلقات السلطان العلمية ، ومن مقابلات العلماء المتعددين . وممن قابلهم واستفاد منهم اكبر استفادة ، كبير علماء تونس حينئذ وقاضي الجماعة بها أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري (المتوفى سنة 749)[24] ، وصفت الحياة لابن رضوان في تونس ، وازداد قربا من أبي الحسن المريني ، كما علا قدره في اعين الناس . فاقبل عليه الشعراء والعلماء يمدحونه ويتقربون منه . ولكن ما لبثت العواصف السياسية والعسكرية أن أحاطت بالسلطان أبي الحسن ، فثار بنو سليم عليه وغدروا به ، وحاصروه بالقيروان . وقام أهل تونس بالثورة على أشياع السلطان وحاشيته ، فاعتصم هؤلاء بالقصبة ، وكان بها ولد السلطان وأهله . وانتفض شيخ الموحدين أبو محمد بن عبد الله بن تافراكين على أبي الحسن ، واتفق مع العرب الثائرين من سليم ، على أن يبعثوا ابن تافراكين إلى تونس ، للقضاء على حاشية السلطان بها . فحاصر القصبة ، ولكن جند السلطان حاربوه ، فامتنعت عليه .

وانفض عن حاشية السلطان وحرمه وأولاده في هذا الوقت العصيب ، أقرب الناس إليه ، ومنهم عبد المهيمن ، فما ان وقعت الهيعة ، حتى خرج من بيته إلى دار بني خلدون ، وكان على صلة بهم ، فاختفى عندهم نحوا من ثلاثة أشهر . أما ابن رضوان . فقد ثبت ثباتا نادر المثال ، في هذا الوقت العصيب ، مع اتباع السلطان الاقربين وأهل بيته ، ولم يهرب ولم يختف ، بل «جلى عند الحصار فيما عرض لهم من المكاتبات ، وتولى كبر ذلك ، فقام فيه أحسن قيام» وتمكن السلطان أبو الحسن من الاقلاع من القيروان إلى سوسة ، ومنها إلى تونس ، واعجب أبو الحسن المريني باخلاص ابن رضوان ومروءته ، «ورعى له حق خدمته ، تأنيسا وقربا وكثرة استعمال» ورأى السلطان أن يعود الى المغرب عام (750 هـ) فاستخلف ابنه أبا الفضل ، وترك ابن رضوان كاتبا له فأقام كذلك أياما ، ثم غلبهم على تونس الفضل ابن السلطان أبي يحيى ، ونجا أبو الفضل إلى أبيه ولم يطق ابن رضوان

(24) انظر الوصف البارع للدكتور احسان عباس عن إقامة ابن رضوان في تونس . كتاب العيد ص 116 ، وانظر ترجمة ابن عبد السلام في الديباج ص 336 — 337 وفي نيل الابتهاج ص 242

الرحلة معه ، فأقام بتونس حولا ولا نعرف العلة في بقائه بتونس هذا العام ، ولعله رأى أن ينتظر حتى ينجلي أمر السلطان أبي الحسن . وقد استفاض حينئذ أنه غرق مع بعض من أسطوله . ونصب ابنه أبو عنان نفسه ملكا على المغرب ، ثم تبين نجاة السلطان ومحاولته العودة إلى ملكه ، ومحاربة ابنه أبي عنان له ، حتى توفي السلطان العظيم مكدودا مكروبا في حروبه مع ابنه أبي عنان . وانتزى الطاعون الجارف بتونس ، يأكل أهلها أكلا . ورأت البقية الباقية من أتباع السلطان وحرمه أن يخرجوا من تونس ، فحملهم صاحب شرطة أبي الحسن في تونس عامر بن محمد بن علي شيخ هنتانة في سفن إلى المرية بالأندلس ، ولحق ابن رضوان بهم ، وأقام مع حاشية السلطان بالمرية ، وفي هذه الأثناء دعاه أبو الحجاج سلطان الأندلس أن يستكتبه ، فامتنع .

كان ابن رضوان كما قلنا من قبل قد قر قراره على ألا يخدم بني الأحمر ، وألا يعمل بأية حال بالأندلس ، وحين تيقن أشياع السلطان أبي الحسن في المرية من وفاته ، رجعوا إلى المغرب ووفدوا على السلطان أبي عنان ، ووفد معهم ابن رضوان ، ولم يتنكر له السلطان لاخلاصه لأبيه ، بل على العكس رعى له وسائله في خدمة أبيه ، واستكتبه ، واختصه بشهود مجلسه ، مع طلبة العلم بحضرته وكان رئيس الدولة وصاحب العلامة محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي وكانت له القوة والنفوذ لدى السلطان أبي عنان . وكان ابن أبي عمرو معجبا بابن رضوان . يعرف تماما علم الرجل وأمانته واخلاصه ، فاستخدمه حتى علق منه بدمه ، ولاية وصحبة ، وانتظاما في السمر ، وغشيان المجالس الخاصة ، بل كان ينيبه إذا غاب . وحينما ارسل السلطان ابن أبي عمرو إلى بجاية على رأس العساكر ، انفرد ابن رضوان بقلم الكتابة عن السلطان ، ولما عاد محمد بن أبي عمرو من مهمته ، سخط عليه السلطان ، واقصاه وارسله ثانية إلى بجاية واليا عليها . وافرد ابن رضوان بالكتابة والعلامة . وكان ذلك في عام 754 هـ .

وصل ابن رضوان اذن إلى ما كان يصبو إليه . ونلاحظ أن الرجل كان على دين وخلق ، ولذلك لم يذكر أحد من المؤرخين أنه اشترك في مؤامرة أو سعى لأحد بوشاية ، انه من الافراد القلائل في هذا العهد المضطرب القاتم المليىء بالدسائس ، الذي توصل إلى مكانته الكبرى عن جدارة واستحقاق ، وقد بقي في عمله كصاحب القلم الاعلى والعلامة مدة ثلاث سنوات . ولا شك أن الدسائس

والوشايات والمكائد قد أحاطت به ، فعزله أبو عنان آخر سنة 757 ـ[25] ولم تنقطع صلته بالحاشية ـ فيما يبدو ـ وقتل أبو عنان عام 759 بيد وزيره الحسن بن عمر الفودودي[26] . وأعاد الحسن بن عمر الفودودي ابن رضوان إلى وظيفته وذلك في عهد السلطان أبي بكر السعيد ، الذي حكم من عام 759 إلى عام 760 .

أما في عهد خلفه السلطان ابراهيم بن أبي الحسن والمشهور بأبي سالم ، (حكم ما بين 760 ـ 762) فموقف ابن رضوان غريب حقا . ويهمنا الامر هنا ، لأن ابن رضوان كتب (الشهب اللامعة في السياسة النافعة) لهذا السلطان ، كما يقرر هو في مقدمة كتابه . ولكن هل كان ابن رضوان كاتبه ؟ يقرر ابن الاحمر أن كتاب أبي سالم هما ابن رضوان وعلي بن محمد بن مسعود الخزاعي[27] ، أما ابن خلدون فيذكر أن أبا سالم جعل العلامة لعلي بن محمد بن مسعود صاحب ديوان[28] العسكر ، والانشاء والتوقيع والسر له هو ، أي لابن خلدون ، ويبدو أن أبا سالم استخدم أولاً ابن رضوان ثم استعفاه ، ولكنه في الآن نفسه ، ولمعرفته بخلق الرجل وتقواه وعلمه الفياض ألهاه وشغله ـ وهذه هي عادة الرؤساء ـ في جمع الانصار وعدم اغضابهم بأن يطلب منه كتابة أو جمع كتاب له في السياسة الملوكية . وأيّاً ما كان الأمر فإن ابن رضوان انقطع في عهد أبي سالم لجمع كتابه ـ وانتهى منه قبل مقتل السلطان بيد الوزير عمر بن عبد الله الفودودي عام 762 . وهنا ملاحظة هامة ـ أنه كان يكتب الشهب ، وابن خلدون حاضر في بلاط أبي سالم . وسنعود إلى هذا فيما بعد .

وعاد ابن رضوان كاتبا للعلامة في عهد سلاطين بني مرين : تاشفين بن أبي الحسن (بويع ليلة الثلاثاء التاسع عشر لذي القعدة عام 762 هـ ، وخلع يوم الاثنين 21 صفر سنة 763 هـ) . وأبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن (حكم ما بين عام 763 هـ و767 هـ) وعبد العزيز بن أبي الحسن (حكم ما بين 767 هـ و 774 هـ) ومحمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن (حكم ما بين

---

(25) ابن خلدون : التعريف ص 42 ، 43 .
(26) ابن الأحمر : روضة النسرين في اخبار بني مرين ص 57
(27) ابن الاحمر : روضة النسرين ص 31
(28) ابن خلدون : التعريف ص 45

774 وعام 776 هـ) . وأخيرا تولى الكتابة للسلطان أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن وقد بويع عام 775 هـ وصحب ابن رضوان السلطان أحمد في احدى غزواته لمدينة مراكش . وتوفي ابن رضوان في مدينة أزمور أو في مدينة آنفا وهو الأرجح (وهي التي تعرف في أيامنا هذه بالدار البيضاء) وذلك عام 783 هـ .

ابن رضوان ومعاصروه من المفكرين

عاش ابن رضوان — كما ذكرنا — في عصر ازدان بكوكبة لامعة من العلماء والمفكرين في الأندلس والمغرب . وتلك كانت ظاهرة من أهم ظواهر القرن الثامن الهجري . ويهمنا هنا بالذات صلاته بمفكرين من أكبر مفكري عصره بل عصور الإسلام قاطبة ، وهما لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون .

أما عن صلاته الأولى بلسان الدين بن الخطيب — وهو في موطنه الأصلي الأندلس — مالقة وغرناطة ، فلا نعلم أبدا ما إذا كان ابن رضوان قابل ابن الخطيب هناك أم لم يقابله ، عرفه أم لم يعرفه . لا تذكر المصادر شيئا عن هذا إطلاقا . هذا مع العلم بأن فارق السن بين الاثنين ليس كبيرا . إذ لا يتجاوز خمس سنوات ، فقد ولد ابن الخطيب عام 713 هـ وولد ابن رضوان عام 718 وينتمي كل منهما إلى أسرة علمية كبيرة . وكلا الاسرتين عملت لبني الاحمر . ونشأ ابن الخطيب في غرناطة ودرس بها ، ونشأ ابن رضوان في مالقة ودرس بها أولا ، ثم انتقل إلى غرناطة وأكمل دروسه بها . ولاشك أن الاثنين تتلمذا على نفس الأساتذة في غرناطة . ومن الأمثلة على هذا رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجياب وأبو عبد الله ابن الفخار ، شيخ النحاة في عصره ، وأبو البركات بن الحاج البلفيقي ، وقاضي الجماعة أبو القاسم ابن أحمد الحسني وغيرهم كثير ، ممن درس عليه الاثنان . فهل لم يتقابل الاثنان في غرناطة أثناء فترة الدراسة ؟ .

وانتقل ابن رضوان إلى المغرب وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وعمل في كتابة السلطان أبي الحسن . ثم رافق ابن رضوان السلطان في غزو افريقيا عام 748 هـ ، وحلت النكبات بأبي الحسن المريني . ولجأ بعض أتباعه ومنهم ابن رضوان إلى المرية بالأندلس . وأرسل إليه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف يستدعيه ليكون كاتبا من كتابه . واعتذر ابن رضوان ، ومن المهم أن نلاحظ أن ابن الخطيب كان

منذ عام 749 رئيس الكتاب ورئيس ديوان الانشاء . فهل عزف ابن رضوان عن قبول المنصب وهو في محنته ومنفاه مع حاشية السلطان المكدود المعزول ؟ ، والذي كان يحارب ابنه أبا عنان حربا يائسة ، عزف ابن رضوان عن قبول هذه الدعوة من سلطان غرناطة ، لكي يتجنب العمل مع ابن الخطيب ، كبير الكتاب الطامح إلى الوزارة بل إلى أكثر من الوزارة . وأن يتجنب الصراع في البلاط ، ومن المحتمل أن يكون الأمر كذلك ، وقد استفاضت حينئذ أخبار لسان الدين ابن الخطيب واخبار طموحه ، ودسائسه ومؤامراته في سبيل التوصل إلى مبتغاه . وكان ابن رضوان (حذرا) ، حذرا بمعنى الكلمة ، يعرف تماما أين يضع قدميه . ولكن لا يمكننا أن ننسى أيضا الأسباب الأخرى : ولاءه المطلق لبني مرين ، وقد بقي في الحقيقة وفيا لابناء أبي الحسن المريني حتى اللحظة الأخيرة من الحياة : عزوفه عن الأندلس عامة — وهي في مهب العاصفة الأخيرة ، التي ستصل إلى عتوها في القرن التالي ، فتقتلع الإسلام اقتلاعا من أرض الأندلس — .

ونعود إلى صلات الرجلين : ابن رضوان وابن الخطيب ، في عام 755 هـ ، وصل ابن الخطيب إلى المغرب سفيرا من السلطان الغني بالله أبي عبد الله محمد إلى السلطان أبي عنان . وفي هذا العام كان ابن رضوان كبير الكتاب ، ولاشك أن الرجلين قد تقابلا في البلاط المريني : كبير كتاب بني الأحمر مع كبير كتاب بني مرين ، كلاهما أديب شاعر ناثر ، وكلاهما اندلسي ، والدسائس والمؤامرات والمكائد ، تحيط بالاثنين وتلتف حتى بعرشي صاحبيهما السلطانين ، ولكن أحدهما وهو ابن رضوان ثابت الشخصية لا يشعر بالقلق الداخلي ولا بالنزوات النفسية الفتاكة التي كانت تعتلج في أعماق ابن الخطيب . الأول صقله العلم من ناحية ، والتصوف من ناحية أخرى ، وكان ابن رضوان قد درس التصوف علما وعملا على شيخين من كبار الشيوخ المتصوفة في مالقة احدهما ابن منظور وقد البسه (خرقة التصوف) ثم الثاني أبو عبد الله الطنجالي — وقد غرس في أعماقه الكثير من حقائق التصوف — وكان تصوف الرجلين أقرب إلى التصوف الأخلاقي العملي ، اعداد الإنسان لتلقي الحياة وتقلباتها وتلويناتها بالطمأنينة والمراقبة والخشية . وقد كان ابن رضوان هكذا مراقبا لنفسه كثير الدمعة موطئا بابه لكل طالب ، نائيا عن التآمر والتواطؤ والكيد . بينما نرى الآخر ابن الخطيب على النقيض تماما ، انه درس التصوف ، كما درس الفلسفة والطب على الفيلسوف أبي زكريا يحيى بن هذيل ، بل

كتب ابن الخطيب في التصوف كتابه المشهور (روضة التعريف بالحب الشريف) ولكنه لم يتأثر بهذا كله في تكوينه الشخصي أو السياسي ، فكان رجل دولة فقط ، يتلمس الوسائل ، على أي صورة كانت الوسائل ، لكي يصل إلى بغيته الأخيرة ، إلى الوزارة أو رئاسة الوزارة . ولذلك لم يحظ ابن رضوان في عينيه بالكثير في هذه السفارة . ولكنه لم يهمله ــ كما سنرى فيما بعد ــ حينما تبين له ثباته في منصبه ، فابن الخطيب (قناص فرص) و (صياد رجال) .

وعاد ابن الخطيب إلى المغرب للمرة الثانية عام 761 هـ ، منفيا هو وسلطانه الغني بالله ؛ وأقام بسلا وذلك في عهد السلطان أبي سالم . وبقي بها حتى عام 764 هـ . وفي عام 762 هـ كان ابن رضوان قد انهى كتابه (الشهب اللامعة) ويبدو أنه كان منقطعا له ، وكان ابن الخطيب يرنو بعينيه إلى رجال الحاشية ويتمرغ في ترابهم . ولذلك نراه يقيم صلاته بابن رضوان ويرسل إليه من مدينة سلا شعرا يقول فيه :

مرضت فأيامي لذاك مريضة	وبرؤك مقرون ببرء اعتلالها
فلا راع ذلك الذات للضر رائع	ولا وسمت بالسقم عز خلالها

ويرد عليه ابن رضوان برسالة طويلة . ولكن من العجب ألا يذكر ابن الخطيب شيئا عن كتاب ابن رضوان (الشهب) . ولعل الأحداث السياسية قد شغلته عن ذكره أو لعله خوف ابن الخطيب أن يذكر الكتاب الذي ألفه ابن رضوان للسلطان أبي سالم والسلطان أبو سالم كان في مهب العاصفة . لقد حدث في نفس هذا العام 762 هـ أن قامت الثورة على السلطان أبي سالم . وانتهت بقتله على يد وزيره عمر ابن عبد الله الفودودي ، وعاد ابن رضوان كبيرا للكتاب ، وهنا نسي ابن الخطيب حدب أبي سالم عليه ، واكرامه له ولسلطانه المنفي ، إكراما منقطع النظير . فانقلب على السلطان أبي سالم بعد وفاته ، ووصفه بأقسى النعوت واعتبره صبيا «ذاهلا عن الحزم ، مثلا في البلادة ، وكلا مؤثرا للحجبة معوضا للبطالة ، مسلوب الغيرة على المال ، قانعا من الإمارة بالإسم ، مجتزئا من انفساح الخطة بالكسر ، كاسد سوق العطاء ، معطيا لعداه الضجة ، معطلا رسم المشورة» ، هذا ما كتبه ابن الخطيب في نفاضة الجراب عن أبي سالم بعد أن عاش في رحابه وكتب له الكتب الكثيرة ، وبخاصة كتابه الطبي المشهور (عمل من طب لمن يحب) كما أرخ له في الاحاطة أعظم تاريخ وألمعه . ولكن حين قتل السلطان انقلب ابن الخطيب عليه في خمسة

ودناءة وحطة لم يعرف لها الزمان مثيلا . لم يكن ابن الخطيب متقلب الاهواء ، كما تصور بعض مؤرخيه . وإنما كان متقلب الولاء ، يتقلب بسهولة من مادح إلى قادح ، ومن شاكر إلى ذام ، وكل هذا في سبيل شيء واحد : ذاته هو وترفه هو ، وأن يعيش منعما متلذذا إلى أوج التنعم والتلذذ ، فحين توارى أبو سالم في التراب ، تطلع ابن الخطيب بعينيه الغادرتين إلى الوزير القاتل ، قاتل صديقه وحاميه ، قاتل صاحب الأيادي السابغة عليه ، عمر بن عبد الله الفودودي ، يحاول أن يجد لديه نفس النعمة التي أسبغها عليه أبو سالم ، فرحل من سلا إلى فاس لكي يهنىء السلطان أبا زيان ، ووزيره المتغلب عليه عمر بن عبد الله ويطلق القصائد الرنانة في مدحها ، بل يدعو أبا زيان (بابن الخلائف وسمي محمد) (والخليفة الامام ، الذي استبشر به الإسلام[29]) يفعل هذا وهو يعلم أن أبا زيان والفودودي توليا السلطة على جثة حاميه وصديقه ، أبي سالم ولم يكن دمه قد جف بعد في قبره ، بل ثبت أن الغني بالله ولسان الدين بن الخطيب كانا يسعيان لدى ملك قشتالة لارجاع أبي زيان ، وقد كان في أسره ، ليتولى ملك المغرب ، مقابل أن يقطعها الوزير مدينة رندة الأندلسية ، ومن أملاك بني مرين لكي يتخذها الغني بالله قاعدة لاسترداد ملكه ، وقد نجح الغني بالله في وساطته لدى ملك قشتالة ، فاطلق سراح أبي زيان ، وتولى عرش المغرب في ظل المتغلب عليه الوزير الفودودي ، ولاشك أن ابن رضوان كان في المعمعة ، كبير الكتاب ، للملك الجديد وللفودودي . وكان ابن الخطيب يوثق الصلات به . وكانت غاية ابن الخطيب من كل هذه الاتصالات ألا تنقطع جرايته .

ومن المرجح أن ابن رضوان تدخل لدّى الوزير الفودودي ، ولم يقطع الوزير جراية ابن الخطيب ولا مخصصاته ، كما استمر عطف الدولة على سلطان ابن الخطيب المنفي الغني بالله وقد تمكن الغني بالله من استرداد عرشه في غرناطة بواسطة الفودودي من ناحية وملك قشتالة من ناحية أخرى . وثمت ملاحظة هنا هامة هو أن ملك قشتالة سواء أكان الفونسو الحادي عشر أو بيدرو الثاني كان حينئذ المرجع النهائي لهؤلاء الملوك الصغار ، يلعبون ويتلاعبون بهم . وكان أبو سالم المريني نفسه قد لجأ

(29) الاستاذ محمد عبد الله عنان : لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ص 94 ، 95 — وانظر أيضا بداية السفر الثالث من نفاضة الجراب — ونفح الطيب ج 4 ص 532 ، 533 .

إلى الفونسو الحادي عشر . وعاونه الفونسو على استرداد ملكه ، ومهد له السفن لنقله إلى المغرب ، ثم كان أبو زيان في أسره ، وأطلقه كما قلنا بوساطة الغني بالله لكي يتولى عرش المغرب ، كما عاون الغني بالله على استرداد عرشه الغرناطي وقتل أعداء الغني بالله ، وكان هذا كله تمهيدا للقضاء على دار الإسلام كلها في الأندلس .

ولا يعنينا نحن هنا هذا التاريخ ، بقدر ما يعنينا صلات ابن الخطيب برجلنا ابن رضوان بعد مقتل أبي سالم ، قبض الوزير عمر بن عبد الله الفودودي على الخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني ، وكان ابن مرزوق سبب النكبة التي حلت بأبي سالم وأدت إلى قتله (ورام كثير من أهل الدولة قتله) هنا أسرع ابن الخطيب إلى محاولة انقاذه ، وارسل عام (762 هـ) إلى ابن رضوان رسالة من سلا يقول فيها «وهذا الرجل سيدي الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق جبره الله تعالى بالأمس كنا نقف ببابه ونتمسك باسبابه ونتوسل إلى الدنيا به ، فان كنا قد عرفنا خيرا وجبت المشاركة ، أو شرا اهتبلت غرة الهدى الأنفس المباركة » ثم يطلب منه محاولة انقاذه ، والشفاعة فيه لدى الوزير ولم يكن ابن الخطيب ليرسل هذا الخطاب إلى كبير الكتاب ، لو لم يكن يعلم أن له نفوذا أو دالة على الوزير الفودودي . ولقد نجحت الوساطة ، وأطلق سراح ابن مرزوق ، ولحق بتونس عام 764هـ[30] .

وتمكن الغني بالله من العودة إلى عرشه ، ثم استدعى ابن الخطيب وأعاده إلى الوزارة ، وأكمل ابن الخطيب الاحاطة إبان هذا الوقت ، وأرخ لابن رضوان واورد الكثير من شعره ونثره وذكر علم الرجل (مشارك في معارف جمة) ويقول أيضا «وهذا الفاضل نسيج وحده ، فهما وانطباعا ولوذعية[31]» ولكنه لم يذكر كتاب ابن رضوان (الشهب اللامعة) فهل لم يعلم به ، أم تجاهله في موطنه غرناطة ، وفي مركزه ككبير وزراء سلطانها . مع أن رسائله مع ابن رضوان ، لم تنقطع . ومن المحال أن تنقطع : ان ابن الخطيب يعلم أن ابن رضوان «لم ينشب الملك ان أنس منه بهذه الحال ، فشد عليه يد الغبطة وانشب فيه براثن الاثرة ، ورمى إليه بتقاليد الخدمة ، فسما مكانه ، وعلا كعبه ، ونما عشه ، وهو الآن بحاله

(30) المقري : نفح الطيب جـ 9 ص 103 ـــ 104

(31) لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة ج 3 ص 443

الموصوفة ، من مفاخر قطره ، ومنقب وطنه ، كثر الله أمثاله[32]» ، وإذا كان ابن رضوان ، بحاله الموصوف ، أي له القوة والايد في البلاط المريني ، فكيف يسلوه ابن الخطيب ، أو ينقطع عن الكتابة إليه .

وأرسل إليه ابن الخطيب مع القاضي أبي الحسن النباهي رسالة هامة . ويبدو أن هذه الرسالة كانت في أعقاب رسائل بين ابن الخطيب وبين الفودودي — إذ يذكر ابن الخطيب أنها ارسلت بعد «ما جرى بيني وبين المتغلب على دولتهم ، رقاع فيها سلم وايقاع» وبعث ابن الخطيب إلى ابن رضوان يطلب منه أن يتدخل لديه . ويرد ابن رضوان بخطاب طويل ، يذكر فيه (وأما شكر الجناب الوزاري ، اسماه الله ، بحكم النيابة عن جلالكم ، فقد ابلغت فيه حمدي ، وبذلت ما عندي ، وودي لكم ودي ، ووردي لكم من المخالصة وردي) ثم يشكر ابن رضوان ابن الخطيب على اهدائه له كتابه المحبة أي روضة التعريف بالحب الشريف ويقرظه ويثني عليه . وقد كتب خطاب ابن رضوان في عام 767 هـ[33] .

وأرسل إليه ابن الخطيب مرة ثانية ، خطابا يدل على ما كان لابن رضوان من أهمية كبرى في البلاط المريني . يقول ابن الخطيب «كتبت له من الأندلس ، وقد راب السلطان بها اختصار في التخطيط الذي تضمنته الكتب الواردة من سلطانه ، ابحث على السبب... وربما كانت الضمائر فاسدة ، وسوق ما بينها في البر كاسدة» ويبدو أن العلائق بدأت تسوء بين البلاطين . وكان الدليل على هذا اختصار كتب ابن رضوان باسم البلاط المريني إلى بلاط غرناطة . وخشي الغني بالله الأمر ، ورابه ، فطلب من ابن الخطيب أن يستوضح ابن رضوان الأمر . ورد ابن رضوان عليه بأن ليس في الأمر شيء قائلا : «ورب اختصار لم يشن نظم ناظم....» في ابيات رقيقة[34] ولاشك أنه كانت هناك مخاطبات أكثر بين الرجلين وبخاصة أن ابن الخطيب كان يعد العدة النهائية للهرب من الأندلس ، واللجوء إلى المغرب . ولم يصلنا مع الأسف شيء من هذه المكاتبات .

---

(32) نفس المصدر : ج 3 ص 444

(33) ابن الخطيب : الاحاطة ج 3 ص 452 — 455 وقد اخطأ الاستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه (لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري) حين ذكر أن لسان الدين اتم وضع كتاب روضة التعريف في أوائل عام 769 لقد أرسل ابن الخطيب الكتاب إلى ابن رضوان عام767 .

(34) ابن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص 256

كانت هناك اذن مخاطبات كثيرة بين الرجلين. كانت الأرض تميد تحت أقدام ابن الخطيب، وحبال المؤامرة تشتد شيئا فشيئا حول عنقه. بينما كان ابن رضوان ثابتا راسخا في مكانته العلية في البلاط المريني، بالرغم من الاحداث الكبرى التي كانت تهدد أمن المغرب واطمئنانه. لقد قام عمر بن عبد الله الفودودي بقتل السلطان أبي زيان، حين تأكد من تغيره عليه (عام 767هـ) وولى مكانه السلطان أبا فارس عبد العزيز المريني. وأحس السلطان الشاب، ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره، بخطر الوزير عمر بن عبد الله الفودودي، وسيطرته وتغلبه على السلاطين واغتياله لهم، فسرعان ما وثب بالوزير وقتله هو وذويه واتباعه، وذلك عام (768 هـ). ولم يفقد ابن رضوان مكانه، بل بقي (ركن المقام المريني)[35] في عهد السلطان عبد العزيز. وكان السلطان عبد العزيز هو الذي مهد فرار ابن الخطيب من سلطانه الغني بالله وأسبل عليه حمايته. ولم يكن ابن رضوان بمنأى عن هذا — وهو كبير الكتاب، وكاتم سر الخليفة — وقد عبر ابن الخطيب البحر فارا إلى المغرب عام 772 هـ وفي أثناء اقامته بتلمسان، كتب ابن الخطيب الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة. وأرخ لابن رضوان أعظم تاريخ. ولكنه لم يذكر (الشهب اللامعة).

وعاش ابن الخطيب في ظل السلطان عبد العزيز ووزيره أبي بكر بن غازي وكاتبه ابن رضوان في تلمسان. وفجأة مات السلطان عبد العزيز عام 774هـ. وتولى الملك ابنه السعيد — وهو طفل — ولكن الثورة ما لبثت أن قامت على الوزير ابن غازي وانقلب عليه محمد بن عثمان ابن عمه ونادى بالأمير أحمد بن أبي سالم سلطانا على المغرب. وسقط ابن غازي، وتكونت حاشية أخرى فيها عدد من اعداء ابن الخطيب منهم سليمان بن داوود ومن مهادني الغني بالله. وكان الغني بالله قد اتفق مع محمد بن عثمان ومعاونيه على محاكمة ابن الخطيب وقتله. وحوكم ابن الخطيب في مجلس كبير من رجال الدولة وأهل الشورى...وعزر ابن الخطيب وعذب أمام الناس، ثم أعيد إلى سجنه، وافتى بعض الفقهاء بوجوب قتله، وكان أبو القاسم ابن رضوان كبير الكتاب، ......ولعله كان حاضرا ولعله حاول أن ينقذ الرجل. وقتل ابن الخطيب في عام 776 هـ.

وننتقل الآن إلى محاولة توضيح صلات ابن رضوان بمعاصره الآخر الكبير عبد

(35) ابن الخطيب: الكتيبة ص 254

الرحمن بن خلدون . وقد قلنا من قبل إن الرجلين قد تقابلا في تونس في بلاط أبي الحسن المريني . ويذكر ابن خلدون في نص أوردناه من قبل «وصحبته ، واغتبطت به . وان لم اتخذه شيخا لمقاربة السن ، فقد أفدت منه ، كما أفدت منهم[36]» وفارق السن هنا هو 14 عاما . فقد ولد ابن رضوان عام 718 هـ وولد ابن خلدون عام 732 هـ . وحينما وصل ابن رضوان إلى تونس في صحبة أبي الحسن المريني كان سنه ثلاثين عاما ، بينما كان سن ابن خلدون ستة عشر عاما . ألم يكن يكفي هذا الفارق بين فتى يافع وشاب مكتمل أن يكون احدهما تلميذا والآخر شيخا له . وكثير من علماء المسلمين جلسوا للاقراء وللافتاء وهم في أقل من هذا السن ، وتتلمذ عليهم علماء أفاضل اقروا بتلمذتهم عليهم . فماذا كانت غاية ابن خلدون من انكاره التلمذة عليه ؟ ، هل هي غبطة وحسد يخفيان حقده على كل من يقف في طريق تطلعاته وأوهامه في سبيل الحصول على المنصب الكبير . وبلا شك أن آمال ابن خلدون كلها انما كانت في اذيال البلاط المريني ، لم يكن أبدا يتطلع إلى بني عبد الواد بتلمسان ، ولا إلى الحفصيين بتونس ، ان مثله كمثل ابن الخطيب تماما : عابد منصب ، وعاشق أضواء . والضوء الكبير لدى بني مرين ، على أن يعد العدة ويدبر الأمر ، أن يعود إلى تلمسان أو بجاية أو افريقية ، إذا فشل مع المرينيين . وكان يتطلع دائما إلى منصب كاتب العلامة الذي كان يشغله عبد المهيمن ، ويقوم بالنيابة عنه ابن رضوان ، وذلك أثناء إقامة أبي الحسن بتونس . وينحسر المد المريني عن افريقية . وفشل ابن خلدون في وظيفته ككاتب العلامة للسلطان أبي يحيى بتونس ، وعزم على اللحاق بالمرينيين بالمغرب ، باحثا ، مؤملا في الوظيفة الكبرى في نظره حينئذ ، كاتب العلامة ، ثم الوزارة وهو يؤرخ لهذا بقوله : «فلما رجع بنو مرين إلى مراكزهم بالمغرب ، وانحسر تيارهم عن افريقية ، وأكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة وأشياخ ، فاعتزمت على اللحاق بهم وصدني عن ذلك أخي وكبيري محمد ، رحمه الله ، فلما دعيت إلى هذه الوظيفة ، سارعت إلى الاجابة»[37] والمشكلة : من الذي دعاه إلى بلاط أبي عنان ؟ ومن ذا الذي يذكر هذا الشاب الصغير في تونس ؟ ، والمغرب مليء بالعلماء والكتاب انه لا يبين بل يقول : إن السلطان أبا عنان رجع إلى فاس »وجمع أهل العلم للتحليق بمجلسه ، وجرى ذكري عنده وهو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس ، فأخبره الذين

(36) ابن خلدون : التعريف ص 23
(37) ابن خلدون : التعريف ص 56

لقيتهم بتونس عني ، ووصفوني له ، فكتب إلي الحاجب يستقدمني ، فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ، ونظمني في أهل مجلسه العلمي ، والزمني شهود الصلوات معه ، ثم استعلمني في كتابته ، والتوقيع بين يديه ، على كره مني ، إذ كنت لم أعهد مثله لسلفي ، وعكفت على النظر ، والقراءة ، ولقاء المشيخة من أهل المغرب ، ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة ، وحصلت من الافادة منهم على البغية»[38] ولا شك أن ابن خلدون لم يصدق هنا حين يقرر أنه استدعى ، بل من المؤكد أنه سعى ، لكي يدعى . ثم حين دعي ، قبل فرحا مسرورا ولقد أوردنا ما ذكره من قبل — انه هو نفسه كان يفكر في اللحاق بالبلاط المريني ، وان أخاه الأكبر هو الذي ثنى عزمه أول الأمر . أما ادعاؤه أن وظيفة الكتاب هي دون ما عهد لاسلافه النبلاء الكرام ، فهو مجرد غرور وحمق . ان ما يهمنا الآن ، انه استدعي وعمل كاتبا في ديوان الكتاب ، عام 755 . ولاشك أن الذي سعى له لدى أبي عنان ، وأن الذي نظمه في سلك الكتاب ، هو شيخ الكتاب ، وصاحب القلم الأعلى ، واستاذه ، أو صاحبه — على حد ما يدعي هو— أبو القاسم ابن رضوان . وكان ابن رضوان حينئذ في أوج مجده وقوته لدى السلطان أبي عنان . ثم حيكت الدسائس ، كما ذكرنا من قبل ، حول ابن رضوان وعزله السلطان أبو عنان عام 757 عن عمله . فهل كان هذا من صنع ابن خلدون؟ ولم يول أبو عنان الكتابة لابن خلدون —كما كان يصبو— فبدأ ابن خلدون تآمره مع صاحب بجاية الأمير محمد بن أبي زكريا ، وانكشف الأمر لأبي عنان ، وفقد ابن خلدون وظيفته عام 758 هـ . وامتحن وسجن[39] ، ثم اطلق سراحه بعد وفاة أبي عنان ، وعاد إلى وظيفته . ككاتب ، كما عاد ابن رضوان كبيرا للكتاب .

وانتهى الأمر إلى أبي سالم ، وكان ابن خلدون قد عمل جاسوسا للفقيه ابن مرزوق وكان الأخير يعمل حينئذ لاعادة أبي سالم ، وكان ابن خلدون يأمل في وظيفة كبير الكتاب ، وصاحب العلامة ، ولكن ابن مرزوق المتغلب على أبي سالم ، أعاد ابن رضوان ، ثم اعفي ابن رضوان كما يبدو ، لكي ينقطع لكتابة الشهب اللامعة للسلطان أبي سالم ، وجعل العلامة لعلي بن محمد بن سعود الخزاعي ، صاحب ديوان العساكر ، وجعل الانشاء والتوقيع والسر لابن خلدون[40] . ثم

---

(38) ابن خلدون : التعريف ص 58 — 59

(39) ابن خلدون : التعريف ص 66 — 67

(40) ابن خلدون : التعريف ص 43 — وص 68

اختلف ابن خلدون مع ابن مرزوق ، وبدأ الخلاف بين الرجلين ، ويبدو أن ابن مرزوق حاول استرضاء ابن خلدون في أواخر دولة أبي سالم ، فولاه خطة المظالم[41] .

وقتل أبو سالم ، وتغلب على الدولة ـــ كما قلنا ـــ الوزير عمر بن عبد الله الفودودي وتولى ابن رضوان ثانية منصب كبير الكتاب وصاحب العلامة ، وبقي ابن خلدون صاحب خطة المظالم . كان ابن خلدون دائما الرجل الثاني بعد ابن رضوان . وغضب ابن خلدون وهو يقول نفسه : «وكنت أسمو بطغيان الشباب إلى أرفع مما كنت فيه ، وأدل في ذلك بسابقة مودة معه أي مع الوزير المتغلب عمر بن عبد الله[42]» ولكن بدون جدوى .

وخرج ابن خلدون..... راحلا إلى الأندلس ، ثم إلى بجاية ، ثم أخذ هذا القلق المتوثب ، يجري هنا وهناك في بقاع الأرض . ولقد تنبه ابن الأحمر في كتابيه نثير الجمان ومستودع العلامة إلى حقيقة ابن خلدون ـــ وقد كان معاصره ـــ لقد مدحه ، وقرظ «علمه بالمنطق وأصول الدين وعلم النجوم ، وما يتعلق بالعلوم النظرية والفهوم ، وطريقة رائقة الفروع والأصول ، كاد أن يصل بها إلى درجة الاجتهاد غاية الوصول ومعرفة بالتواريخ الحديثة والقديمة...»[43] ، ثم اثنى على بلاغته وعلمه . ولكن ما لبث أن قدم لنا تحليلا رائعا لشخصيته المضطربة... لولا أن حب الرياسة تمكن من خلده ، حتى اخرجه طريدا عن بلده ، وأخذ يعمل في البلاد الاغذاء والارقال ، ولا يقر له قرار بالانتقال ، وينشد قول ابن جزي صاحبه في ترحاله ، في حال طرده عن وطنه بجور الازمان وارحاله :

قبح الله ياخليلي ارضا	بتوالي المحال فيها غدوت
ولي العذر إن ترحلت عنها	فلو اني قررت عينا قررت
من يكن سره الزمان بشيء	فانا ما سررت منذ صررت[44]

وكان ابن رضوان حينئذ وحتى وفاته ، صاحب القلم الاعلى ، في دولة بني

---

(41) نفس المصدر ص 77

(42) نفس المصدر ، نفس الصحيفة .

(43) ابن الأحمر : نثير الجمان ص 298

(44) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص 64 ، 65 .

مرين ، أعظم دول المغرب حينئذ وأثبتها . وكان الصخرة التي وقفت دون ابن خلدون أن يبلغ مراده .

ولقد عاصر ابن خلدون — ابن رضوان — كما قلت من قبل — وهو يكتب الشهب اللامعة — والشهب اللامعة مادة كبرى لكل من يكتب كتابا عن فلسفة السياسة لدى المسلمين . فهل أهمل ابن خلدون ذكر هذا تعمدا ؟ ، انه لم يكتب عنه ولم يؤرخ له . فهل تأثر به ، إني أترك هذا للباحثين .

مؤلفات ابن رضوان

كان من المتوقع أن يترك ابن رضوان ، وهو صاحب القلم الأعلى في أزهى عصور دولة بني مرين آثاراً علمية وسياسيّة وأدبية متعددة . كان الرجل فقيها ومحدثا ، وقاضيا عدلا ، كما تبين لنا من دراسة حياته الأولى العلمية ، ثم كان ذا أسلوب لا يقل أصالة وسبكا عن أسلوب معاصره ابن الخطيب ، وقد ترك لنا أيضا كتابا في السياسة يدل -- كما سنرى من بعد على أصالته في الترسل ومعرفة عميقة بموضوعه — وكان الرجل الكاتب الخاص لسلطان بني مرين الكبير، وبطلها العظيم أبي الحسن المريني ، ثم صاحب القلم الأعلى لعدد جم من أبنائه من بعده ، فأين ذهبت رسائله التي كتبها للدولة المرينية ؟ . لم يصل إلينا مع الأسف الشديد ، شيءٌ من هذه الرسائل ، ولو ظهرت ، ولاشك أنه كان هناك الكثير منها ، لكانت ، كما يلاحظ الدكتور احسان عباس بحق[45] ، من أهم الوثائق التي تكشف لنا الكثير من خفايا الحكم المريني في المغرب ولوضحت لنا الغوامض والثغرات المتعددة في تاريخ هذه الدولة .

ومن الأمثلة الهامة على هذا فقدان وثائق ابن رضوان المتعلقة بالخلاف بين أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان ، والتي أدت في نهاية الأمر إلى تلك النهاية الحزينة للملك الكبير .

كان ابن رضوان مع أبي الحسن المريني في غزوته لتونس ، وحين قامت الثورة على أبي الحسن هناك ، وتخلى عنه في أحلك أيامه كبير كتابه (عبد المهيمن) بقي ابن رضوان مخلصا للسلطان ، وحوصر مع أهل السلطان وحاشيته في القلعة ، قائما

(45) الدكتور احسان عباس : كتاب العيد ص 128

على الرسائل والمكاتبات ، متحملا المسؤلية الرسمية للمحاصرين من أهل السلطان وخاصته . وقد رأينا من قبل كيف أنه غادر تونس مع أهل السلطان إلى الأندلس وبقي وفيا لهم ولأبي الحسن المريني حتى تحقق الجميع من وفاة رجل بني مرين الكبير ، فعاد الجميع إلى رحاب ابنه أبي عنان وهم يعلمون جميعا أن الابن هو سبب نكبة أبيه وأنه هو الذي أودى به وألجأه إلى تلك النهاية الأليمة التي انتهى إليها . وقد حطم هذا النزاع — بلا جدال — دولة بني مرين ، فتتابع سلاطينها بعد أبي عنان ألاعيب بين يدي الوزراء يقتلون منهم ويعزلون من يشاؤون .

وقعت هذه الأحداث الخطيرة بين أبي الحسن المريني وبين ابنه أبي عنان أمام عيني ابن رضوان ، وكتب ابن رضوان للرجلين ، فأين هي كتاباته ورسائله لهما ؟ وهل لم يكن للرجل حكم خاص على الملكين اللذين عمل لهما ؟ . قد نظفر بنظرة نقدية لابن رضوان في كتابه الشهب ، وهي ايراده لقصة الخلاف بين الأمير شمس المعالي قابوس ، وابنه أبي منصور وقد استشهد الدكتور احسان عباس بهذه القصة . ولكنه استنتج منها نتيجة بعيدة تماما عن مغزى إيراد ابن رضوان لها . يرى الدكتور احسان عباس أن ابن رضوان كان يكتب للمرينيين ويعيش في ظل سلطانهم ، وأن هذا حجب عنه رؤية أوسع حدودا ، فاستشهد بقصة الخلاف بين الأمير شمس المعالي وابنه ، وأهمل الاستشهاد بقصة الخلاف بين أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان [46] .

وفي الحقيقة إن ابن رضوان كاتب عميق يخفي مراميه خلال السطور التي يكتبها . انه لا يستطيع فعلا أن يخوض في تاريخ هذا النزاع المؤلم بين أبي الحسن وابنه أبي عنان ، وقد كان هو مازال في خدمة أبي سالم ابن أبي الحسن فذكر قصة أبي الحسن وابنه أبي عنان مغلفة في قصة شمس المعالي وابنه .

كان أبو المعالي من أجود الملوك ، وعظمائهم ، وكانت له الحروب والغزوات ، وكذلك كان أبو الحسن ، وكان شمس المعالي قاسيا ، فظا مستبدا ، لا يأبه بمشورة رجال دولته ، ولا يهتم بمستشاريه وبطانته ، فهل كان أبو الحسن المريني كذلك يبدو هذا — ان أخطاء الرجل الكبير — بدأت تظهر واضحة للعيان ، لقد تسبب في فاجعة طريف وأبو حمو في واسطة السلوك ينقده بسببها ، بسبب تعجله الجواز إلى

(46) الدكتور احسان عباس : كتاب العيد ص 101

الأندلس ، بعد حروبه في تونس ، ثم فاجعة القيروان وهزيمة السلطان في افريقيا . هل يحل لنا كل هذا مشكلة قيام الابن على أبيه ، قيام أبي عنان على أبي الحسن المريني . ان الاغلبية العظمى ، للمرينيين ، هي التي دفعت أبا عنان إلى القيام في وجه الأب ، الذي تسبب في تلك النكبات التي حلت بالمغرب ، وهددت كيان الإسلام والمسلمين في الأندلس وفي المغرب نفسه . لم يكن أبو عنان إذا خارجا على أبيه لمنفعة شخصية أو لتولي الملك وكان الملك عائدا إليه على أي حال ، وأبوه في شيخوخته قريب من نهايته ، وانما الذي أثاره مجموعة أهل الحل والعقد : المرينيون . يقول ابن خلدون : «وكان ببني مرين نفرة من السلطان وحذر من غائلته لجنايتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يبعد بهم في الأسفار ، ويتجشم بهم المهالك فكانوا لذلك مجتمعين على منابذته ومخلصين في منازعة ابنه منازعة[47]» ونحن نعلم أن أبا منصور بكى بين يدي أبيه حين قابله ، والأب مهزوم والابن منتصر ، وكذلك بكى أبو عنان ، حين حمل جثمان أبيه إليه . وقد خرج حافيا لاستقبال الجثمان . يبدو أن هذا هو مغزى القصة التي أوردها ابن رضوان في الشهب ببراعة نادرة . ولكن بالرغم من هذا ، كنا نتمنى أن لو بقيت لنا وثائقه المباشرة حتّى تبين الحقيقة جلية وواضحة .

لم تصل إلينا اذن رسائل ابن رضوان التي كتبت للمرينيين ، وبقيت لنا من أعماله العلمية والأدبية :

1 — مجموعة من الأشعار ، أورد بعضا منها ابن الخطيب في الاحاطة[48] . وفي الكتيبة الكاملة[49] . كما ذكر ابن الأحمر بعض قصائده في نثير الجمان[50]. وحفظ لنا المقري في نفح الطيب نماذج منها[51] .

وأغراض قصائده هي : المديح، وبخاصة في أبي الحسن المريني، ويتخللها وصف لموقعة الفتح التي انتصرت فيها أساطيل المريني على الاسبان، وقصائد طويلة

(47) ابن خلدون : تاريخ ج 7 ص 686
(48) لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة ج 3 ص 445 إلى 451
(49) لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص 256 إلى 259
(50) ابن الاحمر : نثير الجمان 235 إلى 247
(51) المقري : نفح الطيب ج 6 ص 106 — 112

في مدح السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني : ثم في الرثاء ، وفي الوصف ، ثم في الزهد والورع .

2 — مجموعة من رسائله : بعضها متبادل بينه وبين ابن الخطيب[52] ، ورسالة لابن الأحمر صاحب مستودع العلامة يطلب فيها من ابن رضوان الاجازة في الحديث واجازة[53] ابن رضوان له . وتنحو رسائله منحى السجع ، وقد كان السجع الأسلوب السائد في عصره .

3 — فهرسة له عن شيوخه . تفرد بذكرها صاحب فهرس الفهارس والاثبات[54] . ولم نعثر على هذه الفهرسة .

4 — الشهب اللامعة في السياسة النافعة . وهو الكتاب الذي نقدمه للباحثين . وسنفرد له الفصل التالي .

الشهب اللامعة في السياسة النافعة

ذكرت من قبل أن كتاب الشهب اللامعة لم يرد له ذكر في مؤلفات ابن الخطيب ولا عند ابن خلدون ومن الواضح أن هذا الاهمال من الرجلين الكبيرين المعاصرين لابن رضوان انما كان مرده حسدهما للرجل الثابت في مركزه ، الراسخ في عمله ، وعلائقه الوفي لسلطانه . بينما تقلبت الأهواء الذاتية والنزعات الدنيوية بالآخرين : ابن الخطيب وابن خلدون ، وكان ابن خلدون بالذات بجانب ابن رضوان ، وهو يكتب كتابه ، بجانبه في المدينة بل في نفس الدار ، أي في القصر المريني . وليس هناك أدنى شك في أنه أطلع على الكتاب وقرأه ، واستفاد منه . وكان كتاب الشهب مادة خصبة جمع فيه صاحبه أقوال الكثيرين من فلاسفة السياسة : يونان وفرس وعرب ، وهنود وضمنها كتابه... وكان ابن خلدون يفكر حينئذ ، في مشروعه الضخم ، المقدمة ، ووضع العلم الجديد : فلسفة التاريخ ، أو علم الاجتماع السياسي ، أو علم العمران ، ولم يكن طالب العلم المتنقل ، وراء المنصب والجاه ، يحمل معه مكتبته الخاصة ، ومكتبة آبائه وأجداده ، من تونس ،

(52) ابن الاحمر : مستودع العلامة ص 52 — 56

(53) ابن الخطيب : الاحاطة ج في ص 452 — 455

(54) عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس والاثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (طبع فاس 1347) ج 1 ص 331 .

في رحلته المخاطرة ، إلى فاس ثم إلى الأندلس ، ثم إلى غيرها من المدن ، حيث ينتهي به المطاف إلى كتابة مقدمته ، ان كتاب ابن رضوان قد أمده بلاشك بأزاهير ومقتطفات من فكر الأقدمين . ولعل ما ذكره عن ابن بطوطة انما أخذه من شهب ابن رضوان ، ويرجح الدكتور احسان عباس أن ابن خلدون قد استفاد من كتاب الشهب ، وبخاصة أن هناك مصادر مشتركة بين الاثنين ، بل هناك نصوص استخدمها ابن رضوان من كتاب السياسة المنسوب لأرسطو وكتاب سراج الملوك للطرطوشي وكتب ابن المقفع ثم استخدمها هي هي ابن خلدون في مقدمته .

وقد يكون هناك سبب آخر لاهمال الرجلين — ابن الخطيب وابن خلدون — لكتاب الشهب وهو أن الكتاب قد كتب للسلطان المنكود الحظ أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني — وبناء على امره لابن رضوان — وابن رضوان يذكر هذا فيقول في مقدمة كتابه «ان ما اقتضته إرادة الامامة الابراهيمية (أي السلطان ابراهيم أبي سالم) الصادرة من علو الهمم والمقاصد الزاكية الشيم أمره بتأليف مجموع في السياسة الملوكية ، والسير السلطانية مما يقع به الامتاع ، ويظهر الانتفاع ، قصدا منه ، أعلى الله أمره بتخليد أثر يتبع دليله ، وعلم يتضح سبيله ، ولما اختصني بذلك وحض عليه ، وصرف عزمه الكريم إليه ، بادرت أمره بواجب الامتثال ... وسميته بالشهب اللامعة في السياسة النافعة» .

ومن الواضح أن ابن رضوان يذكر هنا أن الشهب أثر من آثار أبي سالم ، وقد قتل أبو سالم وحكم قاتله عبد الله بن عمر الفودودي المغرب حكما مطلقا . وقد اختار بعد قتله لابي سالم ، سلاطين ضعفاء لا حول لهم ولا قوة . فهل اعتبر الشهب حينئذ من آثار أبي سالم ، فطوى في النسيان حينا من الزمان ، حتى انتهى عهد الفودودي بقتله بيد السلطان عبد العزيز .

وسواء صح هذا أم لم يصح ، فإن الكتاب قد انتشر في المغرب والأندلس . وأثر أكبر الاثر في أعظم فلاسفة علم الاجتماع السياسي عند المسلمين وهو ابن الازرق المتوفى عام 896 هـ في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك : وقد قلت في مقدمة طبعتي لكتاب بدائع السلك (كشف لنا ابن الأزرق عن ميراث ضخم في علم السياسة ، ووجه نظرنا إلى مجموعة من الكتاب السياسيين سبقوا ابن خلدون — خلال القرون الماضية — وقد ثبت لنا وجود مخطوطات كتب هؤلاء الكتاب غير

أن أهم كتاب وجه نظرنا إليه هو كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة لأبي القاسم ابن رضوان وأهمية كتاب الشهب اللامعة أنه كان مصدراً أساسياً لابن الأزرق علاوة على أن ابن رضوان كان معاصرا لابن خلدون وزميلا له ولم يذكر ابن خلدون هذا الكتاب ، فهل استفاد منه ، أم لم يستفد ، إننا نعلم أن ابن خلدون كتوم غير بواح»[55] .

أما ابن الأزرق فلم يكن كتوما لم يكن يخفي مصادره ، وهو القاضي والمحدث الثقة الثبت ، لقد استفاد أكبر الاستفادة من الشهب اللامعة وذكره مرارا وتكرارا باسمه أي الشهب أو تحت اسم ابن رضوان . وهذا دليل حاسم على أنه كانت لديه نسخة من الكتاب سواء أثناء مقامه بالاندلس أو بعد خروجه منه في رحلته الطويلة إلى المشرق حيث كتب كتابه العظيم بدائع السلك في طبائع الملك .

وانتشر الكتاب في المغرب ، وبقيت منه نسخ متعددة وقد عرف الكتاب أحمد بابا التنبكتي فقد نقل ما ذكره أبو بكر السراج (تلميذ ابن رضوان) في فهرسته عن أستاذه ابن رضوان ثم يعقب التنبكتي .. «قلت : وله تأليف حسن في السياسة السلطانية»[56] وهذا برهان واضح على أن أحمد بابا التنبكتي قد عرف الكتاب ، واطلع عليه .

الشهب اللامعة والسلطان أبو سالم

لاشك أن كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان انما هو أثر من آثار السلطان أبي سالم . طلب من ابن رضوان أن يكتبه له على سبيل الامتاع والانتفاع — وقد حكم أبو سالم ما بين منتصف شعبان عام 760 — وقتل يوم الخميس الحادي والعشرين لذي القعدة عام 762 — وله من العمر 28 سنة . وكانت دولته — كما يذكر ابن الأحمر — سنتين وثلاثة أشهر وأربعة أيام[57] .

فالكتاب اذن قد صنف خلال هاتين السنتين وقدمه ابن رضوان للسلطان ، قبل قتله ، انه في مقدمة الكتاب يدعو له بطول العمر وامتداد الحياة . وهذا يدل على

(55) ابن الأزرق : كتاب بدائع السلك ج 1 ص 22

(56) أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ج ص 147 .

(57) ابن الأحمر : روضة النسرين في دولة بني مرين ص 30 ، 31

أنه كان حيا حين انتهى ابن رضوان من كتابه . وهنا نتسائل : لم طلب السلطان أبو سالم من كبير كتابه أن يضع له مجموعا في السياسة ، هل أحس السلطان بما يخبئه الدهر من مآس انتهت بقتله ، مقتلة عنيفة ، بواسطة وزيره وزوج أخته عمر بن عبد الله الفودودي وكان هناك شاهد عيان هو ابن الاحمر يصف لنا قتله «وقتل رحمه الله تعالى ، وأنا أنظر إليه وأتوجع وأبكي»[58] .

وكان أبو سالم اذن يتشوف إلى قانون سياسي يسير عليه ، ويحكم بمقتضاه . وقد كانت حياته كلها أعاصير وعواصف ومآس ومحن . ألجأه أخوه السلطان أبو عنان — بعد وفاة أبيه السلطان أبي الحسن ، وهو في السابعة عشرة من عمره — إلى الاقامة في غرناطة ، هو وأخوه محمد أبو الفضل ، ثم طلب من سلطان غرناطة أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد أن يسلمها إليه (ليكون مقامها لديه أحوط للكلمة من أن يعتمد تفريقها سماسرة الفتن) وخشي عليها أبو الحجاج غائلته ، فأبى تسليمها إليه فلما هدده أبو عنان ، أوعز إلى أبي الفضل باللحاق بطاغية الروم لكي يعاونه على محاربة أخيه ، فجهز له أسطولا ونزل بالمغرب ولكن أبا عنان تمكن من القضاء عليه وقتله[59] .

أما أبو سالم فقد عاش مدة هادئا في رحاب الأمير النصري . ثم ما لبث أن ناله اعتقال من قبل الحاجب رضوان حاجب ابن الأحمر عام 759 هـ وذلك ارضاء لأخيه أبي عنان . وحين توفي أبو عنان طلب أبو سالم من رضوان معاونته للعودة إلى المغرب ، ولكنه رفض .

فما كان منه (وقد حركه الاستدعاء وأقلقته الأطماع) أن خرج من حضرة غرناطة ليلا من بعض مجاري المياه ، راكبا للخطر ، معرضا نفسه للتهلكة ، ولحق بملك قشتالة باشبيلية مستنجدا ومستصرخا . وللمرة الثانية يلجأ ابن من أبناء أبي الحسن المريني الكبير إلى أعداء أبيهم وقاتل أمهاتهم في موقعة طريف ، يطلب منه العون والنجدة في سبيل استرداد ملكه . يقول ابن الخطيب (وطرح عليه نفسه ، وعرض عليه مخاطبات استدعائه)[60] ورأى صاحب قشتالة بطرة ابن الفنش أن الفرصة سانحة للمرة الثانية ، أن يتدخل في أحوال المغرب ، وأن يجد حليفا في

---

(58) ابن الأحمر : روضة النسرين ص 30

(59) ابن خلدون : تاريخ مجلد 7 ص 293 .

(60) لسان الدين ابن الخطيب : الاحاطة ج 1 (الطبعة الثانية) 306

ملكها ، (فاشترط عليه ، وتقبل شرطه) ، ولاشك أن أهم هذه الشروط ، هو أن يتخلى أبو سالم عن معاونة ابن الاحمر ضد قشتالة ، وأن يترك غرناطة بدون مساندة من ملك المغرب . وقبل أبو سالم الشرط بل الشروط كلها . فجهز له جفنا من أساطيله . ومضى الأسطول الاسباني وعلى ظهره أبو سالم ، يرتاد شواطىء المغرب ، حتى تمكن من النزول في بلاد غمارة . من أحواز أصيلة وبعد حروب ومناوشات تمكن أبو سالم من دخول فاس ، والقضاء على ملك ابن أخيه الطفل أبي بكر السعيد . وقد تصور الناس — بعد كل هذه المآسي — أن أبا سالم سيلجأ إلى محاولة تهدئة الأمور وأن يجدد عهد أبيه أبي الحسن باستجلاب طاعة الناس له ، ولكن أصابه «حال غريبة ، صارت عن كثب إلى أضدادها ، فصرف وكده إلى اجتثات شجرة أبيه فالتقط من الصبية بين مراهق ومحتلم ومستجمع طائفة تناهز العشرين ، غلمانا ، ردنة قتلوا اغراقا من غير شفقة توجب اباحة قطرة من دمائهم ورأى أن خلا له الجو» [61] .

وهنا ماذا حدث لهذا السلطان المنكود «ورأى أن قد خلا له الجو ، فتواكل وآثر الحجبة وأشرك الأيدي في ملكه ، فاستبيحت أموال الرعايا ، وضاقت الجبايات ، وكثرت الظلامات وأخذ الناس حرمان العطاء ، وانفتحت أبواب الارجاف ، وحدت أبواب القواطع» [62] .

وسنرى كل هذا في الشهب اللامعة : الرفق واللين مقابلا للقسوة والغلظة ، العفو والرحمة والحجاب والظهور ، واشراك الأيدي في ملكه... أبواب المشورة والمستشارين . أما وقد استبيحت أموال الرعايا وكثرت الجبايات ، فإن ابن رضوان يسترعي نظر أبي سالم إلى ماينبغي أن يكون عليه بيت المال والعدالة في الجبايات حتى بين الخرص والخراصين ، وكثرت ظلامات الناس فكتب فصلا عن السجن وأحوال المسجونين الخ. فهل كان ابن رضوان، وهو الشيخ الوقور المتئد، يخشى اقبال الفتنة على أبي سالم، فكتب دستورا له، أو قانونا كليا يحاول به انقاذ ما يمكن انقاذه ؟ كان يكتب التاريخ ويعطي أمثلة الاقدمين، وهو ينبع من واقع المجتمع المغربي حينئذ، من بنيته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. أو بمعنى أدق إن الشهب اللامعة إنما هو صورة بارعة لتاريخ الدولة المرينية في عصورها الأخيرة.

---

(61) لسان الدين ابن الخطيب : الاحاطة ج 1 ص 307 ، 308

(62) نفس المصدر السابق ج 1 ص 308

ولكن هل انتفع أبو سالم انتفاعا حقيقيا بكتاب الشهب ، الدستور الذي أراده ابن رضوان له ، لكي يحول به دون النهاية الأليمة. لقد غلب على هوى السلطان ، كما يقول ابن خلدون ، الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق «وكان مؤامره ونجي خلوته ، والغالب على هواه ، فانصرفت إليه الوجوه وخضعت ووطىء عقبه الاشراف والوزراء وعطف على بابه القواد والأمراء وصار زمام الدولة بيده» فنقم الناس لذلك «وسخطوا الدولة من أجله ، ومرضت القلوب ، قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه ، ونفس عليه الوزراء ما ثبت له من السلطان من الحظ ، فتربصوا بالدولة . وشمل هذا الداء الخاصة والعامة»[63] .

ألم ينهه ابن رضوان في كتاب الشهب اللامعة عن كل هذا في باب الوزارة والوزراء ، وفي فصل الاستشارة والمستشارين والجلساء (ألم ننهك عن العالمين) ولكن كان القضاء أسرع ، وثار عليه عمر بن عبد الله الفودودي وفر السلطان إلى وادي ورغة ونام في بعض المجاشر وقد نزع عنه ملابسه ، اختفاء بشخصه وتوارى عن العيون ولكن ما لبث أعوان عمر بن عبد الله أن عثروا عليه . وأمر بعض جند النصارى ، وكان هناك فرقة منهم في جيش أبي سالم بقتله . وبذبحه ، وذبحوه[64] .

كتاب الشهب اللامعة
ككتاب في علم السياسة

إذا كان كتاب الشهب اللامعة تعبيرا سياسيا واجتماعيا عن عصر من عصور بني مرين ، فإنه أيضا كتاب ، في علم السياسة عند المسلمين له خصائصه العامة ومميزاته الهامة التي تميزه عن غيره من الكتب التي ألفت في علم السياسة أو علم الاجتماع السياسي عند المسلمين حقا ، انه يستند على الجمع وايراد النصوص . وهو نفسه يقول : انه يؤلف مجموعا في علم السياسة من سياسة الملوك الأقدمين وسير الخلفاء الماضين وكلمات الحكماء الأولين ، ما فيه غنية الخاطر ، ونزهة الناظر ، محتويا على طرف من التاريخ الذي تستشرف النفوس إليه ، وتشتمل القلوب عليه ، ليكون في ذلك عونا على تعلق الأحكام السياسية بالخواطر . انه هنا يقرر أنه سيقدم المادة — مادة العلم — من سياسة الملوك والخلفاء ، وسيعطي آراء الحكماء الفلاسفة ،

(63) ابن خلدون تاريخ ج 7 ص 313 .
(64) تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 314

وسيربط هذا كله بنماذج من التاريخ العام . انه يفعل هذا ليعين العقول على تفهم الاحكام السياسية . هل قرأ ابن خلدون هذا ؟ ، ان ابن رضوان قد وضع مادة النظرية مادة الأحكام . وضعها كمقدمات لفلسفة في التاريخ أو في علم الاجتماع السياسي . ولكنه لم يصل بحسم إلى النتائج ، إلى نظرية جديدة في العلم . وهي النظرية أو فلسفة الحكم التي ظفر بها ابن خلدون حين طبق منهج المسلمين الاستقرائي المستند على ترابط العلل ترابطا في مستقر العادة على حوادث التاريخ ، ورأى أزمان التاريخ وآناته تسير في حركة اطرادية واقعية حسية ، تتطور ولكنها تعود دائما إلى مركز واحد هو ما أسماه بالعصبية أو بالشوكة . كان خطأه الكبير أن تطور التاريخ السياسي عنده انما يتجه فقط نحو المتجانس ، لا نحو المتباين ان المجتمعات عنده تتطور ، وتتغير ، ولكن تطورها انما يتجه اتجاها أفقيا ، لا منحنيات فيه ، ولم يفرق بين النزوات الذاتية للأمم ولا الثورات الذاتية للجماعات ، كان يدرك فقط فكرة البنيان الثابت . انه أشار أحيانا إلى الصراع الداخلي للجماعات ، وإلى العوامل الباطنية التي تسيطر عليها . ولمقدمته ابنية أصولية وفقهية وكلامية ولغوية ، في حاجة إلى بحث أوسع وأشمل . ولكن لا يمكن فهم هذه الابنية الداخلية ، بدون أن نتفحص أصول نصوصه ومصادرها . وقد قلت من قبل في مقدمة بدائع السلك لابن الازرق : ان بدائع السلك سيعيننا على تفهم التراث الخلدوني وتعمق معانيه وأقول الآن : ان كتاب الشهب اللامعة سيقوم هنا بنفس المهمة . وينبغي أن نلاحظ أن ابن رضوان قد استند بعمق على سراج الملوك للطرطوشي . فقد كان سراج الملوك منارا لكل من كتب بعده في علم السياسة ، ولكن سراج الملوك — وكما لاحظ الدكتور احسان عباس بحق — يقدم لنا خلال آرائه العميقة البارعة ، كثيرا من الوعظ . وقد عبرت أنا عن اتجاهه بعلم الاخلاق السياسي ولكن علم السياسة عند ابن رضوان يتجاوز هذا ، انه يرسم — كرجل دولة ولم يكن الطرطوشي كذلك — صورة تقترب من الواقعية الحسية التي كانت صبغة المسلمين في كل مظاهر حياتهم وبخاصة في الفقه . والفقه هو علم الاجتماع الحقيقي عند المسلمين . بل هو فلسفتهم الحقيقية ، فابن رضوان قد تجاوز المرحلة الاخلاقية المثالية — إلى حد ما — ليضع آراء حسية تبتعد إلى مدًى عن المطلقات المجردة . وجاء ابن خلدون وسار بهذه الواقعية الحسية الفقهية إلى مداها ، متجاوزا الطرطوشي وابن رضوان .

وكان لكتاب الشهب ميزة هامة في البحث العلمي في علم السياسة عند المسلمين . لقد حفظ لنا نصوصا مهمة عن كتابين من أهم الكتب في علم السياسة

عند المسلمين ومن العجب ألا يذكرهما معاصره ابن خلدون : وهذان الكتابان هما كتاب السياسة لابن حزم وكتاب في السياسة للمرادي .

أما أولها ، فلم نعثر له على أثر ، اللهم إلا خلال الشذرات التي بقيت لنا منه سواء في كتاب الشهب لابن رضوان أو كتاب بدائع السلك لابن الازرق . أما كتاب السياسة الآخر الذي قدم لنا ابن رضوان نصوصا منه فهو كتاب في السياسة للامام أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي وهو من أكبر علماء المغاربة ومفكريهم وقد توفي بمدينة أزكى بصحراء المغرب وهو قاض بها سنة 489 . وقد عثرت على مخطوطات هذا الكتاب وأعددته للطبع وأرجو أن يطبع — بعد الانتهاء من طبع الشهب — وقد أهمله ابن خلدون فلم يرد له ذكر في المقدمة . بينما استند ابن الازرق على كتاب المرادي ، فنقل منه بعض النصوص .

أما الكتب السياسية الاخرى التي استند عليها فهي رسالة ارسطو المنحولة في السياسة للاسكندر . وقد أثرت هذه الرسالة —كما نعلم— في المشرق وفي المغرب ، كما استند عليها ابن خلدون وابن الأزرق . ثم كتاب التاج المنسوب إلى الجاحظ ، وقد نقل منه نصوصا متعددة ، وقد قلنا من قبل : ان ابن خلدون قد نقل نفس النصوص في المقدمة ونقلها أيضا ابن الأزرق في بدائع السلك . ثم كتاب الاحكام السلطانية للماوردي . وقد كان كتاب الأحكام —كما هو معلوم— أهم كتاب في علم السياسة عند المسلمين . وقد انتشر مشرقا ومغربا ، وكان له أثره في الشهب وفي المقدمة وفي بدائع السلك ، كما كان له أثره في علماء السياسة الآخرين المسلمين .

أما كتب الأخلاق الممتزجة بالسياسة والتي استند عليها ابن رضوان : فأهمها كتاب سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي وهو يسميه (السلوانات) . وقد نقل منه نصوصا كثيرة ومجموعة كتب عبد الله بن المقفع وبخاصة الأدب الكبير والأدب الصغير وكتاب الذخائر والاعلاق في آداب النفوس ومكارم الاخلاق لابن سلام أي لأبي عبد الله بن عبد الله الباهلي الاشبيلي . وكتاب بهجة المجالس لأبي عمر ابن عبد البر ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وزهر الآداب للحصري ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعمدة لابن رشيق القيرواني ، وكتاب الطب الروحاني للفيلسوف الطبيب محمد ابن أبي بكر الرازي . وهذا يدل على أن كتب هذا الطبيب الفيلسوف المعادي للنبوات كانت معروفة في الأندلس والمغرب . ويثبت أيضا أن ابن رضوان كان على اطلاع على الفلسفة ، وأنه درسها بصورة أو أخرى في الأندلس كما رجحنا من

قبل . وإن كان موقفه اتجاهها ، هو موقف الفقيه المالكي الذي يتورع عن الخوض في علوم الأوائل . ثم كتاب المبهج للثعالبي ، وقد رجعنا إلى كل هذه المصادر ، وحققنا نصوص ابن رضوان عليها .

أما الكتاب الذي لم نعثر عليه ، وقد ذكره ابن رضوان ، ونقل منه ، وفعل نفس الشيء ابن الأزرق — فيما بعد — فهو كتاب محاسن البلاغة للتدميري ، وهو كتاب أندلسي — نرجح — أنه فقد .

ثم استند ابن رضوان على كتب الطرائف مثل الهفوات النادرة لهلال ابن المحسن الصابي وقد رجعنا إليه في التحقيق ، ثم كتاب المقتطف من أزاهير الطرف لابن سعيد المغربي . ولم يصل الكتاب إلينا .

أما كتب التاريخ فكثيرة . فقد ذكر هو تاريخ محمد بن عبد الملك الهمذاني وتاريخ أبي الحسن هلال بن محمد الصابي وتاريخ هارون بن عباس المأموني ، وأرجح أنه لم ينقل عن هذه الكتب وإنما أخذ ما نقله من وفيات الأعيان لابن خلكان ، ثم قدم لنا نقولا من مروج الذهب للمسعودي .

لست هنا أستقرئ استقراء كاملا مصادره ، إننا سنقدم في آخر الكتاب ثبتا(*) للمصادر التي استند عليها ، والمصادر المؤكدة التي نقل عنها ، والمصادر غير المباشرة التي استخدمها ومن الأمثلة على هذا أرجوزة ابن الهبارية. هل نقلها عن ديوانه. أم عن مصدر ثانوي ذكرها ؟ . المسألة معلقة دائما في هذا الاشكال وقد راجعناها نحن على ديوان ابن الهبارية نفسه ، كما راجعنا معظم الاشعار التي أوردها على دواوين أصحابها الأصلية . وأخيرا تنتشر اراؤه هو الذاتية هنا وهناك ، بالرغم من أن الرجل كان يسرع الخطى في وضع الكتاب . انه كان يريد بكتابه أن يرسم سياسة الملك لأبي سالم المريني ، ولمن بعده ، ولكن القدر كان أسبق مما خطه ، وبقي كتابه — كما قلت — جزءا لا يتجزأ من تاريخ المرينيين ، كما هو أيضا كتاب في السياسة عند المسلمين . ولقد كان القرن الثامن — عصر بني مرين — عصر نضج علم السياسة أو علم الاجتماعي السياسي أو علم فلسفة التاريخ . لم تنضج في عصر من عصور الإسلام ، كما نضجت في هذا العصر ، ولعل الباحثين أن يكشفوا لنا عن نصوص أخرى ووثائق اجتماعية وسياسية وتاريخية في هذه الحقبة المهمة من تاريخ المغرب . ركيزة العالم الإسلامي في هذه البقعة من الارض .

(*) لم يقدم المحقق — رحمه الله — هذا الثبت للناشر مع مخطوط الشهب اللامعة المحقّق .

طريقتنا في تحقيق النص

لقد أردت أن أقدم نصا صحيحا للقارئ، لذلك لم أستند على مخطوط واحد وذلك طبقا للقاعدة التقليدية في نشر النصوص، بل اخترت ما رأيت أنه أقرب إلى الصحة من نصوص لنسخ المخطوط التي بين يدي. ووضعت في الهوامش والحواشي القراءات التي لم أخترها ، كما انني راجعت نصوص ابن رضوان على نصوص المصادر التي أخذ منها ، وفضلت قراءات بعض هذه المصادر إذا كانت أقرب إلى الصحة ، وقد أرخت للشخصيات الواردة في الشهب في ثبت وضعته في آخر هذا الكتاب (*) .

ولا يفوتني أن أذكر من شاركني في تحقيق نصوص هذا الكتاب وهما : الأستاذ محمد بن عباس القباج محافظ الخزانة العامة بالرباط ، والأستاذ عبد الله تروال الأستاذ المساعد بالمعهد التربوي (جامعة محمد الخامس بالرباط)

الدكتور علي سامي النشار
في 2 جمادي الأولى 1399 — موافق 31 مارس 1979 .

(*) حال موت المحقق كذلك دون التأريخ للشخصيات الواردة في الشهب .

مخطوطات الشهب اللامعة

كانت بين أيدينا المخطوطات الاتية :

1 ــ مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 729 د في مائة صفحة وعدد سطور الصفحة 19 ومقاسها 16 سانتيمترا بخط مغربي جميل ولا تخلو كغيرها من الأخطاء ، وقد جاء في ختامها : كمل كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل.

وقد رمزنا لها بالحرف (أ)

2 ــ مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 2144 د وهي لا تختلف عن النسخ المغربية الأخرى خطا مع بعض التحريف وعدد صفحاتها 233 ومقاسها 20 سانتيا ويلاحظ أنها مبتورة الاخير.

وقد رمزنا لها بالحرف (ب)

3 ــ مخطوطة تحت اسم (الشهب اللامعة في تدبير الرياسة النافعة) لابن رضوان بالخزانة الملكية رقم 1103 بالرباط عدد صفحاتها : 254 تسعة عشر سطرا في كل صفحة .

رمزنا إليها بحرف (ج)

مكتوبة بخط مغربي واضح إلى حد ما ، مذهب في الصفحتين الاوليتين والصفحة الاخيرة . يبتدىء المخطوط بالبسملة والتصلية مع مقدمة وذكر أبوابه وهي خمسة وعشرون بابا .

4 ـــ مخطوطة تحت اسم (الشهب اللامعة في سماء السياسة الجامعة) لابن رضوان مكتوبة بخط مغربي واضح ، سقط منها فقرات كثيرة بالمقارنة مع المخطوطات (أ ـــ ب ـــ ج) وتشتمل على 264 صفحة ، 18 سطرا في كل صفحة ، رقم المخطوطة بالخزانة الملكية القصر الملكي 350 .

وقد رمزنا لهذه المخطوطة بحرف (د)

5 ـــ الشهب اللامعة في السياسة النافعة لأبي القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي مخطوطة رمزنا لها بحرف (هـ)، رقمها بالخزانة العامة بالرباط د 1083 ، وهي بخط واضح ، شبيه بالخط الأندلسي عدد صفحاتها 36 ، ثلاثة عشر سطرا في كل صفحة إذ لا تحتوي إلا على بابين مع صفحة من الباب 15 فهي تبتدىء بالصفحة الاخيرة من الباب الخامس عشر : (... من بحر تلك المفاخر ، وإشارة تنبىء عما وراءها من شيم المجد... والتواضع يوجب المنة) . ثم يأتي بعد ذلك الباب السادس عشر وقد سقطت منه حوالي ثلاث صفحات : (من ... بغا الصغير ـــ حتي ـــ إلى : فلما هب) ، كما سقطت الصفحتان الاخيرتان في الباب السابع عشر ، من : (فنزل القوم فأخذوا الأمتعة ، وانفرد أحدهم بالبغل ، ... ـــ حتى آخر الباب ـــ : فقال : إني عددت خطاه عندما دخل ، فإذا هي عدد خطاه عندما خرج بخلاف غيره ممن دخل)

وقد رمزنا لها بحرف (هـ)

6 ـــ الشهب اللامعة في السياسة النافعة لأبي القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان مخطوطة (ق) لصاحبها الأستاذ القباج بخط مغربي واضح مع بعض الكلمات أحيانا في الهامش عدد صفحاتها 446 من الحجم الصغير ، 16 سطرا في كل صفحة وتبتدىء المخطوطة بالبسملة والتصلية يأتي بعدها مباشرة اسم المخطوطة ومؤلفها وقد نجز بحمد الله وحسن عونه الجميل ويمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله في يوم الأربعاء 13 شعبان عام 1243 (ص 445) .

وتنتهي المخطوطة بذكر الاسم واسم مؤلفها ابن رضوان من كبار الكتاب في الدولة المرينية الفه لمخدومه السلطان المستعين بالله تعالى أبي سالم ابراهيم بن السلطان الأعظم أبي الحسن المريني لما طلبه منه وحثه عليه في ذلك توفي السلطان أبو

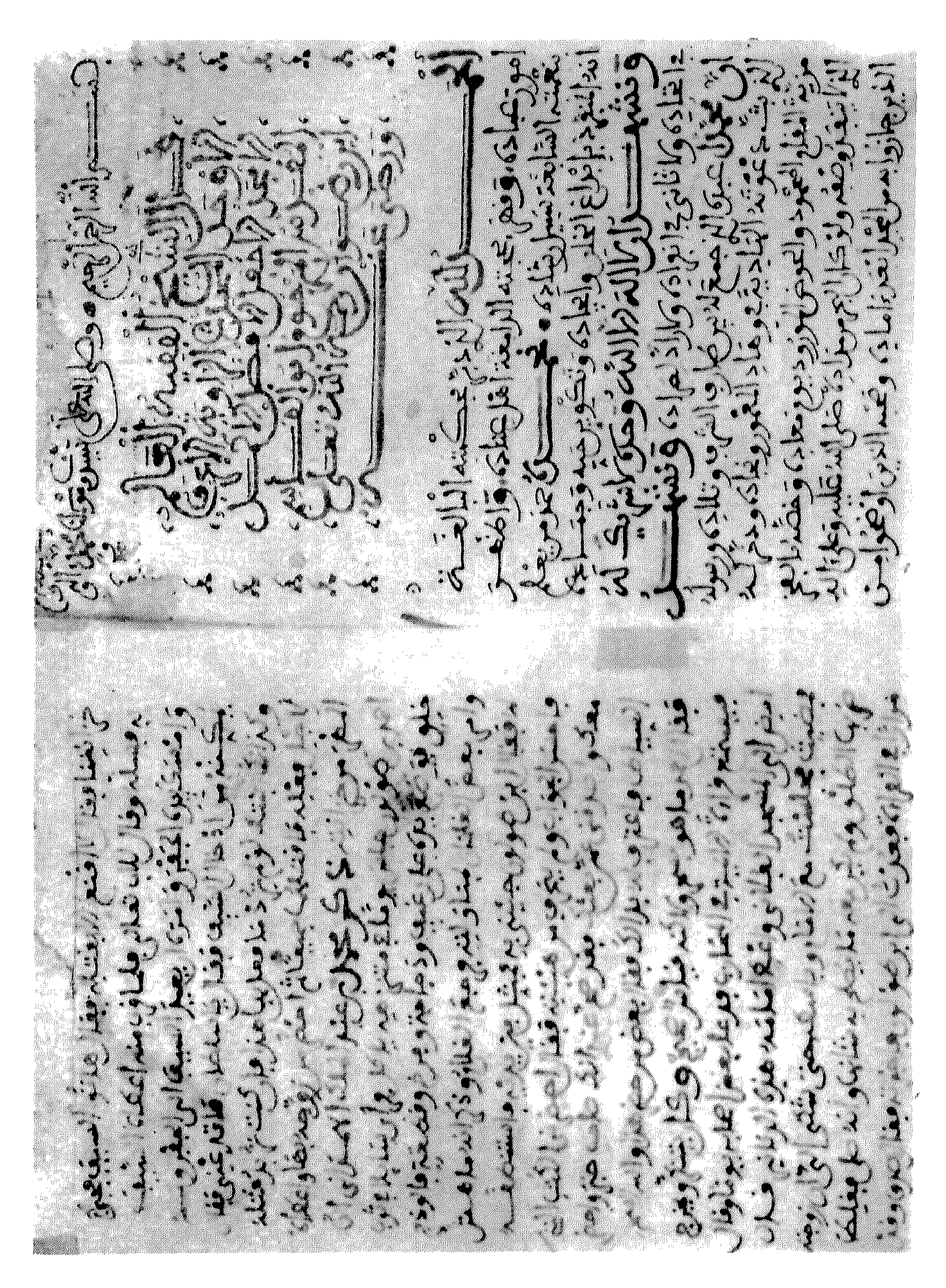
سالم .... المذكور قتيلا في 21 ذي القعدة عام 762هـ وكان ضعيف البصيرة بالسياسة (ص 446 من المخطوط آخر صفحة).

7 — مخطوطة كمبردج مصورة بالميكروفيلم تبلغ صفحاتها 38 في كل صفحة تسعة عشر سطرا. ومقاسها 16 سنتيما بخط مغربي واضح غير أنها كثيرة الخطأ والتحريف مع نقص فقرات متعددة وتقديم وتأخير في العبارات. وقد ورد في الصفحة الختامية:

(كمل كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة لخزانة الفقيه البركة القدوة أبي عبد الله سيدي الحاج محمد الشركي لا أخلف الله له دعوة. ولا نقص له رفده بمنه وكرمه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وقد رمزنا له بالحرف (ك)

المخطوط حرف «أ»



المخطوط حرف «ب»



المخطوط حرف «ج»



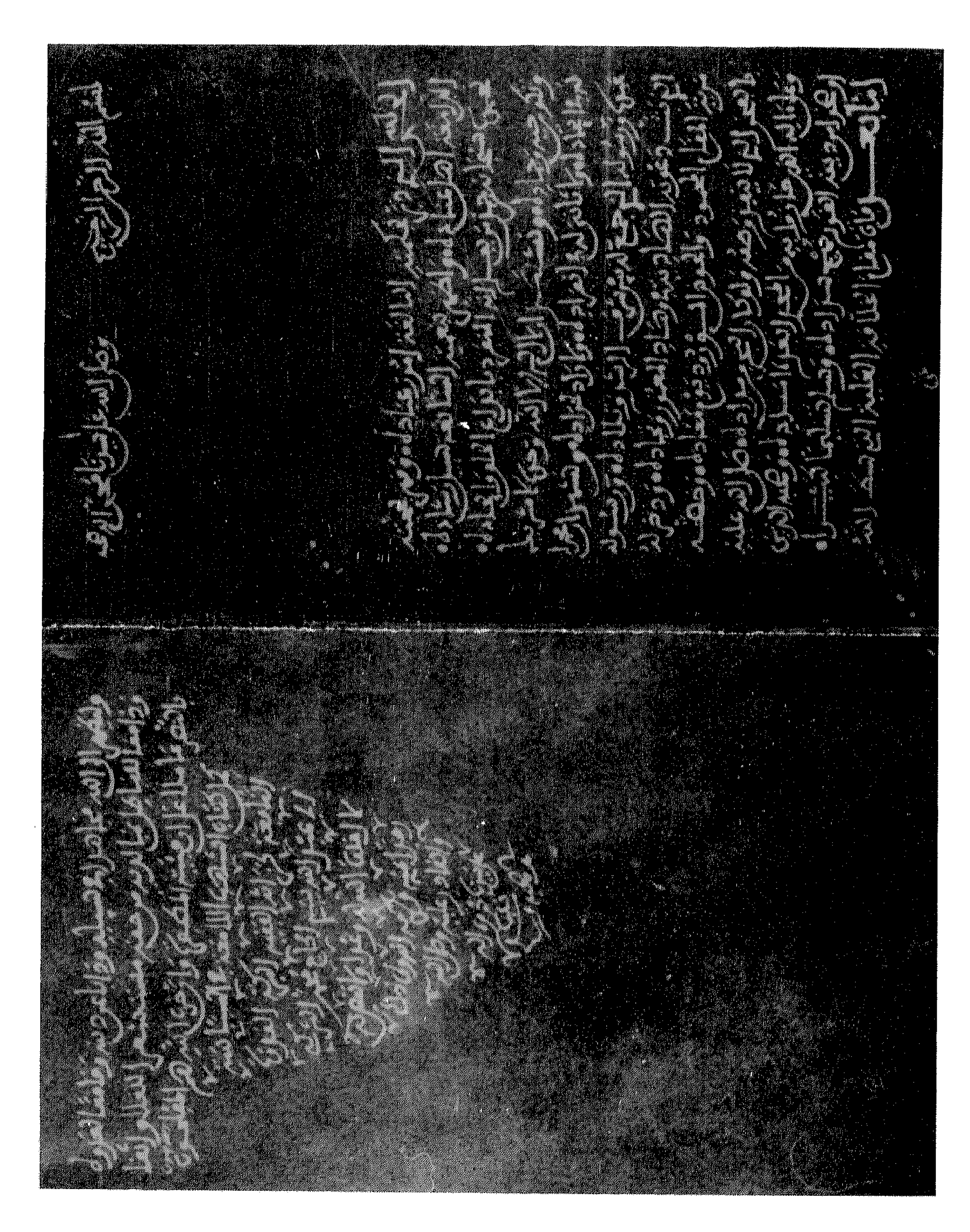
المخطوط حرف «د»



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو القاسم بن رضوان قدس الله روحه ونور ضريحه

المخطوط حرف «ق»



المخطوط حرف «ك»

الأرض وجعلت على جمهور فقال البلث قلت نعم وأخبرته ثم جعلت أونسه بالتوبة

فيه مثل لفظهما ما كان كتب به المنصور وعشيته إليه بذلك

الباب السابع عشر في التيقظ والتلطف في الوصول إلى المقاصد

قيل في الصحيح أن امرأتين خرجتا ومعهما صبيان فعدا الذئب على أحدهما

فأخذته فاختصمتا في الصبي الباقي فاختصمتا إلى داود عليه السلام

فقضى به للكبرى فمرتا على سليمان عليه السلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه

القصة فقال ايتوني بالسكين أشق الغلام بينكما فقالت الصغرى أتشقه قال

نعم قالت لا تفعل حظي منه لها قال هو ابنك فقضى به لها ۞ ومن عجيب الفطن

وجميل التسبب ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لما سار رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى بدر وجدنا عندها رجلين أحدهما قرشي والآخر مولى

لعقبة بن أبي معيط فأما القرشي فأفلت وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول

له كم القوم فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا

قال كم

المخطوط حرف «ه»

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي دبر[1] بحكمته البالغة أمور عباده ، وقهر بحجته الدامغة أهل عناده[2] ، وأظهر بنعمته السابغة سبيل رشاده ، ونحمده سبحانه حمد[3] من يعلم أنه المنفرد بإبداع الخلق وإيجاده ، وتكوين حيه وجماده .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إيجاده ، ولا ثاني له[4] في انفراده ، ولا راد لمراده[5] . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جمع له بين طارف[6] الشرف وتلاده ، ورسوله الذي بث دعوته الهادية في وهاد المعمور ونجاده ، وذخر له مزية المقام المحمود ، والحوض المورود ، يوم معاده ، وخصه بالفخر الذي لا ينفد وصفه . ولو كان البحر من مداده . ﷺ وعلى آله الذين جازوا[7] به من المجد أبعد آماده ، وصحبه الذين أوضحوا من دينه القويم نهج سداده ، وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن مقام الخلافة العلية التي بسط الله على البسيطة أنوارها ، والإمامة الإبراهيمية التي أوضح الشرف والعدل[8] آثارها ، ورفع الملك الحق في ملوك بني عبد الحق منارها ، وأنالها في الاستعانة به أوطارها . لم يزل بحكم سيرته التي أسفر عنها طبع المجد،وسجيته التي جبلها الله على اقتناء ذخائر الحمد : ذا حرص شديد على اقتناء المعالي ، والمفاخر الثابت حديثها في المحاسن العوالي ، جريا على سنن أسلافه الكرام ، وآبائه الخلفاء الأعلام الذين زها بهم

---

(1) د : يسر

(2) ا ،ب ،ج ،د : عباده

(3) ق :حمدا يعلم

(4) ا ،ب ،ج ،د : له غير موجودة

(5) ج : ولا راد لمراده — غير موجودة

(6) ا ،ب ،ج ،د : طارق ، ك : شرف

(7) د ،ق ،ك : حازوا

(8) ج ،د : الشرف العدل أثارها ، ق : الشرف الأقعد أثارها ، أ : الشرف العظيم أثارها ، ب : الشرف العد ،ك : الشرف والعدل

الملك حين نشروا بالعز لواءه وعمروا بالعدل والإحسان[9] أرجاءه وتوسطوا كالنجوم[10] الزهر[11] سماءه . وأن مما اقتضته إرادته الصادرة من علو الهمم[12] . والمقاصد الزاكية الشيم[13] . أمره بتأليف مجموع في السياسة الملوكية . والسير السلطانية[14] . ما يقع به الإمتاع . ويظهر الانتفاع . قصدا منه أعلى الله أمره . لتخليد أثر يتبع دليله . وعلم يتضح[15] سبيله . ولما اختصني بذلك . وحض عليه وصرف عزمه الكريم إليه بادرت أمره بواجب الامتثال . وأخذت في المقصد المذكور بما رسم من[16]. الاستعجال . وجمعت[17] من سياسة[18] الملوك الأقدمين . وسير الخلفاء الماضين . وكلمات الحكماء[19] الأولين ما فيه غنية الخاطر[20] . ونزهة الناظر . ومحتويا[21] على طرف من التاريخ الذي تستشرف النفوس إليه . وتشتمل القلوب عليه . ليكون في ذلك عون على تعلق الأحكام السياسية بالخواطر . وإطلاع على حظ[22] عظيم من سير الأوائل والأواخر وسميته **بالشهب اللامعة في**[23] **السياسة النافعة**[24] راجيا أن يكون اسمه موافقا لمسماه . ولفظه مطابقا لمعناه . إن شاء الله تعالى . وبه اعتصم . وعليه سبحانه أتوكل . لا رب غيره .

---

(9) ا ،ب ،جـ ،د : وإحسان رجاءه .

(10) ا ، ب ، د : بالنجوم .

(11) ج : لتزهر .

(12) أ ، ب ، ج ، د : علوائهم

(13) أ ، ب ، ج ، د : الشم .

(14) ا ، ب ، د ، ق : السلطاني .

(15) ب : علم يشيخ ، ا ، ب ، د : علم يفتضح .

(16) زيادة من ك .

(17) جمعت — محذوفة من ك .

(18) ك : سياسات .

(19) زيادة من ك .

(20) ك : الحاضر .

(21) ك : محتو .

(22) ب : خطب ، ك : حظ وافر بل عظيم .

(23) ج : في تدبير .

(24) ق : الجامعة .

وقد انقسم الكتاب ، بحسب الترتيب المراد إلى خمسة وعشرين بابا :

الباب الأول : في فضل الخلافة وحكمتها ، وثواب من قام بها ، ووجوب طاعة الإمام ونصحه ، وتعظيم حقه[25] ، وما يلزمه[26] من أمور الأمة[27] .

الباب الثاني : في ذكر سير الملوك في سماع المواعظ وتعظيم أهل الخير ، وتسليم أحوال الصالحين إليهم .

الباب الثالث : في ذكر العدل وفضله ، وما جاء في ذلك .

الباب الرابع : في فضل الحلم وكظم الغيظ .

الباب الخامس : في مجلس الملك وظهوره وخفائه ، وذكر الوفود عليه ، والسلام ، وتقبيل اليد ، وذكر الحجاب والحجّاب وما يلحق بذلك .

الباب السادس : في ذكر الجلساء والنصحاء[28] ، وذكر الرجوع إلى الحق عند وضوحه .

الباب السابع : في التدبير والرأي ، والمشاورة[29] ، والمذاكرة ، وما يلحق بذلك .

الباب الثامن : في سيرة الملك مع خواصه وبطانته .

الباب التاسع : في تغافل الملك وحيائه ومروءته ، ووقاره[30] ، وتثبته في الأقوال والأفعال وتأنيه[31] وصبره في الأمور .

الباب العاشر: في ذكر الوزارة والوزراء .

الباب الحادي عشر: في ذكر الكتابة والكتاب .

الباب الثاني عشر: في تشييد المفاخر ، وتخليد[32] المآثر ، وإحياء سبل

---

(25) ق : وتعظيمه وتعظيم حقه .

(26) ا ، ب ، ج : يلزم .

(27) د ، ك : الإمامة .

(28) د : والأصحاب .

(29) د : والمشورة .

(30) ج : ووفائه .

(31) د ، ك : وتأنه .

(32) د : وتجديده .

الخيرات ، وإثبات رسوم[33] القربات وعمارة الأرض وإصلاح المملكة ، واقتناء الذخائر .

الباب الثالث عشر : في الجود والسخاء ، ومكارم الأخلاق ، والمكافآت على السوابق والوفاء بالعهود وذكر التهادي وبذل المعروف والمكرمات .

الباب الرابع عشر : في إكرام أهل الوفاء ، ورعاية العهود ، واحتمال قول الحق ، ولو كان[34] مرا .

الباب الخامس عشر : في تودد[35] الملك إلى الرعية ، وتبسطه[36] وتواضعه في علوه وذم الكبر .

الباب السادس عشر : في الحزم والدهاء ، وكتم السر ، وإظهار القوة ، وما يلحق بذلك .

الباب السابع عشر : في التيقظ والتلطف في الوصول[37] إلى المقاصد .

الباب الثامن عشر : في الرفق بالرعية ، وسياستها وتأمين السبل .

الباب التاسع عشر : في تولية الخطط الدينية والعملية ، وما يلحق بذلك .

الباب العشرون : في مراتب العقوبات ، ودرء الحدود بالشبهات ، والإقصار عن التسرع[38] إلى العقاب وقبول الشفاعات .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر السجون ، وأحوالها ، وتفقد أهلها .

الباب الثاني والعشرون : في ذكر بيت المال ، والعطاء والمنع ، وسياسة الجنود .

الباب الثالث والعشرون : في سياسة الحروب وتدبيرها .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر الخصال التي فيها فساد الدول ، ونفور

---

(33) ك : رسم .

(34) جـ : وإن كان .

(35) أ ، ب ، د ، ق : تردد .

(36) ق : وإنبساطه ، د : وبسطه .

(37) ق : التوصل ، ك : والوصول .

(38) ق : التسارع .

القلوب عن الملوك ، وذكر طرف من استدفاع[39] الشدائد .

الباب الخامس والعشرون : في كلمات جامعة في السياسة ، وذكر وصايا صادرة عن الخلفاء والملوك[40] .

فهذه جملة أبواب هذا الكتاب ، وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل[41] .

---

(39) ب : استرجاع .

(40) ق : وعن الملوك .

(41) زيادة في ج : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ك : ونعم الوكيل لا رب غيره ،

الباب الأول

في فضل الخلافة وحكمتها[1]، وثواب[2] من قام بها، ووجوب طاعة الامام ونصحه وتعظيم حقه وذكر ما يلزمه من أمور الأمة[3]

قال صاحب الأحكام السلطانية : الإمامة موضوعة لخلافة[4] النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع[5] .

ابن سلام : من الأمور التي تجمع خير[6] الدنيا والآخرة ، الخلافة التي بها قوام الدين وصلاح المسلمين وبها تتم الطاعة لرب العالمين[7] .

ابن قتيبة : بإسناده ، عن عطاء بن يسار أن رجلا قال عند النبي ﷺ : بئس الشيء الإمارة . فقال النبي ﷺ : نعم الشيء الإمارة ، لمن أخذها بحلها وحقها .

ابن عبد ربه : السلطان زمام الأمور ، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والقطب الذي عليه مدار الدين والدنيا وهو حمى الله في بلاده ، وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم ، وينتصر[8] مظلومهم ، وينقمع[9] ظالمهم ، ويأمن خائفهم[10] .

---

(1) ق : وحكمها .

(2) جـ ، د : ووجوب .

(3) د : الأئمة

(4) ك : الخلافة النبوية .

(5) ورد النص في الأحكام السلطانية ص 5 من الباب الأول

(6) الذخائر والأعلاق لابن سلام : خيرى

(7) ورد النص في الذخائر والأعلاق لابن سلام مع زيادة فيه ، ص 80 .

(8) ق : وينصر

(9) ق : ويقمع

(10) ورد النص في العقد الفريد . جـ ١ ص 5

ابن سلام : إعلم أن الدين لا يستقيم والشرع لا يحفظ إلا بالسلطان[11] ، فإن الدين إذا لم يحرسه السلطان ، وتعضده الأئمة لم يؤمن على أحكامه التحريف[12] والتبديل . وخيف على شرائعه[13] التغيير والتحويل[14] .

ابن المعتز : الدين بالملك يقوى ، والملك بالدين يبقى ، فبقاء الملك بظهور الدين ، وظهور الدين بقوة الملك .

شعب الأحبار : مثل الإسلام والسلطان والناس كمثل[15] الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد ، فالفسطاط الإسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلح بعضها إلا ببعض[16] .

الأفوه الأودي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا[17]
والبيت لا يبتنى إلا على عمد[18]
ولا عماد[19] إذا لم ترس أوتاد[20]
فـإن تجمـع أوتـاد وأعـمـدة
يوما فقد بلغوا الأمر الذي كادوا[21]

---

(11) ق : بسلطان
(12) د : من التحريف
(13) ك : التحريف
(14) د : من التغيير — أنظر النص في الذخائر والاعلاق لابن سلام ص 80
(15) العقد الفريد : مثل
(16) ورد النص في العقد الفريد جـ 1 ص 6 مع خلاف بسيط في اللفظ
(17) ورد هذا البيت في الأحكام السلطانية ، وفي سراج الملوك ص 118 ، وعند ابن المقفع ص 214 ، وفي « التمثيل والمحاضرة » ص 51 ، وفي الذخائر والاعلاق لابن سلام ص 38 — 182 ، كما ورد في بهجة المجالس لأبي عمر بن عبد البر ص 352 من القسم 1 .
(18) د : باعمدة
(19) د : عمود
(20) ق : أوتاده
(21) ورد البيت في العقد على الصورة الآتية :
وإن تجمـع أوتـاد وأعـمـدة يوما فقد بلغوا الأمر الذي كادوا
والأبيات الثلاثة واردة في العقد الفريد جـ 1 ص 6

الحكماء: الملك بيت أسه[22] الإيمان وسقفه التقوى، وأركانه الشرائع، وفرشه[23] العدل، وأستاره السير المحمودة، فإذا تقعدد[24] فيه الملك ابتهجت به[25] الدنيا، وتألفت عليه النفوس، وعمرت به[26] البلاد، وشمل الصلاح العباد.

وقالوا أيضا: الملك سرير، فإذا جعل التقوى بناؤه، والعدل وطاؤه، والورع غطاؤه نام الملك فيه[27] آمنا محبورا، وآستيقظ فرحا مسرورا.

المؤرخون: أول ملك وضع في الأرض كيومرث ابن آدم، وكان السبب الذي دعا أهل ذلك العصر إلى إقامة ملك ونصب رئيس، أنهم رأوا أكثر الناس قد جبلوا على التباغي والتحاسد والظلم والعدوان. ورأوا منهم الشرير لا يصلحه إلا الرهبة ثم تأملوا[28] أحوال الخليقة[29] وتصريف[30] شأن الجسم، وصورة[31] الإنسان الحساس الدراك، فرأوا الجسم في بنيته وكونه قد ركب[32] بحواس[33] تؤدي إلى معنى، هو غيرها[34]، يوردها ويصدرها ويميز ما يرد[35] إليه[36] من الأمور مع اختلاف[37] مداركها، وهو معنى في القلب، فرأوا صلاح الجسم بتدبيره. ورأوا هذا العالم الصغير، الذي هو جسد الإنسان، لا تستقيم أموره ولا

---

(22) ق: لبيت

(23) د: وفراشه

(24) د: قعد، وفي: ا، ب، جـ، ك: تقعد

(25) ق: تبهجت

(26) ا، ب، جـ، ق، ك: «به» ساقطة.

(27) فيه آمنا محبورا وآستيقظ فرحا مسرورا: عبارة ساقطة من د ومن ك

(28) ا، ب، د، ق: تأولوا

(29) ق: الخلافة

(30) مروج الذهب، ك: وتصرف. ق: من تصرف.

(31) ج: وسورة

(32) وردت العبارة في مروج الذهب كالآتي: قد رتب بحواس تؤدي إلى معنى

(33) ا، ب: الحواس

(34) في جميع النسخ: وهو خيره. والأصح قراءة مروج الذهب: هو غيرها

(35) ا، ب، ج، د: يورد. مروج: ما تورد إليه

(36) د: عليه

(37) رمج: اختلافها في مداركها

تنتظم أحواله الا باستقامة الرئيس الذي تقدم ذكره[38] ، فعلموا أن الناس لا يستقيمون إلا بملك ينصفهم ويوجد[39] العدل فيهم ، وينفذ الأحكام على (حسب[40]) ما يوجبه العقل بينهم[41] فصاروا إلى كيومرث ، وعرفوه حاجتهم إلى ملك وقيم ، وقالوا : أنت أكبرنا وأشرفنا وأفضلنا ، وبقية أبينا ، وليس[42] في العصر من يوازيك ، فاضمم أمرنا[43] إليك ، وكن القائم فينا فإننا سمعك[44] وطاعتك والقائلون بما تراه ، فأجابهم إلى ما دعوه إليه ، واستوثق منهم بوكيد[45] العهود والمواثق على السمع والطاعة ، وترك الخلاف[46] عليه ، فلما وضع التاج على رأسه[47] قال : إن النعمة[48] لا تدوم إلا بالشكر ، وإننا[49] نحمد الله على أياديه ، ونشكره على نعمته[50] ، ونرغب إليه في مزيده ، ونسأله المعونة على ما دفعنا إليه وحسن الهداية إلى العقل الذي يجمع الشمل ويصفي العيش فثقوا بالعدل منا ، وأنصفونا[51] من أنفسكم ، نوردكم أفضل ما في هممكم[52] والسلام[53] .

ابن حزم : لما كانت الخلافة من الله على منهاج رسوله ، وإقامة شرائع دينه ، احتاج الناس إلى من يقوم فيهم مقام نبيهم ﷺ لتتألف[54] برهبته الأهواء المختلفة وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة[55] وتنكف بسطوته الأيدي المتغالبة ، وتنقمع من

(38) مروج : قدمنا ، ا ، ب ، ج ، ق : قدم
(39) مروج : ويوجب
(40) ما بين معقوفتين زيادة من مروج
(41) مروج : فساروا
(42) ك : ولا
(43) ك : أحدنا .
(44) ك : نسمعك وداينون بطاعتك
(45) مروج : بتأكيد ، ق : بأكيد ، د : بوكيد
(46) د : المخالفة
(47) زيادة من مروج : وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الأرض قام خطيبا وقال......
(48) مروج : النعم
(49) مروج وك : وأنا . وإنما في بقية المخطوطات
(50) مروج ، ك : نعمه
(51) مروج : وانصفوا
(52) مروج : همتكم ، ك : هممكم
(53) وقد ورد هذا النص الطويل في مروج الذهب ج 1 ص 260 .
(54) ق ، ك : لتأتلف
(55) ا ، ب ، ج : المفترقة

خوفه النفوس المعاندة . لأن في طباع[56] البشر من حب المغالبة[57] والقهر . ما لا ينكفون[58] عنه إلا بمانع قوي . ورادع كفي[59] . فلما تحقق بذلك الصحابة والمؤمنون . واجتمع على الأخذ به العقلاء والمسلمون لم يكن بد من اجتماع على إمام يحفظ الدين . من غير[60] تبديل فيه أو زيادة[61] عليه أو نقص[62] منه . ويحث على العمل به من غير إهمال له . ويذب[64] عن الأمة من عدو في الدين . وعمارة البلدان باعتماد مصالحها وتمهيد سبلها ومسالكها . وتنفيذ ما يتولاه المسلمون من الأموال بسنن الدين من غير اعتساف[66] في أخذها وإعطائها . ومعاناة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها . واعتماد النصفة[67] في فضلها . وإقامة حدود الله على مستحقيها من غير تجاوز فيها . ولا تقصير عنها . أقام الصحابة رضوان[68] الله عليهم[69] أبا بكر رضي الله عنه مقام رسول الله ﷺ . ثم عمر ثم عثمان ثم عليا . مع خلاف[70] عليه . رضوان[71] الله عليهم أجمعين . ثم لم يزل العمل على ذلك حتى الآن بلا خلاف فيه[72] بين المسلمين .

السراج : قال الله سبحانه « ولولا دِفاعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض[73] » يعني لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الأرض يدفع القوي عن

---

(56) د ، ك : طبائع

(57) د : الغلبة

(58) د : ينفكون

(59) د ، ق ، ج : ورادع كفي — محذوفة

(60) «غير» محذوفة في ك

(61) د : وزيادة

(62) عبارة — أو نقص منه — محذوفة من ا ، ب ، د ، ك

(63) د ، ك : والحث على

(64) د : والذب ، محذوفة من ك

(65) د : الأئمة ، محذوفة من ك

(66) ا ، ب ، ج ، ق ، ك : تحريف

(67) ق : النصف

(68) ق : رضي

(69) ق : عنهم

(70) ق : مع خلاف عليه — محذوفة

(71) ق : رضي

(72) ق : فيه محذوفة

(73) آية 251 البقرة 2

الضعيف ، وينصف المظلوم من الظالم لأهلك[74] القوي الضعيف ، وتواثب الخلق بعضهم على بعض ، فلا ينتظم لهم حال ، ولا يستقر لهم قرار ، فتفسد الأرض ومن عليها . ثم أمتن الله تعالى على الخلق بإقامة السلطان .

فقال تعالى : « ولكن الله ذو فضل على العالمين[75] » ، يعني في إقامة السلطان فيأمن الناس به ، فيكون فضله على الظالم كف يده (عن المظلوم[76]) ، وفضله على المظلوم[77] أمانه وكف يد الظالم عنه[78] .

وقال رسول الله ﷺ : السلطان ظل الله في الأرض[79] ، يأوي إليه كل مظلوم من عباده ، فإذا عدل ، كان له الأجر ، وعلى الرعية الشكر . وإذا جار ، كان عليه الأصر[80] ، وعلى الرعية الصبر[81] .

وفي السراج[82] : اعلم أرشدك الله أن الإنسان أعز جواهر الدنيا ، وأعمها بركة وأعلاها[83] قدرا وأشرفها منزلة . وبالسلطان صلاح الإنسان ، إذا عدل فهو أعز ذخائر[84] الدنيا ، وأعمها بركة ، وكذلك خلق الله تعالى دارين : دار الدنيا ، ودار الآخرة ، ثم كان بالسلطان العادل صلاح الدارين ، فاخلق بشخص يعم نفعه[85] البلاد والعباد ، وتصلح بصلاحه الدنيا والآخرة ، أن يكون[86] شرفه عند

---

(74) د : أهلك

(75) آية 251 البقرة2

(76) زيادة في النص في سراج الملوك

(77) وردت العبارة في د كالتالي : فضله على المظلوم وامانه وكف يد الظالم عنه .

(78) ورد هذا النص في سراج الملوك ص 44 .

(79) ورد في « التمثيل والمحاضرة » ص 230 — وفي « سراج الملوك » : السلطان ظل الله في أرضه « ص 44 — 45 وفي « عيون الأخبار » ج 1 ص 31 .

(80) ك : الوزر

(81) في « العقد الفريد » : وقال عبد الله بن عمر : « إذا كان الإمام عادلا ، فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان الإمام جائرا ، فله الوزر وعليك الصبر » ج 1 ص 6 . وورد أيضا النص مع اختلاف ، في « الفخرى » ص 33 — 34 . قال ﷺ : (لا تسبوا الولاة فإنهم إن أحسنوا ، كان لهم الأجر وعليكم الشكر ، وإن أساءوا فعليهم الوزر . وعليكم الصبر ، وإنما هم نقمة ينتقم الله بها ممن يشاء ، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية والغضب واستقبلوها بالاستكانة والتضرع» .

(82) ق : وفيه

(83) سراج : وأغلاها

(84) سراج : إعلاق

(85) د : بركة نفعه ، ك : بركته

(86) سراج ، د ، ق : كما كان

الله عظيما ، وقدره في العقول جسيما ، ومقامه عند الله كريما. كما كان نفعه للبلاد عميما ، وعلى قدر المنفعة تشرف الأعمال ، وعلى قدر النعم تكون المنة . ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام أعم[87] خلق الله نفعا ، فهم أجل خلق الله قدرا ، لأنهم تعاطوا إصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وكذلك سلطان الله في الأرض هو خلافة[88] النبوءة في إصلاح الخلائق[89] وليس فوق السلطان العادل منزلة[90] إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب .

فاتخذ عظيم[91] قدر السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك ، وناصحه على قدر ما نفعك ، وليس نفعه محصورا على عجالة من حطام الدنيا فيحبونك بها ، ولكن صيانة جمجمتك[92] وحفظ حرمك ، وحراسة مالك عن البغاة ، أعم نفعا لك ، إن عقلت[93] .

الحديث النبوي : إن الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن[94] .

أبو منصور الثعالبي : أشرف منازل الآدميين النبوءة ثم الخلافة[95] .

ابن المعتز : فساد الرعية بلا ملك ، كفساد الجسم بلا روح[96] .

عبد الله بن المبارك :

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا — منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يدفع الله بالسلطان مظلمة[97] — في ديننا رحمة منه ودنيانا

(87) ب : أعف

(88) ق : خليفة

(89) ج : الخلق . وفي سراج : بعد كلمة الخلائق : ودعائهم إلى فناء الرحمن وإقامة دينهم وتقويم أودهم

(90) في — ق — زيادة بعد كلمة منزلة : إلى الله تعالى .

(91) ق : عظيم : محذوفة

(92) سراج : وصيانة

(93) سراج : ص 44— 45

(94) ورد هذا الحديث مع شيء من الاختلاف في «التمثيل والمحاضرة» ص 299 مسندا إلى «عثمان ذي النورين رضي الله عنه : «ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن» .

(95) ورد في «التمثيل والمحاضرة» ص 132 — كما ورد في «سراج الملوك» ص 70

(96) «التمثيل والمحاضرة» ص 132 منسوبة أيضا إلى ابن المعتز . وكذلك في «بهجة النفوس» ج 1 ص 350 وج 2 ص 424 .

(97) ق : معضلة ، وأيضا «في بهجة النفوس» : معضلة .

لولا الخليفة[98] لم تأمن لنا سبل   وكان أضعفنا نهبا لأقوانا[99]

الفضيل بن عياض : لو كان لي[100] دعوة مستجابة ، لم أجعلها إلا في الإمام[101] لأنه إذا صلح الإمام ، أمن البلاد والعباد[102] .

الحديث النبوي : صنفان من أمتي إذا صلحا ، صلح الناس ، وإذا فسدا ، فسد الناس ، الأمراء والعلماء[103] .

يروى أن الله سبحانه أوحى إلى آدم عليه السلام : كن للناس كما تحب أن يكونوا لك ، أو ما يناسب[104] هذا .

فصل

قال صاحب السراج : إعلموا أن منزلة السلطان[105] من الرعية بمنزلة الروح من الجسد ، فإذا[106] صفت الروح من الكدر ، سرت إلى الجوارح والحواس وجرت في أجزاء الجسد سالمة من الغير ، واستقامت الجوارح والحواس ، وانتظم أمر الجسد[107] ، وإن تكدرت الروح أو فسد مزاجها ، فيا ويح الجسد . فتسرى إلى الجوارح والحواس كدرة منحرفة عن الاعتدال فيأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد ، فتمرض[108] الجوارح ، ويتعطل نظام الجسد[109] .

---

(98) ج ، ق ، البهجة : الخلافة

(99) وردت الأبيات الثلاثة في « بهجة المجالس » ج 1 ص 333

(100) « نهاية الأرب » : عندي

(101) ق : للإمام

(102) ورد النص السابق في « نهاية الارب » على الصورة الآتية : « لو كان عندي دعوة مستجابة ، لم أجعلها إلا في الإمام فإنه إذا صلح الإمام ، أخصبت البلاد ، وأمنت العباد » السفر 6 ص 37 .

(103) نقل ابن رضوان هذا الحديث من البهجة ج 1 ص 339 مع زيادة لدى ابن رضوان عبارة «وإذا فسد فسد الناس» .

(104) د : ويناسب هذا — محذوفة ، وفي ك : أو ما يناسب هذا .

(105) ورد في جميع النسخ وإذا كان السلطان من الرعية .

(106) فإذا صفت الروح من الكدر — هذه العبارة غير موجودة في د .

(107) سراج : فإذا صفت الروح من الكدر ، سرت إلى الجوارح سليمة في جميع أجزاء الجسد ، فأمن الجسد من الغير ، فآستقامت الجوارح وآنتظم أمر الجسد .

(108) سراج : فرضت الجوارح وتعطلت ، فتعطل نظام الجسد وجر إلى الفساد والهلاك .

(109) سراج : ورد النص في الباب التاسع ص 49 من سراج الملوك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن المقفع : ليعلم الملك أن الناس على دينه إلا من لا يبالي[110] به ، فليكن للدين والمروءة عنده نفاق ، فسيكسد[111] بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض[112] .

ابن قتيبة : لما أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه ، وجعل يقلبه بعود في يده ويقول : إن الذي أدى هذا لأمين ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أنت أمين الله ، يؤدون إليك ما أديت إلى الله ، فإذا رتعت رتعوا ، قال : صدقت[113] .

ابن العميد : المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة[114] من سجايا سلطانه .

ومن كلام معاوية : نحن الزمان .

قيل : إذا عدل السلطان فيما قرب منه ، صلح ما بعد منه[115] .

روي أنه كان في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه راع يرعى غنمه على

(110) ق : إلا من لا بال له فلا يكون

(111) ق : فيكتسب

(112) ورد النص في « الأدب الكبير » لإبن المقفع كالآتي « ليعلم الوالي أن الناس على رأيه إلا من لا بال له منهم فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » . ص 118 (المجموعة الكاملة). وفي « العقد الفريد » ج 1 ص 17 — 18 . وفي « عيون الأخبار » ج 1 ص 52 — 53 وفي السراج ورد النص كالآتي : « في كتاب ابن المقفع : الناس على دين الملك إلا القليل ، فإن يكن للبر والمروءة عنده نفاق ، فسيكتد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » ص 60 من « سراج الملوك » نقلا عن ابن المقفع .

(113) ورد النص في « عيون الأخبار » بسنده : « حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن بن أبي نجيح قال : لما أتي...... » « عيون الأخيار » ج 1 ص 52 — 53 . وورد النص في العقد كالآتي : لما أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه ، قال : والله إن الذي أدى هذا لأمين . فقال رجل يا أمير المؤمنين ، أنت أمين الله ، يؤدون إليك ما أديت الى الله تعالى . فإن رتعت رتعوا » ج 1 ص 17 — 18 . ولكن صاحب « عيون الأخبار » يورد « يؤدون إليك ما أديت إلينا »، والمعنى يختلف تماما ، إن نص « عيون الأخبار » يورده محققا لنظرية — المال — مال المسلمين . وهي نظرية أبي ذر ، بينما يورد صاحب « العقد الفريد » « المال مال الله »، وهي نظرية عثمان ومعاوية وبني أمية من بعدهما . وقد كان هناك صراع كبير حول النظريتين .

(114) ق : نسخة .

(115) ج ، ك : عنه .

مسيرة أيام من حضرته، فعدا عليه الذئب ليلة في غنمه ، فأنكر ذلك ، وقال : قد مات عمر ورب الكعبة . فنظر تلك الليلة ، فإذا فيها مات عمر رضي الله عنه .

ابن قتيبة: قدم[116] قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له هل من مغربة[117] خبر؟ قال: نعم. نزلت بماء من مياه الأعراب فبينا[118] أنا عليه إذ أورد أعرابي إبله ، فلما شربت ضرب على جنوبها . وقال : عليك زيادا[119] . قلت : ما أردت بهذا ؟ فقال : هي سدى ما قام لي فيها[120] راع منذ[121] ولي زياد . فسر[122] بذلك[123] معاوية . وكتب به إلى زياد[124] .

قيل : سعادة الرعية في طاعة الملوك . وسعادة الملوك في طاعة مالك الملوك تعالى وعز[125] .

السلوانات[126] : كان يقال تميز الملك عن السوقة . إنما يكون بفضيلة الذات ، لا بفضيلة الآلات . وفضلت[127] ذات الملك بخمس خصال : رحمة[128] تشمل رعيته ويقظة تحوطهم ، وصولة تذب عنهم ، ولباقة يكيد بها الأعداء ، وحزامة ينتهز بها الفرص ، فهذه فضيلة الذات ، وأما فضيلة الأدوات[129] ، وهي إتخاد[130] المباني العلية والملابس الأنيقة السرية[131] .

---

(116) ذكرها ابن قتيبة عن المدائني . وقد وردت القصة في «عيون الأخبار» ج 1 ص 8 .
(117) في جميع النسخ معرفة وفي «عيون الأخبار» مغربة .
(118) ج : فبينما
(119) ق : زياد
(120) عيون : بها
(121) عيون : مذ
(122) ك : فسمع
(123) عيون ، ك : ذلك
(124) وردت القصة في عيون الأخبار ج 1 ص 8
(125) ج : وعز. ساقطة ، د : جل وعلا .
(126) د : في السلوانات
(127) في جميع النسخ : وفضيلة ، وفي السلوانات : فضت ، وفضلنا قراءة السلوانات .
(128) ق : تشمل : ساقطة
(129) السلوانات : الآلات .
(130) السلوانات : فاتخاذ المباني الوثيقة .
(131) ق : الشرفية أو الشرقية .

والذخائر النفيسة الزكية[132] السنية[133] ، والمطاعم الشهية والمراكب البهية ، فهذه فضيلة تفضل بها هذه الأدوات[134] على ما هو دونها من أجناسها . فيكون للقصر فضل على غيره من القصور ، وللثوب فضل على غيره من الثياب ، وللذخائر فضل على غيرها من الذخائر ، وللطعام فضل على غيره من الأطعمة ، وللدابة فضل على غيرها من الدواب فالفضيلة لهذه الأشياء لا لمالكها[135] .

فصــل

في وجوب طاعة الملك وذكر ماله من الثواب

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولي الأمر منكم[136] »

قال أبو هريرة لما[137] قرأ هذه الآية : أمرنا بطاعة الأئمة ، وطاعتهم من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله[138] .

أبو منصور : من عصى السلطان ، فقد أطاع الشيطان[139] .

وقيل : من إجلال الله ، إجلال السلطان عدلا كان أو جائرا .

الحديث[140] النبوي : الدين[141] النصيحة : قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأولي الأمر منكم[142] .

ابن عبد ربه : نصح الإمام ولزوم[143] طاعته فرض واجب ، وأمر لازم ، لا

(132) السلوانات ، ك : الزكية غير واردة .
(133) ق : الزكية السنية محذوفة .
(134) د : الآلات .
(135) ورد النص في السلوانات : ص 38 — 39 .
(136) آية 59 سورة النساء 4 .
(137) العقد : نزلت
(138) العقد : ج 1 ص 6 .
(140) د : وفي الحديث النبوي
(141) في العقد : الدين النصيحة — مكرر ثلاثا
(142) «العقد الفريد» : ج 1 ص 6 — 7 وكذلك الفخري في «الآداب السلطانية والدول الإسلامية» ، دار بيروت 1966 ص 33 .
(143) د : وطاعته ، ق : ووجوب طاعته .

يتم الإيمان[144] إلا به ، ولا يثبت الإسلام[145] إلا عليه[146] [147] .

الشعبي : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال لي أبي يا بني إني أرى[148] هذا الرجل — يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه — يستفهمك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وإني موصيك بخلال أربع : لا تفشين[149] له سرا ، ولا يجدن[150] عليك كذبا ، ولا تطو عنه نصيحة ولا تغتبن[151] عنده أحدا .

قال الشعبي ، فقلت لابن عباس رضي الله عنه : كل واحد خير من ألف قال : أي والله خير من عشرة[152] آلاف .

خطب المنصور فقال : معاشر[153] الناس لا تضمروا غش الأئمة . فإن من أضمر[154] ذلك أظهره الله على سقطات[155] لسانه ، وفلتات أحواله[156] ، وسحنة وجهه[157] .

---

(144) العقد : إيمان

(145) العقد : إسلام

146) د : به

(147) « العقد الفريد » : ج 1 ص 6 — 7

(148) في « عيون الأخبار » وفي السراج : قال لي أبي : يا بني : إني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد ﷺ « السراج ص 120 — « عيون الأخبار » ج 1 ص 19 — « العقد الفريد » ج 1 ص 7 كما ورد النص في « نهاية الأرب »، السفر 6 ص 16 على الصورة التي أورده بها ابن رضوان .

(149) أ ، ب ، ج : تفشي

(150) « عيون الأخبار »، « ونهاية الأرب »، والسراج ، « والعقد الفريد »، « وبهجة المجالس »، « ونسب قريش »، وك : لا يجربن .

(151) سراج ، « عيون الأخبار »، « العقد الفريد »، « نهاية الأرب »، وكتاب نسب قريش : لا تغتابن .

(152) ورد هذا النص في نسب قريش والسراج ص 120 ، « وفي عيون الأخبار » ج 1 ص 19 « والعقد الفريد » ج 1 ص 12 مع اختلاف يسير في الألفاظ، كما ورد على الصورة التي أورده بها ابن رضوان « في نهاية الأرب » السفر 6 ص 10 ، وورد النص في البهجة ج 1 ص 402 مع شيء من الاختلاف ، كما ورد في « العقد الفريد » ج 1 ص 12 .

(153) ج : أيها الناس .

(154) ق : أضمره

(155) د : سقطة

(156) « التمثيل والمحاضرة » : أفعاله

(157) ورد هذا النص في « التمثيل والمحاضرة » ص 142 ، وفي « نهاية الارب » ج 6 ص 11 . وجاء في =

قال أبو منصور : وهو معنى سبق إليه فيثاغورش[158] الحكيم[159] .

قلت[160] : وفي معناه قولهم : العين[161] ترجمان القلب ، وقولهم : شاهد البغض اللحظ ، وقولهم : رب طرف أنم من لسان[162] .

الصاحب بن عباد : مرضاة السلطان ، لا تغلو بثمن من الإثمان ، ولا ببذل الروح والجثمان[163] .

وقال : تهيب السلطان فرض أكيد ، وحتم على من ألقى السمع وهو شهيد .

الخوارزمي : قليل السلطان كثير ، ومداراته حزم وتدبير ، ومكاشفته غرور وتغرير[164] [165] .

ابن رشيق : قال نافع بن خليف:[166] : يا بني اتقوا الله بطاعته[167] ، واتقوا السلطان بحقه ، واتقوا الناس بمعروف[168] ، قال رجل[169] منهم : ما بقي

= «مروج الذهب» : «وخطب المنصور بعد أن قتل أبا مسلم فقال : أيها الناس : لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تسروا غش الأئمة . فإن من أضمر غش إمامه أظهر الله عز وجل سريرته في فلتات لسانه وسقطات أفعاله وأبداها الله لإمامه ...» .

(158) د : فيثاغور

(159) « في التمثيل والمحاضرة » : في خطبته ما كان تفسيره ما أدمجه فيثاغور ، وإيضاحه وهو : معاشر........ » الخ

(160) د ، ك : قال المؤلف .

(161) ج : اللسان

(162) ورد النص في « التمثيل والمحاضرة » ص 309 — 310 ، وورد في « بدائع السلك » لابن الأزرق الباب الأول في جوامع ما به السياسة المطلوبة من السلطان .

(163) د : والجسمان

(164) في جميع النسخ ما عدا ، ق : وتغيير وتتفق ق مع التمثيل والمحاضرة : وتغرير في ك : و « مكاشفة غرور وتغرير » ساقطة .

(165) كلام الخوارزمي غير وارد في د : وهذا النص وارد في « التمثيل والمحاضرة » ص 142 ، وقد أخطأ الأستاذ المحقق في تصحيحه فقال : قيل السلطان كثير .

(166) زيادة من البهجة : قال نافع بن خليفة العبدي : جمعنا أبونا فقال : يا بني

(167) البهجة : بتقاته

(168) البهجة : بالمعروف

(169) د : أحدهم ، في البهجة : فقام وقد جمع لنا أمر الدنيا والآخرة .

شيء من أمر الدين[170] والدنيا ، إلا وقد أمرنا[171] به[172] .

قال رسول الله ﷺ : أعظم الناس قدرا عند الله ، الملك[173] العادل .

وقال بعض الصالحين : أقرب الدعوات إلى الإجابة دعوة الملك العادل ، وأولى[174] الحسنات بتعجيل الثواب ، أمره ونهيه في وجوه[175] المصالح .

حكي أن كسرى اجتاز على بستان ، فقال للناطور[176] : ناولني عنقودا من الحصرم . فقال له : ما يمكنني ذلك ، فإن السلطان لم يأخذ حقه ، ولا تجوز لي خيانته .

يقال إن ابن أبي ليلى وأبا حنيفة كان[177] بينهما وحشة ، وكان ابن أبي ليلى يجلس للحكم في مسجد[178] الكوفة ، فيحكى أنه انصرف يوما من مجلسه ، فسمع امرأة تقول لرجل : يا ابن الزانيين ، فأمر بها ، فأخذت ، ورجع إلى مجلسه ، وأمر بها فضربت[179] حدين ، وهي قائمة . فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال : أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء ، في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه ، وفي ضربه الحد في المسجد ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إقامة الحدود في المساجد وفي[180] ضرب المرأة قائمة وإنما يضرب[181] النساء قعودا ، وفي ضربه إياها حدين ، وإنما يجب على القاذف إذا[182] قذف الجماعة[183] بكلمة واحدة

---

(170) ج : الدين والآخرة والدنيا

(171) العمدة في صناعة الشعر ونقده : أمرتنا به .

(172) ورد النص في « العمدة في صناعة الشعر ونقده ج 2 لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ص 19 كما ورد في البهجة ج 2 ص 252 مع اختلاف » .

(173) ج : الإمام

(174) د : وأول

(175) د : وجوب الصنائع ، ك : النصائح

(176) ك : للناظر

(177) ووفيات الأعيان : كانت

(178) ا ، ب ، ج ، ق ، ك : مجلس ، د : ساقطة

(179) ج : وضربت

(180) في جميع النسخ : في ضرب ، وفي « وفيات الأعيان » : وفي ضربه . وقد فضلنا القراءة الأخيرة

(181) وفيات : تضرب .

(182) ق : إذا قذف : محذوفة

(183) وفيات : جماعة

حد واحد . ولو وجب أيضا حدان ، فلا يوالى بينهما ، بل يضرب أولا ثم يترك حتى يبرأ من ألم الأول[184] ، وفي إقامة الحد عليها بغير[185] طالب ، فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى ، فصار[186] إلى والي الكوفة وقال : هاهنا شاب يقال له أبو حنيفة يعارضني[187] في أحكامي ويفتي بخلاف حكمي ، ويشنع علي بالخطأ ، فأريد أن تزجره عن ذلك ، فبعث إليه الوالي ، ومنعه من[188] الفتيا . فيقال إنه كان يوما في بيته[189] وعنده زوجه ، وابنه حماد ، وابنته ، فقالت له إبنته : إني صائمة ، وقد خرج من بين أسناني دم ، وبصقته ، حتى عاد الريق أبيض ، لا يظهر عليه أثر الدم ، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق ، فقال لها : سلي أخاك حمادا ، فإن الأمير منعني من الفتيا . وهذه الحكاية من مناقب أبي حنيفة رضي الله عنه[190] .

وكان محمد بن عبد الملك الزيات قد جعل له الواثق النظر في استخراج الأموال لما قبض على العمال ، وكان فيهم سليمان بن وهب ، وبينهما[191] ألطف ما يكون بين صديقين ، فكان إذا خلا معه ، خلع عليه ثياب المنادمة ، وطيبه ونادمه على ما كان عليه قبل ، فإذا حضر[192] وقت الاستخراج مع الشهود ، قابله بأشد ما يكون ، حتى يستخرج منه ما يمكن . فإذا فرغ من ذلك رد عليه ثيابه وخلا به ، وأحضر الطعام وعاد[193] إلى الحالة الأخرى ويقول له : هذا حق الاخوان ، وذلك[194] حق السلطان .

---

(184) ق : الضرب .
(185) ج : من غير
(186) ا ، ب ، ق : فسير ، ج : فصير ، وفيات : فسير
(187) د : عارضني
(188) وفيات : عن
(189) ج : منزله وعنده زوجه وولده
(190) وردت هذه القصة في وفيات الأعيان ج 4 ص 180
(191) في جميع النسخ وبينه وبينه وفي ق : وبينهما
(192) د ، ك : حرج
(193) ق : ودعى
(194) ا ، ب ، ج ، د : وهذا

فصـــل

في ملاطفة الملك وتعظيمه عند الخطاب

دخل معن بن زائدة على الرشيد[195]، وقد كان وجد عليه، فمشى، فقارب الخطو، فقال له هارون: كبرت يا معن قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك على ذلك لبقية، قال: وهي لك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك لجلد[196]. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، فرضي عنه، وولاه.

قال رجل للرشيد، وهو في الطواف: أريد أن أكلمك بكلام فيه خشونة فأحتمله. قال: لا ولا كرامة. فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني. فقال «فقولا له قولا لينا»[197].

إستأذن حاجب بن زرارة على كسرى فقال له الحاجب: من أنت؟ قال: أنا رجل من العرب، فأذن له، فلما وقف بين يديه قال: من أنت؟ قال: سيد العرب. فقال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى، ولكني وقفت

---

(195) في العقد الفريد: دخل معن على أبي جعفر ولكنه ذكر في نفس الصفحة مع هذا النص لقاءه مع الرشيد «قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة: كيف زمانك يا معن قال: يا أمير المؤمنين: أنت الزمان فإن صلحت صلح الزمان، وإن فسدت فسد الزمان ــ العقد الفريد ج 1 ص 222 ــ» وقد وردت هذه القصة في مروج الذهب ج 4 ص 210. وقد علق الأستاذ بلا، محقق المروج، بأن معن بن زائدة، قتل عام 151هـ، ويكون من المتعذر أنه دخل على الرشيد بل إن صاحب القصة مع الرشيد هو يزيد بن مزيد ابن أخي معن بن زائدة، وأشار «بلا» إلى تصحيح ابن خلكان لمروج الذهب ج 6 ص 337: وقد أخطأ «بلا» في هذه. فإبن خلكان يذكر قصة أخرى تختلف تماما عن القصة المذكورة في نص ابن الأزرق وابن رضوان كما أن ابن الأزرق أخطأ في قوله: إن معن بن زائدة دخل على الرشيد، إن القصة الحقيقية أن معن بن زائدة، هو صاحب القصة، ولكن الخليفة الذي دخل عليه هو المنصور. وهاكم القصة عن بن خلكان نفسه: «ودخل عليه يوما «أي على المنصور» وقد أسن فقال له: «كبرت يا معن» فقال: «وفيك بقية» فقال: هي لك يا أمير المؤمنين. وفيات الأعيان ج 5 ص 247. وقد وردت القصة في العقد الفريد ج 1 ص 222 متفقة مع وفيات الأعيان. وقد توفي أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني ما بين عام 151هـ وعام 158هـ مقتولا على يد الخوارج. أنظر وفيات الأعيان ج 5 ص 244 ــ 245 ــ وتاريخ بغداد ج 3 ص 235، وشذرات الذهب ج 1 ص 231، أما إبن أخيه يزيد بن مزيد الشيباني، وكان كعمه من كبار قواد العباسيين وأبطالهم فقد توفي سنة 185 هـ ــ وفيات الأعيان ج 6 ص 327 ــ 342.

(196) العقد: لتتجلد.

(197) آية 44 طه 20

بباب[198] الملك ، وأنا رجل منهم . فلما وصلت إلى الملك سدتهم — فقال كسرى : زه احشوا فاه درا[199] .

أمر[200] بعض الأمراء رجلا بأمر فقال : أنا أطوع لك من الرداء ، وأذل لك من الحذاء[201] .

خالد بن عبد الله[202] يخاطب عمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته ، فإنك زنتها ، ومن (كانت[203]) شرفته ، فإنك شرفتها ، فأنت كما قال القائل :

وإذا الدر زان حسن الوجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

كان[204] أبرويز يوما على فرس له مشهور ، فقطع عنانه ، فدعا بصاحب سروجه ولجمه ، وأراد ضرب عنقه ، لكونه لم يتعاهد هذا العنان ، فقال : أيها الملك ما بقاء سير يجتذبه[205] ملك الإنس وملك الخيل ، فأطلقه ، وأجازه .

ومن حسن التلطف عند سؤال المطالب من الملك ، تقديم ثنائه ومدحه ، اقتداء بما علمه الله سبحانه عباده في سورة الحمد ، إذ قدم سبحانه وتعالى حمده وثناءه على الطلب فقال : «اهدنا الصراط المستقيم[206]» بعد صدر السورة الكريمة . قال العزيزي : فيه تعليم[207] المسألة .

في سير العجم أن أزدشير[208] بن بابك لما استوسق له أمره، جمع الناس وخطبهم، خطبة، حضهم فيها على الألفة (والطاعة) وحذرهم المعصية (ومفارقة الجماعة وصنف الناس أربعة[209])، فخر القوم سجدا. وتكلم متكلمهم مجيبا،

(198) ق : على باب

(199) ورد هذا النص في العقد الفريد ج 1 ص 174 ، وسقط النص من مخطوط « د » .

(200) العقد : وأمر بعض الخلفاء

(201) العقد : ج 1 ص 223 . ولم يرد هذا النص في ك .

(202) في عيون الأخبار : قال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز .

(203) إضافة من عيون الأخبار . وقد ورد النص في عيون الأخبار ج 1 ص 93 ، وفي العقد الفريد ج 1 ص 255 .

(204) ق : قيل مر أبروايس

(205) ك : ما يبقي ، ق : يجتذبه

(206) آية 6 سورة الفاتحة 1

(207) ق : وتعليم

(208) العقد : ازدشير بن يزدجرد

(209) إضافة من العقد

فقال : لا زلت أيها الملك محبوا[210] من الله تعالى بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية ، وحسن المزيد ، وما زلت[211] تتابع لديك النعم ، وتسبغ عندك[212] الكرامات والفضل ، حتى تبلغ الغاية التي يومن زوالها ، ولا تنقطع زهرتها في دار القرار ، التي أعدها الله لنظرائك[213] من أهل الزلفى عنده والحظوة[214] لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين بزيادة البحور والأنهار ، حتى تستوي الأقطار[215] ، أقطار الأرض كلها في علوك عليها ونفاذ[216] أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس[217] ووصل إلينا من عظيم رأفتك ، ما اتصل[218] بأنفسنا اتصال النسيم ، فجمعت الأيدي بعد افتراقها ، والكلمة بعد اختلافها وألفت القلوب بعد تباغضها وأذهبت الاحن[219] والحسائف[220] بعد استعار[221] نيرانها ، وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ، ولا يحد بتعداد ، ثم لم ترض بما عممتنا به من هذه النعم ، وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحببت توطيدها والاستيثاق[222] منها فعملت لنا في دوامها ، عملك في ابتدائها ، وتكلفت من ذلك ما ترجو نفعه في الخلوف والأعقاب ، وبلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ[223] به الآباء بالأولاد . فجزاك الله الذي رضاه تحريت ، وفي مواقته[224] سعيت ، أفضل ما التمست ونويت . انتهى . وأمثال ذلك كثير[225] .

---

(210) د ، ك : محبوبا

(211) ك : ولا زالت وفي المخطوطات الأخرى : ولا زلت، والصواب ما أثبتناه .

(212) ج : عليك

(213) ج : « نظرائك » ساقطة — ق : للنظر إياك .

(214) ك : والحضرة .

(215) العقد ، ج ، ك : الأقطار — محذوفة

(216) د : ونفوذ

(217) العقد : الصبح

(218) ج : مما

(219) د : الأحزان

(220) العقد : والحسائد . وفي ج : والحسائف . والكلمة محذوفة في د

(221) د : تساعر . ق : أسعار ، العقد : توقد

(222) د : واستوثقت ، ك : قبل توكيدها . ق : والاستيثاق منها : محذوفة

(223) وبلغت — وردت في ك فقط

(224) د : موافقته

(225) ورد النص في العقد الفريد ج 1 ص 224 مع اختلاف

فصـــل

فيما يلزم الامام من أمور الامامة(226)

وهي عشرة أشياء :

أحدها : حفظ الدين على أصوله(227) المستقرة . وما أجمع عليه سلف الأمة ، وإن نجم مبتدع فيه أو زاغ ذو شبهة عنه ، أوضح له الحجة وبين له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروسا من خلل ، والأمة ممنوعة من الزلل(228) .

والثاني : تنفيذ الأحكام(229) بين المتشاجرين ، وقطع الخصام(230) ، بين المتنازعين ، حتى تعم النصفة ، فلا يتعدى ظالم ، ولا يضعف مظلوم .

والثالث : الحماية والذب عن الحريم ، ليتصرف الناس في المعايش ، وينتشرون في الأسفار آمنين من تغرير(231) بنفس أو مال .

والرابع : إقامة الحدود لتصان(232) محارم الله تعالى عن انتهاك ، وتحفظ الأمة عن إتلاف(233) واستهلاك .

والخامس : تحصين(234) الثغور بالعدة المانعة والقوة(235) الدافعة ، حتى لا يظفر الأعداء بغرة ، ينتهكون بها محرما ، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما .

---

(226) ق : الأئمة ، ا ، ب ، ج ، الأمة ـــ د : الإمامة ، ك : الرعية

(227) ك : أموره .

(228) ق ، ج : زلل

(229) د : أمر المتشاجرين

(230) د : خصام المتنازعين

(231) ج : من غير. د : آمنين من تلف نفس أو مال

(232) د : لتأمن

(233) د : من

(234) د : تحسين

(235) د ، ك : القوية .

والسادس : جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة[236] حتى يسلم ، أو يدخل في الذمة ، ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

والسابع : جباية الفيء والصدقات ، على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا .

والثامن : تقدير[237] العطاء ، وما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا تقصير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

والتاسع : استكفاء الأمناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوضه[238] إليهم من الأعمال ، ويكل إليهم من الأموال ، لتكون[239] الأعمال بالكفاة مضبوطة ، والأموال بالأمناء محوطة .

والعاشر : أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور ، وتصفح[240] الأحوال ، لينهض بسياسة الأمة ، وحراسة الملة ، انتهى من كلام ابن حزم .

ابن المقفع : الملوك الثلاثة : ملك دين ، وملك حزم ، وملك هوى .

فأما ملك الدين ، فإنه إذا أقام للرعية دينهم ، وكان دينهم هو الذي يعطيهم الذي لهم ، ويلحق بهم الذي عليهم ، أرضاهم ذلك ، وأنزل[241] الساخط منهم[242] منزلة الراضي في الإقرار[243] والتسليم[245] .

وأما ملك الحزم فإنه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والسخط ، ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي .

وأما ملك الهوَى ، فلعب ساعة ودمار دهر[246] .

---

(236) ق : دعوة
(237) ذ : تقويم
(238) د : يفرضه
(239) من هنا لآخر السطر التالي ساقط في ق
(240) د : ويتصفح — ق : فتصلح
(241) ق : وينزل
(242) ق : إضافة بعد منهم : بعضهم
(243) ق : القرار
(245) ك : والتعليم
(246) ورد النص في الأدب الكبير لابن المقفع (المجموعة الكاملة) ص 111 مع اختلافات في الألفاظ ، كما ورد في السراج ص 54 .

الباب الثاني

في ذكر سير الملوك في سماع المواعظ وتعظيم أهل الخير وتسليم أحوال الصالحين إليهم[1]

كتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها : أن أكتبي إلي بكتاب توصيني[2] فيه ، ولا تكثري ، فكتبت إليه : سلام عليك أما بعد ، فإني سمعت[3] رسول الله ﷺ يقول : من التمس رضى الناس بسخط الله ، وكله الله إلى الناس والسلام[4] . وعظ شبيب[5] (بن شبة[6]) المنصور فقال : يا أمير المؤمنين إن الله لم[7] يجعل فوق يدك يدا ، فلا تجعل فوق شكره[8] شكرا[9] .

قال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : يا أمير المومنين أذكر بمقامي[10] هذا مقاما لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب . فبكى عمر بكاءا شديدا ، ثم استرد[11] الكلام ، فجعل يردده ، وعمر يبكي وينتحب . ثم قال له : ما حاجتك قال : عاملك زياد[12] أخذ مني إثني عشر ألف درهم . قال : أكتبوا له حتى ترد عليه[13] .

---

(1) ج : لهم
(2) ق ، ك : توصيني
(3) د : أني
(4) ورد هذا النص في بدائع السلك ص 401 = والبيان والتبيين ج 2 ص 313 .
(5) د : بعضهم عوض شبيب
(6) زيادة من السراج
(7) ق : لا
(8) سراج : شكر الله ، د : شكرك
(9) سراج ص 32 باب 2 — مع بعض الاختلاف في اللفظ
(10) ا ، ب ، ج ، د : بمقال ، سراج : لمقامي
(11) د : استعاده ، والسراج : استرده
(12) من سراج (بدل زياد : وردت كلمة « بادربيجان »)
(13) سراج ص 32 باب 2 مع اختلاف في اللفظ

دخل بعض العقلاء على ملك فقال له : إن أحق الناس بالإحسان ، من أحسن الله إليه وأولاهم بالإنصاف ، من آنبسطت[14] يده بالمقدرة ، فأستدم ما أوتيت من النعم ، بتأدية ما عليك من الحق[15] [16] .

روى أن أعرابيا قام بين يدي هشام بن عبد الملك — فقال : أيها الامير أتت[17] على الناس سنون ثلاث ، أما الأولى : فأكلت اللحم ، وأما الثانية ، فأكلت[18] الشحم ، وأما الثالثة ، فهاضت[19] العظم وعندك[20] فضول أموال ، فإن كانت لله ، فأقسمها بين عباد الله وإن كانت لهم ، فلم تحظرها[21] عليهم ، وإن كانت لكم ، فتصدقوا بها[22] ، فإن الله يجزي المتصدقين . فأمر هشام بمال ، فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال . فقال[23] : أكل المسلمين له مثل هذا المال . قال : (لا[24]) لا يقوم بذلك بيت المال . قال : فلا حاجة[25] لي فيما يبعث لأئمة الناس على أمير[26] المؤمنين[27] .

يروى أن رجلا قال لعبد الله العمري : هذا هارون الرشيد في الطواف ، قد أخلى[28] له المسعى فقال له : لا جزاك الله عني خيرا ، كلفتني أمرا كنت عنه غنيا ، ثم جاء إليه . فقال له : يا هارون ، فلما نظر إليه قال : لبيك يا عم قال :

---

(14) د ، السراج : من بسط
(15) ج : الحلوق
(16) سراج ص 32 باب 2
(17) د : أصابتنا السنون ، سنة أكلت اللحم ، وسنة أذابت الشحم ، وسنة أمتشت العظم
(18) سراج : فأذابت
(19) ق ، ك : فهضمت
(20) وعندكم
(21) د : تحبسها عنهم — د : فلا تخزنها عليهم — وسراج ، ك : لا تحصرها عليهم — وفي عيون ففيما تحضر عنهم .
(22) زيادة من د وعيون : فتصدقوا عليهم بها
(23) في جميع النسخ : أكل المسلمون له هذا المال وفي د : أكل . وقد فضلنا قراءة السراج .
(24) زيادة من عيون الأخبار
(25) ق ، وسراج : لا
(26) د : فلا حاجة لي فيه بدل العبارة «فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين»
(27) وردت القصة في السراج ص 32 من الباب 2 وفي عيون الأخبار ج 2 ص 238 مع اختلاف بسيط
(28) د : خلي

كم ترى ها هنا من خلق الله ؟ قال لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فقال اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ؟ فبكى هارون الرشيد ، وجلس ، فجعلوا يعطونه[29] منديلا[30] للدموع . ثم قال له : والله إن الرجل ليسرع في مال نفسه ، فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن أسرع[31] في مال المسلمين . فيقال إن هارون كان يقول بعد ذلك : إني لأحب أن أحج في كل عام ، وما يمنعني من ذلك إلا عبد الله العمري[32] .

روي أن الحسن[33] بن الحسين[34] دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له : يا عمر ثلاث من كن فيه ، فقد استكمل الإيمان فقال عمر : إيه أهل بيت النبوءة ومعدن الرسالة وجثا على ركبتيه ، فقال الحسن : من إذا رضي ، لم يدخله رضاه في باطل ، ومن إذا غضب ، لم يخرجه غضبه من الحق[35] ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس[36] له[37] .

قلت[38] : وقد حكى مثل[39] ذلك عن لقمان ، لما ولى عمر بن عبد العزيز ، وقد وفد عليه الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون ، فتقدم غلام منهم للكلام . وكان حديث السن فقال له عمر : ليتكلم من هو أسن منك . فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه ، فإذا منح الله العبد لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه . ولو أن الأمر بالسن يا أمير المؤمنين ، لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك

---

(29) ج : يعطونه
(30) السراج : منديلا منديلا (مكررة)
(31) د : أسرف
(32) يختلف نص ابن رضوان عن نص سراج الملوك ص 47 لكن النص تكرر في سراج في ص 34 وهو هنا أقرب إلى ما أورده ابن رضوان .
(33) ك : الحسين
(34) أ ، ب : الحسن بن محمد بن الحسين .
(35) ا ، ب ، جـ ، د : من
(36) د : ما فيه ضرر
(37) ورد هذا النص في سراج ص 34 من الباب 2
(38) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله : وقد حكى ذلك عن عمر بن عبد العزيز إنه لما ولى الخلافة وفد إليه الوفود من كل وجه .
(39) زيادة من ك

هذا منك فقال عمر : صدقت . قال : قل ما بدا لك . فقال الغلام . أصلح الله أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لا وفد المرزية[40] ، وقد[41] أتيناك[42] بمن الله الذي من علينا بك لم يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتينا منك إلى بلدك . وأما الرهبة فقد أمنا جورك بِعَدْلِكَ فقال له عمر : عظني يا غلام . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم ، وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم أقدامهم ، فهووا في النار ، فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك[43] ، فتزل به أقدامك ، فتلحق بالقوم . فلا جعلك الله منهم وألحقك بصالحي هذه الأمة . ثم سكت . فسأل عمر الغلام عن سنه ، فإذا به إبن ثمان عشرة سنة . ثم سأل عنه[44] ، فإذا هو من ولد الحسين[45] بن علي رضي الله عنهما ، فتمثل عند ذلك عمر رضي[46] الله عنه فقال :

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل[47]

إستأذن أبو دهمان على بعض الأمراء فحجبه ، ثم[48] أذن له ، فلما دخل قال : إن هذا الأمر الذي صار إليك قد كان في يد غيرك . فأمسوا والله حديثا ، فإن خيرا ، فخير . وإن شرا فشر[49] . فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله سبحانه وبغضهم موصول ببغضه ، لأنهم شهداء الله على خلقه[50] .

---

(40) د : التعزية — ك : الرزية
(41) د : وقد أتيناك لحمد الله الذي من علينا بك
(42) ق : وفدنا إليك
(43) ق : عليه
(44) د : عن نفسه
(45) ك : الحسن
(46) عبارة « رضي — حتى — فقال » زيادة من ك
(47) نقل ابن رضوان هذه القصة من مروج الذهب في بعض التعديل ج 4 ص 20 — 21 ، وأنظر أيضا سراج الملوك ص 32 من الباب الثاني . وقد وردت أيضا هذه القصة في بدائع السلك لابن الأزرق ج 2 ص 86 ، 88
(48) ق : فأذن له .
(49) ق : فبشر
(50) ورد النص في وفيات الأعيان ج 4 ص 88 — 89 والأمير الذي دخل عليه أبو دهمان وهو الذي يذكر =

روي عن مالك رحمه الله قال : بعث إلي أبو جعفر المنصور والى ابن طاووس ، فدخلنا عليه ، فإذا هو جالس على فرش[51] قد نضدت ، وبين يديه جلاوزة بأيديهم السيف ، يضربون الأعناق ، فأومأ إلينا أن اجلسا[52] ، فجلسنا فأطرق عنا[53] طويلا ، ثم رفع رأسه ، والتفت الى ابن طاووس فقال : حدثني عن أبيك قال : نعم سمعت[54] أبي يقول . قال النبي ﷺ : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في ملكه ، فأدخل عليه الجور في حكمه ، فأمسك أبو جعفر ساعة . قال مالك : فضممت ثيابي « من ثيابه[55] » مخافة ، أن يملاني من دمه . فأمسك ساعة ، حتى اسود ما بيننا وبينه . ثم قال : يا ابن[56] طاووس ناولني هذه الدواة ، فأمسك عنه . ثم قال : ناولني هذه الدواة ، فأمسك عنه فقال : ما منعك أن تناولنيها ؟ فقال أخشى أن تكتب بها معصية ، فأكون شريكك فيها . فلما سمع ذلك . قال : قوما عني . قال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغي ، قال مالك ؟ : فما زلت أعرف لابن طاووس فضله منذ ذلك اليوم[57] .

قلت[58] : وأظن أن ابن طاووس قصد ما رواه الحسن عن أن النبي ﷺ قال : من أعان سلطانا ظالما ولو بخط قلم ، لم تعار[59] قدماه بين يدي الرحمان حتّى يؤمر به إلى النار ، ولما دخل هارون الرشيد على الفضيل بن عياض وسلم عليه ، قال له : وعليك السلام أيها الملك . ثم قال له يا أيها الملك تحب الله ؟ قال

= القصة هو أبو عمر سعيد بن سلم ابن قتيبة ابن مسلم أمير أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة (توفي سنة 217 هـ) . وأبو دهمان هذا هو أبو دهمان الغلابي . أنظر أخباره في الأغاني ج 22 ص 269 وكذلك في البيان والتبيين ج 2 ص 200 .

(51) د : فراش

(52) د : نجلس ، ك : إجلسوا

(53) ق : علينا

(54) ق : سمعتك

(55) زيادة من نهاية الأرب والعقد الفريد

(56) ج : باطاووس

(57) ورد النص مع بعض اختلافات في الألفاظ والعبارات في سراج ص 37 — 38 من الباب الثاني ، وفي العقد الفريد ج 1 ص 30 كما ورد النص مع زيادة في نهاية الأرب للنويري سفر 6 ص 58 وكذلك في وفيات الأعيان ج 2 ص 11 .

(58) د ،ك : قال المؤلف رحمه الله وأظهره ابن طاووس قصد ما رواه

(59) ق ،ذ : لم تقر ، ك : لم تغار

نعم . قال : أفتعصيه[60] ؟ قال : نعم . قال : كذبت والله في حبك إياه لو أحببته[61] ، إذن ما عصيته ، ثم أنشأ[62] يقول :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس[63] بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع[64]

وفي المقصد الأسنى لأبي حامد : قال بعض الأمراء لأحد العارفين ، سلني حاجتك ، فقال له أولي تقول هذا ، ولي عبدان هما سيداك قال : ومن هما ؟ قال : الحرص والهوى وقد غلبتهما وغلباك ، وملكتهما وملكاك[65] .

كان ملك العراق السلطان محمد[66] خدانبده قد صحبه في حال كفره فقيه من الرافضة الإمامية[67] يسمى ابن مطهر[68] ، فلما أسلم السلطان ، وأسلم بإسلامه التتر ، زاد في تعظيم هذا الفقيه . فزين له الفقيه مذهب الرافضة ، وفضله على غيره مع حدثان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين . فأمر[69] السلطان بحمل الناس على الرفض ، وكتب بذلك إلى العراقين[70] وفارس وأذربيجان

---

(60) ق : أتعصيه .
(61) د : ولو
(62) د ، ج : أنشد
(63) في السراج : المقال
(64) ورد البيتان في التمثيل والمحاضرة وفي السراج على الصورة الآتية :
تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته إن المحب لمن يحب مطيع
وقد نسبها لمحمود بن الحسن الوراق ص 12 ، وزاد الطرطوشي في السراج البيت الآتي « ص 38 من الباب الثاني » :
في كل يوم يبتديك بنعمة منه ، وأنت لشكرك ذاك مطيع
وقد وردت الأبيات الثلاثة في البهجة ج 1 ص 395 أنظر أيضا الكامل ج 1 ص 234 والعقد الفريد ج 3 ص 215 وقد وردت على لسان محمود الوراق ، وتنسب إلى الشافعي .
(65) المقصد الأسنى للغزالي ص 42 — 43 مع اختلاف بسيط « ط . 1 مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر » .
(66) د : محمود
(67) د ، ق : الإمامية ساقطة
(68) د ، ق: ابن المظفر
(69) د : قام
(70) ك : العراقيين

وأصفهان وكرمان وخراسان . وبعث الرسل إلى البلاد . فكان أول البلاد التي وصل إليها ذلك بغداد وشيراز وأصفهان . وأما بغداد ، فأمتنع أهل باب الكرخ منهم ، وهم أهل السنّة وأكثرهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وقالوا : لا سمع ولا طاعة ، وأتوا المسجد الجامع يوم الجمعة في السلاح ، وبه رسول السلطان ، فلما صعد الخطيب[71] المنبر ، قاموا إليه ، وهم نحو إثني عشر ألفا في سلاحهم[72] ، وهم حماة بغداد ، والمشار إليهم فيها ، فحلفوا له أنه إن غير الخطبة المعتادة ، أو زاد فيها أو نقص منها ، فإنهم قاتلوه[73] ، وقاتلوا رسول الملك ، ومستسلمون بعد ذلك لما شاء الله تعالى . وكان السلطان أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء ، وسائر الصحابة ، رضي الله عن جميعهم[74] من الخطبة ، ولا يذكر إلا إسم[75] علي ومن تبعه كعمار بن ياسر ، فخاف الخطيب من القتل ، وخطب الخطبة المعتادة ، وفعل أهل شيراز وأصفهان كفعل أهل بغداد ، فرجعت الرسل إلى الملك ، فأخبروه بما جرى في ذلك ، فأمر أن يؤتى بقضاة المدن[76] الثلاث[77] ، فكان أول من أتي به منهم القاضي مجد الدين قاضي شيراز ، والسلطان إذ ذاك في موضع يعرف بقرباغ[78] ، وهو موضع مصيفه ، فلما وصل القاضي أمر أن يرمى به إلى الكلاب التي عنده ، وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل بني آدم[79] . فلما أرسلت الكلاب على القاضي مجد الدين ، ووصلت إليه ، بصبصت له ، وحركت أذنابها بين يديه، ولم تهجه[80] بشيء. فبلغ السلطان ذلك[81] . فخرج من داره حافي القدمين، فأكب[82] على رجلي القاضي فقبلها[83] وأخذ

---

(71) ج : الإمام

(72) ج : في السلاح

(73) د : يقتلونه ويقتلون رسول السلطان ويستسلمون

(74) ق ، د ، ك : عنهم أجمعين

(75) ق : إلا — محذوفة

(76) ق : العراق « بدل المدن » — ج : المدن غير موجودة

(77) ك : الثلاثة

(78) ق ، د : بغراباغ

(79) د : ابن

(80) ك : ولم تهجمه

(81) د : الخبر

(82) د : ك: فكب

(83) د : يقبلها ، ك : فقبلها .

بيده، وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب ، وهي أعظم إكرامات السلطان عندهم ، وإذا خلع ثيابه كذلك على أحد كانت شرفا له ولبنيه وأعقابه ، يتوارثونه مادامت تلك الثياب أو شيء منها . ورجع السلطان عن مذهب الرفض ، وكتب إلى بلاده أن يقرأ الناس على مذهب السنة والجماعة ، وأجزل العطاء للقاضي ، وصرفه إلى بلده[84] مكرما معظما وأعطاه في جملة ما أعطاه مائة قرية من قرى جمكان ، وهو خندق بين جبلين طوله أربعة وعشرون فرسخا ، يشقه نهر عظيم ، وذلك بشيراز .

يروى أن أدهم مر ذات يوم ببساتين مدينة بخارى وتوضأ من بعض الأنهار التي تتخللها فإذا بتفاحة يحملها ماء النهر ، فقال : هذه لا خطر لها ، فأكلها ، ثم وقع[85] في خاطره من ذلك وسواس فعزم على أن يستحل من صاحب البستان ، فقرع بابه ، فخرجت إليه جارية . فقال لها : لمن هذا المنزل ، فقالت له : إنه لإمرأة . فقال : إستأذني لي عليها ففعلت : وأخبر المرأة بخبر التفاحة . فقالت له : إن هذا البستان نصفه لي ونصفه للسلطان ، والسلطان يومئذ ببلخ ، وهي على مسيرة عشرة من بخارى ، وأحلته من نصفها ، وذهب إلى بلخ وتعرض[86] للسلطان في موكبه ، فأخبره الخبر وأستحله . فأمره أن يعود إليه من الغد ، وكانت للسلطان بنت بارعة[87] الجمال قد خطبها أبناء الملوك ، فتمنعت ، وحببت إليها العبادة وحب الصالحين ، وهي تحب أن تتزوج ورعا زاهدا ، في الدنيا . فلما عاد[88] السلطان إلى منزله وأخبر[89] ابنته بخبر أدهم وقال : ما رأيت أروع من هذا يأتي من بخارى إلى بلخ لأجل نصف تفاحة . فرأى الرغبة من البنت في تزويجه . فلما أتاه من الغد قال : لا أحلك إلا أن تتزوج بنتي ، فأنقاد[90] لذلك بعد استعصاء وتمنع ، فزوجه إياها ، فلما دخل عليها وجدها متزينة[91] ، والبيت مزين بالفرش وسواها . فعمد إلى ناحية من البيت وأقبل على صلاته حتى أصبح ، ولم يزل على ذلك ليالي

---

(84) ق : بلاده

(85) ق : فوقع أن لها بالا

(86) ا ، ب ، د ، ق : فتعرض — ابن بطوطة : فأعرض السلطان

(87) ق : رائعة

(88) ق : غدا

(89) د ، ج ، ابن بطوطة : أخبر ، ق : خبر بنته بخبر أدهم

(90) د : فأجابه إلى ذلك بعد تمنع — ق : فأنفذ ذلك

(91) ق ، د : مزينة

الأسبوع[92] . وكان السلطان ما أحله بعد[93] ، فبعث إليه أن يحله فقال : لا أحلك حتى ينتج اجتماعك[94] بأهلك . فلما كان من الليل واقعها[95] ثم اغتسل ، وقام إلى الصلاة فصاح وسجد في مصلاه ، فإذا هو ميت[96] رحمه الله ، فحملت[97] منه فولدت (منه[98]) إبراهيم ، ولم يكن لجده ولد ، فأسند الملك إليه ، وكان من تخليه عن الملك وزهده[99] فيه ما هو مشهور[100] رضي الله عنهما ، وأمثال هذا كثير[101] [102] .

(92) ا ، ب ، ج ، ك : السابع — ق : إلى ليلة

(93) رحلة ابن بطوطة : قبل

(94) ا ، ب ، ق : إجماعك

(95) د ، ك : وطئها

(96) ابن بطوطة : فوجد ميتا

(97) ابن بطوطة : وحملت

(98) زيادة من ابن بطوطة

(99) ج ، زيادة : وزهده فيه

(100) ابن بطوطة : ما اشتهر

(101) د : هذه كثيرة

(102) وردت هذه القصة في رحلة ابن بطوطة مع اختلاف يسير في اللفظ وزيادة بعض الكلمات عند ابن رضوان . ص 78 — 79 ، دار صادر — دار بيروت 1384 — 1964م .

الباب الثالث

في ذكر العدل وفضله وما جاء في ذلك من الآثار والأخبار

ابن سلام : العدل قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح المخلوقين ، به قامت السموات والأرضون[1] وبه تألفت القلوب ، والتأمت الشعوب ، وظهر الصلاح ، واتصلت أسباب النجاح وانعقدت عرى اليمن[2] والفلاح ، وشمل الناس التناصف ، وضمهم التواصل والتعاطف ، وارتفع التقاطع والتخالف .

والعدل ميزان الله في الأرض ، افترضه[3] على جميع عباده في الدنيا ، ليتناصفوا بأمثاله ويتواصلوا باستعماله[4] .

وفيه أنه جاء في الزبور : العدل ميزان الباري ، وهو مبرأ[5] من كل زلل وميل ، وهو صفة من صفاته جل[6] وعز رضيه لنفسه وأراده من خلقه[7] .

وقد قال رسول الله ﷺ : تخلقوا بأخلاق الله تعالى[7] .

وقال عليه السلام : إن لله عز وجل أخلاقا[7] من تخلق بواحد منها ، دخل الجنة ، ثم انفرد به جل جلاله يوم القيامة للفصل والقضاء بين عباده[8] . فقال سبحانه : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال

---

(1) د : الأرض

(2) د : اليقين

(3) الذخائر والأعلاق : فرضه

(4) وردت جميع هذه النصوص في الذخائر والاعلاق ص 78 — 79 — 80 .

(5) ق : وميزان

(6) د : وعلا

(7) ا ، ب ، جـ ، د ، ك : خلقا

(8) ق : خلقه

حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين[9] »

وقال ﷺ : المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمان ، وكلتا يديه يمين .

وقال صلوات الله عليه وسلامه : أوصاني ربي بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعدل في الرضى والغضب ، وبالقصد في الغنى والفقر[10] .

في سراج : العدل[11] قوام الملك ، ودوام الدول وأُسُّ كل مملكة[12] .

أرسطاطاليس : العدل صورة العقل الذي وضعه[13] الله في أحب خلقه إليه ، وبالعدل عمرت الأرض وقامت الممالك ، وانطاع العباد ، وبه أنس المتوحش وقرب[14] المتباعد وسلمت النفوس من كل داء .

سأل كسرى[15] بعض الحكماء الفرس : أي الرجال خير؟ فقال : أرحبهم ذراعا عند الضيق ، وأعدلهم حكما عند الغضب ، وأبعدهم ظلما عند المقدرة ، وأرحمهم قلبا إذا سلط ، وأبسطهم وجها إذا سئل[16] .

. ومن أمثال الحكماء : إذا كان الإمام عادلا ، كان الصلاح شاملا ، والعدو خاملا[17] .

وفي[18] بعض الحكم : أفضل الأشياء[19] أعاليها ، وأعالي الرجال ملوكها ،

---

(9) آية 47 ، 48 سورة الأنبياء

(10) أنظر عيون الأخبار ج 2 ص 362 — مع زيادة في النص وورد نفس النص في الذخائر ص 79 — 80 كما ورد الحديث مع زيادة في بهجة المجالس وأنس المجالس ج 2 ص 246 وفي ص 123 .

(11) د : العدل أسس كل مملكة

(12) جميع المخطوطات آمن وفي ك : أس واستند ابن رضوان على السراج ص 51 .

(13) الأصول : وصفه

(14) ق : وتقرب

(15) ق : « بعض » ساقطة

(16) ورد النص في سياسة أرسطو (الأصول اليونانية ج 1) ص 125 مع اختلاف طفيف في اللفظ وقد ورد النص في الذخائر والأعلاق على الصورة التي أورده بها ابن رضوان ص 80 .

(17) ق : خامدا — وقد ورد هذا النص في الذخائر ص 80 كما هو

(18) د : وبعض الحكم — الذخائر : وقيل في بعض الحكم

(19) د : الأشياء — ساقطة

وأفضل الملوك أعدلها ، وأعفها[20] .

وقيل : من قام من الملوك بالعدل والحق ، ملك سرائر[21] رعاياه ، ومن قام فيهم[22] بالجور والقهر ، لم يملك إلا الأجساد ، ولم ير إلا التصنع ، والقلوب عليه مختلفة . فإن السرائر تطلب من يمتلكها[23] بالإحسان[24] .

أزدشير : إذا رغب الملك عن العدل ، رغبت الرعية عن الطاعة[25] .

ووصف أعرابي رجلا فقال : ذلك[26] والله إن قال فعل ، وإن ولى عدل ، وإن سئل بذل ، وإن غضب لم يعجل[27] .

وقال بعضهم : العدل يزيد السلطان في علوه ، وينصره على عدوه .

وقال بعض العلماء ، ليس لله في الأرض سلطان ، إلا وقد أخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الإنصاف وشرائع الإحسان .

سليمان بن داود عليهما السلام : الرحمة والعدل يحرزان الملك[28] .

واتفق حكماء العرب والعجم على هذه الكلمة ، فقالوا : الملك بناء ، والجند أساسه ، فإذا قوي الأساس ، دام البناء وإذا ضعف الأساس ، انهار البناء ، فلا سلطان إلا بجند ، ولا جند إلا بمال ، ولا مال إلا بجباية ، ولا جباية إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل . فصار العدل أساس الجميع[29]

---

(20) نقل ابن رضوان هذا النص من الذخائر ص 80

(21) ج : سائر وأيضا في الذخائر : سائر

(22) ج : منهم

(23) في الذخائر : يملكها بالعدل كما تطلب الأجساد من يمتلكها بالإحسان

(24) نقل النص من الذخائر ص 80

(25) نقل ابن رضوان النص من الذخائر ص 80 كما ورد نفس النص في التمثيل والمحاضرة ص 136 وورد أيضا في البهجة ج 1 ص 353 دون سند.

(26) د : ذاك ، أيضا في الذخائر : ذاك

(27) نقل ابن رضوان النص من الذخائر ص 80

(28) السراج : ص 52 باب 11

(29) سراج ص 52 باب 11 . ورد في التمثيل والمحاضرة نص يختلف بعض الشيء عن نص ابن رضوان ص 136 وورد نفس النص في العقد الفريد جـ 1 ص 88 —كما ورد أيضا في نهاية الأرب في فنون الأدب : السفر 6 ص 35 مع اختلاف بسيط . وجاء في البهجة (ج 1 ص 334) : ومن كلام الفرس . لا ملك إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل .

قالوا : وفي إشاعة العدل قوة القلب ، وطيب[30] النفس ، ولزوم اليقين ، وأمان من العدو[31] .

لما استأذن الهرمزان على عمر ، لم يجد عنده حاجبا ولا بوابا ، فقيل له : هو في المسجد ، فأتى المسجد ، فوجده مستلقيا متوسدا كوما[32] من الحصاء ودرته بين يديه . فقال له : عدلت فأمنت[33] ، فنمت[34] .

وقال بعضهم : من اتخذ العدل سنة ، كان له[35] الحصن جنة ، ومن استشعر حلة العدل ، استكمل زينة الفضل[36] .

في المبهج[37] لأبي منصور : الأوطان ، حيث يعدل السلطان . وإذا نطق لسان العدل في دار الإمارة ، فلها البشرى بالعز والعمارة[38] .

في البهجة : لأبي عمر بن عبد البر[39] : أعز الحق ، يذل لك الباطل[40] .

ومن كلامهم : أفضل الأزمنة ، زمان[41] أئمة العدل[42] .

وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

---

(30) ك : وطلب

(31) سراج ص 53 من الباب 11

(32) د : كنسا

(33) ق : وأمنت — ج : فنمت — السراج : أمنت ، فنمت .

(34) سراج ص 53 من الباب 11 ونهاية الأرب السفر 6 ص 36 — وقد وردت القصة في نهاية الأرب كالآتي : « ولما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيرا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يزل الموكل به يقتفي أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وجده بالمسجد نائماً متوسدا درته ، فلما رآه الهرمزان قال : هذا هو الملك ؟ قيل نعم . فقال له : عدلت فامنت فنمت ، والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحدا منهم هيبتي لصاحب الدرة » نهاية الأرب السفر 6 ص 36 .

(35) سراج : أحسن

(36) سراج ص 53 باب 11

(37) ورد النص في كتاب المبهج للثعالبي (الطبعة الثالثة القاهرة ص 10) .

(38) ورد هذا النص في التمثيل والمحاضرة ص 132 تحت عنوان (ما أخرج.... من كتاب المبهج) .

(39) زيادة من د : ابن عبد البر .

(40) البهجة ج 1 ص 583 .

(41) سراج : أمنة

(42) سراج ص 52 والذخائر والأعلاق لابن سلام ص 80 منسوبا لعمرو بن العاص

يـــا أيها الملك الـــذي بصلاحه صلـح[43] الجميع
أنت الزمان[44] فإن عدلـ ـت فكلـه أبـدا ربيع[45]

أبو منصور : حق على الملك العادل في رعيته ، أن يفادوه بسني أبصارهم ، وسني أعمارهم .

ومن كلامهم[46] : سلطان عادل ، خير من مطر وابل[47] .

وقالوا : عدل السلطان ، خير من خصب الزمان[48] .

سئل بعض الحكماء : أي الناس أفضل ؟ قال : من يعدل في أحكامه ، ويجزل في انعامه ، وتظهر الحكمة في كلامه .

نظمه بعض الشعراء فقال وأجاد في[49] المقال رحمه الله :

إذا حل الملوك مكان حكم وجاروا كان حكمك فيه عدلا
وإن صعدوا المنابر ثم جاروا[50] فأنت إذا صعدت تقول فصلا
وإن بذلوا القليل لمعتقيهم[51] نكـرت نوالهم فبذلت جزلا

قال يحيي بن أكثم : ماشيت المامون في بستان ، والشمس عن يساري ، والمامون في الظل ، فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا[52] علي ، فقال لي : تحول مكاني ، وأتحول مكانك ، حتى تكون في الظل كما كنت (وأقيك الشمس كما

---

(43) د : صلاح
(44) ج : أزمان . ق : الربيع
(45) ورد هذا البيت في الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 80
(46) الأصول اليونانية : من كلام حكمائهم (الهند) أيضا
(47) ورد في السراج منسوبا إلى علي بن أبي طالب : إمام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم سراج ص 52 وقد ورد أيضا في التمثيل والمحاضرة ص 31 وفي الذخائر والأعلاق ص 80 وفي البهجة ج 1 ص 333 مسندا إلى عمرو بن العاص في المصدرين وفي نهاية الأرب السفر 6 ص 34 مسندا إلى بعض الحكماء ، وفي بدائع السلك ص 114 .
(48) التمثيل والمحاضرة ص 43 ، والذخائر والأعلاق ص 80
(49) زيادة في د : وإجاد في المقال رحمه الله
(50) ق ، د : حادوا (أو أجاروا) .
(51) ق : لمستهيم
(52) د : أيضا ساقطة

وقيتني[53]) فإن أول العدل أن يعدل الرجل في بطانته ، ثم الذين يلونهم[54] حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى . فعزم علي فتحولت[55] .

وفي منثور الحكم : عز الملوك في العدل ، وفضلها في الكرم ، وشرفها في العفو .

وفي بعض الحكم المرفوعة : أحق الناس بدوام السلطان واتصال الولاية ، أقسطهم بالعدل في الرعية ، وأخفهم عنها كلاء[56] ومؤنة[57] .

حكى العتبي : قال بعث هشام بن عبد الملك يوما لقاضيه[58] ، فلما وصل خرج إليه وزيره ، وأقبل إبراهيم بن محمد[59] بن طلحة[60] فقعدا جميعا بين يدي القاضي . وقال له الوزير : إن أمير المؤمنين قدمني للكلام عنه مع هذا الرجل ، يعني إبراهيم ، فقال له القاضي : تأتي[61] بالبينة على تقديمك . قال : أتراني قلت عن أمير المؤمنين ما لم يقل ، وليس بيني وبينه إلا هذا الستر؟ قال : لا . ولكن لا يثبت الحق لك أو عليك[62] إلا بذلك . فقام ولم يلبث أن قعقعت الأبواب وخرج الحرس فقالوا : هذا أمير المؤمنين ، فقام إليه القاضي ، فأشار إليه فقعد ، وبسط له ، فقعد ، هو وإبراهيم على البسط اتباعا للحق . قال : فتكلما[63] ، وحضرت البينة ، فوجب الحكم[64] على أمير المؤمنين فقضى عليه[65]

وحكي أن المأمون كان يجلس للمظالم في يوم الأحد في موضع أعده للحكم ،

---

(53) زيادة من سراج

(54) ثم الذي يلونهم : مكررة في د

(55) السراج ص 53 ، باب 11 وورد النص في عيون الأخبار ج 1 ص 23 مختلفا عما ورد في السراج وفي الشهب .

(56) ق : كل . آ ، د ، كلا . وفي الذخائر : كلاءه

(57) ورد النص في الذخائر ص 82

(58) ا ، ب ، ج ، ق : عن قاضيه — الذخائر : إلى قاضيه

(59) ج : محمد — ساقطة —

(60) طلحة : ساقطة في ج ، ق

(61) الذخائر : تأتيني

(62) الذخائر ، ك : ولا

(63) الذخائر : فتكلموا

(64) ك : الحق

(65) نقل ابن رضوان هذه القصة من الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 82 .

فمشى إليه يوما ، فتلقته[66] إمرأة في ثياب رثة ، فأنشأت تقول[67] :

يا خير منتصف يهدي له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميد[68] الملك أرملة عدا عليها فما تقوى به أسد
فابتز منها ضياعا بعد منعتها لما تفرق منها الأهل والولد

فأطرق المأمون يسيرا[69] ، ثم رفع رأسه وقال :

من دون ما قلت عيل[70] الصبر والجلد
وأقرح[71] القلب هذا الحزن والكمد
هذا أوان صلاة العصر[72] فانصرفي
وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
المجلس السبت ان يقضي الجلوس لنا
أنصفك منه وإلا المجلس[73] الأحد

فانصرفت[74] ، وحضرت في يوم الأحد أول الناس . فقال لها المامون : من خصمك ؟ قالت : هو القائم على رأسك العباس ابن أمير المؤمنين . فقال المامون لقاضيه يحيي بن أكثم : أجلسها[75] معه وانظر بينهما ، فأجلسها ونظر بينهما بحضرة المامون فجعل كلامها يعلو على كلام العباس ، فزجرها بعض[76] الحجاب فقال

---

(66) ق : فوقفت بين يديه إمرأة من البادية عليها أثر السفر في ثياب رثة أنشدت .
(67) وردت في العقد الفريد في صورة أوضح :
ياخير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق مني الأهل والولد
(68) الذخائر والأعلاق : عقيد
(69) ق : ساعة
(70) د ، العقد : زال
(71) د : عني وأقرح مني القلب والكبد ، ق : وأحرق .
(72) ك : الظهر
(73) ا ، ب ، ج ، د : فالمجلس
(74) د : فلما كان يوم الأحد ، كانت أول واقف عليه . فقال لها : أين الخصم ؟ الذخائر : فلما وصل إلى مكان الحكم قال لها : من خصمك ؟ ، ك : فانصرفي .
(75) ك : أجلسا
(76) ك : الحكام

(له) المامون : ويحك ، خلها ، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه . وأمر برد ضياعتها[77] إليها[78] . قال بعض العلماء : ولمشاهدة[79] المامون الحكم بينهما وتقديم القاضي للنظر في ذلك وجوه لطيفة ، تقتضيها السياسة ، ومعان شريفة يوجهها الشرع . وذلك أنه ربما توجه الحكم لولده ، فلا يجوز[80] أن يحكم عليه . ومنها أن الخصم إمرأة ، والإمارة[81] تجل عن محاورتها ، وأيضا فإن جلالة قدر العباس أجل من أن يلزمه الحق غير أبيه ، ومنها إرهاب المدعى عليه ، إذا علت منزلته[82] فيذعن للحق ، ولا يمكنه التعصب للباطل[83] .

وأيضا فربما أنف ذو الهمة العالية من وصول المتظلم[84] إلى حقه عنوة ، فيدع كثيرا من حقه محافظة على المنزلة فيبادر إلى الإنصاف قبل الحكم ، ليكون متفضلا ، وربما وقع الشك للحاضرين في أن الحق له أو عليه . كالذي يحكى عن موسى الهادي أنه جلس يوما لينظر[85] في المظالم ، وعمارة بن حمزة قائم على رأسه ، فقام رجل متظلم يدعي أن عمارة غصبه ضيعته[86] ، فأمره الهادي بالجلوس معه للحكم . فقال عمارة : يا أمير المؤمنين إن كانت له ، فلا أعارضه فيها ، وإن كانت لي فقد تركتها له . ولا أبيع حظي من مجلس أمير المؤمنين ، فهذا من حسن[87] السياسة وعلو الهمة والمحافظة على المكانة . وأما الشك فواقع عند جميع الحاضرين ، في أن الحق له أو عليه[88] .

---

(77) د : وأحسن إليها وكتب إلى عامل بذلك (فراغ) أن الذي حكم عليها بين يدي المامون هو القاضي يحيي بن أكثم ، أمره بذلك .

(78) د : إليها ـــ محذوفة ، الأحكام السلطانية : عليها

(79) الذخائر : وفي مشاهدة

(80) الذخائر والأعلاق : فلا يجوز أن يحكم له ، ولا يجوز أن يحكم عليه .

(81) الذخائر : والإمرأة يجل

(82) د : شوكته

(83) د : بالباطل

(84) الذخائر : المتكلم .

(85) ق ، ج : الذخائر : للنظر في المظالم ، د : للنظر للمظالم

(86) د : غصب ضيعته

(87) د : حسن ـــ محذوفة ـــ في الذخائر : أحس .

(88) وردت قصة المامون مع الأعرابية في الأحكام السلطانية ص 84 ـــ 85 وفي العقد الفريد ج 1 ص 16 مع اختلاف وزيادة . ومن المرجع أن ابن رضوان نقل القصة من الذخائر والأعلاق ص 83 حيث وردت مطابقة لما أورده هنا ما عدا الأبيات الشعرية الأخيرة المنسوبة للمامون فلم ترد في الذخائر .

يروى أن مسلمة مولى الحواري[89] بن زياد قال : أخذت زمن الحجاج ، وكنت أبيع الفلوس ، فوجدوا معي فلسا رديئا ، فذهب بي إلى الحجاج ، فأغرمني ألفا ، فحبست ، حتى ولي[90] عمر بن عبد العزيز ، فكتب[91] إلي مولاي الحواري[92] قصتي ، ورفعها إلى عمر : أما بعد فإنه لم يبق بيت من بيوت[93] العرب من مدر ولا شعر ، إلا وقد فتح الله عليه ، يا أمير المؤمنين ، بابا من أبواب الخير ، وأغلق عنه بابا من أبواب الشر ، وأنا صاحب الفلس[94] . قال عمر رضي الله عنه : ومنا صاحب الفلس . فقص قصته عليه ، فأمر برد ما أخذه منه[95] . وقال : هل لك من ولد أكتبهم[96] في الذرية فذكرت[97] بنتا فأمر بإلحاقها في النفقة ، وأمر خازنا[98] له أن يجري على ما أقمت ، فرضين ، وقدر لحم[99] .

في بعض الحكم : ما أمحلت أرض ساد عدل السلطان فيها ، ولا ضحيت بقعة ، فاء[100] ظله عليها .

وسئل ابن عيينة عن قول الله عز وجل : إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، فقال : العدل الإنصاف والإحسان التفضل .

وقيل لبعض العلماء : من أفضل الملوك ؟ قال : من أمن الصاحب جفوته ، وخاف الظالم سطوته ، وعدل في الرضا والغضب ، وشمل إحسانه من بعد وقرب .

ومن أقوالهم : من أحب النجاة من العطب ، عدل في الرضا والغضب[101] .

---

(89) ا ، ب ، ج ، ق : الحوازي
(90) ا ، ب ، ج ، ق : قام
(91) د : فكتب إليه مولاي الحوارى بذلك — ك : فكتب إلى مولاي الحوارى قصتي .
(92) ا ، ب ، ج ، ق : الحوازى
(93) ق ، ج ، ك : بيوتات
(94) د : الفلوس
(95) ج : له
(96) د : أكتبه
(97) د : فذكر له .
(98) د : خازنه بإجراء قدرها عليها
(99) ق : قدرين — ك : قدري
(100) ق : جاء
(101) وردت هذه النصوص في الذخائر والأعلاق ص 83 — 84

قال بعض الحكماء : من الحق[102] على من ملكه الله تعالى على بلاده ، وحكمه في عباده أن يكون لنفسه مالكا ، وللهوى تاركا ، وللغيظ[103] كاظما ، وللظلم كارها ، وللعدل في الرضى ، والغضب مائلا[104] وللحق في السر والعلانية مؤثراً ، فإذا كان كذلك ، ألزم النفوس طاعته ، وأشرب[105] القلوب محبته[106] .

ومن الحكم المنثورة : زين الإمارة[107] ، العدل ، وزين الثروة ، البذل[106] .

قال عبد الملك بن مروان يوما لبنيه : كلكم يترشح لهذا الأمر ، ولا يصلح له (منكم[108]) إلا من كان له سيف مسلول ، ومال مبذول ، وعدل تطمئن إليه[109] القلوب[110] .

ومن كلام الحكماء : خير الملوك من عدل وبذل ، وشرهم من جهل وبخل[111] .

وقال بعضهم : قدم فضل عدلك إذا حكمت ، ولا يصدنك الغضب[112] عن إيثار الحق إذا علمت ، تكن أحب إلى[113] الناس من البشرى ، وألذ[114] في العيون من سنة الكرى[115] .

---

(102) د : الواجب

(103) الذخائر : وللغضب

(104) وردت في —ج— فقط ، وفي الذخائر . ك : مظهرا.

(105) في جميع المخطوطات: أشرف، وفي الذخائر : أشرب. وقد فضلنا قراءة الذخائر .

(106) نقل ابن رضوان هذه النصوص من الذخائر ص 84 .

(107) المررة ، ق : المر— الذخائر : الإمارة— 1 ، ب ، د ، ك : الأمرة . وقد فضلنا قراءة الذخائر .

(108) زيادة من نهاية الأرب .

(109) م النسخ وفي الذخائر : معه ، نهاية الأرب : إليه . وقد فضلنا قراءة نهاية الأرب

(110) نهاية الأرب : السفر 6 ص 35 ، وقد نقل ابن رضوان النص من الذخائر ص 84 .

(111) الذخائر والأعلاق ص 84

(112) الذخائر : الحرج

(113) الذخائر : أحب النفوس

(114) أ ، ب ، د : الذي

(115) الذخائر ص 84

ومن أمثالهم : من جعل العدل عدة ، طالت به المدة[116] .

وقال أبو الحسن الأهوازي : العدل أقوى جيش ، وأهنأ عيش .

قيل لبعضهم : من أرجح الملوك عقلا وأكملهم أدبا وفضلا ؟ قال : من صحب أيامه بالعدل[117] ، وتحرز جهده من الجور ولقي الناس بالمجاملة ، وعاملهم بالمسالمة . ولم يفارق السياسة مع لين[118] في الحكم ، وصلابة في الحق فلا يأمن الجريء بطشته[119] ، ولا يخاف البريء سطوته[120] .

كتب بعض الصالحين إلى بعض الملوك : مثلك أعزك الله من تواضع لعظمة الله وتقرب إليه بما يرضاه[121] ، وقدم[122] العدل في عباد الله[123]. فأغاث المستغيث، وأجار المستجير، وأمن الخائف، وعاد على الراجي، وأغفر ذنوب الجاني، طائعا لله مقتديا برسول الله ﷺ، مستشعرا حسن الثوبة من الله تعالى[124] .

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك : أيها الملك ، إنما فخرك بإظهار عدلك ، وإيثار فضلك ، لا بجمال بزتك ، وتمكن عزتك ، وفراهة[125] مركبك ، وكثافة[126] موكبك[127] .

قال وهب بن منبه : إذا هم الوالي بالعدل أدخل[128] الله البركة في أهل مملكته ، حتى في الأسواق والأرزاق . وإذا هم بالجور ، أدخل الله النقص مملكته ،

---

(116) الذخائر ص 84

(117) الذخائر : العدل

(118) ق : في — محذوفة —

(119) في جميع المخطوطات : بسطته وفي الذخائر : نشطته وفي ك : بطشته وفضلنا قراءة ك هذه .

(120) الذخائر والأعلاق ص 84

(121) د : يرضيه

(122) الذخائر : وأقام

(123) ق : فأغث

(124) نقل النص من الذخائر ص 85

(125) ق : وفراسه

(126) ق : وكتابة

(127) نقل النص من الذخائر ص 85

(128) ق : أحل

حتى في الأسواق والأرزاق[129] .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : من المشهور بالمغرب أن السلطان بلغه أن إمرأة لها حديقة فيها[130] القصب الحلو وأن قصبة منها تعصر قدحا . فعزم على أخذها منها ثم أتاها ، وسألها عن ذلك . فقالت : نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح . فقال لها أين الذي كان يقال ؟ فقالت : هو الذي بلغك إلا أن يكون السلطان عزم على أخذها مني ، فأرتفعت بركتها . فتاب السلطان ، وأخلص لله نيته أن لا يأخذها أبدا ، فعصرت قصبة ، فجاءت مِلء قدح[131] .

قلت[132] وقد حكى محمد بن عبد الملك الهمداني أن واعظا دخل على أبي الفتح ملكشاه بن البارسلان ، فوعظه ، بمثل الحكاية المذكورة[133] ، منسوبة لأحد الأكاسرة . والله أعلم بحقيقة ذلك[134] .

وقد روي عن ابن عباس أن ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا[135] بمكانه فنزل على رجل له بقرة ، فراحت البقرة فحلبت قدر قلتين ، فعجب الملك لذلك وحدث نفسه بأخذها ، فلما راحت عليه من الغد ، حلبت على النصف فقال الملك : ما بال حلابها قد نقص ، أرعت في غير مرعاها بالأمس ؟ قال : لا ، ولكن أظن أن ملكنا هم بأخذها فنقص لبنها ، فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة ، فعاهد الله في نفسه أنه لا يأخذها ، فراحت من الغد ، فحلبت حلاب قلتين . فتاب[136] الملك ، وعاهد ربه : لأعدلن[137] ما بقيت[138] .

---

(129) نهاية الأرب السفر 6 ص 36 وفي السراج ص 45 من الباب 5 والذخائر والأعلاق ص 85

(130) ا ، ن ، ج ، ق : في

(131) سراج : ص 46 من الباب 5 مع اختلاف يسير في اللفظ

(132) د : قال المؤلف رحمه الله

(133) ق ، ك : المنسوبة

(134) وردت هذه القصة في وفيات الأعيان عن محمد بن عبد الملك الهمذاني ج 5 ص — 285 — 286 .

(135) د : مخفيا

(136) أ ، ب ، ج : فأتي

(137) د : ليعدل ما بقي

(138) وردت هذه القصة في سراج ص د غ من الباب 5 وفي نهاية الارب مع اختلاف .

قال الشيخ أبو بكر : وحدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الأخبار بمصر. قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة[139] أرادب ، ولم يكن في الزمن[140] نخلة تحمل مثل ذلك ولا نصفه ، فغصبها السلطان فلم تحمل ثمرة[141] . وأحلفة في ذلك العام[142] .

وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد[143] : أنا أعرف هذه النخلة في الناحية الغربية[144] نجني[145] منها عشرة أرادب وستين ويبة ، وكان صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل ويبة بدينار .

قال : وشهدت أنا بالأسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية ، والسمك فيه يغلي الماء به كثرة ، ويصيده الأطفال بالخرق ، ثم حجره السلطان ، ومنع الناس عن صيده ، فذهب السمك منه ، حتى لا يكاد يوجد فيه إلا واحدة بعد واحدة إلى يومنا هذا .

وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم إلى الرعية ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر[146] .

في الكوكب الدري : عن رسول الله ﷺ أنه قال : سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه متعلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا . ورجل ذكر الله خاليا ، ففاضت عيناه . ورجل دعته إمرأة ذات حسن[147] وجمال ، فقال : إني أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها ،

---

(139) أ ، ب ، ج ، د : أردب

(140) ج : أوان

(141) ج : بثمرة

(142) سراج الملوك : ص 46 .

(143) د : مصر

(144) في جميع النسخ : «الغربية» ماعدا نسخة ك حيث ورد : الغرسة ، وفي سراج : الناحية الغربية وهو ما أثبتناه .

(145) د ، ك : تحمل .

(146) سراج : ص 46 .

(147) سراج : منصب

حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه[148] .

وقال سعد بن عبادة : ليوم من إمام عادل خير من عبادة عابد[149] في بيته ستين سنة[150] .

وقال مسروق : لأن أقضي يوما بالحق ، أحب إلي من غزو سنة في سبيل الله .

روي أنه اجتمع في دار عبد الله بن جدعان بطون من العرب وفيهم رسول الله ﷺ ، وذلك قبل مبعثه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فتحالفوا وتعاقدوا وتعاهدوا على رد المظالم بمكة ولا يظلم أحد منهم ، قريبا ولا غريبا ، ولا حرا ولا عبدا ، إلا منعوه ، وأخذوا للمظلوم بحقه . فقال رسول الله ﷺ حاكيا للحال : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول ، ولو دعيت إليه لأجبت ، وما أحب لي به حمر النعم ، فصار ذلك بما قاله ﷺ حكما واجبا[151] ، وشرعا[152] لازما وسمي « حلف الفضول » لأنه قام به رجال من جرهم ، كل واحد منهم إسمه الفضل[153] .

قلت[154] : وروى المؤرخون أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة ، وهو يومئذ أمير المدينة ، منازعة في مال فتحامل الوليد على الحسين[155] في حقه لامرته فقال له الحسين[156] : أقسم بالله العظيم لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي وأقوم في مسجد رسول الله ﷺ داعيا حلف الفضول ، حتى آخذ بحقي منك ، وسمع عبد الله بن الزبير مقالته فقال[157] : وأنا أحلف بالله سبحانه ، لئن دعا لآخذن سيفي ولأقومن معه حتى ينتصف من حقه ، أو لنموتن دون ذلك ، وبلغ المسور[158] بن مخرمة الأمر فقال مثل ما قال عبد الله

---

(148) السراج : ص 44 باب 5

(149) سراج : رجل

(150) سراج : ص 44

(151) الذخائر : موجبا

(152) د : شرعيا

(153) ورد بتفصيل في الذخائر والأعلاق ص 86 .

(154) ك : قال المؤلف رحمه الله .

(155) د : الحسن

(156) د : الحسن

(157) ق : قال

(158) ج : مسرور بن مخرمة

ابن الزبير. فلما رأى الوليد ذلك ، أنصف الحسين بن علي رضي الله عنه من نفسه ، وترضاه في حقه ، حتّى رضي .

وقال رسول الله : كل حلف في الجاهلية ، لم يزده[159] الإسلام إلا شدة .

وقال عليه السلام : من أصبح لا ينوي ظلم أحد ، غفر له ما آجتني وما أجترم .

ومن كلام الحكماء : إذا رأيت الحكام يتنافسون في العدالة ، ويجتنبون الفسوق والجهالة ، فتلك نعمة طائلة ، وإذا رأيت الجور فاشيا مظهرا والعدل مطرحا منكرا ، فتلك نعمة زائلة — وقد أنزل الله تعالى آية الملوك المخصوصة بالسلاطين ، لما اقتضته[160] من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وقبول الدول — قال الله سبحانه : ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز[161] . ثم سمى[162] المنصورين وأوضح شرائط النصر فقال : «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر[163]» فضمن الله تعالى النصر للملوك ، وشرط عليهم أربع شرائط ، كما ترى ، فمتى تضعضعت قواعدهم ، وآنتقض[164] عليهم شيء من أطراف مملكتهم أو ظهر عليهم عدو أو باغي[165] فتنة أو حاسد نعمة أو آضطربت عليهم الأمور وراموا أسباب الغير ، فليلجأوا[166] إلى الله سبحانه ويستنجوا[167] من سوء أقداره بإصلاح ما بينهم وبينه سبحانه بإقامة الميزان بالقسط الذي شرعه الله لعباده ، وركوب سبيل العدل ، والحق الذي قامت به السموات والأرض ، وإظهار شرائع الدين ، ونصر المظلوم ، والأخذ على يد الظالم ، وكف يد القوي عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي

---

(159) د : لا يزيده
(160) د : تضمنته
(161) آية 40 سورة الحج 22
(162) د : ذكر
(163) آية 41 سورة الحج 22
(164) ج ، سراج : وآنتقض
(165) ا ، ب : فأعلى
(166) ق : فيلجئوا
(167) د : ويتجنبوا ، ب : ويستخدموا ، ق : ا ، ب : ويستجنوا .

الخصاصة والمستضعفين ، وليعلموا أنهم قد أخلوا بشيء من الشروط الأربعة التي شرطت في النصر[168] .

قال أرسطاطاليس : والخاصة والعامة طبقات مختلفة وبث العدل فيهم مختلف . والعدل اسم معناه الإنصاف ورفع الجور ، وصحة الوزن ، وسوية الكيل ، وهو اسم جامع لخلال المروءة وخصال الكرم . والعدل ينقسم أقساما ، فعدل يجب فيه[169] الحكم عند الحكام ، وعدل يلزم الإنسان في محاسبة[170] نفسه فيما بينه وبين خالقه سبحانه ، وعدل فيما[171] بينك وبين الناس على قدر الحالات[172] . وقد صنع أرسطوطاليس للإسكندر الشكل الدوري المشهور عنه ، وكتب عليه : العالم بستان سياجه الدولة ، الدولة سلطان تعضده[173] السنة ، السنة سياسة[174] يسوسها الملك[175] ، الملك راع يعضده الجيش ، الجيش أعوان يكفلهم المال ، المال رزق تجمعه الرعية ، الرعية عبيد يتعبدهم[176] العدل ، العدل مألوف ، وبه صلاح العالم[177] .

---

(168) سراج ص 39 ـــ 40 مع اختلاف طفيف .

(169) سياسة : به .

(170) ك : خاصة

(171) ج : فيما بينه وبيني

(172) زيادة في سياسة أرسطو المطبوع : بعد كلمة الحالات ، ومنازل العلاقات

(173) سياسة المرادي : تحبية

(174) سياسة : منهاج

(175) سياسة : الإمام ، ومن الواضح أن نص ابن رضوان أدق ، فأرسطو إنما يخاطب ملكا ـــ في النص المنسوب إليه ـــ لا إماما . وقد استخدم المرادي أيضا في سياسته كلمة : الملك .

(176) سياسة المرادي : يجمعهم

(177) سياسة أرسطو ص 126 ـــ 127 وسياسة المرادي ص 62 .

الباب الرابع

في فضل الحلم وكظم الغيظ

قال بعض الأدباء : الحلم[1] من أكرم الخلال ، وأفضل شمائل الرجال[2] ، وأعلى مراتب الكمال ، وأسنى مواهب الله الكبير المتعال ، وهو أصل من أصول الدين ، وركن من أركان الطاعة مكين ، وحبل من حبال الشرع متين ، وحصن من حصون الإيمان حصين . من استند إليه ، أمن من عثار القدم ، وعصم من مواقع الندم ، وهو صفة من صفات الله تعالى ، لأنه يرى عصيان العاصين ، ويطلع على جناية[3] الجانين ، ويشاهد جور الظالمين ، ويحصي ذنوب الخاطئين ، فلا يحتجب عنه عمل عامل ، ولا يغيب عنه[4] شيء في عاجل ولا آجل ، وهو سبحانه[5] لا يعجل بالانتقام مع القدرة ، ولا يستفزه الغضب مع القوة ووضوح الحجة . قال الله سبحانه : « وربك الغفور ذو الرحمة ، لو يؤاخذهم بما كسبوا ، لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا[6] » .

وقال تبارك إسمه : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ، ما ترك عليها من دابة[7] » .

وقد أثنى الله تعالى بالحلم على أنبيائه وخص به صفوة أوليائه وأستعمل به من أراد كرامته من أصفيائه. فقال سبحانه : «إن إبراهيم لحليم أواه منيب[9]» وقال

---

(1) ق : الحكم من أكرم الخلال وأعلى مراتب الكمال وأنس ...... ج : من أفضل الخلال وأعلى شمائل الجلال ، وأسمى مراتب الكمال ....

(2) الذخائر : الرجال وفي بقية المخطوطات : الجلال .

(3) الذخائر : خيانة الخائنين

(4) الذخائر : عن علمه

(5) الذخائر : بحلمه

(6) آية 58 سورة الكهف 18

(7) آية 61 سورة النحل 16

(9) آية 75 سورة هود 11

لرسول الله ﷺ : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين[10] . روي أنه قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام عند نزول هذه الآية : ما هذا[11] ؟ قال : لا أدري حتى أسأل العالم . ثم عاد[12] جبريل ، فقال يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك[13] .

وقال رسول الله ﷺ : وجبت محبة الله لمن غضب ، فحلم ، وقال عليه السلام : الغضب جمرة تتوقد[14] في جوف ابن آدم ألم[15] تر إلى حمرة[16] عينيه ، وانتفاخ أوداجه[17] وأتاه رجل فقال له : يا رسول الله أوصني قال : لا تغضب ثم أعاد[18] عليه فقال : لا تغضب[19] .

ابن المعتز : الغضب يصدىء[20] القلب ، حتى لا يرى صاحبه حسنا ، فيفعله ، ولا قبيحا فيجتنبه[21] .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يعظم[22] حلمك ويكبر[23] عملك .

وقال بعض الصالحين ، أقرب ما يكون العبد من غضب الله ، إذا غضب .

---

(10) آية 199 سورة الأعراف 7

(11) د : ترى ما معناها

(12) د : نزل

(13) سراج : ص 74 ، والذخائر ص 89 .

(14) وعيون : توقد

(15) ج : ألا ترى وفي عيون : ألم تروا

(16) الذخائر : جمرة

(17) ورد هذا الحديث في عيون الأخبار ج 1 ص 132 مع ذكر سند الحديث وورد أيضا في الذخائر والأعلاق ص 89

(18) ق : عبارة « ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب » تكررت مرتين .

(19) بدائع السلك ج 1 ص 460 وعيون الأخبار ج 1 ص 182 والذخائر والأعلاق ص 89 وورد الحديث مع شيء من الاختلاف ، مسند إلى أبي هريرة في حلية الأولياء المجلد 6 ص 334 .

(20) ج : يصم

(21) ورد هذا النص في « التمثيل والمحاضرة » ص 450 مع اختلاف يسير .

(22) ق : يكثر

(23) ج ، الذخائر : ويكثر علمك

وسأل سلمان الفارسي[24] عليا رضي الله عنه : ما الذي يبعدني من غضب الله ؟ قال : أن لا تغضب[25] .

حكي عن بعض ملوك الفرس أنه كتب كتابا ودفعه إلى بعض وزرائه وقال له : إذا أنا غضبت[26] فناولنيه . وكان قد كتب فيه : مالك وللغضب ، إنما[27] أنت بشر ، أرحم من في الأرض ، يرحمكم من في السماء[28] .

وكتب أبرويز لإبنه : يا ابني إن كلمة منك تسفك دما وكلمة تحقن دما ، وأمرك نافذ ، وكلامك ظاهر ، فاحترس في غضبك[29] من قولك أن يخطىء[30] ، ومن لونك أن يتغير ، ومن جسدك[31] أن يجف ، فإن[32] الملوك تعاقب قدرة ، وتعفو حلما[33] .

وقال[34] الحكماء : ليس الحليم من ظلم فحلم ، حتى إذا قدر انتصر ، إنما[35] الحليم من إذا قدر عفا[36] .

وقيل : الحلم ترك المكافأة بالشر قولا وفعلا[37] .

---

(24) زيادة من ك : الفارسي .
(25) د : لا تغضب ، ق : ألا تغضب ، جاء في البهجة ج 1 ص 375 : « قال عيسى عليه السلام : يباعدك من غضب الله ألا تغضب »
(26) ق : أغضبت
(27) الذخائر : وإنما
(28) سراج ص 88 ص 85 باب 28 . وعيون الأخبار ج 1 ص 273 حيث وردت نفس القصة بصيغة أخرى . وقد وردت القصة في الذخائر والأعلاق على الصورة التي أوردها ابن رضوان ص 90 .
(29) الذخائر : غيظك
(30) ق : عيون الأخبار ، العقد : يخطىء
(31) الذخائر : جوارحك .
(32) عيون : يخف ، الذخائر : تخف
(33) ورد هذا النص مع إختلافات وزيادات في عيون الأخبار ج 1 ص 288 — 289 وفي العقد الفريد ج 1 ص 14 وفي نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري السفر السادس ص 17 ، وورد النص في الذخائر ص 90 على الصورة التي أوردها ابن رضوان .
(34) الذخائر : وقالت
(35) ا ، ب ، أن ، وكذلك في الذخائر .
(36) الذخائر والأعلاق ص 90
(37) الذخائر والأعلاق ص 90

وأغلظ رجل لمعاوية ، فحلم عنه . فقيل له : أتحلم عن هذا ؟ فقال : إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ، مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا[38] .

الأحنف بن قيس : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال[39] . وصدق الأحنف ، لأن من الحلم كان الناس[40] أنصاره ، وبعض من لا يعلم يحسب[41] الحلم عن الغضب من ضعف المنة ، واحتمال[42] المهنة ، والعاقل يراه من كمال العزة ، وإسداء المنة ولذلك قال الأحنف : لا تزال العرب عربا ، ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ، ولم تر الحلم ذلا ، ولا التواهب فيما بينهما ضعة ، كما قال الشاعر[43] :

لن[44] يدرك المجد أقوام وإن كرموا[45]
حتَّى يـذلـوا، وإن عزوا لأقوام
ويصفحوا[46] عن كثير من إساءتهم
لا صفح ذل ولكن صفح احلام[47] [48]

(38) عيون الأخبار ج 1 ص 9 — 283 وفي نهاية الإرب السفر 6 ص 16 .
(39) ورد النص في وفيات الأعيان ج 2 ص 501 وورد ناقصا في سراج ص 84 وورد كما هو في الشهب في البهجة ج 1 ص 616 .
(40) ج : كانت
(41) الذخائر : والحلم يحسبه السفيه من ضعف المنة
(42) ج : الهمة ، أو ، ب ، ق : عن الغضب المنة .
(43) جاء في البهجة (ج 1 ص 603) أن الشاعر المعني هو عبد الرحمان بن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل البصرة ، أشتهر بهجاء القاضي أحمد بن أبي داود ، وكان قد قصده في بغداد فمدحه ، فلم يعره التفاتا فهجاه ، توفي 227 هـ ، أنظر تاريخ بغداد 259/10 والأعلام 88/4 .
(44) محاضرات الراغب : ورد الشطر هكذا : لم يدرك المجد أقوام ذوو كرم..... وقد ورد هذا البيت الأول في الذخائر والأعلاق على الصورة التالية :
لا يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يـذلـوا وإن عـزوا لأقـوام
وفي البهجة ج 1 ص 603 : لا تبلغ المجد أقوام وإن كرموا.......
(45) ج : شرفوا
(46) د : ويصفحوا ، ترى الأبصار مطرقة
(47) ج : إكرام .
(48) ورد هذان البيتان في عيون الأخبار 1 ص 287 وفي العقد ج 1 ص 288 وفي محاضرات الراغب ج 1 ص 222 وفي الذخائر ص 91 والشطر الأول من البيت الثاني ورد في عيون هكذا . ويشتموا فترى الألوان مشرقة . وورد البيت الثاني في العقد وفي البهجة ج 1 ص 603 كالآتي :
ويشـتـموا فترى الألـوان كـاسفـة لا ذل عـجـز ولكن ذل أحلام =

وقال غيره[49] :

وإني لأغضي عن أمور كثيرة
وفي دونها قطع الحبيب المواصل
وأعرض حتى يحسب المرء أنني
جهلت الذي آتي ولست بجاهل[50]

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنما العلم بالتعلم[51] ، والحلم بالتحلم . ومن تخير الخير يعطه ، ومن توق الشر يوقه[52] .

قيل لعلي : « من خيار العباد ؟ قال الذين إذا أحسنوا ، استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ، وإذا غضبوا غفروا[53] .

وقع بين أبي مسلم وبين بعض أصحابه كلام ، فاربى[54] ذلك الصاحب وأغلظ ، فأطرق أبو مسلم ، فلما سكنت فورة[55] الغضب عن ذلك الرجل ، ندم وعلم أنه قد أخطأ فقال : والله أيها الأمير ما أنبسطت حتى بسطتني ، ولانطقت[56] حتى أنطقتني ، فاغفر لي قال : قد فعلت ، قال : إني أحب أن أستوثق لنفسي ، فقال أبو مسلم : سبحان الله كنت تسيء فأحسن ، فحين أحسنت ، أسيء[57] ؟ .

ومن كلامهم أيضا : استوجب الشكر من رحب ذراعه ، وقهر حلمه غضبه[58] .

ومن كلام بعض الحكماء : من غرس الحلم شجرا ، وسقاه الأناة دررا ، جنى

= وورد نفس البيت في محاضرات الراغب كالتالي :
ويشتموا فترى الألوان مسفرة لا خوف ذل ولكن فضل أحلام

(49) د : الآخر
(50) ورد البيتان في الذخائر والأعلاق ص 91
(51) د : بالتعليم
(52) نقل ابن رضوان النص من الذخائر والأعلاق ص 92
(53) مروج الذهب ج 3 ص 172
(54) د : وأغلظ فيه ذلك الصاحب
(55) د : قوة
(56) الذخائر : ولا قطعت حتى أقطعتني
(57) نقل النص من الذخائر ص 92
(58) نقل النص من الذخائر ص 93

العز منه ثمرا ، وأثبت[59] في المكارم أثرا[60] .

وقيل لبعض الحكماء : من أحلم[61] الناس ؟ قال من قدر على الكلام ، وهو كثير صمته . وقدر على العقوبة ، وهو كثير عفوه ، وقدر على الحركة وهو كثير وقاره[62] .

وقال بعض العلماء : الحلم حجاب الآفات ، وإن حلم ساعة ليرد سبعين آفة[63] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أحب الأشياء إلى[64] الله أربعة : القصد عند الجدة ، والعفو عند المقدرة ، والحلم عند الغضب ، والرفق[65] بعباد الله في كل حال[66] .

وقال معاوية : إني لاجد للعفو عن الذنب العظيم لذة وأريحية ، ما أجدها لشيء من لذات الدنيا[67] .

ومن تمام الحلم قبول العذر من كل معتذر ، صادقا كان أو كذبا ، فإن الاعتذار دليل الندم ، والندم توبة ، وقد يكون الاعتذار حياء ، والحياء من الإيمان[68] .

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : من[69] لم يقبل من متنصل عذرا صادقا ، كان أو كاذبا ، لم يرد على الحوض[70] .

وقال : المعترف بالذنب ، كمن لا ذنب له[71] .

---

(59) الذخائر : وأنبث

(60) نقل النص من الذخائر ص 94

(61) ا ، ب ، د ، ق ، اعلم

(62) ابن الأزرق : بدائع ج 1 ص 453 ومصدر ابن رضوان هو الذخائر والأعلاق ص 94 .

(63) « التمثيل والمحاضرة » ص 413 وبدائع السلك ج 1 ص 453 ، والذخائر والأعلاق لابن سلام ص 94 .

(64) الذخائر : إلى أربعة

(65) ج : وأرفق

(66) (67) (68) : وردت هذه النصوص في الذخائر والأعلاق مع اختلاف بسيط ص 64 والبهجة ج 2 ص 135 .

(69) ا ، ب ، ج : من لم يقبل معذرة من منتحل عذرا صادق...

(70) العقد الفريد جـ 1 ص 227 والذخائر والأعلاق ص 94 .

(71) "-قد جـ 1 ص 228 .

وقالوا : الاعتراف ، يهدم الاقتراف[72] .

واعتذر رجل إلى إبراهيم بن المهدي فقال له : قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار ، وأغنانا بحسن النية من سوء[73] الظن .

وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر لا سيما عن غير ذي ناصر
إن[74] كان لي ذنب ولا ذنب لي فما لـه غيرك من غافر
أعوذ بالود الذي بيننا أن يفسد الأول بالآخر[75]

وكتب أيضا[76] إلى محمد بن عبد الملك بن الزيات : أبا جعفر : ما أحسن العفو كله ، ولا سيما من قائل[77] ليس لي عذر[78] .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لو أن رجلا شتمني في أذني هذه ، وأعتذر إليّ في أذني هذه ، لقبلت عذره .

وفي منثور الحكم : نعم الشفيع الاعتذار ، عند أهل الحلم والاقتدار[79] .

وقال بعض الشعراء :

إذا اعتذر المسيء إليك يوما من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عقابك واعف عنه إن الصفح شيمة كل حر[80]

ومن كلام بعض الحكماء : الكريم أوسع ما تكون مغفرته ، إذا ضاقت بالمذنب معذرته[81] .

---

(72) عيون الأخبار جـ 3 ص 99 والعقد الفريد ص 228 وبدائع السلك ج 1 ص 453 والذخائر والأعلاق ص 85 ، وص 95 .
(73) د ، ج : عن
(74) العقد : إذ
(75) ورد هذا البيت في البهجة ج 1 ص 373 .
(76) العقد : الحسن بن وهب
(77) ق : عن
(78) د : ذنب
(79) نقل النص من الذخائر والأعلاق ص 94 .
(80) (81) (82) وردت هذه النصوص في الذخائر والأعلاق ص 94 .

وقال بعض الشعراء :

ولا تنزل بمعتذر عقابا فإن الذنب يغفره الكريم[82]

وحكي أن المامون عتب يوما على عمه إبراهيم بن المهدي فقال له : يا أمير المؤمنين : ولي[83] الثار محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى . ومن تناوله الاغترار[84] . مع ما مد له من أسباب الرجاء ، أمن عادية الدهر . وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو ، كما جعل كل ذي ذنب دوني ، فإن تأخذ فبحقك ، وإن تعف فبفضلك ، وأنشأ يقول :

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا واصفح بفضلك عنه
إن لم أكن بفعالي من الكرام فكنه

وأطال[85] مجلسه بكل اعتذار حسن ، وكلام بليغ . فقال المأمون : القدرة[86] تذهب الحفيظة ، والندم توبة ، يا إبراهيم لقد حببت[87] إلي العفو ، حتى خفت أن لا أوجر فيه ، لا تثريب عليك اليوم[88] ليغفر[89] الله لك . وجدد إحسانه إليه[90] .

قيل : إنه بعث زياد إلى معاوية برجل من بني تميم ، فلما مثل بين يديه قال له : أنت القائم علينا ، المكثر لعدونا . قال : يا أمير المؤمنين إنما كانت فتنة عم عماها ، وأظلم دجاها ، نزا فيها الوضيع ، وخف الحليم والرفيع ، فاحتدمت[91]

---

(83) ك : قد أصبحت ولي ثار ، كما أصبحت ولي ذنب

(84) د : الاعتذار مع ما مد له من الرجاء ــ د : الاغترار بلا أمل هجمت به الأناة على التلف وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب ، كما أصبح عفوك فوق كل ذي عفو ، فإن تأخذ فبحقك ، وإن تعف فبفضلك ، وأنشد ك : الاعتذار مع ما مد له من أسباب الرجاء .

(85) د : أطال الاعتذار بكل كلام حسن بليغ فقال المامون : إن من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر ، وإن كلام عمي هذا منه .

(86) ق : المعذرة

(87) د : جئت للعفو حتى خفت ألا أوجد فيه ــ ك : حبب

(88) وردت في د فقط

(89) د ، ق : نغفر ــ ك : يغفر

(90) ورد هذا النص مع اختلافات في اللفظ أحيانا وفي السياق أحيانا أخرى في مروج الذهب ج 4 ص 325 ــ 326 وفي نهاية الأرب السفر 6 ص 60 وفي وفيات الأعيان بتفصيل ج 1 ص 385 ــ 387 وفي بدائع السلك ج 1 ص 453 وقد حافظنا على صيغة المؤلف دون تصرف .

(91) د : فاشتدت .

وأكلت منا وشربت[92] ، حتى إذا انحسرت ظلماؤها وآنكشف غطاؤها وآل الأمر إلى مآله ، وصرح[93] عن محضه ، آرتفع العبوس ، وثابت النفوس ، فتركنا فتنتنا[94] ، ولزمنا عصمتنا ، وعرفنا خليفتنا ، ومن يجد متابا ، لم يرد[95] الله به عقابا ، ومن يستغفر[96] الله ، يجد الله غفورا رحيما . فآستعجب معاوية من فصاحته ، وآستغرب حسن اعتذاره ، وعفا عنه وأحسن إليه[97] .

قال صاحب السراج : أعلم أن الحلم أشرف الأخلاق ، وأحقها بذوي الألباب ، لما فيه من راحة السر ، واجتلاب الحمد ، وأحق الناس به السلطان ، لأنه[98] منصوب لإقامة أود الخلائق وممارسة أخلاقهم ولا يطأون[99] بابه في حال سلمهم وإنما يغشونه في حين تنازعهم وخصوماتهم وشرورهم وتكدر نفوسهم ، وضيق أخلاقهم . فإن لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم ، وإلا وقع تحت حمل[100] ثقيل[101] .

وروي أن يحيى بن زكرياء لقي عيسى عليه السلام فقال : يا روح الله آخبرني بأشد الأشياء في الدارين . قال : غضب الله تعالى قال : وما ينجي من غضب الله تعالى ؟ قال : ترك الغضب .

قال : يا روح الله كيف بدء الغضب ؟ قال : التعزز والتكبر والفخر على الناس[102] .

قال رسول الله ﷺ : إرحموا ترحموا ، وآغفروا يغفر الله لكم .

وقال محمد بن علي بن حسين : من كظم غيظا ، وهو يقدر على إمضائه ، حشا الله قلبه إيمانا .

---

(92) ا ، ب ، ق ، ج : علينا .

(93) د : « وآنقشع سراب إده » بدل عبارة وصرح عن محضه .

(94) ج : وثبتها

(95) في ا ، ب ، ق : لم يرد الله فتنته به عقابا .

(96) ق : واستغفر الله تجد عوضا ومن استغفر الله يجد .

(97) ورد النص في بدائع السلك ج 1 ص 453 / 454 .

(98) أ ، ب ، ج ، د ، ك : فإنه .

(99) سراج : ولا يطيقون به .

(100) سراج : عبء

(101) ورد النص في سراج الملوك ص 81 — 82 من الباب 8 .

(102) ورد النص في السراج ص 81 من الباب 8 .

وفي بعض الأخبار : يقول إبليس لعنه الله ، إن الحديد من الرجال لن ييأس منه ، وإن[103] كان يُحْيِي الموتى بدعوته[104] لأنه تأتي عليه ساعة يحتد فيها ، فنصير[105] منه إلى ما نريد[106] .

المسيح عليه السلام : لا ينبغي للسلطان أن يغضب إنما يأمر فيطاع . ولا ينبغي له أن يعجل ، فليس يفوته شيء . ولا ينبغي له أن يظلم ، فإنما يدفع الظلم[107] به [108] .

فصـــل

في ذكر ما يسكن به الغضب

قال صاحب السراج : كانت الفرس تقول إذا غضب القائم ، فليجلس ، وإذا كان جالسا فليضطجع[109] . وبهذا المذهب كان المأمون يأخذ نفسه[110] .

وروي أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ القسوة فقال : اطلع في القبور ، واعتبر بالنشور .

وكان بعض الملوك إذا غضب ألقى بين يديه مفاتيح ترب الملوك ، فيزول غضبه .

وكان بعضهم قد كتب في بطاقة : إنك لست بإلاه وإنك ستموت ، فتعود إلى التراب ، فيأكل بعضك بعضا ، وأمر وزيره أن يدفعها له ، إذا غضب .

---

(103) د : ولو

(104) سراج : بدقائه

(105) ج : فنصل منه إلى ما نريد سراج : فيصير منه إلى يريد

(106) سراج الملوك ص 82

(107) ورد هذا النص في بدائع السلك ج 1 ص 464 .

(108) جاء في المجموعة الكاملة لابن المقفع « ليس للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته » وقد أورد ابن رضوان هذا النص في مكان آخر من الشهب .

(109) ورد في بدائع السلك حديث نبوي في هذا المعنى : إذا غضب أحدكم ، وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغيظ ، فليضطجع رواه أبو داود ج 1 ص 485 . وجاء في عيون الأخبار ج 1 ص 290 : « إذا غضب أحدكم ، فإن كان قائما فليقعد ، وإن كان قاعدا فليضطجع » وفي ك : فليقم .

(110) السراج ص 87 — 88 وجاء في البهجة ج 1 ص 375 حديث نبوي وهو : «إذا غضبت قائما فاقعد وإذا غضبت قاعدا فقم ، أو قال : (أي النبي) فاضطجع» .

وكان عكرمة يقول في قوله تعالى : « وآذكر ربك إذا نسيت[111] » يعني إذا غضبت ، فإنه إذا ذكر الله ، خاف منه ، فيزول غضبه[112] .

وفي التوراة : يا ابن آدم أُذكرني حين تغضب ، اَذكرك حين أغضب ، فلا أمحقك[113] ، فيمن أمحق[114] .

وقيل : ومما يسكنه ، أن يتذكر نفرة القلوب عنه ، وسقوط منزلته عند أبناء جنسه ، ووصفهم له بالطيش : ومن ذلك أن يتذكر انعطاف القلوب عليه ، وانطلاق الألسنة بالثناء[115] عليه ، وميل النفوس إليه ، فإن الحلم عز وزين ، وإن السفه ذل وشين[116] .

روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : ما ازداد رجل بعفو الا عزا ، فآعفوا يعزكم الله[117] .

وقال عبد الملك[118] بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه غدا أذل مني بين يديك اليوم ، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت[119] عني فعفا عنه ، لما[120] ذَكَّرَهُ مقدرة الله عليه[121] : قلت[122] : وهذا المعنى استحضره عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وقد أسمعه رجل كلاما حرجا . فقال له عمر : أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا ، اَنصرف يرحمك الله[123] .

---

(111) آية 24 سورة الكهف 18 .

(112) ورد هذا النص في الذخائر ص 90

(113) ق : وبدائع السلك : فلا أمحقك فيمن أمحق .

(114) جاء في البهجة ج 1 ص 375 : « أوحى الله إلى موسي : آذكرني عند غضبك ، فلا أمحقك فيمن أمحق » .

(115) ا ، ب ، د ، ق : بشأنه

(116) سراج ص 87 وورد أيضا في بدائع السلك التونسية ج 1 ص 456 .

(117) سراج ص 88

(118) ق : عبد الله .

(119) د : إلا ما

(120) ج : لما علم مقدرة الله .

(121) ورد النص في سراج ص 88 وفي العقد الفريد ج 1 ص 235 وعيون الأخبار ج 1 ص 102 مع اختلاف كما ورد في بدائع السلك ج 1 ص 459 ، 460.

(122) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله .

(123) العقد الفريد ج 1 ص 235 .

وقال بعضهم : لا يحملنك الغضب على اقتراف إثم، فتشفي غيظك ، وتُسقم دينك[124] .

وقال رجاء بن حيوة[125] لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن[126] الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فأعط الله ما يحب من العفو[127] .

وفي التمثيل والمحاضرة لأبي منصور : أحق الناس بالإحسان (إلى الناس[128]) ، من أحسن الله إليه ، وأولاهم بالعفو من بسط الله بالقدرة يديه .

ولبعض الشعراء[129] في ذلك[130] :

أكرم الناس من إذا أحسن الدهر ... تـلقى الإحسـان بـالإحسـان

حكى ابن قتيبة قال : أتي معاوية يوم صفين بأسير من أهل العراق من أصحاب علي فلما مثل بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكن منك قال : لا تقل هذا يا معاوية ، فإنها مصيبة[131] قال (معاوية[132]) : وأي نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي ، اضربوا عنقه فقال : اللهم أشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ، ولا لأنك أوجبت قتلي — وإنما يقتلني[133] — في الغلبة[134] على حطام هذه الدنيا ، فإن فعل ، فافعل به ما هو أهله وإن لم يفعل ، فافعل به ما أنت أهله . قال : قاتلك الله لقد سببت فأوجعت[135] ، ودعوت ، فأبلغت ، خلوا عنه[136] .

---

(124) التمثيل والمحاضرة ص 450 .
(125) ك : حيوية
(126) ك : بني
(127) السراج : ص 88 ب 29
(128) إضافة من التمثيل والمحاضرة
(129) د : ولبعضهم
(130) زيادة في ج : « في ذلك فقال »
(131) ك : مصيبتك
(132) إضافة من مروج الذهب
(133) إضافة من العقد الفريد ليستقيم المعنى
(134) ك : الغيلة
(135) ك ، د : فأتجعت
(136) في مروج الذهب « وذكر المدائني أن معاوية أسر جميل بن كعب الثعلبي . وكان من سادات ربيعة =

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد ، فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاّذكر قدرة الله عليك ونفاذ ما أتي إليهم ، وبقاء ما يوتي إليك[137] .

وكتب بعض الصالحين إلى بعض إخوانه : إذا استفزك الغضب ، وخشيت الا تعدل ، فاّذكر عدل الله في العباد ، وأخذ الحق[138] من بعضهم[139] لبعض في المعاد ، فإن[140] ذلك أسرع لرد غضبك ، إذا عقلت من طيش السهم إلى الغرض ، ومن جري الماء إلى الحوض[141] [142] .

قرأت في الطب[143] الروحاني : إنما جعل الغضب في الحيوان ، ليكون به انتقام من المؤذي له . وهذا العارض إذا أفرط ، وجاوز حده[144] ، حتى يفقد معه العقل، فربما كانت نكايته في الغاضب وإبلاغه إليه (المضرة) أشد، وأكثر منها[145] في المغضوب عليه. ومن أجل ذلك ينبغي للعاقل أن يكثر من ذكر من أدته[146] أحوال غضبه إلى عواقب مكروهة، ويأخذ نفسه ليتصورها[147] في حال

= وشيعة علي وأنصاره ، فلما وقف بين يديه ، قال : « الحمد لله الذي أمكنني منك الست القائل في يوم الجمل » :

أصبحت الأمة في أمر عجب	والملك مجموع غدا لمن غلب
قد قلت قولا صادقا غير كذب	أن غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل فإنها مصيبة...... مروج الذهب ج 3 ص 241 والعقد الفريد ج 1 ص 244 وعيون الأخبار ج 1 ص 99 .

(137) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 79 و(ج 2 ص 115) وقد ورد نص أيضا شبيه في نهاية الأرب السفر 2 ص 39 منسوبا إلى الأحنف بن قيس . « وقال الأحنف : إذا دعتك نفسك إلى ظلم الناس فاّذكر قدرة الله على عقوبتك ، وانتقام الله لهم ، وذهاب ما أتيت إليهم عنهم » أنظر أيضا النص بتفصيل في مروج الذهب ج 4 ص 33 وفي العقد الفريد ج 1 ص 22 وفي التمثيل والمحاضرة ص 452 نص شبيه بهذا .

(138) الذخائر : أخذه

(139) الذخائر : لبعضهم من بعض

(140) الذخائر : المعاد

(141) ا ، ب ، ج ، ق ، ك ، ك ، الذخائر : الفرض

(142) نقل ابن رضوان هذا النص من الذخائر ص 84

(143) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله : قرأت

(144) د : الحد

(145) زيادة من الطب الروحاني

(146) الطب الروحاني : تذكر

(147) ا ، ب ، ج ، ق ، ليصورها ، الطب الروحاني : يتصورها ك : يتصورها ، د : ليصيرها .

غضبه[148] فإن كثيرا ممن يغضب، وربما لكز[149] ولطم[150] ونطح، فجلب بذلك من الألم على نفسه، أكثر مما نال منه[151] المغضوب عليه. فقد رأيت من لكز رجلا على فكه، فكسر أصابعه، حتى مكث يعالجها أشهرا، ولم ينل الملكوز[152] كبير[153] أذى، ورأيت من استشاط وصاح، فنفث الدم مكانه. وأداه[154] إلى السل، وصار سبب موته.

وبلغنا أخبار أناس أنهم[155] قتلوا أهاليهم وأولادهم، ممن يعز عليهم، في وقت غيظهم بما طالت ندامتهم عليه وربما لم يستدركوه آخر أعمارهم[156].

قلت: ولذلك قال صاحب التاج: من أخلاق الملك أن لا يعاقب وهو غضبان، لأن هذه حال لا يسلم معها من التجاوز لحد العقوبة[157].

قال الرازي: وقد ذكر جالينوس أن والدته كانت تثب (بفمها[158]) على القفل لتعضه[159] إذا عسر عليها فتحه. ولعمري أنه ليس بين من فقد[160] الفكر والروية في حال غضبه وبين المجنون[161] كبير فرق.

وقال: وإن الإنسان إذا أكثر من هذه الأمثال في حال سلامته[162]. كان

(148) زيادة في د عبارة «إلى عواقب محمودة».

(149) الطب الروحاني: لكم

(150) د، الطب الروحاني: أو لطم

(151) ق، د، الطب الروحاني: به

(152) الطب الروحاني: الملكوم

(153) ج: كبير

(154) الطب الروحاني: وأدى له ذلك إلى السل.

(155) الطب الروحاني: أناس ألموا أهاليهم وأولادهم

(156) ورد هذا النص في بدائع السلك نقلا عن ابن رضوان ج 1 ص 462، 463، وقد أخذ ابن رضوان النص من الطب الروحاني لمحمد بن أبي بكر الرازي ص 55.

(157) ورد هذا النص في التاج ص 105

(158) زيادة من الطب الروحاني: بفمها

(159) الطب الروحاني: فتعضه

(160) ج: فاقد

(161) ا، ب، د، ق: الجنون

(162) د: لحرى

أحرى أن يتصورها في وقت غضبه . وينبغي أن يعلم أن الذين[163] كانت منهم مثل هذه الأفعال القبيحة في وقت غضبهم ، إنما أتوا من فقد[164] عقولهم في ذلك الوقت ، فيأخذ نفسه بأن لا يكون منه (في وقت غضبه[165]) فعل إلا بعد الفكر والروية[166] .

حكى المؤرخون أن الأمير شمس المعالي[167] كان من محاسن الدنيا وبهجتها ، غير أنه كان على ما خص به من المناقب والرأي البصير بالعواقب ، شديد السطوة والغضب ، وما زال على هذا الخلق[168] حتى استوحشت النفوس منه ، وانقلبت القلوب عنه ، فأجمع أعيان عسكره على خلعه ، ونزع الأيدي عن طاعته ، فوافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان (إلى المعسكر[169]) ببعض القلاع ، فلم يشعر بهذا التدبير لذلك[170] ، ولم يحس بهم إلا وقد قصدوه[171] وأرادوا قبضه ونهب[172] أمواله وخيله ، فحامى[173] عنه من كان في صحبته من خواصه ، فرجعوا إلى جرجان وملكوها . وبعثوا إلى ولده أبي منصور (منوجهر[174]) ، وهو بطبرستان يستحثونه على الوصول إليهم لعقد البيعة له ، فأسرع في الحضور . فلما وصل إليهم ، أجمعوا على طاعته إن خلع أباه فلم يسعه في تلك الحال إلى المداراة ، والإجابة ، خوفا على[175] خروج الملك عن[176] بيتهم ، ولما رأى الأمير شمس[177] المعالي صورة الحال توجه إلى ناحية بسطام بمن معه من الخواص لينتظر

---

(163) في جميع النسخ «التي» وفي الطب الروحاني رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الذين وقد فضلنا قراءة الطب الروحاني .

(164) د ، ك : أوتوا

(165) زيادة من رسائل الرازي

(166) ورد هذا النص في رسائل الرازي — الطب الروحاني ص 55 — 56

(167) وفيات الأعيان بدل شمس المعالي : قابوس

(168) د : هذه الأخلاق .

(169) زيادة من وفيات

(170) ا ، ب ، ج ، د : بذلك

(171) د : حتى قد قصدوه

(172) ا ، ب ، ك : ونهبوا

(173) د : فحمى

(174) زيادة من وفيات

(175) د : عن

(176) ق : من

(177) وفيات : قابوس

ما يستقر عليه الأمر، فلما سمع الخارجون عليه، إنحيازه إلى تلك الجهة، حملوا ولده منوجهر على[178] قصده وإزعاجه[179] عن مكانه[180]، فسار معهم مضطرا، فلما وصل إلى أبيه، أجتمع به وتباكيا وتشاكيا[181]، وعرض الولد أن يكون حجابا بينه وبين أعدائه[182]، ولو ذهبت نفسه فيه. ورأى الوالد أن ذلك لا يجدي وأنه أحق بالملك من بعده، فسلم[183] المملكة إليه وأستوصاه خيرا بنفسه، ما دام في قيد الحياة، وأتفقا على أن يكون في بعض القلاع، إلى أن يأتيه أجله. فأنتقل إلى تلك القلعة، وشرع الولد في الإحسان إلى الجيش وهم لا يطمئنون، خشية قيام الوالد، ولم يزالوا به حتى قتل[184].

قال صاحب السراج: أيها الملك إن قصرت قدرتك عن عدوك، فتخلق بالأخلاق الجميلة التي ليس لعدوك مثلها، فإنها أنكى فيه من الغارة الشعواء.

وقيل: حسن الخلق يوجب المودة[185]، وسوء الخلق يوجب المباعدة.

قال رسول الله ﷺ: أكمل المومنين إيمانا، أحسنهم خلقا.

قال معاذ بن جبل: آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز[186] ان قال: حسن خلقك للناس.

وقال رسول الله ﷺ: حسن الخلق يمن، وسوء الخلق شين[187]. وكان يقال: من ساءت خلقه، قل صديقه.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس

(178) د: زيادة «إليه» بعد كلمة منوجهر
(179) ق: وإنزعاجه
(180) وفيات: من
(181) ج: وتشاكيا — ساقطة —
(182) وفيات: أعاديه
(183) د: فسلم له الملك، وفيات: وسلم خاتم المملكة إليه.
(184) ورد هذا النص في وفيات الأعيان مع زيادة ج 4 ص 80 — 81 وقد أورده أيضا ابن الأزرق في بدائع السلك ج 1 ص 456، 457.
(185) التمثيل والمحاضرة ص 421
(186) ا: الغرزات
(187) ا، ب، ج، ق:

بأموالكم ، فليسعهم منكم حسن الخلق . وألقوهم بطلاقة الوجه وحسن الخلق .

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر في قول الله تعالى : وثيابك فطهر[188] قال : خلقك فحسن وكان يقال : حسن البشر ، يكسب حسن الذكر[189] .

لما وفد عقيل بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان أمر له بمائة ألف درهم ، فلما أراد الانصراف ، رأى في الطريق جارية بأربعين ألف درهم ، فرجع إلى معاوية فأخبره قال : وما تصنع بها قال : تلد غلاما ، فإن أغضبته[190] يضرب مفرقك بالسيف ، فأمر[191] له بها ، فأبتاعها ، فولدت له مسلم بن عقيل . ثم قدم مسلم الشام ، فأبتاع منه معاوية ضيعة ، فبلغ الحسين[192] بن علي الخبر ، فكتب إلى معاوية : أنا[193] لا أجيز[194] بيع مسلم . فارسل معاوية إلى مسلم . وقال : هذا كتاب الحسين[195] يأمر برد الضيعة والمال . فقال مسلم : أما دون[196] أن أضرب مفرقك بالسيف فلا . فضحك معاوية . وقال : والله لقد تهددني بذلك أبوك قبل أن يشتري أمك ، وسوغه المال فقال الحسين رضي الله عنه ، حين بلغه ذلك : غلبنا معاوية حلما وجودا[197] .

---

(188) آية 4 سورة المدثر 74

(189) نقل ابن رضوان هذه النصوص من بهجة المجالس ج 1 ص 594 — 595 .

(190) ك : أغضبتني

(191) ق : فأمره

(192) د ، ك : الحسن

(193) ق ، السراج : إني

(194) د : لا نجيز

(195) د : الحسن

(196) ج : دون المال

(197) ورد النص في السراج ص 77 — 78 باب 26 .

الباب الخامس

في مجلس الملك وظهوره، وخفائه وذكر الوفود والسلام[1] وتقبيل اليد وذكر الحجاب والحجاب، وما يلحق بذلك

ابن قتيبة : قرأت في الآيين[2] أنه كان يستقبل بفراش الملك ومجلسه المشرق أو[3] مهب الدبور وتجعل تكأته مما يلي المشرق أو يستقبل به مهب الصبا ، وذلك أن ناحية الصبا وناحية المشرق يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية المغرب وناحية الدبور[4] بالانخفاض .

المرادي في سياسته : ليكن جلوسك تربعا[5] . وضحكك تبسما[6] وإياك وتشبيك الأصابع ، وإدخالها في الأنف والعبث بالقلنسوة[7] ووضع اليد على اللحية وتقليم الأظافر[8] بحضرة الناس وبحضرة[9] السلطان . وإذا مشيت فلا تضرب

---

(1) د : وذكر السلام

(2) ق : الأبيان — وفي عيون الأخبار : كتاب الايين . والأيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة ولابن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست ، عيون الأخبار ج 1 ص 212 .

(3) ق : ومهب

(4) ابن قتيبة : « وفي بعض الكتب أن الملوك كانت تستقبل بفراشها ومجلسها المشرق أو مهب (على هامش لامهب) الدبور ، أو يستقبل به ناحية الصبا ، لأن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع وناحية المغرب وناحية الدبور يوصفان بالانخفاض.... » زيادة من عيون الأخبار : « .. وكان المستقبل بصدور إيوانات الملك المشرق أو مهب الدبور ، ويستقبل بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مهب الصبا لأنه يقال : إن استقبال الصبا في وضع سحر السحرة ومن سريح الجنة » عيون الأخبار ج 1 ص 312 .

(5) د ، ك : متربعا

(6) د ، ك : متبسما

(7) إضافة من السياسة للمرادي

(8) سياسة المرادي : الأظفار

(9) سياسة المرادي : أو حضرة

برجليك ولا تنظر في[10] عطفيك ولا تتمايل تمايل المرأة ولا تثب وثوب الطفل ولا تقف على الجماعات[11] ولا تنتظر أحدا إن تأخر عنك ، واجعل جلوسك للعامة[12] في غاية الانقباض والوقار[13] والصمت والتجمل وقلة الضحك والالتفات والتمايل[14] ومد الرجل وترك المشاورة والمحاورة ، والقيام والقعود ولا تتحول عن الحالة التي يجدونك عليها . ولتكن في كل أحوالك بعيد الغور ، ساكن[15] الفور ، ولا تكثر الانشراح الدال على الفرح ولا الانقباض الدال على الحزن ، ولتكن من التوسط على حال لا يدري معها ما في نفسك ولا يستدل بها على شيء من أمرك[16] .

أرسطاطاليس : مما يجب على الملك كثرة الوقار ، وقلة الضحك (فإن كثرة الضحك تذهب الهيبة وتعجل بالهرم[17]) .

قالوا : الوقار من الله فمن رزقه الله الوقار ، فقد وسمه بسما الخير . ومن كلامهم بكثرة الصمت ، تكون الهيبة وبعذب[18] المنطق تجب[19] الجلالة وبالإفضال يعظم القدر ، ويرتقي الشرف .

أرسطاطاليس : يجب أن يكون الملك عذب اللغة ، فصيح اللسان ، جهير الصوت ، وذلك أن جهارة صوته صلاح له في وقت الزجر ، ويقلل الكلام بالجهارة إلا عند الضرورة ، وفي الندرة ، لئلا يكثر الإسماع ، فتسكن النفوس إليه (وتألف حديثه وتقل هيبته ، والأصلح له ألا يكلم أحدا إلا جوابا[20]) ، وكذلك يقلل من مباشرة الناس ، ويخفف مجالستهم ، لا سيما العامة ، فما أحسن مذهب الهند في تدبير ملوكهم حيث[21] قالوا إن ظهور الملك للعامة يجرئهم عليه .

(10) د : إلى
(11) سياسة المرادي : للحاجة
(12) إضافة من سياسة المرادي
(13) سياسة المرادي : والتوقير
(14) سياسة المرادي : والتمايل وبسط الأرجل ، أ ـ ن ـ ج ـ ق ـ : والتأمل
(15) إضافة من سياسة المرادي
(16) ورد النص في سياسة المرادي ص 175 ـ 176 من الباب 9 .
(17) ورد النص في سياسة أرسطو ج 1 ص 80
(18) د : عذب ـ ك : وبعدل
(19) د : توجد
(20) زيادة من سياسة أرسطو
(21) ق : حتى

ويهون[22] أمره عليهم، ويجب أن لا يظهر لهم إلا على البعد، وفي خلال المواكب وحملة السلاح ، فإذا كان في فصل من فصولهم (حفل[23]) مرة[24] واحدة في العام ، فيظهر للناس كافة ، ويقوم بين يديه من فصحاء وزرائه من يخطب خطبة ، يشكر الله فيها ، ويحمده على طاعتهم له ، ويخاطبهم بالرضى عنهم ، وحسن الرأي فيهم ويرغبهم في الطاعة ويحذرهم من المعصية ، ثم يتصفح رقاعهم ، ويقضي حوائجهم ، ويكثر منحهم ، ويعفو عن مذنبهم ، ويريهم الإسعاف لكثيرهم وقليلهم ، فإنما ذلك مرة واحدة . ويخفف ما يتحمل[25] لهم فيه ويتجافى عنه ، فيجل موقع ذلك من نفوسهم ، ويعظم به سرورهم ويتحدثون به[26] عند أهليهم ، وبنيهم ، فينشأ الطفل منهم على صحبته وطاعته ، وتسر نساؤهم بما يسر[27] به أزواجهم ، فيحسن ذكره في السر والعلانية ، ويأمن بهذا قيام الجماعات عليه ، ومداخلة المفسدين لهم ، فلا يطمع طامع في تغيير شيء من رياسته بسببهم[28] ، إنتهى كلام أرسطاطاليس .

قال بعضهم : الهيئة التي يظهر عليها للناس ، وقار في[29] غير قطوب[30] وبسط وجه في غير[31] ضحك .

ابن حزم : يجب على الإمام أن يجعل يوما في الجمعة ، يركب فيه ، فتراه العامة كلها ، ولا يمنع منه مشتك كائنا من كان ، ويجعل سائر أيامه للنظر في الأمور ، ولا يسرف على نفسه ، لكن في[32] طرفي نهار من نحو[33] صلاة الصبح

---

(22) د : ويهين أمرهم عليه
(23) زيادة من سياسة أرسطو
(24) د : يظهر لهم كافة مرة واحدة في العام
(25) سياسة : يتحايل ق : يحتمل
(26) د ، سياسة : بذلك
(27) د : سروا ، وسياسة : تسر به رجالهم
(28) سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ج 1 ص 78 مع إختلاف يسير
(29) في : وردت في « د » فقط
(30) د : عبوس
(31) د : في غير وفي بقية المخطوطات بغير
(32) موجودة في د فقط
(33) موجودة في ج فقط

إلى نحو ثلاث ساعات من النهار ومن صلاة العصر[34] إلى إسفار[35] الشمس ، ويجعل وسط نهاره لراحة[36] جسمه ، والنظر في ماله وأهله ، ويمنع أهل الفضول من الوصول إليه ، وملازمة داره ، ومجلسه ، ليلا يشتغل في مجالسته[37] من لا يجدي عليه مصلحة في دينه ولا دنياه[38] ، وليغلق الباب دون ذلك جملة ، فلا يطمع أحد في الوصول إليه لغير معنى ، ويجعل الإمام عشي[39] نهاره إلى الاسفرار[40] للجلساء ، ويختارهم من أهل العلم والفضل والعقل وحسن التدبير ، يخوض معهم في الفقه ، وفي سائر العلوم الشرعية وفي مذاكرة السياسة وأخبار الناس من الماضين . فقد كان رسول الله ﷺ يجلس مع أصحابه ويذاكرهم ويشاورهم ويعلمهم ، وكذلك كان الخلفاء بعده . انتهى كلام ابن حزم .

المؤرخون : كان معاوية رضي الله عنه ، يظهر في اليوم والليلة خمس مرات ، فكان إذا صلى الصبح ، جلس لقاص[41] حتى يفرغ من قصصه ، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه ، فيقرأ جزءه ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهي ثم يصلي أربع ركعات ، ثم يخرج إلى مجلسه ، فيأذن لخاصته[42] ، فيحدثهم ويحدثونه ، ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه[43] فيما يريدون من يومهم ، ثم يؤتى بالغداء الأصغر ، وهو فضل عشاء الليل من جدي بارد أو فرخ أو ما يشبهه . ثم يتحدث طويلا ، ثم يدخل إلى منزله ، لما أراد .

ثم يخرج . فيقول : يا غلام (أخرج[44]) الكرسي ، ويسند ظهره إلى المقصورة ويقوم الأحراس ، فيتقدم[45] إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة فيقول :

---

(34) ك : الصبح
(35) د : الإصفرار
(36) د ، ك : إلى راحة
(37) ق : مجالسة
(38) د ، ك : ودنيا .
(38) ج ، د : عشر
(40) ق ، د : الإصفرار
(41) د : القاص
(42) د : بخاصته
(43) د : فيتفاوضون معه فيا يريدون
(44) زيادة من مروج الذهب
(45) د : فيقدمون

ظلمت فيقول : أعزوه[46] ، ويقول : عدى علي ، فيقول : « ٱبعثوا معه » ويقول « صنع بي » فيقول : « انظروا[47] له » . حتى إذا لم يبق أحد ، دخل ، فجلس على السرير ، ثم يقول : إئذنوا للناس على قدر منازلهم ، ولا يشغلني أحد عن رد السلام ، فيقال[48] : كيف أصبح أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، فيقول : بنعمة من الله . فإذا استووا جلوسا قال : يا هؤلاء إنما سميتم أشرافا ، لأنكم شرفتم ، من دونكم بهذا المجلس ، إرفعوا إلينا حاجة من لا يصل إلينا فيقوم الرجل فيقول[49] : استشهد فلان فيقول : افرضوا لولده ، ويقول[50] : غاب فلان عن أهله فيقول : تعاهدوهم[51] واعطوهم ، وٱقضوا حوائجهم وٱخدموهم .

ويوتى بالغداء ، ويحضر الكاتب ، فيقوم عند رأسه ويتقدم الرجل فيقول[52] له : إجلس على المائدة ، فيجلس فيمد يده ، فيأكل لقمتين أو ثلاثا ، والكاتب يقرأ كتابه ، فيأمر فيه بأمره . فيقول : « يا عبد الله أعقب » ، فيقوم ، ويتقدم آخر ، حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلهم . وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء . ثم يرفع الغداء ، وينصرف الناس ، ويدخل منزله ، فلا يطمع فيه طامع ، حتى ينادى بالظهر ، فيخرج فيصلي ، ثم يدخل فيصلي أربع ركعات ، ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة .

فإن كان الوقت شتاء ، أتاهم بزاد الحاج من الأخبصة اليابسة ، والخشكنابج ، والأقراص المعجونة بالسكر واللبن من دقيق السميذ والكعك المسمن ، والفواكه اليابسة ، والفالوذج ، فإن كان الصيف أتاهم بالفواكه الرطبة ، ويدخل إليه وزراؤه ، فيؤامرونه[53] فيما احتاجوا إليه بقية يومهم . ويجلس إلى العصر ، ثم يخرج ، فيصلي العصر ، ثم يدخل منزله ، فلا يطمع فيه طامع ، حتى إذا كان في آخر وقت العصر ، خرج ، فجلس على سريره ، ويؤذن[54] للناس على منازلهم .

---

(46) ق : انصروه

(47) مروج : ٱنظروا في أمره

(48) د : فيقول

(49) ك : فيقولون استشهدوا

(50) ك : فيقولوا

(51) د : عاهدوهم

(52) ك : فيقال

(53) د : يؤامرونه

(54) د ، ك : يؤذن

فيؤتى بالعشاء ، فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب ، فيخرج فيصلي ، ثم يصلي بعدها أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة[55] خمسين آية ، يجهر تارة ويخافت أخرى .

ثم يدخل منزله ، فلا يطمع فيه طامع ، حتى ينادى بالعشاء الآخرة ، فيخرج فيصلي ، ثم يؤذن للخاصة ، وخاصة الخاصة ، والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما أرادوا ، صدرا من ليلتهم[56] . ويسمر ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها[57] ، والعجم وملوكها ، وسياستها وسير الأمم وحروبها ، ومكائدها ، وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة . ثم يدخل ، فينام ثلث الليل ، ثم يقوم ، فيحضر الدفاتير ، فيها سير الملوك وأخبارها ، والحروب ، والمكايد ، فيقرأ[58] ذلك عليه غلمان له مرتبون . وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيمر بسمعه كل ليلة ، جمل من الأخبار والسير والآثار ، فيخرج ، ثم يصلي الصبح ، ثم يعود فيفعل ما وصفنا كل يوم وليلة .

وقد تبعه في ذلك عبد الملك بن مروان وغيره ، فلم يدركوا حلمه ولا إتقانه للسياسة ولا التأني للأمور[59] ولا مدارات الناس على منازلهم ، ورفقه بهم على طبقاتهم[60]

قال صاحب التاج : على الملك أن يقسم يومه[61] أقساما أوله[62] لذكر الله عز وجل وتعظيمه وتهليله وصدره[63] لرعاياه وإصلاح أمرها ، ووسطه لأكله ، ومنامه ، وطرفه لراحته ، وشغله الخاص به[64] .

---

(55) ج ، ومروج : ركعة

(56) ج : الليل

(57) ك : وأشعارها

(58) د : فيقرأون

(59) د : ولا تأنيه ولا سياسته في الأمور

(60) أخذ ابن رضوان مادته في هذا الموضوع من مروج الذهب جـ 3 ص 220 — 223 .

(61) د : أيامه

(62) د :أولها ، ق : أولهم .

(63) د : وإصلاح أمر رعيته

(64) ورد النص في التاج ص 257

ابن حزم : ينبغي للملك أن يفرغ[65] نفسه في ليله لعياله ونسائه وولده ، ويعدل[66] في القسم بين نسائه .

قال بعضهم : « لا ينبغي للملك أن يكون له أيام معلومة ، يظهر فيها ، فإن في ذلك خصالا مذمومة منها أنه قد يعوق ذلك اليوم شغل[67] مهم ، أو يعرض كسل ، أو لذة مغتنمة ، فيلزمه[68] الخروج على كره ، ومنها أنه إذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لأمر ما ، تطاولت[69] أعناق الرعية[70] ، وكثر كلامها ، وقالوا : مرض[71] أو حدث عليه حادث ، أو أصابته آفة ، فيكسب العدو جرأة وسرورا ، ويكسب الولي حزنا وخوفا ، ومنها أنه[72] قد يواعد[73] عدوه ليوم يلتقيان فيه (فلا يتم[74] له ذلك) » .

قالوا : وإذا ركب الملك ، فلا يلزم أن يتقدم الناس ، فيلقى من يرد عليه دون حاجب ، ولا يتأخر عنهم فيؤذوه بغبارهم ، وليكن على حد من التوسط ، يكون فيه من خلفه أكثر فيه ممن أمامه ، وليكن بإزائه من رجاله أفهمهم ، ويليهم أشدهم ، وأشفقهم[76] [77] .

قال أرسطاطاليس لذي القرنين : إن التبذل يذهب ببهاء[78] السلطان والاحتجاب الشديد يوتغ الملك ، قال : فكيف الرأي ؟ قال : تكون غائبا كشاهد لرعيتك بالاستخبار لأمورها والتفقد لأخبارها . وقوله يوتغ معناه يهلك .

---

(65) د : يتفرغ
(66) ك : وليعدل
(67) سراج : ممسك بهم أو بعض
(68) د ، ج : فيلزم
(69) ك : تطاولت
(70) سراج : الأعناق من الرعية
(71) ك : مريض
(72) زيادة من ك أنه « إذا تخلف عن الظهور » وعد عدوه
(73) في جميع النسخ وعد . وقد فضلنا قراءة سراج : يواعد
(74) إضافة من سراج ليستقيم المعنى
(76) ك ، ج : وأثقفهم ، ق : وأثبتهم
(77) ورد هذا النص في السراج ص 194 باب 63
(78) د : فيه

فصـــل

في ذكر الوفود على الملوك

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة . وذلك قبل مبعث النبي ﷺ أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئه وتمدحه . وأتاه وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وخويلد[79] ابن أسد في عدد من وجوه قريش وأهل مكة ، وأتوه[80] بصنعاء ، وهو في قصره الذي يقال له غمدان فآستأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، هو متضمخ بالعبير[81] وبيض المسك من مفارقه ، وعن يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك ، فآستأذن عبد المطلب في الكلام . وكان أجل القوم قدرا ، وأعظمهم خطرا ، وأعلاهم نسبا ، وأكرمهم حسبا ، ولم يكن سيف يعرفه . فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك ، فقد أذنا لك .

فقال عبد المطلب : أيها الملك ، إن الله عز وجل قد أحلك محلا رفيعا ، صعبا منيعا ، شامخا ، باذخا[82] ، وأنبتك نباتا حسنا ، طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثبت أصله . وبسق فرعه في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، وأنت رأس العرب وربيعها[83] الذي به تخصب ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف وأنت[84] منهم خير خلف ، ولن يخمل ذكر من أنت خلفه .

أيها الملك ، نحن أهل[85] حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا بك ، فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزية .

(79) د : خالد

(80) د : ووافق — الذخائر : فاتوه — .

(81) الذخائر : يبص وبيص المسك ك : بيض

(82) أ ، ب : فادحا

(83) أ ، ب ، ج ، ق : ورفيعها — ولكن فضلت قراءة د وتتفق مع قراءة بدائع السلك لإتفاقها مع الفعل — تخصب

(84) د : ومروج : وأنت لنا

(85) د : أهل — ساقطة

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف ، قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم .

قال : أدن ، فدناه ثم أقبل عليه ، وعلى القوم ، وقال : مرحبا وأهلا ، وناقة ورحلا ومناخا سهلا ، وملكا وفحلا[86] ، يعطي عطاء جزلا ، قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم ، لكم الكرامة ، ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم . وأخبره ببعث رسول ﷺ[87] من قومه . وأمر لكل رجل[88] منهم بمائة من الإبل وعشرة أعبد ، وعشر إماء ، وعشرة أرطال ذهبا[89] ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش عنبر ، وأمر لعبد المطلب بعشرة[90] أمثال ما أمر لهم[91] .

قلت[92] : وفي هذا الخبر من الفوائد الجليلة الراجعة لسير الملوك ، التهنئة عند المسرة والاحتفال للقاء الوفود . وقد جاء في حديث[93] الحلة المهداة لرسول الله ﷺ قول القائل له : لتتجمل بها ، يا رسول الله ، للوفود ، فالتجمل للقائهم أمر عادي شرعي .

وفيه أن الوارد على الملك — من حق أدبه أن لا يتكلم حتى يأذن له الملك — .

وفيه أن الكلام بين يدي الملوك مقصور على من يكون أهلا له وناهضا[94] به .

---

(86) ا ، ب ، ج ، د ، ك : وبجلا — الذخائر : ونحلا ومروج : ربحلا

(87) ورد في ك — بعد رسول الله ﷺ كلمة سرا

(88) الذخائر : واحد

(89) أ : ذهب

(90) الذخائر : بعشر

(91) وردت هذه القصة بتفصيل وزيادة في مروج الذهب ج 2 ص 206 — 207 ما عدا ما يتعلق بقصة مولد النبي وبعثه فلم ترد في المروج . وأنظر أيضا تفاصيل القصة في الذخائر والأعلاق . وقد ذكر المسعودي في المروج أن الوفادة كانت على ابن سيف بن ذي يزن بن عبد يكرب في حين ورد في العقد ما يتفق مع نص ابن رضوان في أن الوفادة كانت على سيف بن ذي يزن وهذا ما ورد أيضا في الذخائر والأعلاق ووردت نفس القصة في العقد الفريد (ج 1 ص 179 — 180 وفي ج 2 ص 24 وفي الذخائر والأعلاق ص 193 — 194) على صورة أقرب إلى نص ابن رضوان لكن مع تفصيل وزيادة وقد لخص ابن رضوان من العقد الفريد قصة مولد النبي ومبعثه وصفاته الواردة في آخر النص . وأورد أيضا ابن الأزرق هذه القصة في بدائع السلك ج 2 ص 85 — 86 .

(92) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

(93) د : خبر ، ك : ساقطة

(94) ك : ونهضا

وفيه ابتداء متكلم الوفد[95] بالثناء على الملك قبل وصف المقصد .

وفيه تحسين الكلام وقصد تزيينه بالسجع[96] .

وفيه حسن الإقبال على الوفد وحسن التلفظ في[97] خطابهم وتبشرهم[98] ، وإدخال السرور عليهم .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان رفيقا بالوفد .

وفيه إفاضة الإحسان والبلاغ فيه لوفد[99] التهنئة ، وهي[100] من سير[101] الملوك الحسنة[102] وكأنها في معرض شكر الله ، بإدخال المسرة على خلقه على النعمة المهنأ بها .

وفد جماعة من الشعراء فيهم عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك بالشام ، فعرف عروة ، وقال له ألست القائل :

لقد علمت وما الإسراف من خلقي	ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه[103] فيعنيني تطلبه	ولو قعدت أتاني لا يُعنّيني

وما أراك فعلت كما قلت ، فإنك أتيت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق . فقال له : لقد وعظت يا أمير المؤمنين فأبلغت[104] في الوعظ ، وأذكرت[105] ما أنسانيه الدهر . وخرج[106] من فوره إلى راحلته فركبها ، وتوجه راجعا إلى الحجاز فمكث هشام يومه غافلا عنه . فلما كان في الليل ، آستيقظ من منامه ، وذكره

(95) ج : بالوفود
(96) ق ، ك : تزينه
(97) ق ، د ، ء : التلطف
(98) د ، ك : وتبشيرهم
(99) ك : بوفد
(100) د : وهو
(101) بدائع السلك : سنن
(102) ب ، ج : ملوك الحبشة
(103) ج : له
(104) أ ، ب ، ج ، ق ، ك : فبالغت
(105) د : وذكرت
(106) ج : فخرج

وقال : هذا رجل من قريش ، قال حكمة ووفد[107] إلي فجبهته[108] ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن لسانه ، فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر[109] بانصرافه . فقال لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه . ثم دعا لمولى[110] له وأعطاه ألفي دينار . وقال : إلحق بهما عروة بن أذينة ، فأعطه[111] إياهما . قال : فلم أدركه إلا وقد دخل بيته ، فقرعت الباب عليه ، فخرج إلي ، فأعطيته[112] المال . فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام ، وقل له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت ، ثم رجعت إلى بيتي ، فأتاني فيه الرزق .

خرج[113] البيهقي أن رسول الله ﷺ لما وفد عليه زيد الخيل ، بسط له رداءه ، وأجلسه عليه . وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

وفد الحجاج بإبراهيم بن طلحة على عبد الملك بن مروان وكان الحجاج لما ولى الحرمين بعد قتله ابن الزبير استخص[114] إبراهيم بن محمد بن طلحة بقربه[115] ، وأعظم منزلته ، فلم تزل تلك حاله عنده ، حتى خرج به إلى عبد الملك بن مروان فخرج به معه معادلا[116] له ، لا يقصر[117] له في بر ولا إعظام ، حتى حضر باب[118] عبد الملك . فلما دخل به على عبد[119] الملك لم يبد بشيء[120] بعد السلام ، قبل أن قال له : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز ، لم أدع[121] له بها نظيرا في الفضل والأدب والمروءة وحسن المذهب ، مع قرابة

---

(107) د : قال حكمة وتوجه إلي فوجهته ورددته

(108) ا ، ب ، ق : فخيبته د : فوجهته

(109) أ ، ب ، ج ، ق : فأخره

(110) ج ، د : بمولى له

(111) ك : وأعطى

(112) د : وأعطيته

(113) د ، ك : وخرج

(114) ب ، د ، ج : آستحضر. العقد : آستخلص ، ك : أشخص .

(115) د ، ك ، ج ، العقد : فقربه

(116) وفيات الأعيان : فعادله

(117) ك : عنه

(118) د ، ك : بباب

(119) د : عليه

(120) د : وفيات الأعيان ، العقد : يبدأ

(121) د : أعدل

الرحم ، ووجوب الحق ، وعظم قدر الأخوة ، وما بلوت منه في الطاعة[122] والنصيحة وحسن المؤازرة .

وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وقد أحضرته[123] بابك لتسهل عليه إذنك وتعرف له[124] ما عرفتك به ، قال : أذكرتنا رحما قريبة[125] وحقا واجبا ، يا غلام ائذن له ، فلما دخل عليه أدناه عبد الملك حتى أجلسه على فراشه[126] ، ثم قال له : يا ابن طلحة إن أبا محمد أذكرنا[127] ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب والمروؤة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الأبوة[128] وما بلاه[129] منك في الطاعة والنصيحة وحسن المؤزارة . فلا تدعن حاجة في خاصتك وعامتك إلا ذكرتها فقال : يا أمير المؤمنين إن أولى الحوائج وأحق ما قدم بين يدي الإمام ما كان لله فيه[130] رضا ، ولحق نبيه ﷺ أداء[131] ، ولله[132] ولك فيه ولجماعة[133] المسلمين نصيحة ، لا أجد بداً من ذكرها ، ولا أقدر على ذلك[134] إلا وأنا خال ، فاخلني يا أمير المؤمنين ترد عليك نصيحتي . قال : دون أبي محمد . قال : نعم دون أبي محمد . فقال عبد الملك للحجاج : قم . فلما خطرف[135] الستر أقبل علي . فقال : يا ابن طلحة قل نصيحتك قال : تالله يا أمير المؤمنين ، إنك عمدت إلى الحجاج في تغطرسه ، وتعجرفه ، وبعده من الحق ، وقربه من الباطل ، فوليته الحرمين ، وهما ما هما[136] ، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار ، والموالي البررة الأخيار يطأهم

(122) ج : به
(123) د : وأحضرته ببابك
(124) له : وردت في ج فقط
(125) د : قريبا
(126) ج : جنب ، د ، ا ، ب ، ق : إلى
(127) ج : عرفنا ، وفيات : ذكرتنا
(128) ق ، د ، ك : الأخوة
(129) د : أبلاه
(130) زيادة من وفيات
(131) ج : أذى
(132) ا ، ب : وتلك ، ك : ولك
(133) د : ولجميع
(134) د : نعرض
(135) د : أرخي
(136) د ، ج : وهما هما

بالعسف ويسومهم الخسف ، ويحكم فيهم بغير السنة ، بعد الذي كان من سفك دمائهم ، وما[137] أنتهك من حرمهم ، ثم ظننت أن مالك فما بينك وبين الله سبحانه زاهق ، وفيما بينك وبين نبيك ﷺ غدا إذا جاثاك للخصومة بين يدي الله تعالى في أمته ، أما والله لا تنجو من هنالك إلا بحجة ، فارع على نفسك ، أو دع . فقال له عبد الملك : كذبت ومنت[138] ، وظن بك الحجاج مالم يجده فيك ، وقد يظن الخير بغير أهله ، ثم فأنت الكاذب المائن . قال : فقمت ، وما أعرف طريقا . فلما خطرفت[139] الستر ، لحقني[140] لاحق وقال : إحبسوا هذا . وقيل للحجاج : أدخل ، فمكث مليا من النهار ، لا أشك أنهما في أمري . ثم خرج الآذن فقال : أدخل يابن طلحة فلما كشفت الستر ، لقيني الحجاج ، وهو خارج ، وأنا داخل فاعتنقني ، وقبل ما بين عيني وقال : أما إذا جزى الله المتواخين بفضل تواصلهم ، فجزاك الله عني أفضل الجزاء ، فوالله لئن سلمت لك ، لأرفعن ناظرك ، ولاعلين كعبك ، ولأتبعن الرجال غبرة قدميك . قال : فقلت : يهزأ بي ورب الكعبة . فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني ، حتى أجلسني مجلسي الأول . ثم قال : يا ابن طلحة ، لعل أحدا شاركك في نصيحتك هذه . قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أعلم أحدا أنصح عندي[141] يدا ولا أعظم معروفا من الحجاج . ولو كنت محابيا أحدا لعرض[142] دنيا ، لحابيته ، ولكني آثرت الله ورسوله وآثرتك والمؤمنين عليه . قال : لقد علمت أنك لم ترد الدنيا ، ولو أردتها لكانت لك في الحجاج . ولكن أردت الله ورسوله والدار الآخرة ، وقد عزلته عن الحرمين ، لما كرهت من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني[143] له عنهما استقلالا لهما ، ووليته العراقين وما هناك من[144] الأمور التي لا يدحضها[145] إلا مثله . وأعلمته أنك استدعيتني إلى توليته عليهما ، استزادة له لألزمه بذلك من حقك ما يؤدي به

---

(137) د :وانتهاك حرمهم أتظن أنك تنجو غدا بين يدي الله من ذلك .

(138) د : ومنت

(139) د : تجاوزت : وفيات : تخطرفت

(140) د : لحق ، ك : « لحقني لاحق » محذوفة

(141) ج : عني

(142) ج : الوفيات : لغرض دنيوي لحبيته

(143) ك : إسترسلتني

(144) ق ، ك ، وفيات : هنالك .

(145) د ، ك : يلاحظها

إليك عني أجر نصيحتك . فآخرج معه ، فإنك غير ذام لصحبته . انتهى ذلك وأمثاله كثير[136] .

فصــل

في ذكر الدخول والسلام على الملك والاستئذان للداخلين

حكى بعض[147] المؤرخين أن أبا نصر الفارابي لما ورد على سيف الدولة ، وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف[148] ، فأدخل[149] عليه وهو بزي الأتراك ، وكان ذلك زيه دائما . فوقف فقال له سيف الدولة : أُقعد . فقال : حيث أنا أو حيث أنت ؟ فقال : حيث أنت ، فتخطى رقاب الناس ، حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة ، وزاحمه فيه ، حتى أخرجه عنه . وكان على رأس سيف الدولة مماليك ، وله معهم لسان خاص يسارهم[150] به قل أن يعرفه أحد : فقال لهم بذلك اللسان : هذا الشيخ قد أساء[151] الأدب وإني سائله عن أشياء إن لم يوف بها فاخرجوا[152] به فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الأمير ، اِصبر فإن الأمور بعواقبها[153] . فعجب سيف الدولة منه وقال له : أتحسن الكلام بهذا اللسان فقال : نعم ، أحسن بأكثر من سبعين لسانا ، فعظم عنده[154] .

لما حضر أبو[155] منصور الجواليقي للصلاة بالإمام المقتني بالله ، ودخل عليه أول

---

(146) ورد هذا النص الطويل في وفيات الأعيان ج 2 ص 41 ــ 42 مع زيادة في بعض الألفاظ والعبارات ولا شك أن ابن رضوان قد استخلص قصته من الوفيات .

(147) د : بعض المؤرخين ــ محذوفة ــ

(148) ج : المعاريف

(149) ج : فدخل عليه في زي الأتراك ، د : أدخل

(150) د : يساررهم به قلما يعرفه أحد ، ك : يحاورهم

(151) ج : ياء

(152) د : فأخرجوا به . ومروج : فأخرقوا به .

(153) أ : لعواقبها

(154) نقل ابن رضوان هذا النص من مروج الذهب جـ 5 ص 155

(155) ورد الإسم في جميع النسخ ما عدا ج : أبو منصور بن الجواليقي . وصححته ــ كما ورد في ج : أبو منصور الجواليقي ،

دخوله ، ما زاد على أن قال : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى . فقال له ابن التلميذ النصراني ، وكان حاضرا قائما بين يديه ، وله إدلال الخدمة والصحبة : ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين ، يا شيخ . فلم يلتفت الجواليقي إليه ، وقال للمقتفي : يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية ، وروى له خبرا في صورة السلام . ثم قال : يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانيا أو يهوديا[156] لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه (المرضي)[157] ، لما لزمته كفارة الحنث ، لأن الله تعالى ختم على قلوبهم . ولن يفك ختم[158] الله إلا الإيمان[159] . فقال له : صدقت وأحسنت فيما فعلت ، وكأنما القم ابن التلميذ بحجر[160] .[161]

العتبي : دخل رجل على عبد الملك (بن مروان[162]) فقبل يده ، وقال : يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل ، فعلوها في المكارم ، وطهرها[163] من المآثم ، وإنك تقيل التثريب ، وتصفح عن الذنوب ، فمن أرادك بسوء ، يجعله الله[164] حصيد سيفك ، وطريد خوفك[165] .

قال عبد الله بن عمر : كنا نقبل يد النبي ﷺ .

ومن حديث وكيع عن سفيان قال : قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[166] .

وقال الحسن البصري : قبلة يد الإمام العادل طاعة .

كان هشام بن عبد الملك يكره تقبيل اليد ، حكى العتبي قال : دخل رجل

---

(156) وردت في ق فقط ، ووردت كذلك في وفيات .
(157) إضافة من مروج
(158) د : خاتم
(159) ا ، ب ، ج ، ك : بالإيمان وفي ق ، د ، ومروج : الإيمان
(160) ق : حجرا
(161) نقل ابن رضوان هذا النص من وفيات الأعيان جـ 5 ص 342 — 343 .
(162) زيادة من العقد الفريد
(163) ا ، ب ، ج ، ق : وظهورها
(164) ج : جعله ، ك : فجعله
(165) العقد الفريد ج 1 ص 222 ومروج الذهب ج 4 ص 304 .
(166) العقد الفريد ج 1 ص 228 .

على هشام بن عبد الملك فقبل يده ، فقال : أف[167] له إن العرب ما قبلت الأيدي إلا هلوعا ، ولا فعلته العجم إلا خضوعا[168] ، وآستأذن رجل المأمون في تقبيل يده فقال : إن قبلة اليد من المسلم ذلة ، ومن الذمي خديعة ، ولا حاجة بك أن تذل ولا بنا أن نخدع[169] .

دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقال له : تكلم بحاجتك . قال يا أمير المؤمنين بهر[170] الدرجة[171] ، وهيبة الخلافة ، يمنعاني من ذلك . قال : فعلى رسلك ، فإنا لا نحب مدح المشافهة[172] ولا تزكية اللقاء . قال : يا أمير المؤمنين لست أمدحك ، ولكني أحمد الله سبحانه على النعمة بك[173] . قال : حسبك قد أبلغت[174] وقضى حوائجه[175] .

قال[176] المبرد وثعلب : إن كلثوما العتابي كان واقفا بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكثم . فقال له العتابي : إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكاني قال : لست بحاجب . قال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال : سلكت بي[177] غير طريقي . قال : إن الله قد ألحقك[178] بجاه ونعمة ، فهما مقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، وبالتغيير إن كفرت . وأنا لك اليوم خيرا منك لنفسك أدعوك[179] إلى ما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك ، ولكل شيء زكاة[180] ، وزكاة الجاه بذله للمستعين به . فدخل يحيى فأخبر المامون بالخبر ، فأدخل العتابي ، وفي المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأمره[181] بالجلوس ،

---

(167) ق ، ك : أفه
(168) العقد الفريد ج 1 ص 222 – 368 .
(169) العقد ، ج 1 ص 222 – 368 .
(170) د : قهر
(171) ق : الدوحة
(172) العقد : المشاهدة
(173) العقد : فيك
(174) ا ، ب ، ج ، ق : بلغت ، د والعقد : أبلغت .
(175) العقد الفريد : ج 1 ص 227
(176) د : يروى
(177) د ، ك : في
(178) ق : أنحقك
(179) ج : أدعونك إلى الزيادة لنعمتك
(180) ج : وزكاته بذلك للمستعين — د : وزكاة الجاه الأخذ بيد المستعين به .
(181) ق : فأمر

فجلس ، وأقبل[182] يسأله عن حاله وشأنه ، فيجيبه[183] بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ في مداعبته ، فظن أنه قد استخف به . فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل الإبساس[184] ، فأشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق ثم قال : نعم ألف دينار . فأتي[185] بها فوضعت بين يدي العتابي . ثم عاد الى المفاوضة ، وأغرى المامون إسحاق بالعبث به ، فأقبل يعارضه في كل باب يذكره ، ويزيد عليه ، فعجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق . ثم قال : أيأذن لي أمير المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فقال له : إفعل . فقال له العتابي : من أنت وما اسمك قال : أنا من الناس ، واسمي كل[186] بصل فقال له العتابي : أما النسبة فمعروفة ، وأما الاسم فمنكر ، وما كل بصل من الأسماء . فقال له إسحاق : ما أقل إنصافك ، وما كل[187] ثوم والبصل أطيب من الثوم . فقال له العتابي : قاتلك الله ما أملحك ، ما رأيت كالرجل حلاوة . أفيأذن لي أمير المؤمنين في صلته[188] بما وصلني ، فقد والله غلبني . فقال له المامون : بل ذلك موفر عليك ، ونأمر له بمثله[189] .

العتابي : استعقل حاجبك ، فإنما يقضي عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك .

كان يعقوب بن الليث من عادته أن للرؤساء والقواد والعظماء عنده مراتب في الدخول من باب مضربه ، بحيث تقع عينه عليهم ، ويرى مداخلهم ، فيمرون مع أطناب الشقاق[190] إلى خيمة مضروبة ، بحيث لا يرى هو موضعها ، ولكنه يرى مداخلهم إليها ومخرجهم منها ، فمن احتاج إليه منهم ، واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نهيه ، دعاه فأمره ، وإلا[191] كان دخولهم حيث تقع عينه عليهم عوضا من

---

(182) ج : وجعل

(183) د : فيجيب

(184) ك : الإستئناس

(185) ج : فأمر بها ، فأحضرت ووضعت

(186) د : مأكل

(187) مروج : وما أكل ثوم

(188) ج : بصلته

(189) مروج الذهب ج 4 ص 308 — 309 ووفيات الأعيان ج 4 ص 123 — 124 .

(190) ج : الشفاق

(191) مروج : وكان

السلام عليه . ولم يكن لأحد أن يتقدم إلى باب مجلسه إلا رجل من خواصه يعرف بالعزيز وإخوته ، وله من وراء خيمته ، خيمة تقرب من أطناب مجلسه ، فيها غلمان من خاصته[192] ، فإذا احتاج إلى أمر يأمر به ، صاح بهم ، فخرجوا إليه ، وإلا فهو في أكثر ليله ونهاره في ذلك الموضع ، لا يقومون على رأسه ، وخيمة من داخل أخبيته مطنبة ، يدور فيها خمسمائة غلام يبيتون[193] من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة ، قد وكل بتفقد أحوالهم[194] ، ليلا يكون منهم عبث أو فساد ، وهو مأخوذ به[195] . وقال له بعض من ورد عليه برسالة السلطان : أيها الأمير أنت في رياستك ومحلك ، ليس في خيمتك إلا سلاحك ، ومسح أنت عليه ، فقال : إن رئيس القوم تأتم[196] به أصحابه ، فيما يظهر من أفعاله وسيرته ، فلو استعملت ما ذكرت من الأثاث ، لأثقلنا البهائم ، وتبعوني في فعلي ، فيثقل عسكري ، ونحن نقطع في كل يوم المهامه والمفاوز والقفار والأودية والقيعان[197] ، ولا يصلح لنا إلا التخفيف . وكان قليل الاستعمال للبغال في عسكره ، وكان عسكره (في)[198] خمسة آلاف جمل بخت ، وضعف[199] عددها حمير شهب كالبغال وهي (الحمير)[200] المعروفة بالصفارية ، تحمل الأثقال بدلا من البغال . وكان السبب في ذلك ، أنه إذا أنزل ، خليت الجمال والحمير للرعي ، وليس ذلك من عادة البغال[201] .

استأذن أبو سفيان على عثمان بن عفان رضي الله عنه فحجبه لبعض ما نابه من أمور المسلمين . فقيل[202] له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عدمت من قومي من إذا شاء حجبني[203] .

---

(192) مروج : خواصه
(193) في جميع النسخ ويبيتون وقد فضلنا قراءة السراج : يبيتون .
(194) د : أحوالهم
(195) ورد هذا النص في مروج الذهب ج 1 ص 13
(196) مروج : تاتم به ك : يأتمو به
(197) في جميع النسخ ، والعقاب ، وقد فضلنا قراءة المروج : والقيعان .
(198) زيادة من المروج
(199) مروج : أضعاف
(200) زيادة من المروج
(201) ورد النص في مروج الذهب ج 5 ص 113 — 114
(202) ق ، د : فقال
(203) عيون الأنبياء جـ 1 ص 83

قال بعض الأمراء لحاجبه : إنك عين أنظر بها ، وجنة أستنيم إليها ، وقد وليتك بابي ، فما تراك صانعا برعيتي . قال : أنظر إليهم بعينك ، وأحملهم على قدر منازلهم عندك ، وأضعهم في إبطائهم عن بابك ، ولزومهم خدمتك ، موضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك ، وأحسن إبلاغك عنهم ، وإبلاغهم عنك . قال : قد وفيت بما عليك ، ولك ، إن صدقته بفعل[204] .

في عيون الأخبار : حضر باب عمر بن الخطاب رحمه الله جماعة منهم سهيل ابن عمرو وعيينة بن حصين والأقرع بن حابس فخرج الإذن . فقال : أين صهيب ؟ أين سلمان ؟ أين أبو ذر؟ فتمعرت وجوه القوم . فقال لهم سهيل : لم تتمعر وجوهكم ، ويسوء ظنكم ، دعوا ، ودعينا ، فأسرعوا وأبطأنا . ولئن حسدتموهم على باب عمر ، لما أعد الله تعالى لهم في الجنة أكثر[205] .

قال أبرويز لحاجبه : لا تقدمن[206] ولا تضعن شريفا بصعوبة الحجاب ، ولا ترفعن ذا ضعة بسهولته . ضع الرجال على مواضع أخطارهم ، فمن كان متقدما له شرف ثم آزدرعه ، ولم يهدمه من بعد آبائه ، فقدمه على شرفه الأول ، وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف متقدم ، فلم يصن[207] ذلك إبلاغا به[208] ، ولم يزدرعه تثميرا[209] له ، فالحق بآبائه مهلة، سبقهم في خواصهم ، والحق به في خاصته ما الحق بنفسه ، ولا تأذن له إلاّ دبرا[210] . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عني طرفة عين ، إلا أن أكون على حالة لا تستطيع الوصول إلي فيها ، وإن أتاك مدع لنصيحة ، فليكتبها سرا ، ثم آدخله من بعد أن تستأذن له ، حتى إذا كان مني بحيث أراه ، فآدفع إلي كتابه ، فإن أحببت[211] ، قبلت ، وإن كرهت ، رفضت ، ولا ترفعن إلي طلبة طالب[212] ، إن منعته ، بخلني ، وإن أعطيته ازدراني ، إلا بمؤامرة مني ، من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتني . وإن أتاك

(204) عيون الأخبار : ج 1 ص 83
(205) عيون الأخبار : ج 1 ص 85
(206) ك : لا تقدمن مستعينا ولا شريفا
(207) ك : يظن
(208) ج : له
(209) ك : تشهيرا
(210) أ ، ب ، ج : برا
(211) ا ، ب : أحمدت ، ج وعيون الأخبار ، ك : أحمدت
(212) أ ، ب ، ج ، د ، ق ، ك : أحد ، وفي عيون : طالب وقد فضلنا قراءة عيون الأخبار .

عالم يستأذن علي بالعلم ، فاسأله ما علمه ذلك ثم أستأذن له فإن العلم كإسمه ، ولا تحجبن سخطة ولا تأذنن رضا . أخصص بذلك الملك ، ولا تخصص به نفسك[213] .

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري[214] قال : كنا بباب الفضل ، وهم يأذنون لذوي الشارات والهيئات وأعرابي يدنو ، فكلما[215] دنا ، صرخ به ، فقام إلى ناحية[216] : ثم أنشأ يقول[217] :

رأيت آذننا يعتام بزتنا ... وليس للحسب الزاكي بمعتام
متى رأيت الصقور الجدل يقدمها ... خلطان من رخم قرع[218] ومن هام
ولو دعينا على الاحساب قدمني ... مجد تليد وفضل راجح نام

قال معاوية لحضين[219] بن المنذر ، وكان يدخل في أخريات الناس : يا أبا[220] ساسان ! كأنه لا يحسن إذنك ، فأنشأ يقول :

وكل خفيف الرأي يمشي مشمرا ... إذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن الجلوس الماكثون[221] رزانة ... وحلما إلى أن يفتح الباب أجمعا[222]

استأذن[223] رجلان على معاوية ، فأذن لأحدهما قبل الآخر ، وكان أشرف منزلة من[224] الآخر . ثم أذن[225] للآخر ، فدخل فجلس فوق صاحبه فقال معاوية : إن الله ألزمنا تأديبكم ، كما ألزمنا[226] رعايتكم ، وإنا لم نأذن له قبلك ،

---

(213) عيون الأخبار ج 1 ص 84
(214) د : الزبير
(215) د : وكلما
(216) د : ناحيته
(217) ا ، ب ، د ، ق ، ك : ثم قال
(218) ق : فرخ
(219) ك : الحسين ، وفي باقي النسخ : لحصين ، والصحيح هو : لحضين .
(220) د : ياساسان : كأننا لا نحسن أذانك ، البهجة : يا أبا ساسان ! كأنك لا تحسن أذنك . . .
(221) د : جلوس ماكثون
(222) البهجة ج 1 ص 266
(223) د : وأستأذن
(224) ك : على
(225) د : استدخل الآخر
(226) ق : ألزمني

ونحن نريد أن يكون مجلسه[227] دونك . قم لا أقام الله لك وزنا[228]

ينبغي للحاجب أن يكون سهل[229] الوجه[230] [231] ، لين العريكة ، سالم الجوارح من كل آفة ، عارفا بالناس ومنازلهم وأقدارهم عند رئيسه[232] ، حتى يكون وجهه عنوانا عن وجه محجوبه من غضب ورضا وإبعاد وإدناء ، وأن يكون بينه وبين محجوبه رسول لطيف المعنى ، يشعر بحضور كل من حضر ، وعلى أي صفة وصل ، فإن أحب الإذن له ، أعلمه ، فاستأذن له ، وإلا اعتذر عن استئذان على محجوبه قبل تصريحه بمنعه . لأن الاستئذان أوسع لعذر الرئيس من التصريح بالمنع على لسان صاحب الأمر . ولهذا كان الحاجب عند الخلفاء الماضين والملوك المتقدمين في رتبة الوزارة ، ومتجاوز القدر لتوسطه في الجلالة .

قال زياد لحاجبه : يا عجلان إني وليتك ما وراء بابي ، وعزلتك عن أربعة[233] : طارق ليل ما جاء به ، وخبر رسول صاحب الثغر ، فإنه إن تأخر ساعة ، أبطل عمل سنة . ونداء المنادى للصلاة ، وصاحب الطعام[234] ، لأن الطعام إذا أعيد عليه[235] التسخين فسد[236] .

قال مروان لإبنه عبد العزيز حين ولاه مصر : يا بني مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم ، فتكون أنت تأذن وتحجب[237] .

قال بعض الأكاسرة لحاجبه: لا تحجب عني أحدا إذا أخذت مجلسي، فإن الوالي لا يحجب[238] إلا عن إحدى ثلاث: عيّ يكره أن يطلع عليه[239] أو بخل

(227) أ ، ب ، ق : مجلسك
(228) عيون الأخبار جـ 1 ص 84
(229) د : سهلا
(230) د : الوجه — محذوفة
(231) د : زيادة — سهل الوجه — طليق المحيا
(232) ج : رئيسهم ، ك : محذوفة
(233) العقد ونهاية الأرب : أربع
(234) ق : فإن ، د : فإنه
(235) د : إلى
(236) العقد الفريد جـ 1 ص 37 ونهاية الأرب السفر 6 ص 87 والبهجة ج 1 ص 266 .
(237) وردت وصية مروان بن الحكم إلى إبنه عبد العزيز في نهاية الأرب — ولم يرد فيها الكلام المتعلق بالحاجب (أنظر العقد الفريد) السفر السادس ص 17 .
(238) ق ، ج : لا يحتجب
(239) د : بها

فيكره من يدخل إليه[240] ، ليلا يسأله ، أو ريبة يخشى أن يعلم بها أو يطلع عليها وقد نظم هذا[241] محمود الوراق (قال[242]) :

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه
ورد ذوي الحاجات دون حجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربما
نزعت بظن واقع بصوابه
فقلت به مس[243] من العي قاطع
في أذنه للناس إظهار ما به
فإن لم يكن عي[244] اللسان فغالب
من البخل يحمي ماله من[245] طلابه
وإن[246] لم يكن هذا ولا ذا فريبة[247]
يصر عليها عند إغلاق بابه[248]

إذا دخل على الملك[249] من يساويه في السلطان والمنع والعزة والولاءة[250] والبيت ، فعليه أن يقوم ، فيخطو إليه خطى[251] ويعانقه ، ويأخذ بيده ويقعده في مجلسه ، ويجلس دونه ، لأن هذه[252] الحال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل

---

(240) د ، ك : عليه
(241) ج : ذلك
(242) زيادة من البهجة
(243) د : ضرب
(244) ق : للناس عي
(245) ك : عن
(246) البهجة : فإن
(247) ك : ولا هذا
(248) ورد النص في نهاية الأرب وصاحب القول في النص ليس هو بعض الأكاسرة ، وإنما هو خالد بن عبد الله القسري أمير العراق لحاجبه السفر 6 ص 87 وقد ورد النص في البهجة ج 1 ص 269 مسندا إلى بعض الأكاسرة.... أنظر أيضا عيون الأخبار ج 1 ص 84 وفي المحاسن والمساوي ج 1 ص 126 .
(249) ج : السلطان
(250) ا ، ب ، ج ، ق : والولاءة
(251) ج : خطوات — التاج : خطى
(252) د : هذا

عليه[253] إذا زاره ، فإن بخسه حظه[254] ، ومنعه الذي يجب له ، لم يبعد الملك أن يفعل به مثل ذلك بعدها . ومتى فعل كل واحد منهما مع صاحبه ، ماهو خارج عن السنن الحسن والشرائع المألوفة ، تولد عن ذلك فساد له وحدثت[255] ضغائن ، يقع بها التباغض والتعادي والتحاسد . فإذا اجتمع ذلك كان سببا للبوار ، وداعية للتحارب[256] ، وعلى الملك ، إذا أراد الذي قدمنا صفته[257] الانصراف أن يقوم معه إذا قام ، ويدعو[258] بدابته فيركب حيث يراه ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطى يسيرة ، ويأمر حشمه بأخذ دابته ، ويأمر خدمه[259] بالسعي بين يديه[260] .

قال صاحب التاج : وعلى هذا كانت آداب[261] بني ساسان . قال : وإذا احتاج الملك إلى مشافهة أحد من أصاغر الناس وآضطر إلى ذلك إما لنصيحة يسرها إليه ، أو لأمر يسأله عنه . فمن حق الملك ألا لا يخلى[262] والدنو منه حتى يفتش أولا ، ثم يأخذ بضبعيه[263] إثنان ، واحد عن يمينه ، وآخر عن شماله ، فإذا أبدى ما عنده ، وقبل الملك ما جاء به ، فمن حقه على الملك الإحسان إليه ، والنظر في حاجته ، إن كانت له ، ليرغب ذوو النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتقرب بها إليهم .

كانت العجم ، إذا أهديت لملوكهم خيل سنح بها عليه من يساره إلى يمينه ، وكذلك الغنم والبقر . وأما الرقيق والسباع وما أشبهها[264] ، فكان يسرح[265] بها من يمينه إلى يساره[266] .

---

(253) د : عليها
(254) د : حقه
(255) ق : وانبعثت ، ك : ووقعت
(256) للحرب . ق : للخراب — التاج : إلى التحارب
(257) ج : صفته — محذوفة —.
(258) ق : فيدعو
(259) ج : خدامه
(260) ورد النص في تاج ص 47 .
(261) ا ، ب ، ج ، ق : أدب
(262) د : يخلو
(263) ك : بضبعه
(264) ج : ونحوهما
(265) د ، ق : يبرح
(266) كتاب التاج ص 106 — 107

الباب السادس

في ذكر[1] الجلساء والنصحاء، وذكر النصيحة والرجوع إلى الحق عند وضوحه

قال صاحب السراج : ينبغي للملك أن يجالس أهل العقل[2] وذوي الرأي والحسب والتجارب والعبر ، فمجالسة العقلاء لقاح العقل ومادته[3] .

في السلوانات : العاقل يقدم التجريب على التقريب[4] والاختبار على الاختيار ، والثقة على المقة[5] .

العتابي : استظرف جليسك ، فإنما يوزن المرء بمن معه .

قال بعض العلماء : انتظام الصحبة ، والتزام الألفة يؤثران في أخلاق المرء تأثيرا يشارك الطبيعة وترجع النفس[6] له مطيعة ، فيصلحها مصاحبة أهل الخير ، ويفسدها مخالطة أهل الشر. وفي ذلك يقول الشاعر[7] [8] :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم[9] ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

(1) زيادة « ذكر » في ج

(2) د : العقول

(3) السراج ص 72

(4) في أ ، ب ، د : التسريب وفي ق ، ج : التشريف وفي السلوانات : التقريب . وقد فضلنا قراءة السلوانات .

(5) ورد النص في السلوانات ص 17 ، وقد جاء هذا النص ناقصا في ك .

(6) ق : النفوس

(7) في الذخائر والأعلاق : عدي بن الرقاع

(8) نقل إبن رضوان النص مع البيتين من الذخائر والأعلاق ص 161 ،

(9) ورد الشطر الأول من البيت في البهجة كالآتي : وصاحب أولي التقوى تنل من تقاهم.......

عن المرء لا تسئل وسل[10] عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتد[11]

في زهر الأدب من كلام الخوارزمي :

لا تصحب الكسلان في حاجاته[12] كم صالح بفساد[13] آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد[14]

وأنشد أبو منصور الثعالبي :

ما عاتب الرجل اللبيب كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح[15]

وقد جاء[16] : حذر[17] الناس من مجالسة[18] الجاهلين[19] ، وفي ذلك يقول البستي :

إن الجهول تضرني أخلاقه ضرر السعال لمن به استسقاء

كان يقال : احذروا ذوي الطباع المرذولة ، لئلا تسرق طباعكم منها ، وأنتم لا تعلمون .

وقيل : لا تطمع في استصلاح الرذل ، والحصول على مصافاته ، فإن طباعه أصدق له منك ، ولن يترك طباعه لك .

---

(10) ج : أسال — البهجة : وسل

(11) ج : يقتدي ، د ، البهجة ، الذخائر ، ك : مقتدى — وقد ورد البيتان في الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 61 ووردا في البهجة ج 1 ص 703 منسوبين لعدي بن زيد — أنظر أيضا : شعراء النصرانية ص 466 وجمهرة أشعار العرب ص 102 . وورد البيت الأول في معجم الشعراء ص 25 وفي عيون الأخبار ج 3 ص 79 وفي حماسة البحتري ص 326 ، والتمثيل والمحاضرة ص 52 ، وقد نسب البيت إلى طرفة . وورد في ديوانه .

(12) أ ، ب ، ج ، د : حاجته

(13) ق ، ج : بفاسد

(14) ورد هذان البيتان في التمثيل والمحاضرة ص 125 وفي البهجة ج 1 ص 703 — 704 منسوبين لأبي بكر الخوارزمي . وورد البيت الثاني في الذخائر والأعلاق ص 161 منسوبا إلى عدي بن زيد الخوارزمي .

(15) التمثيل والمحاضرة ص 307

(16) ك : زيادة من ك : جاء .

(17) د : وحذر

(18) ق : مجالسة الصالحين

(19) وفي السلوانات : وكان يقال : إحذر الجاهل ، فإنه يجني على نفسه ولست أحب إليه من نفسه .

وكان يقال أصعب ما يعانيه الإنسان، ممارسة صاحب لا تتحمل[20] منه حقيقة[21].

في البهجة لأبي عمر بن عبد البر: كان يقال: مجالسة الثقيل حمى الروح، وكان فلاسفة الهند يقولون: النظر الى الثقيل، يورث موت الفجأة[22].

وكان[23] يقال: مجالسة الثقيل، عذاب وبيل[24].

كان زياد في مدة ولايته العراقين، كثير الرعاية لحارثة بن بدر الغداني[25] وللأحنف بن قيس، وكان حارثة مكبا على الشراب، فوقع أهل البصرة فيه عند زياد، ولاموا[26] زيادا في تقريبه ومعاشرته.

فقال لهم زياد: يا قوم، كيف لي بإطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق، ولم يصكك[27] ركابي ركابه قط. ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني، فلويت إليه عنقي ولا أخذ علي الروح[28] في صيف، ولا شمس في شتاء قط، ولا سألته عن شيء من العلوم، إلا وظننته أنه لا يحسن سواه. وأما الأحنف فلم يكن فيه ما يقال. فلما مات زياد، وتولى ولده عبيد الله قال لحارثة بن بدر: إما أن تترك الشراب، وإما أن تبعد عني: فقال له حارثة: قد علمت حالي عند والدك. فقال له عبيد الله: إن والدي قد نزع[29] نزوعا لا يلحقه معه[30] عيب، وأنا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب علي، وأنت رجل تديم الشراب، فمتى قربتك، فظهرت منك رائحة الشراب، لم آمن من أن يظن بي، فدع النبيذ، وكن أول داخل علي، وآخر خارج عني. فقال له حارثة: أنا لا

---

(20) د: لا تحصل — ك: لا يتحصل.

(21) وردت هذه النصوص في السلوانات ص 45.

(22) البهجة ج 1 ص 733.

(23) لم يرد هذا النص في ج، د.

(24) البهجة ج 1 ص 736.

(25) ا، ب، ج، ق: الهمداني وك: المعداني

(26) د: ولاموه (أي زيادا) في معاشرته

(27) د: يصك

(28) د: الريح

(29) وفيات: برع — بروعا

(30) د: معك.

أدعه لمن يملك ضري ونفعي ، أفأدعه[31] للحال عندك ؟ قال : فآختر من عملي ما شئت . قال تولني سرف ، فقد وصف لي شرابها وتضم إليها رام هرمز ، فولاه إياهما[32] .

دخل الشعبي على عبد الملك بن مروان ، فقال : أتشتهي الطعام ، فقد اشتهيته . فقال : أمير المؤمنين أحق بقول قيس بن عاصم منه :

إذا ما صنعت الزاد فألتمس له أكيلا فـإني لست آكـلـه وحـدي

فآرتاح وقال : لله أبوك يا شعبي ما تشوفت بخاطري إلى شيء لا أقدر عليه ، إلا وجدته عندك ، ثم واكله في ثريدة عليها خضرة ولحم ، وكان خصبها مما يلي الشعبي ، فأمسك الشعبي . فقال له عبد الملك : كل . فقال : يا أمير المؤمنين : تخلق بخلق حاتم في هذا حيث[33] قال :

وإني لأستحي آكلي أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أفرغا

فقال : لا عدمتك يا شعبي .

قال أزدشير : لكل ملك بطانة ، ولكل واحد من بطانته بطانة ، حتى يجمع ذلك[34] المملكة ، فإذا أقام الملك بطانة على حال الصواب ، أقام كل[35] منهم بطانة على مثل ذلك ، حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية .

وقال أيضا : ما شيء أضر على نفس الملك من معاشرة سخيف ، أو مخاطبة[36] وضيع ، كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأديب ، كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس ، حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها .

ابن حزم : ويتخذ من وجوه الكتاب ووجوه الأطباء والعلماء والقضاة والأمراء قوما ذوي آراء سديدة ، وكتمان للسر[37] ، فيجعلهم وزراءه الذين يحضرون مجلسه

---

(31) ج : فادعه
(32) وفيات الأعيان جـ 2 ص 502 — 503
(33) د : بقوله
(34) د : ذلك جميع
(35) د : واحد
(36) د : مخالطة
(37) د : السر

ويلازمونه في التدبير لجميع ما قلده الله تعالى من أمور عباده .

الأحنف بن قيس : جنبوا مجلسنا ذكر الطعام والنساء ، فإني أكره للرجل أن يكون وصافا لفرجه وبطنه[38] [39] .

أرسطاطاليس : إن مما يجب على الملك أن يلزم من بحضرته الوقار وإظهار الخشية ، ومتى ظهر من أحد استخفاف عوقب عليه ، وإن كان ممن[40] يلطف[41] محله ، كانت عقوبته إقصاؤه[42] عن المجلس زمانا ، حتى ينتهي من استخفافه ، وإن صح عن أحد أنه فعل ذلك قصد[43] الاستخفاف[44] والمحطة ، أبعد إبعادا طويلا بعد العقوبة[45] .

كان الراضي[46] حسن المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم ، مقربا لأهل العلم والأدب والمعرفة ، كثير البر بهم فائضا[47] بجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه واحد[48] من محاضريه ، إلا بصلة أو خلعة أو طيب ، وكأنهموا عدة .

فصـــل

في ذكر النصيحة

قال عمر بن عتبة للوليد ين يزيد ، حين تغير الناس عليه : يا أمير المؤمنين إنه

---

(38) ج : أو بطنه

(39) ورد النص في وفيات الأعيان ج 2 ص 501 وورد أيضا في عيون الأخبار ج 3 ص 220 مع زيادة على النص الوارد في وفيات الأعيان .

(40) ب : مما

(41) د : يقرب

(42) د : أبعاده

(43) د : بقصد

(44) : استخفاف

(45) اختلاف مع نص كتاب السياسة لارسطو (العهود اليونانية ص 80)

(46) ق : الرضي

(47) د : مفيضا

(48) ق : أحد

ينطقني الأمن[49] بك، ويسكتني[50] الهيبة لك[51] وأراك تأمن أشياء أخافها عليك، أفأسكت مطيعا، أم أقول[52] مشفقا[53].

فقال: كل مقبول منك، ولله فينا علم غيب، نحن صائرون إليه. (فقتل بعد[54] ذلك بأيام).

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: إن الدين النصيحة. قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم[55].

والنصح في الجملة فعل الشيء[56] الذي به[57] الصلاح.

كان عمر بن هبيرة يقول: اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه دون غيره، والانحطاط في هوى مستثيره. ومن لا يلتمس خالص مودتي، إلا بالتأني لموافقة شهوتي. ومن يساعدني على سرور ساعتي، ولا يفكر[58] في حوادث غدي.

في السلوانات: كان يقال أنظر إلى المستنصح[59] فإن أتاك بما[60] ينفعك، ويضر غيرك، فاعلم أنه شرير، وإن أتاك بما[61] ينفعك، ولا يضر غيرك فاصغ[62] إليه، وعول عليه[63].

---

(49) العقد: الانس

(50) د: ويسكنني

(51) د: منك

(52) ج: أتكلم

(53) ك: متشفعا

(54) زيادة من العقد الفريد ونهاية الأرب. وقد ورد النص فيهما: العقد ج 1 ص 7 ونهاية الارب — السفر السادس 10.

(55) سراج الملوك ص 52 — الباب 11 —

(56) د: الأمر

(57) د: فيه

(58) د: يركن

(59) أ: المتنصح، ق: للمتنصح.

(60) د: بما ينفعل ولا يضر غيرك. ونص السلوانات المطبوع: بما يضر غيرك ولا ينفعك.

(61) أ، ب، ج: من

(62) ق: فاسمع إليه

(63) ورد هذا النص في السلوانات ص 71

ابن المقفع : عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة ، والتجرع[64] لمرارة قولهم وعذلهم ، ولا تسهلن ذلك إلا لأهل العقل والمروءة[65] .

ذكر أهل التاريخ[66] أن سابور أتى على بلاد البحرين ، وفيها يومئذ بنو تميم ، فأمعن في قتلهم[67] ، وهربت بنو تميم ، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر وله يومئذ ثلاثمائة سنة ، وكان يعلق في عمود البيت في قفة ، قد أتخذت له ، فأرادوا حمله ، فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم . وقال : أنا هالك[68] اليوم أو غدا ، وماذا بقي لي من فسحة العمر ولعل الله ينجيكم من هذا الملك المسلط على العرب ، فخلوا عنه وتركوه ، على ما كان عليه ، فصبحت خيل سابور الديار ، فنظروا إلى أهلها ، وقد[69] ارتحلوا ونظروا إلى قفة معلقة في شجرة . فسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها[70] وهمهمة الرجال ، وأقبل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه وجاءوا به إلى سابور . فلما حضر[71] بين يديه ، نظر إلى دلائل الهرم ومرور الأيام عليه . فقال له سابور : من أنت أيها الفاني ؟ قال : أنا عمرو بن تميم بن مر ، وقد بلغت من العمر ما ترى ، وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل وعقوبتك إياهم ، وآثرت الفناء على يديك ليبقى من مضى من قومي ، ولعل الله سبحانه ، ملك السموات والأرض ، يجري على يديك فرجهم ، مما أنت بسبيله من قتلهم ، وأنا سائلك[72] عن أمر إن أنت أذنت لي فيه . فقال له سابور : قل أيها الشيخ . فقال له عمرو : وما الذي يحملك على قتل رعيتك ، رجال[73] العرب ؟ فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا (من الفساد[74] في) بلادي وأهل مملكتي فقال عمرو : فعلوا ذلك ، ولست عليهم بقيم ، فلما بلغت ، وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة

(64) د : والتبرع .
(64) د : والتبرع
(65) ورد هذا النص في الأدب الكبير ص 108 (المجموعة الكاملة) .
(66) ج : المؤرخون
(67) ق : قتالهم
(68) ق : إني
(69) د : قد
(70) ج : ووقيعها
(71) د : أحضروه
(72) أ ، ب : مسائلك
(73) د : من
(74) إضافة من مروج ليستقيم المعني

لك قال سابور : أقتلهم[75] لأنّا ملوك الفرس نجد في مخزون[76] علمنا ، وما سلف من أخبار أوائلنا ، أن العرب ستدال علينا ، وتكون لهم الغلبة على ملكنا . فقال له عمرو : تستحقه[77] أم تظنه ؟

قال بل أستحقه[78] . ولا بد أن يكون . قال له عمرو : إن كنت تعلم أن ذلك يكون ، فلم[79] تسيء إلى العرب . والله لئن تبقي على العرب جميعا ، وتحسن إليهم ، فيكافئون عند إدالة الدولة قومك بإحسانك[80] ، فإن أنت طالت بك الدولة ، كافؤوك عند مصير الدولة إليهم . فيبقون عليك وعلى قومك ، وإن كان الأمر[81] حقا ، كما تقول ، فهو أكرم في الرأي ، وأنفع في العاقبة ، وإن كان الأمر باطلا ، فلم تستعجل الإثم وتسفك[82] الدماء[83] من رعيتك ؟

فقال سابور : الأمر صحيح ، وهو كائن لكم ، والرأي ما قلت . ولقد صدقت في القول ، ونصحت في الخطاب ، فنادى سابور بالأمان[84] في العرب والكف عن قتلهم[85] ورفع السيف عنهم[86] وأمثال هذا كثير .

---

(75) د : قتلتهم

(76) ج : مكنون

(77) د : إتحق ذلك أم تظنه وفي مروج : وهذا أمر تتحققه أو تظنه .

(78) د : أحقه ، ج : نستحقه

(79) ا ، ب ، ق : فلما تسيىء

(80) د : بإحسانها

(81) إضافة من مروج ليستقيم المعني

(82) ا : وسيفك

(83) ج : دماء رعيتك

(84) ج : بآمان العرب والكف عن قتلهم

(85) د : قتلهم وأذاهم

(86) مروج ج 1 ص 297 — 298

الباب السابع

في التدبير والرأي والمشاورة والمذاكرة وما يلحق بذلك

قال بعض الحكماء : إصابة التدبير يوجب بقاء النعمة ، وصلاح التدبير في الاحتراس من ثلاثة أسباب :

أحدهما : أن يكثر الشركاء فيه ، فإذا كان كذلك ، انتشر التدبير ، وبطل .

الثاني : أن يكون الشركاء في التدبير متحاسدين متنافسين فيه ، فيدخله الهوى والبغي ، فيفسد .

الثالث : يملك التدبير من غلب عن الأمر المدبر دون من باشره وشاهده . ولذلك كتب المهلب إلى الحجاج ، حين كتب إليه يستعجله في حرب[1] الأزارقة : إن من البلية أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ، فإن كان كذلك ، دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الفرص[2] . ثم تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الخبر ، وتدبير المبصرات مؤسس على يقين النظر[3] .

في منثور الحكم : من نظر إلى السير ، سلم من الغير[4] .

وقالوا : السعيد من تصفح أفعال[5] غيره ، فاقتدى بأحسنها .

وقال بعض الحكماء : من كثر اعتباره ، قل عثاره[6] .

---

(1) قتال

(2) د : التفرس ا ، ب ، الفرض السلوانات : الغرض .

(3) ورد النص في السلوانات مع اختلاف ص 16 ، وورد نص كتاب المهلب إلى الحجاج في السراج ص 79 من الباب العشرين ، كما ورد مع بعض الاختلاف في التعبير ص 175 من نفس المصدر الباب 61 . وورد أيضا في عيون الأخبار ج 1 ص 31 .

(4) وردت هذه النصوص في الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 156 — 157 .

(5) ج : أحوال .

(6) نهاية الارب السفر 6 ص 69 وفي العقد ج 1 ص 33 وبدائع السلك

وقال رسول الله ﷺ : « السعيد من وعظ بغيره » .

وتجب الاستخارة عند الأخذ في الأمور . فبذلك جاءت السنة ، وعليه درج الخلفاء الراشدون .

وفي الشهاب : ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار .

قال الله لنبيه المؤيد بوحيه ﷺ : « وشاورهم في الأمر[7] » .

فقال الحسن البصري (في تأويل هذه[8] الآية) بمشاورتهم ، وهو غني عنها . ليستن بذلك المؤمنون ، فالمشورة[9] واجبة على كل ذي حزم ، متعينة على كل ذي عقل[10] [11] .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه[12] .

وقال بعض الحكماء الصالحين[13] : المشورة مع السداد والسخافة مع الاستبداد[11] .

وقال بطليموس : من آثر المشورة ، لم يعدم عند الصواب مادحا ، وعند الخطأ عاذرا[14]

وفي الحكم المرفوعة[15] : المستشير على طرف النجاح[16] . والمستبد تلعب به

(7) آية 159 البقرة (3)

(8) زيادة من الذخائر والأعلاق .

(9) د : فالمشاورة

(10) الذخائر : لب

(11) وردت هذه النصوص في الذخائر والاعلاق ص 156 — 157 .

(12) ورد النص في التمثيل والمحاضرة ص 147 بدون سند وفي بدائع السلك ج 1 ص 305 مسندا إلى علي ، وورد في نهاية الارب السفر 6 ص 69 على الصورة التالية « وقالوا من استغنى برأيه فقد خاطر نفسه . » وورد في الذخائر والاعلاق على الصورة التي أورده بها ابن رضوان . وورد في سياسة المرادي هكذا : والحكماء تقول : خاطر من استغنى برأيه .

(13) « الصالحين » زيادة من د فقط ، ولم ترد في الذخائر .

(14) ج : غادرا

(15) د : المنثورة

(16) الذخائر : الجناح : وقد وردت هذه العبارة في التمثيل والمحاضرة ص 147 — 148 بدون سند .

الرياح[17] [11]

المشاورة لقاح العقول ، ورائد الصواب[11] [18] .

ومن شاور عاقلا ، أخذ نصف عقله[19] .

قال بعض العلماء : حق على العاقل الحازم أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء ، فإذا فعل آمن من عثاره ، ووصل إلى اختياره[11] .

وفي التمثيل والمحاضرة لأبي منصور : المشاورة قبل[20] المساورة[21] .

أرسطاطاليس (يا إسكندر[22]) لا تقدم أمرا ، ولا تؤخره إلا بعد مشورة وزيرك ، فلم[23] تزل الأوائل[24] تقول : المشورة رأس الهداية .

في البهجة لأبي عمر : وقال رسول الله ﷺ : ما تشاور قوم إلا هداهم الله لأرشد أمورهم[25] .

وكان يقال : من اجتهد[26] رأيه ، وشاور صديقه ، قضي ما عليه .

كان يقال : أمران جليلان : لا يصلح أحدهما إلا بالتفرد (والاستبداد[27]) ، ولا يصلح الآخر إلا بالتعاون[28] وهما[29] الملك والرأي ، فإن استقام الملك بالشركاء ، استقام الرأي بالاستبداد وهذا لا يكون أبدا[30] .

---

(17) د : الرماح

(18) التمثيل والمحاضرة ص 418 .

(19) ورد النص في التمثيل والمحاضرة كالآتي : إذا شاورت العاقل صار نصف عقله لك ص 417 .

(20) « خاطر من استغنى برأيه » وهو قول ورد في الذخائر والأعلاق منسوبا إلى علي بن أبي طالب ص 156 — بدل — « المشاورة قبل المساورة » .

(21) التمثيل والمحاضرة : ص 417 .

(22) سياسة أرسطو : ص 132

(23) د : فلا

(24) سياسة أرسطو : الحكماء

(25) نقل النص من البهجة ج 2 ص 449 .

(26) م ، ا ، ب ، ج ، ك ، ق : أجهد

(27) زيادة من سراج

(28) سراج : المشاركة — الفخرى : بالاشتراك .

(29) الفخرى : فأما الذي يصلح إلا بالانفراد فالملك متى وقع فيه الاشتراك فسد ، وأما الذي لا يصلح إلا بالاشتراك فالرأي متى وقع فيه الاشتراك وثق فيه الصواب .

(30) ورد النص في سراج الملوك ص 48 باب 9 مع اختلاف بسيط في التعبير كما ورد في الفخرى في الآداب =

كان يقال : من أعطَى أربعا لم يمنع أربعا : من أعطى الشكر ، لم يمنع من المزيد[31] ، ومن أعطى التوبة ، لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة ، لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة ، لم يمنع الصواب[32] .

قالوا[33] : ويحتاج إلى المشاورة[34] أمور أربعة :

أحدها : تقصير المستشير عن معرفة التدبير.

والثاني : خوفه من الخطأ[35] في التقدير[36] وإن لم يكن من أهل التقصير.

والثالث : أن الفطن النحرير ربما سترت[37] عليه المحبة[38]

والبغضاء[39] وجوه الرأي ، والروية فإنهما[40] يعدلان بالفكر عن الإصابة ، فيحتاج إلى مشورة من رأيه صاف من تكدير[41] الهوَى مبصر[42] بوجوه[43] الآراء .

والرابع : أن المستشار ربما كان في الفعل شريكا، أو عليه معينا. فتكون مشورته داعية إلى استئلافه[44] وإغراء[45] لمعونته. إذا كان الفعل إنما يفعل برأيه،

= السلطانية والدول الإسلامية بيروت 1966 تأليف ابن الطقطقا ، أما مرجع ابن رضوان فهو البهجة ج 1 ص 453 .

(31) ج ، د ، السراج ، عيون الأخبار : محذوفة .

(32) (عيون الأخبار ج 1 ص 31 والسراج — ص 78 — 79 مسندا إلى علي بن أبي طالب وبدائع السلك النسخة التونسية)

(33) ورد النص في سياسة المرادي كالآتي : والمشورة يحتاج إليها لأوجه أربعة .

(34) د ، ج ، سياسة المرادي : المشورة .

(35) سياسة المرادي : الغلط

(36) د : التدبير سياسة المرادي : التقدير

(37) ا ، ب ، سياسة المرادي : ستر

(38) سياسة المرادي : والبغضة

(40) د : ولأنها — سياسة المرادي : فإنهما

(41) سياسة المرادي : كدر

(42) ا ، ب ، ج ، ك : مبصرا — المرادي : مبصر

(43) د ، سياسة المرادي : لوجوه

(44) أ ، ب ، سياسة المرادي : استلافة ، ك : استلابه .

(45) أ ، ب ، ج ، د : وأعزاء لما في معونته — سياسة المرادي : وإغراء له في معونته .

(46) ق : إذ أن ، سياسة المرادي : أن وفي نسخة ق : إذا

وقد قيل ربما أخطأ العاقل رشده ، وأصاب الأعمى قصده[47] .

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : الأمور ثلاثة : أمر استبان رشده ، فاتبعه وأمر استبان ضده ، فاجتنبه ، وأمر أشكل ، فرده إلى الله عز وجل[48] .

وفي السلوانات : إذا التبست المصادر ، ففوض الأمر إلى القادر .

إن من الدلالة على أن الإنسان مصرف[49] مغلوب ، ومدبر مربوب ، أن يتبلد[50] رأيه في بعض الخطوب ، ويعمى عليه الصواب المطلوب .

قيل إن الحجاج كان إذا تعارضت آراؤه في خطب من الخطوب أنشد :

دعها سماوية تجري على قدر   لا تفسدنها برأي منك منكوس[51]

ابن ظفر :

أيا من يعول في المشكلات   على ما رآه[52] وما دبره
إذا أشكل[53] الأمر فابرأ به[54]   إلى من يرى منه ما لم تره
تكن بين عطف يقيك المخوف[55]   ولطف يهون ما قدره
إذا كنت تجهل عقبى الأمور   ومالك حول ولا مقدره
فلم ذا العنا وعلام الأسى   وفيم الحذار وفيم الشره[56]

قالوا : ويستعين الملك بمشورة أهل العقول . ويستمد[57] بآراء[58] ذوي

(47) سياسة المرادي ص 10 — 11
(48) الذخائر والأعلاق ص 156 .
(49) ق : متصرف وفي السلوانات : مصروف
(50) ق : يتبدل
(51) وردت هذه النصوص في السلوانات مع بعض التغيير والزيادات ص 9
(52) السلوانات : يراه ، ك : رواه
(53) ك : استشكل
(54) د : فألجأ به — السلوانات : فأبدأ به
(55) في جميع النسخ : يقلبك ، وفي السلوانات : يقيك . وفضلنا قراءة هذه الأخيرة
(56) السلوانات ص 9
(57) د : يستمد — محذوفة — الذخائر : وأن يستمد
(58) د : وآراء

الحكمة[59] والتجارب[60] من الشبان والكهول . فذلك[61] أحمد للرأي ، وأنجح للسعي ، وقال بشار بن برد في ذلك[62] :

إذا بلغ الرأي المشورة فآستعن   برأي نصيح أو نصيحة[63] حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   مكان الخوافي قوة للقوادم[64]
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن   نؤوما فإن الحزم ليس بنائم[65]

ابن المقفع : اعرف أهل الدين والمروءة في كل قرية وكورة وقبيلة ، فليكونوا إخوانك وأعوانك وثقاتك ، وبطانتك ، ولا يقذفن في روعك[66] أنك إن استشرت[67] الرجال ، ظهرت منك للناس الحاجة ، إلى رأي غيرك ، فإنك لست تريد الرأي للفخر[68] به ، ولكن إنما تريده للانتفاع به ولو أنك مع ذلك أردت الذكر ، لكان أحسن الذكرين ، وأفضلها عند أهل العقل إن يقال : لا ينفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي[69] .

وكان يقال : من كثرت استشارته ، حمدت إمارته[70] .

---

(59) الذخائر : الحنكة

(60) ق : والتجريب

(61) الذخائر : فذاك

(62) زيادة من د : « في ذلك » وزيادة أيضا في الذخائر .

(63) د : مشورة ، ونهاية الأرب وعيون الأخبار : نصيحة — البهجة : نصاحة

(64) عيون الأنباء : رافدات القوارم وهو خطأ وورد الشطر في البهجة كالآتي : فإن الخوافي رافد للقوادم وقد ورد البيتان الأولان في البهجة ج 1 ص 451 .

(65) عيون الأخبار جـ 1 ص 32 وفي نهاية الارب السفر 6 ص 71 — وبدائع السلك ص 160 ، ومن المرجح أن ابن رضوان أخذ النص من الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 156 — 157. ديوان بشار بن برد ج 4 ص 172 (شرح محمد الطاهر بن عاشور 1966 — مطبعة لجنة الترجمة والتأليف بالنشر بالقاهرة ، وفي زهر الآداب للحصري :

إذا بلغ الرأي المشورة فآستعن   بعزم نصيح أو مشورة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة   فإن الخوافي قوة للقوادم

ج 2 ص 124

(66) ك : ورعك

(67) ج : إذا

(68) الأدب الكبير : للافتخار به .

(69) الأدب الكبير ص 106 مع اختلاف يسير

(70) السراج ص 87 .

قال ابن حزم : إذا نزلت بالملك معضلة، ليس عنده فيها يقين، شاور من أصحابه وولاة جنوده[71] من يرجو عنده فرجا من ذلك. ويشاور في الحروب أهل الحروب وسياستها ، ويسأل عن كل علم أربابه : ولا يتكل على رأي أحد ، ولا يطلعهم على ما يختاره من رأيهم ، فإذا[72] انقضى ما عندهم ، أنفذ ما رآه بما سمع منهم ، أو من رأى نفسه ، إن رآه صلاحا ، ويجب أن يختار[73] لها أهل الدين وأرباب العقل الرصين[74] وفي ذلك يقول بعض الحكماء[75] : من استشار أهل العقول[76] ، أدرك المأمول[77] .

قالوا : ولا عذر لأحد في ترك المشورة ، وإن كان من أهل العقل والرشاد . وذوي الرأي والسداد . فإن المشاور قد يكون له في بعض الأمر هوًى ولبعض الوجوه ميل ، فلربما جنح إلى هواه[78] ، ومال[79] إلى غرضه ، والمشاور[80] إنما يعطي[81] لباب عقله ، وصفو رأيه وخالص نظره .

قال الزهري : كان مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه مغتصا[82] من العلماء والقراء كهولا وشبانا ، وربما استشارهم ، فكان يقول : لا تمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه ، فإن الرأي ليس على حداثة السن ولا على قدمه ، ولكنه أمر يضعه الله حيث يشاء .

---

(71) ق : أمره ، ج : جنده
(72) د : وإذا
(73) ق : تخير
(74) د : المرضيين وفي الذخائر أيضا : المرضيين
(75) بعض الحكماء محذوفة في ج
(76) ج : ذوي
(77) ورد نص ابن حزم عن كتابه السياسة المفقودة وأيضا في كتاب السلك ج 1 ص 308 . وورد جزء منه في الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 157 : من (يختار أو ينتخب أهل الدين حتى آخر النص المأمول) .
(78) د : إلى أهل هواه
(79) الذخائر والأعلاق : ميله
(80) الذخائر والأعلاق : والمستشار
(81) الذخائر والأعلاق : يعطيه
(82) ق : مغتظا ، د : يحضره العلماء .

وكانت الحكماء تقول : عليكم بآراء الأحداث ، ومشورة الشبان[83] ، فإن لهم أذهانا تفل الفواصل ، وتحطم الذوابل[84] .

ومن أقوالهم : آراء الشباب خضرة نضرة ، لم يهتصر غصنها هرم ، ولا أذوى زهرتها قدم ، ولا خمد من ذكائها بطول المدة ضرم ، ولا محالة إن لكل طائفة من الفريقين حظا مقسوما من العقل[85] ونصيبا معلوما من الفضل (ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم[86] » .

واعلم أن المستشار في الأمور يجب امتحانه بالاختبار[87] حتى يخلص من الأوصاف التي تخل بالنصيحة ، ولا تودي مستشيره إلى النقيصة ، وهو[88] أن يكون عاقلا فطنا فإن[89] الأحمق الجاهل إذا استشرته زاد في لبسك ، وأدخل عليك التخليط في رأيك، ولم يقم بحقيق[90] نصحك[91] .

ومنها[92] أن يكون محبا مصافيا[93] ، فإنه إذا كان كذلك ، أمنت من غشه وآجتهد لك في نصحه[94] ، ونظر[95] في أمرك بجميع أجزاء قلبه ولا يستشار العدو إلا في موضع واحد ، وهو أن يكون صلاح الرأي بصلاحه ، وفساده بفساده[96] ، كعدوين يكونان في سفينة مثلا ، يستشير أحدهما الثاني في صلاحها ونجاتها ، ومن هلاكها[97] [98] .

---

(83) ق ، د : الشباب
(84) نهاية الارب السفر 6 ص 75
(85) نهاية الارب ، السفر 6 ص 75
(86) آية 54 المائدة 5
(87) أ ، ب ، ج ، ق : بالأخبار
(88) ا ، ب ، ج : وهي
(89) د : قالوا
(90) ق : ولم يقم بتحقيق رأيك بك نصحك — ويتفق المرادي مع القراءة المختارة أعلاه .
(91) ورد نفس النص في مخطوط السياسة للمرادي ص 12 .
(92) سياسة المرادي : ومنه
(93) محبا مداويا مصافيا ، وتفق القراءة المختارة أعلاه مع سياسة المرادي
(94) ك : نصحك
(95) ج : « لك » بدل : في أمرك ، ك : ونطق في أمرك
(96) نفس النص ورد في سياسة المرادي لكن ليس بنفس الترتيب ص 13
(97) سياسة المرادي : هلاكها
(98) سياسة المرادي ص 12

واحترز أن يكون في عقبَى إرشاده[99] شيء من أمرك ، فإنه إذا اطلع على رأيك[100] بعض أصدقائه أو غيرهم من جلسائه ، وأخبر كل صديق صديقه وفاه كل جليسه حتَّى يصل أمرك[101] إلى عدوك ، ويتصل رأيك[103] بأهل بغضك فيبغون الغوائل[105] ويفسدون[106] الرأي[107] قبل إحكامه[108] .

ومنها : أن يكون المستشار لا يؤدي نصحك[109] إلى ضره ، ولا إلى ضر أحد من إخوانه ، فإنه إن أدى نصحك إلى ضره وإلى نقص[110] شيء من أمره ، لم يفضلك على نفسه ولم يخصك بنصحه . وكذلك إذا كان كذلك مضرا بإخوانه[111] .

ومنها ألا يكون[112] المستشار حاسدا ، فإن الحسد يبعث أهل المحبة على البغضة ، وأهل الولاية[113] على البعد والفرقة ، فحينئذ يتعمد ضرك بجميع الوجوه التي تتقيها على نفسك ويكون داعية إلى فساد رأيك[114] وكان الملوك[115] الأوَّل[116] إذا هموا بمشاورة رجل ، بعثوا إليه بقوته وقوت عياله لسنته ،

---

(99) زيادة من ك : ومن سياسة المرادي إرشاد شيء يخصك بفساده ومنها أن يكون كاتما لسرك غير مطلع لأحد من إخوانه على شيء من أمرك ، فإنه إذا طلع... (أنظر أيضا بدائع السالك ج 1 ص 310) .

(100) ج : على رأيك ـــ محذوفة د : على ذلك ـــ القراءة المختارة متفقة مع ما ورد في سياسة المرادي .

(101) ك : جلسائهم : القراءة المختارة متفقة مع المرادي

(102) د : الأمر

(103) سياسة المرادي : رأيه .

(104) المرادي : فيبغونك .

(105) زيادة في سياسة المرادي : الغوائل وينصبون تلك الحبائل . فيفسد أمرك.....

(106) د : فيفسدون ، المرادي فيفسد

(107) سياسة المرادي : أمرك

(108) ورد النص في سياسة المرادي ص 13

(109) أ ، ب ، د : نصيحتك .

(110) سياسة المرادي : نقصان

(111) زيادة في سياسة المرادي : بإخوانه... « فإنك لا تدري لعل مودة صاحبه آثر عنده من مودتك ، ونصيحته بغشك أولى في رأيه من نصيحتك »

(112) أ ، ب ، ج : أن ـــ ك ، سياسة المرادي : أن لا

(113) د : الولاء : القراءة المختارة متفقة مع سياسة المرادي .

(114) ورد النص في سياسة المرادي ص 14 أنظر أيضا بدائع السلك ج 1 ص 312

(115) ق : الملك

(116) د : الأولون

ليتفرغ[117] لبه[118] .

المبرد قال : كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قد رتبهم[119] لمشورته فقصروا في الرأي ، دعا الذين وكلهم بأرزاقهم[120] فعاقبهم ، فيقولون : يخطىء أهل مشورتك وتعاقبنا نحن ، فيقول : نعم (إنهم[121]) لم يخطئوا إلا لتعلق[122] قلوبهم بأرزاقهم ، فإذا آهتموا بحاجتهم أخطأوا[123] .

في وصية بعض ملوك الفرس لإبنه : عليك بالمشاورة ، فإنك واحد من الرجال ، وشاور من يفصح عن المستكن ويوضع المشكل ، ولا يدع في عدوك فرصة إلا انتهزها[124] ، ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها . ولا يمنعك حسن رأيك في ظنك ولا علو[125] مكانك في نفسك[126] من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك[127] ، فإن وافق رأيك رأي غيرك ازداد رأيك عندك شدة ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، وفهمك ، فإن كان معينا على ما رأيت قبلت ، وإن كان متضعا استغنيت[128] .

في سير الفرس أن ملكا من ملوكهم استشار وزراءه في سر عظيم كانت عليه أعمدة ملكه متوركة ، فقال أحدهم : لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدا في مهم من أموره وعظيم من شؤونه ، إلا خاليا به[129] فإنه أموت للسر وأحزم للرأي ، وأجدر بالسلامة ، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض . فإن إفشاء السر إلى واحد أخلص

---

(117) ك : ليفرغ

(118) سراج ص 79

(119) د ، ج : رتب

(120) البهجة : في أرزاقهم

(121) كلمة « أنهم » ساقطة في كل المخطوطات ما عدا مخطوطة ك

(122) البهجة : بتعلق

(123) ورد النص في السراج ص 79 وفي البهجة ج 1 ص 338

(124) د : إغتنها

(125) د : علومك ك : علومك في نفسك

(126) زيادة في سراج

(127) وردت كلمة ــ رأي ــ في ج فقط

(128) ورد النص في السراج ص 77 وكذلك في عيون الأخبار ج 1 ص 30 ونص عيون الأخبار يختلف في كثير من ألفاظه من نص ابن رضوان . ثم ورد في بدائع السلك نص مماثل لما أورده ابن رضوان في الشهب (أنظر ج 1 ص 308)

(129) زيادة من العقد وعيون الأخبار والفخرى

له وأكمل[130] .

قال بهيم[131] اليوناني : يزداد الملك الحازم برأي وزرائه ، كما يزداد البحر بمواده[132] من الأنهار[133] .

قيل لهرمس : لم كان رأي المستشار أفضل من رأي المستشير . فقال[134] : لأن رأي المستشار معرى من الهوى[135] قال أرسطاطاليس : إذا صح الرأي مع المستشار[136] ، فلا يعجل إنفاذه[137] ، واتركه يختمر يوما وليلة إلا فيما تخاف فوته ، فاستخر الله وعجله[138] .

قيل : ولما[139] كان أمضى السيوف ما بولغ[140] في إرهاف[141] حده ، وأجيد صقله ، كان أرجح[142] الآراء ، ما كثر امتحانه وأطيل تأمله[143] .

وكان يقال : كل رأي لم تتمخض فيه الفكرة ليلة كاملة ، فهو مولود لغير تمام .

في كتاب محاسن البلاغة للتدميري : في الروية تبيان الرأي وفي تبيان الرأي نضج الاعتزام .

---

(130) ورد النص في السراج ص 79 من الباب 27 ومصدرهما التاج كما ورد النص في العقد مستندا على التاج جـ 1 ص 35 وورد أيضا في سياسة أرسطو ص 136 وفي الفخرى ص 61 وورد أيضا في عيون الأخبار جـ 1 ص 27 مستندا على التاج .

(131) ق : إبراهيم

(132) في م ، ب ، ج ، ق : بواده وفي ك : لمواده وكذلك في سياسة أرسطو

(133) ورد هذا النص في السراج ص 78 كما ورد في عيون الأخبار ج 1 ص 27 كما ورد في سياسة أرسطو ص 136 والأدب الصغير لابن المقفع ص 846

(134) د : قال

(135) سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ج 1 ص 134

(136) د : المستشير

(137) د : بانفاده

(138) ورد في سياسة أرسطو نص شبيه بهذا المعنى كما ورد نفس النص في بدائع السلك ج 1 ص 305

(139) د : ولذا

(140) السلوانات : بولغ ـــ ق : بالغ

(141) ق : إرهافه

(142) ج ، ك : كان أنجح ـــ د ، والسلوانات : وأنجح

(143) السلوانات ص 16

وفيه : الغبطة نتاج الروية ، والندامة نتاج للعجلة[144]

قال رسول الله ﷺ : من نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تواضعا ، عزم له على الرشد[145]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز[146] وجل .

وقيل لرجل من بني عبس[147] : ما أكثر صوابكم قال : نحن ألف وفينا حازم واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا[148] ألف حازم[149]

وكان يقال : بإجالة الفكرة ، يستدر الرأي للمصيب[150]

ومر حارثة بن بدر بالأحنف بن[151] قيس فقال : لولا أنك عجلان ، لشاورتك في بعض الأمور[152] .

فقال : يا حارثة ، أجل كانوا لا يشاورون ، جائعا حتى[153] يشبع ولا عطشانا[154] حتى ينقع[155] ، ولا أسيرا[156] حتى يطلق ولا مضلا[157] حتى

---

(144) د ، ج : العجلة

(145) نقل الحديث من بهجة المجالس ج 1 ص 449 وقد جاء ما يشبه ذلك في بدائع السلك قال رسول الله ﷺ : من أراد أمرا فشاور فيه أمرءا مسلما وفقه الله لارشد أموره ـــ.........

(146) نقل ابن رضوان النص من بهجة المجالس ج 1 ص 449 .
وقد استعمل ابن الأزرق في بدائع السلك هذا النص ج 1 ص 309 .

(147) زيادة من عيون الأخبار . والذخائر والاعلاق

(148) الذخائر والسراج ، عيون الأخبار : فكأنا

(149) ورد النص في العقد الفريد ج 1 ص 34 وعيون الأخبار جـ 1 ص 32ـــ 33 والسراج ص 79 ونهاية الارب السفر 6 ص 70 والذخائر والاعلاق ص 157 وبهجة المجالس ج 1 ص 449 .

(150) البهجة ج 1 ص 450

(151) البهجة : زيد

(152) ق ، د ، ج .والبهجة : الأمر

(153) أ ، ب ، د ، ق : الجائع وفي البهجة أيضا الجائع

(154) ق : والعطشان ، البهجة : والعطشان .

(155) د : يروى

(156) ق ، د ، الفخرى ، البهجة : والأسير

(157) ق ، د ، الفخرى : والضال ، البهجة : والمعضل

يهدى[158] ولا راغبا[159] حتى يمنح[160].

ابن المقفع : ثلاثة لا رأي لهم ، صاحب الخف الضيق ، وحاقن[161] البول : وصاحب المرأة السليطة[162].

وكان يقال : إستشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقي على رأيه[163] الزلل ، كما يتقي الورع على دينه[164] الجرح[165].

وكان يقال : لا تدخل في رأيك بخيلا ، فيقصر فعلك ، ولا جبانا ، فيخوفك ما لا يخاف[166] ، ولا حريصا فيعدك ما لا يرجى[167].

وقال النبي ﷺ : الحزم في مشاورة ذوي الرأي والنصيحة[168] فإنه لا يكتفي برأي من لا ينصح ، ولا ينصح من لا رأي له.

وقال الأحنف : اضربوا الرأي بعضه ببعض ، يتولد منه الصواب ، وتجنبوا منه شدة الحزم ، واتهموا عقولكم ، فإن في تصديقها نتاج الخطأ وذم العاقبة[169].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الرأي الفرد كالخيط السحيل[170] ،

---

(158) ق : يجد ، الفخرى : يهتدي ، البهجة : يجد

(159) ق ، البهجة : والراغب

(160) ورد النص في الفخرى ص 67 مع زيادة وقد نقله ابن رضوان من البهجة 1 ص 449 — 450

(161) د : وحابس

(162) بهجة المجالس ج 1 ص 450.

(163) زيادة من البهجة

(164) في ج وفي البهجة : الجرح ، وفي باقي النسخ الحرج.

(165) ورد النص في بهجة المجالس ج 1 ص 450.

(166) البهجة : تخاف

(167) نقل ابن رضوان هذا النص من بهجة المجالس ج 1 ص 451 وقد ورد في نهاية الارب مع اختلاف في بعض الألفاظ السفر 6 ص 77 كما ورد في الفخرى في الاداب السلطانية والدول الإسلامي كالتالي : كتب قباذ الملك لابنه كسرى من جملته : يا بني لا تدخل في مشورتك بخيلا فإنه بقصر بك عن غاية الفضل ولا جبانا فإنه يضيق عليك الأمور عند انتهاز الفرصة. الفخرى ص 65

(168) في البهجة ج 1 ص 451 : قال النبي.... الحزم ، في مشاورة ذوي الرأي وطاعتهم »

(169) ورد في السراج نص بهذا المعنى منسوبا إلى بزرجمهر وهو كالآتي : « الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل ، ثم يضرب بعضها ببعض ، حتى يخلص له الصواب » ص 78 وقد أخذ ابن رضوان النص من البهجة ج 1 ص 454

(170) د : المنحل

والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرار[171] لا تكاد تنتقض .

في البهجة لأبي عمر بن عبد البر قال بعض الحكماء : إنما يحتاج اللبيب ذو التجربة إلى المشاورة ، ليتجرد له رأيه من هواه[172] .

وفيها أيضا : أشد الأشياء تأييدا للعقل ، مشاورة العلماء ، والأناة في الأمور ، واعتبار التجارب ، وأشدها إضرارا بالعقل الاستبداد والتهاون والعجلة[173] .

قال يحيى بن أكثم : كان المامون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ، أدخلوا[174] دارا مفروشة ، وقيل[175] لهم : انزعوا أخفافكم[176] ، وأحضرت المائدة ، فقيل لهم : أصيبوا من الطعام والشراب ، وجددوا الوضوء ، ومن ضاق عليه خفه ، فلينزعه ، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها . فإذا فرغوا أوتوا بالمجامر[177] ، فبخروا وطيبوا ، ثم خرج ، فاستدناهم[178] وناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزال كذلك حتى تزول الشمس ، ثم تنصب[179] الموائد ثانيا فيطعمون وينصرفون[180] .

قلت[181] : وقوله أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، هو الصواب .

ولا ينبغي للملك عند المشاورة أن يترفع ، ولا أن يسلك سبيل الهيبة ، فإن

---

(171) أ : والثلاثة اراء كالثلاثة خيوط لا تكاد تنتقض ، ك : مرار وفي السراج : والثلاثة الاراء لا تكاد تنقطع وفي عيون الأخبار : كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرار لا تكاد تنتقض . وعلى الهامش في النسخة الألمانية : مرائر . وفي ب ، ج ، ق : مرر

(172) ورد هذا النص في بدائع السلك ج 1 ص 304 ، 305 ، ومرجع ابن رضوان هو البهجة ج 1 ص 809

(173) العقد جـ 1 ص 33 مع اختلاف

(174) د : أدخلهم

(175) ق : وقال

(176) ق : خفافكم

(177) د : بمجامر الطيب

(178) ق : فاستأذنهم

(179) د : توضع

(180) مروج الذهب ج 4 ص 314 — 315

(181) د ، ك : وقال المؤلف رحمه الله

ذلك يقصر اللسان المشير والناصح. وقد كان الملك العادل عظيم الهيبة، ومرض بعلة الخوانق، فأشار عليه الأطباء بالفصد فامتنع، ولم يراجع. فكان ذلك سبب موته[182].

ينبغي للمشير إذا كان النجاح عقب[183] إشارته أن لا يكثر من الافتخار برأيه، والاحتجاج على فساد رأي غيره، فإن ذلك من سيء[184] الأدب، وتقريع[185] الأصحاب ومذموم الإعجاب، قالوا وإذا[186] أشار عليك أحد برأي، وأفضى فيه[187] إلى الغلط، وزل[188] به عن الصواب، فلا تأخذن[189] في تأنيبه وتوبخيه، فإن الآراء ربما خفيت وجوهها، وغابت أسبابها. وليس كل الرأي مقطوعا على صوابه[190] وإذا لمته على غلطة مع تصحيح قصده، أدبته[191] وقطعت[192] غيره من النصاح عن نصحك[193].

قيل: وجميع ما يحتاج إليه الملك رأيان من أمر الدنيا، رأي يقوي به سلطانه، ورأي يزينه في الناس، ورأي القوة[194] أحقهما بالتبدية[195]، وأولاهما بالأثرة، ورأي التزين أحضرهما حلاوة وأكثرهما أعوانا، مع أن القوة من الزينة، والزينة من القوة. ولكن الأمور تنسب إلى أصولها.

---

(182) وفيات الأعيان ج 5 ص 187 وورد هذا النص بدائع السلك ج 1 ص 307

(183) د، ك: عقيب

(184) ق: سؤ

(185) ك: وتفريق

(186) سياسة المرادي: وإن

(187) سياسة المرادي: منه

(188) د: وزاع، ك: وزاغ — سياسة المرادي: في أحد النسخ: زل، وفي الأخرى زال

(189) فلا توتبه ولا توبخه — سياسة المرادي: فلا تأخذن

(190) زيادة في سياسة المرادي: «..... على صوابه، بل الآراء فيها ما هو مبني على غالب الظن، ومدرك صوابه بالوهم، فإذا لمته على غلطة، مع...»

(191) سياسة المرادي: آذيته

(192) زيادة من سياسة المرادي: «آذيته سوء أدبك وجازيته بالقبيح على مجاملتك، وقطعت غيره...»

(193) ورد النص في سياسة المرادي ص 17

(194) ج: التقوية أحقها

(195) د: بالتقدمة

(196) د: التزين

(197) د: تنتسب

الباب الثامن

في سيرة الملك مع خواصه وبطانته

قال صاحب التاج : من أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته حرصه على إحياء نفسه ، إذ كان بهم[1] نظام ملكه وبقاء عزه .

المرادي في سياسته : اجعل جلوسك للخاصة أبسط[2] منه للعامة ، والقهم بالتحية وأظهر لهم المودة ، وعاشرهم بلين الكلمة ، وترفيع المنزلة ، وتحفظ منهم[3] من السقط . واقسم بشرك بينهم[4] على أقدار[5] منازلهم ، ولا سيما في محافلهم ومجامعهم ، ولا تنقص الكريم من قدره ، فإن ذلك موجب لحقده ، ومشعر له أنك جاهل[6] بحقه ، ولا ترفع اللئيم فوق منزلته ، فإن ذلك موجب لتمرده . واعلم أن المنازل الرفيعة إذا أهلت[7] لها اللئام ، صغرت عند الكرام ، وحسبوا أنك لم ترفعهم إليها بالفضل . وإذا[8] أعطيتها لهم بالمصادفة ، يتهمون كرامتك[9] ، ويزهدون[10] في التوجه بالفضائل عندك ، ويزدرون[11] عقلك ورأيك[12] .

---

(1) أ ، ب ، ج ، فيهم ، ق : فهم
(2) في جميع النسخ منها — وفي سياسة المرادي : منه وهو الأصح
(3) في سياسة المرادي : معهم
(4) ق : إليهم
(5) د ، ج ، قدر
(6) في جميع النسخ حقه ، وفي سياسة المرادي : بحقه
(7) ك : أهل
(8) سياسة المرادي : وإنما
(9) سياسة المرادي : فتهون
(10) سياسة المرادي : ويزهد
(11) سياسة المرادي : ويزدري على —ك : ويزدرى
(12) ورد النص في مخطوط سياسة المرادي ص 176

وفي التاج : ينبغي للملك تعهد[13] بطانته وخاصته بجوائزهم وصلاتهم ، إن كانت مشاهرة فمشاهرة ، أو مسانهة فمسانهة . وأن يوكل بتذكر[14] صلاتهم ، ولا يحوجهم إلى رفع رقعة بإذكار أو تعرض ، فإن هذا ليس من أخلاق المتيقظ من الملوك[15] .

قال صاحب العقد : إن كسرى أنوشروان رفع إليه رجال من بطانته يشكون سوء حالهم ، فوقع : ما أنصفكم ، من إلى الشكية ، أحوجكم . ثم فرق فيهم ما أوسعهم[16] وما أغناهم[17] .

قال الجاحظ : وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلا ، بقي لهم ذكره ، فكان الملك منهم يقدر للرجل من خاصته وبطانته تقديرا وسطا بين السرف والقصد في مؤونته كلها وحوائجه . خاصها وعامها ، فإذا كان التقدير على هذه الصفة التي ذكرنا عشرة آلاف درهم في الشهر ، وكانت[18] للرجل ضيعة أمر أن يدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم لإنزاله ونفقاته وحوائجه . ويقول له الملك : إن الضيعة التي أفدتها هي مما تقدم من صلاتنا لك ، وقد تسلفنا شكر تلك النعمة منك ، وليس من العدل أن تكون في خدمتنا[19] ، وتكون نفقتك[20] من شيء أفدته من شكر يد تقدمت ، وخدمة قد تأكدت فليكن ما أثمرت ضيعتك ظهريا لنوائب الزمان ، وتخرم الأيام ، وحوادث المنون ، وليكن جميع مؤنك وكلفك[21] على حاضر أموالنا ، فكانت الطبقات على هذا النظام . فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه فيها بطلب درهم ولا غيره مستطيبا لزمانه ، مبتهجا بنعم ملكه ، مسرورا بما كفي من التذكار وسكون الحال[22] .

---

(13) ج : أن تفقد
(14) د ، ك : بتذكير
(15) ورد هذا النص في التاج ص 248
(16) ق : ما وسعهم وأغناهم
(17) ورد هذا النص في العقد الفريد ج 3 ص 42 .
(18) ك : وكان
(19) ا ، ب ، ج ، ق : خدمتك
(20) ك : وتكون مونة بنفسك
(21) ا ، ب ، ج ، ك : وكذلك وق : ومأكلك
(22) ورد هذا النص في التاج ص 249 — 250

قال صاحب التاج : وللملك مع بطانته وخواصه أحوال يساوونه فيها ضرورة ، ليس[23] فيها نقص على الملك ، ولا ضعة في الملك ، منها اللعب بالكرة ، وطلب الصيد[24] ، والرمي في الأغراض ، واللعب بالشطرنج ، وما[25] أشبه ذلك ولا يمنع الملك ملاعبه من النصفة وللملاعب المشاحة والمطالبة والمساواة والممانعة ، وترك الإغضاء والأخذ بالحق بأقصى حدوده ، غير أن ذلك لا يكون معه[26] بذاء[27] ولا رفث ولا معارضة تزيل حق الملك ، ولا صياح يعلو كلامه ، ولا تكثير ولا سب ولا قذف ، ولا ما هو خارج عن ميزان[28] العدل[29] .

وفيما يحكى عن سابور ذي الأكتاف ، أنه لاعب تربا له بالشطرنج على امرة[30] مطاعة ، فغلبه تربه . فقال له سابور : ما إمرتك[31] ؟ فقال له : أركبك ، حتى أخرج بك إلى باب العامة . فقال له سابور : بئس موضع الدالة[32] وضعتك ، فاطلب[33] غير هذا . قال : بهذا جرى لفظي ، فأسف لذلك سابور ، وقام فدعا ببرقع فتبرقع به ، ثم جثا لتربه ، فامتنع أن يعلو ظهر الملك إجلالا (له[34]) وإعظاما . فنادى سابور بعد ذلك في الرعية : لا يلعبن أحد على حكم غائب[35] .

قلت[36] : وفي معنى ذلك التحكيم في الأماني المطلقة ، ومن الحزم أن لا يفعل ، فإنه ربما أدى إلى ما لا يرضي الملك ، كما حكاه صاحب الجذوة وغيره ،

---

(23) ك : ليس فيها على الملك غضاضة ولا ضعة

(24) د : ورمى الغرض

(25) ج : وغير ذلك

(26) ك : فيه

(27) ك : قذاء

(28) ا ، ب ، ج : من

(29) ورد النص في التاج مع بعض الاختلاف في التعبير ص 136 ـــ 137

(30) ق : إمرأة

(31) ك : ما أمرت

(32) ج : المدلة

(33) د : وأطلب ـــ ك : أطلب

(34) زيادة من التاج

(35) اختلاف يسير مع نص التاج ص 137 ـــ 138

(36) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

من أن أبا علي الحسن[37] بن الأشكري المصري قال : كنت رجلا من جلاس الأمير تميم بن أبي تميم المعز ، وممن يخف عليه . قال : فأرسلني[38] إلى بغداد . فآبتعت[39] له جارية رائعة فائقة الغناء ، فلما وصلت إليه ، دعا جلساءه ، ثم[40] قال : وكنت فيهم ، ثم مدت الستارة ، وأمرها بالغناء فغنت :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه
صعب الذرى[41] متمنع أركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق
نظرا إليه وصده أشجانه[42]
فالنار ما آشتملت عليه ضلوعه
والماء ما سمحت به أجفانه

(قال ابن[43] الأشكري) فأحسنت الجارية ، ما شاءت ، فطرب الأمير تميم ، ومن حضر . ثم غنت :

يسليك عما فات دولة مفضل
أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه
على البر مذ شدت عليه مآزره

قال : فطرب الأمير تميم ، ومن حضر طربا شديدا . قال : ثم غنت أيضا :

استودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه[44]

(37) ج : الحسين

(38) في جميع النسخ : فارسل ، وفي جذوة المقتبس ووفيات الأعيان : فأرسلني وقد فضلنا قراءة الجذوة .

(39) د ، ج ، ك : فآبتيعت ، وفي أ ، ق : فابتعنا وفي الجذوة : فابتعنا ، وفي الجذوة : فابتعت .

(40) « ثم » وردت في ك فقط

(41) وفيات : . الذرا

(42) وفيات سبحانه

(43) زيادة من وفيات .

(44) أ ، ب ، ج ، د : مطالعه .

وهذا البيت من نظم محمد بن زريق الكاتب البغدادي في[45] قصيدة طويلة . فلما اشتد طرب الأمير تميم وأفرط جدا . قال لها : تمني ما شئت . فقالت : أتمنى عافية الأمير وسلامته ، فقال : والله لابد أن تتمنى ، فقالت : على الوفاء أيها الأمير بما[46] أتمنى ؟ فقال : نعم فقالت : أتمنى أن أغني بهذه النوبة ببغداد ، قال : فامتقع[47] لون الأمير وتغير وجهه ، وتكدر المجلس ، وقام وقمنا .

وقال ابن الأشكري : فلقيني بعض خدمه ، وقال لي : ارجع فالأمير يدعوك ، فرجعت[48] ، فوجدته جالسا ينتظرني فسلمت وقمت بين يديه . فقال : ويحك أرأيت ما امتحنا به ؟ فقلت : نعم أيها الأمير ، قال : لابد من الوفاء لها ، ولا أثق في هذا بغيرك ، فتأهب لتحملها إلى بغداد ، فإذا غنت هناك[49] ، فاصرفها . فقلت : سمعا وطاعة .

قال : ثم قمت وتأهبت ، وأمرها بالتأهب وسرت بها إلى العراق ، فلما وردنا القادسية أتتني خادمها . فقالت : تقول لك سيدتي أين نحن ؟ فقلت لها : نزول بالقادسية . فانصرفت إليها[50] وأخبرتها . فلم أنشب[51] أن سمعت صوتها، قد ارتفع بالغناء ، وغنت الأبيات المذكورة قال : فتصايح الناس من أقطار القافلة . أعيدي[52] بالله قال : فما سمع لها كلمة . قال : ثم نزلنا الياسرية[53] وبينها وبين بغداد خمسة أميال في بساتين متصلة ، ينزل الناس بها فيبيتون[54] ليلتهم ، ثم يبكرون لدخول بغداد ، فلما كان وقت[55] الصباح ، إذا بالخادم قد أتتني مذعورة فقلت : مالك ؟ فقالت : إن سيدتي ليست بحاضرة . فقلت : ويلك وأين هي ؟ قالت : والله ما أدري . قال : فلم أقف لها على أثر بعد ذلك ، ودخلت بغداد ،

---

(45) د : من

(46) بما محذوفة في أ ، ب ، ق

(47) في الجذوة : فانتقع

(48) ج : فرجعنا — في وفيات الأعيان : محذوفة

(49) د : هنالك

(50) د : فلما أنصرفت إليها ، أخبرتها بذلك

(51) د : ألبث

(52) ج : أعيني بالله ، أعيني بالله ، ك ، وفيات : أعيدي باض أعيدي بالله أعيدي

(53) د : السامرية ، ق : القادسية ، ك : الساسرية

(54) د : يبيتون

(55) د : من الغد

وانصرفت إلى الأمير تميم ، فأخبرته خبرها ، فعظم ذلك عليه ، واغتم له غما شديدا . ثم ما زال بعد ذلك ذاكرا لها ، واجما عليها[56] .

وفي نحو من ذلك يروى أن الملك الأشرف طرب ليلة في مجلس أنسه على بعض الملاهي ، فقال لصاحبه : تمن علي . فقال : تمنيت مدينة خلاط ، فأعطاه إياها ، وكان النائب بها الأمير حسام الدين المعروف بالحاجب ، فتوجه ذلك الشخص إليه ليتسلمها منه ، فعوضه الحاجب عنها جملة كبيرة من المال ، وصالحه[57] عنها وأمثال ذلك كثير .

رجع بنا[58] الكلام إلى مجاراة[59] الملك وملاعبته الشطرنج ، وشبه ذلك .

قال الجاحظ : وأما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في الأقسام المتقدمة بمعارضة شعر أو تنكيت بمثل أو نادر من الكلام وأخبار عن سوء لعب اللاعب[60] ، فهذا مما يخاطب به الملك ويعارض به ، فأما من خرج عن هذا ودخل في باب الجرأة ، كما فعل ترب سابور ، فهو خطأ من فاعله ، وجهل من قائله ، وجرأة على ملكه[61] .

قال صاحب التاج : ومن حق الملك ألا يشارك[62] بطانته وخاصته في مس طيب ولا مجمر ، فإن هذا أو شبهه[63] يرتفع الملك عن[64] مساواة أحد فيه[65] .

ومن حق الملك أن يتعاهد بطانته وخاصته بإصلاح الأمور ، وسد[66] الخلل[67] . فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها ، ومن خفض[68] العيش في

---

(56) الحميدي : جذوة المقتبس ص 66 — 67 والمطرب ص 62 ووفيات الأعيان جـ 5 ص 338 — 339
(57) أخذ ابن رضوان القصة من وفيات الأعيان جـ 5 ص 334 .
(58) ك : بالكلام
(59) د : مجاورات ، ج : مجارات
(60) ا ، ب ، د ، ق : اللعب — ك : من اللعب
(61) التاج ص 138 مع إختلاف
(62) جميع المخطوطات ما عدا د سقطت إلا ولا يستقيم المعنى إلا بها .
(63) ق ، د ، ج ، ك : وشبهه
(64) د : مشاورة
(65) ورد النص في التاج ص 138
(66) ك : وسداد
(67) ا ، ب ، ج ، ق ، ك : الخلات
(68) ك : وحفظ

أرفع خصائصه[69] ، ومن ذات اليد وادرار العطايا في أتم صفاتها ، ثم فتح أحد فاه ، فطلب[70] ما فوق هذه الدرجة ، فالذي جراه[71] على ذلك الشرة والمنافسة . ومن ظهرت منه[72] هاتان الخلتان[73] كان جديرا أن تنزع كفايته من يديه[74] وتصير بين يدي[75] غيره[76] .

قيل : ومن حق الملك الإبلاغ في مكافأة من ظهر له منه تعظيم لحقه ، وتحقق[77] خلوصه ونصحه ووفى له بواجب أدبه من خواصه . كما يحكى عن أنوشروان ، أنه سايره بعض خواصه ورجال مملكته . فقال له : حدثني عن أزدشير حين واقع ملك الخزر . وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة ، فاستعجم عليه وأفهمه[78] أنه لا يعرفه. فحدثه أنوشروان بالحديث فأصغى إليه الرجل بجوارحه كلها ، وكان مسيرهما على شاطىء نهر وترك الرجل لإقباله على حديثه النظر إلى موطىء[79] حافر دابته ، فزلت[80] إحدى[81] قوائم الدابة ، فمالت بالرجل إلى النهر ، فوقع في الماء ، ونفرت دابته ، وابتدرها[82] حاشية الملك وغلمانه ، فأزالوها عن الرجل ، وكذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه . فاغتم لذلك أنوشروان ، ونزل عن دابته ، وبسط له هنالك[83] ، فأقام حتى تغدى ،

(69) د : خصائصها
(70) د : بطلب
(71) ا ، ب : جرأهم
(72) د : فيه
(73) د : الخصلتان
(74) ج ، ك : يده
(75) د ، ج ، ك : بيد غيره
(76) ورد النص في التاج ص 96 .
(77) ج : وتحقيق
(78) ك : وأوهمة
(79) ج : موقع
(80) د : نزل
(81) ق : أحد
(82) ج : فابتدرها
(83) ج : هناك

ودعا بثياب من خاص[84] كسوته[85] ، فألقيت[86] على الرجل ، وأكل معه . وقال له : كيف أغفلت النظر إلى موطىء دابتك ؟ قال : أيها الملك إن الله تبارك وتعالى إذا أنعم على عبد بنعمة قابلها بمحنة وعارضها ببلية ، وعلى قدر النعم تكون المحن . وإن[87] الله أنعم علي بنعمتين عظيمتين : إقبال الملك علي بوجهه من بين هذا السواد الأعظم . وهذه فائدة[88] وتدبير هذه الحروب التي حدث فيها عن أزدشير ، حتى لو رحلت[89] إلى حيث تطلع الشمس منه أو تغرب فيه ، لكنت[90] رابحا . فلما اجتمعت لي نعمتان جليلتان في وقت ، قابلتهما هذه المحنة ، فلولا أساورة الملك وخدمه[91] كنت بمعرض الهلكة[92] ، وعلى ذلك فلو غرقت حتى أذهب[93] عن جديد الأرض ، كان قد أبقى لي الملك[94] ذكرا متلدا[95] ، مخلدا ما بقي الضياء والظلام[96] . فسر الملك ، وقال : ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه . وحشا فمه جوهرا ، ودرا رائعا ثمينا ، وآستبطنه حتى غلب على أكثر[97] أمره .

ونحو هذا حكي عن يزيد بن شجرة الرهاوي حين ساير معاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية يحدثه عن يوم خزاعة ، وبني مخزوم وقريش ، وكان هذا قبل الهجرة ، وكان يوما أشرف فيه الفريقان على الهلكة ، حتى جاءهم أبو سفيان ، فآرتفع ببعيره على رابية ، ثم أومأ بكميه إلى الفريقين جميعا ، فآنصرفوا[98] . قال : فبينما معاوية يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث ، إذ صك وجه يزيد حجر عابر فأدماه ،

---

(84) ق : خاصية

(85) ق : ملبسه

(86) ق : فألق

(87) ا ، ب ، ق : وكأن

(88) ق ، ك : فائدة وتدبير هذه الحرب ا ، ب ، ج ، ك : الفائدة وتدبير هذه الحرب

(89) ا ، ب : رحبت

(90) ق : ما كنت ربحا به ، ومروج الذهب وبقية المخطوطات : كنت رابحا : وهو الاصح

(91) ك : خدمته

(92) ا ، ب ، ج : يعرض الهلكة ، ق : معرض المهلكة

(93) د : ذهبت

(94) الملك — وردت في ك فقط

(95) ق : متولدا — ك : ملتذا

(96) ا ، ب ، د : انطباق الظلام

(97) ج : جميع

(98) د : فدخل بين الفريقين فانصرفوا جميعا

وجعلت[99] الدماء تسيل من وجهه على ثوبه ، فما مسح وجهه . فقال له معاوية : لله أنت ، أما ترى[100] ما نزل بك ؟ قال وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا دم (وجهك[101]) يسيل على ثوبك . قال : عليه عتق[102] ما يملك ، إن لم يكن حديث أمير المؤمنين الهاني ، حتى غمر[103] فكري وغطى على قلبي ، فما شعرت بشيء منه ، حتى نبهني أمير المؤمنين . فقال له معاوية : لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء ، وأخرجك من عطاء أبناء[104] المهاجرين ، وحماة أهل[105] صفين . فأمر له بخمسمائة ألف درهم وزاده[106] في عطائه ألف درهم ، وجعله بين جلده وثوبه[107] .

وحكى أبو محمد التجاني أن ابن الجلا البجائي كاتب الأمير أبي زكرياء استدعاه يوما ، ليكتب بين يديه شيئا ، وكانت على ابن الجلا جبة بيضاء رفيعة ، فتبدد الحبر عليها ، فحاول[108] إخفاء ذلك ، ولم يتعرض لإظهاره ولم يخف عن الأمير أبي زكرياء رحمه الله قصده ، فوجه إليه[109] بصلة سنية . وقال : إنما أمرنا له بها لإيثاره[110] للأدب وعدم تظاهره[111] بما جرى[112] له .

قال بعض العلماء : ومن تمام المروءة وكمال الفضيلة حسن الظن بالصاحب ، وتأول الخير[113] فيما[114] يظهر من التقصير ، إن ظهر ، والتماس العذر لذي

---

(99) د : فجعلت

(100) ج : ما ترى ، د : ألا ترى إلى

(101) زيادة من التاج

(102) د : على عتق ما أملك

(103) ا ، ب ، ك : عمر فكري د : خامر عقلي

(104) ق : أبناء الملوك المهاجرين

(105) التاج وكماة — ك وحملت

(106) د ، التاج ، المروج : بخمسمائة ألف درهم ، وزاده ، ا ، ب ،ج ، ق : بخمسمائة ألف وزاد .

(107) ورد النص في كتاب التاج ص 57 — 58 ، وفي مروج الذهب ج 4 ص 112 — 113

(108) ق : فحول إخفاء لأنك

(109) إليه ساقطة .

(110) ح : لايثار له للأدب

(111) في جميع النسخ — ماعدا — ك : تظهره

(112) ك : جرا

(113) ك : الخفي

(114) ك : مما

الهفوة ، فقد يغلب المرء على طباعه ، ويخرجه الاضطرار عن حد اعتداله ، لاسيما لمن قد[115] حمدت سيرته ، وظهرت سريرته ، فمثل هذا لا تعتبر هفوته ، ولا توحش نبوته ، والله عز وجل يقول : فاعف عنهم ، واصفح إن الله يحب المحسنين . والصفح والعفو إنما يكونان[116] مع الذنب .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تظن بكلمة خرجت من امرىء مسلم شرا ، وأنت تجد لها في الخير مسلكا[117] .

وقال الحسن[118] رضي الله عنه : يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه ، وبدت[119] عليه أدلته ، وليس[120] ينبغي أن يطلق القول فيه هكذا ، فإن الظن يكذب كثيرا .

وقد قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث[121] » .

قال ابن المقفع : لا يلومن[122] السلطان على الزلة من ليس بمتهم في الحرص على رضاه إلا لوم أدب ، وتقويم رأي[123] ، ولا يعدلن بالمجتهد في رضاه والبصير بما يأتي به[124] أحد فإنهما[125] إذا اجتمعا في الوزير والصاحب ، نام الملك واستراح ، وجلبت[126] إليه حاجته . وإن لهي عنها ، وعمل له فيما يهمه . وإن غفل عنه ، لم يغفل له .

الصابي : الملك بمن غلط من أصحابه ، فاتعظ ، أشد انتفاعا بمن لم يغلط ،

---

(115) د : قد ـــ ساقطة

(116) أ ، ب ، ج : يكون

(117) ورد النص في البهجة ج 1 ص 426 مع اختلاف في اللفظ

(118) ق : الحسين

(119) ج : ووجدت

(120) د : ولا

(121) ورد الحديث في البهجة ج 1 ص 426

(122) د : لا يلوم

(123) د : وتقديم ، ك : وتقدم

(124) « به » : وردت في ك فقط

(125) ا ، ب ، ج ، ق : أحدا

(126) ج : وأجلبت

ولم يتعظ[127] ، لأن الأول كالقارح[128] الذي أدبته الغرة ، وأصلحته الندامة . والثاني ، كالجذع الذي هو راكب للغرة ، راكن إلى السلامة .

والعرب تزعم أن الكسر إذا جبر ، كان صاحبه أشد بطشا وأقوى يدا .

أرسطاطاليس في مخاطبته[129] الإسكندر : ولا تخلي[130] خاصتك ووجوه رجالك من الأكل معهم والتأنس بهم ، ولا تكثر من ذلك . وليكن مرتين أو ثلاثا في العام . ومما يجب أن تستعمله معهم ترفيع من يجب[131] ترفيعه ، وإنزالهم في مراتبهم والتحبب إليهم والثناء عليهم في وجوههم وقصدهم بالبشر[132] والتحية واحدا بعد واحد ، وخلع الكسوة عليهم أو على من أمكن منهم . وإن كان مما يخلعه الملك عن نفسه[133] ، قصدا لذلك ، كان أتم في المنحة[134] ، وأوكد في المحبة[135] : ثم لا يزال يفعل ذلك بمن بقي منهم في غير تلك[136] المرة ، حتى يأتي[137] على آخرهم[138] .

سأل الإسكندر رجلا من خاصته أن يحكم بينهما فقال : الحكم يرضي أحدكما ، ويسخط الآخر ، فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا .

قالوا : ومن أخلاق الملك إذا لاعبه أحد بصولجان أو غيره ، فأثر في ثوب الملك أثرا ، أن يهبه للجاني دون غيره .

ومن ممازحة الخاصة ما حكاه أبو محمد التجاني قال : كان أبو عبد الله محمد

---

(127) ج : يغلط

(128) ق : كاللقاح

(129) ق : مخاطبة

(130) ق : لا تخل ، ا ، ب : لا تجل

(131) د : من ترفعه

(132) كتاب السياسة لأرسطو : بالثوب ـــ ك : بالبر

(133) ا ، ب ، د ، ق : على

(134) د : كالمحبة

(135) د : المودة

(136) ا ، ب : ذلك

(137) ق : عن

(138) ورد النص مع بعض الاختلاف في سياسة أرسطو ص 80

ابن أبي الحسين[139] قد كلفه الأمير أبو عبد الله المستنصر في إحدى السفرات بالمشي صحبة[140] الحريم، فتقدم معهن على العادة، وأسرع الخليفة في سيره، فلحق به، فلما حاذاه، انفرد عن العسكر وتقدم إليه فهز الرمح عليه وأنشد[141]

لمن المطايا السائرات مع الضحى
محمية بالمشرفية والظبا[142]

فأجاب ابن أبي الحسين من حينه[143] :

لفتى له في كل[144] منبت شعرة
أسد يمد إلى الفريسة مخلبا

قال : وفي[145] هذا البيت تغيير عن أصل نظمه، وهو لغيره، حرفه لما احتاج إليه من التمثيل به وصحة[146] إنشاده :

في كل منبت[147] شعرة من جسمه
أسد يمد إلى الفريسة مخلبا

قال أبو محمد : ويرد على ابن أبي الحسين[148] فيما غيره، ما رد على ليلى الأخيلية (*) عند إنشادها مدح الحجاج في قوله لها :

---

(139) د، ك : الحسن
(140) ج : مع
(141) ك : وأنشده
(142) د : حميت بأطراف الأسنة والظبا
(143) د، ك : الحسين
(144) ك : في كل شعرة منبتة
(145) ك : وفي أصل هذا البيت تغير عن أصل —......
(146) د : وأصله الأول
(147) ك : منبتة
(148) د : الحسن

(*) ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية من بني عامر بن صعصعة، شاعرة جميلة، لها أخبار مع توبة الخمير. ويبدو أنها كانت أموية مروانية، ويبدو هذا من صلاتها بالحجاج ووفادتها إليه توفيت نحو عام 80هـ— 700م.
فوات الوفيات ج 2 ص 141، والنجوم الزاهرة ج 1 ص 193، والأغاني ج 11 ص 204.

لا تــــــــقولي غلام ولكن قولي همام الخ

ثم[149] أشار إلى قولها قصيدة في مدح الحجاج مطلعها .

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما
المنايا بكف الله حيث يراها

إلى أن قالت :

سقاها من الداء العضال الذي بها
غلام إذا هز القناة سقاها[150]

فصـــل

في ذكر زيارة الملك لخواصه

قال صاحب التاج : زيارة الملك على أربعة أقسام : منها[151] الزيارة للمواكلة والمحاضرة والتأنس بالمزور ومنها الزيارة للعيادة من المرض ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط . وأكبر هذه الأقسام[152] وأرفعها ذكرا زيارة التعظيم ، لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ما تقع وتتفق بسؤال المزور للملك وتلطفه في ذلك ، وربما رفع الملك الوزير وخصه وقدمه على سائر بطانته ؛ فيكون من حيله أن يتعالل ، فيعوده الملك ، فيظهر[153] للعامة منزلته عنده ، وتكرمته له ، وإيثاره إياه أيضا . فقل ملك سأله وزيره أو صاحب جيشه أو أحد عظمائه زيارته ، إلا أجابه إلى ذلك ، ولاسيما إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادة في المرتبة والتنويه بالذكر والتعظيم للقدر ، فإذا كانت الزيارة من الملك على أحد هذه الأقسام الثلاثة فهي منزلة كان صاحبها يأملها فبلغها ، وأمنية طلبها فأدركها . فأما الزيارة للتعظيم ، فإنها لا تقع بسؤال ، ولا إرادة للمزور ، إذا كان ليس لأحد من الوزراء والأشراف

(149) من « ثم أشار — إلى هز القناة سقاها » ساقطة من ك وق

(150) وفيات الأعيان جـ 2 ص 47

(151) ك : منها — إلى من المرض ساقطة من ك

(152) من « الأقسام وأرفعها — إلى — التعظيم لأن هذه الأقسام » ساقطة في ك .

(153) ب ، د ، ق : فتظهر

أن يقول للملك : زرني ، لتعظمني . فإذا كان ذلك من الملك ابتداء ، علمنا أن ذلك أرفع مراتب الوزراء وأعلى درجات الأشراف[154] .

وكان أزدشير بن بابك وأنوشروان إذا زارا وزيرا من وزرائهما أو عظيما من عظمائهما ، لتعظيم لا لغيره ، أرخت الفرس تلك الزيارة ، وجرت بذلك تواريخ كتبهم إلى الآفاق والأطراف . وكانت[155] سنة من زاره الملك للتعظيم أن تحرر ضياعه من الغرامات ، وتوسم خيله ودوابه ليلا تسخر وتمتهن ، ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم معه ثلاثمائة راكب ومائة راجل يكونون ببابه إلى غروب الشمس ، فإن ركب كان الرجالة مشاة أمامه ، والركبان من ورائه ، ولا يحبس أحد من خاصته وعامته بجناية جناها ، ولا يحكم على أحد من عبيده بحكم ، وإن وجب على أحد من بطانته حد وجه به إليه ، ليرى فيه رأيه ، وتقدم هداياه في النيروز والمهرجان على كل هدية وتعرض على الملك . ويكون أول من يأذن له الحاجب ، ويكون عن يمين الملك إذا ركب ، ورتبته إذا قعد عن يمينه . وإذا خرج من دار المملكة لم يبق من بعده أحد[156] .

قلت[157] : وبقي قسم خامس هو أفضلها وأكرمها أثرا في الدارين ، وهي الزيارة لاحتساب الأجر والثواب وجبر قلب المزور[158] ، ويشترك في ذلك الخواص[159] وغيرهم . وقد كان[160] من ملوك الإسلام الذين فعلوا ذلك وتابعوه وشفعوه بحضور الجنائز حسبة لله تعالى هشام بن عبد الرحمان من ملوك بني أمية بالأندلس ، حين أخبره الضبي المنجم بأن مدته في الملك ثمانية أعوام أو نحوها[161] ، فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه إليه ، وقال : يا ضبي ما أخوفني[162]

---

(154) ورد النص في التاج ص 263 — 264 كما ورد في بدائع السلك ج 1 ص 383 — 384

(155) ق : وذلك كان

(156) ورد النص في التاج ص 264 إلى 266 مع بعض الاختلاف

(157) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

(158) د : المأزور

(159) د : الخاصة والعامة

(160) د : فعل ذلك

(161) ا ، ب ، ج ، ق : ونحوها

(162) ا ، ب : أحوجني

أن يكون النذير[163] كلمني بلسانك ، والله لو أن هذه المدة التي ذكرت كانت سجدة لله ، لقلت طاعة له . ووقر قوله في نفسه[164] ، فزهد في الدنيا ، وهانت عنده[165] ، ومال إلى الآخرة ، وتولى النظر في الرعية بخير ما نظر ناظر من الدين[166] والعدل والتواضع ، ولبس الصوف ، واقتصد[167] في مأكله وملبسه ومركبه ، والتزم[168] عيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، إلى أن مضى لسبيله ، وصدقه الضبي في أخباره . حكاه ابن القوطية رحمه الله[169] .

مرض شرف الدين بن عنين فكتب إلى مخدومه الملك المعظم شرف الدين ابن الملك العادل سيف الدين ابن أيوب صاحب دمشق :

انظر إلي بعين مولى لم يزل
يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي احتاج ما تحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء[170] الوافي

فجاء إليه بنفسه يعوده ، ومعه صرة فيها ثلاثمائة دينار . فقال له : هذه الصلة وأنا العائد[171] .

اشتكى (مرة[172]) أمير بخت[173] الملقب شرف الدين[174] الخراساني بحضرة

---

(163) ا ، ب ، ك : التدبير
(164) ق : صدره
(165) ق : عليه
(166) د : اليمن
(167) د : واقتصر في ملكه
(168) د : ولزم
(169) ورد النص في بدائع السلك ج 1 ص 384 وورد في نفح الطيب ج 1 ص 334 — 335
(170) (171) في جميع النسخ : ثنائي والثواب ، وقد صححنا النص من ديوان ابن عنين ص 92 حيث ورد البيتان (مطبوعات المجمع العربي بدمشق تحقيق حسن مردم بك 1365 هـ — 1946م) وقد ورد البيتان في وفيات الأعيان ج 3 ص 496 .
(172) زيادة من رحلة ابن بطوطة .
(173) في جميع النسخ الأمير بخت ، وفي رحلة ابن بطوطة بخت وقد فضلنا هذه الأخيرة
(174) د : المملكة ، ق : الملك ، الرحلة : بشرف الملك

ملك الهند ، فأتاه الملك عائدا ، ولما دخل عليه أراد القيام فحلف عليه[175] الملك ألا ينزل عن سريره ، ووضع للسلطان متكأة ، فقعد عليها ثم دعا بالذهب والميزان فجيء بذلك ، وأمر المريض أن يقعد في إحدى كفتي الميزان . فقال : لو علمت[176] أنك تفعل هذا للبست[177] علي ثيابا كثيرة فقال له : البس الآن جميع ما عندك من الثياب ، فلبس ثيابه المعدة للبرد ، المحشوة بالقطن وقعد في كفة الميزان ، ووضع الذهب في الكفة الأخرى ، حتى رجح الذهب[178] . وقال له : خذ هذا ، فتصدق به عن رأسك[179] . وخرج عنه[180] .

لما اعتل أبو الفرج يعقوب وزير العزيز صاحب مصر ، علته التي توفي منها ، ركب إليه العزيز عائدا ، وقال له : وددت أنك تبتاع . فأبتاعك بملكي ، أو تفدى فأفديك بولدي ، فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب ؟ فبكى ، وقبل يده . وقال : أما فيما[181] يخصني ، فأنت أرعى[182] لحقي من أن أسترعيك (إياه[183]) وأرأف على من أخلفه من أن أوصيك به ، ولكني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك . سالم الروم ما سالموك[184] ، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ، ولا تبق على مفرج بن دغفل بن جراح ، إن عرضت لك فيه فرصة ، ومات ، فأمر العزيز أن يدفن في داره ، وهي المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة ، داخل باب[185] النصر في قبة كان بناها ، وصلى عليه وألحده بيده في قبره . وانصرف حزينا لفقده ، وأمر

---

(175) ابن بطوطة : له

(176) د : علمنا

(177) د : هذه

(178) رحلة ابن بطوطة : رجحه

(179) رحلة ابن بطوطة : على

(180) وردت الحكاية في رحلة ابن بطوطة ج 1 ص 133 وفي ص 211 وفي بدائع السلك ج 1 ص 385 — 386

(181) د : ما

(182) د : راع بحقي

(183) زيادة من الوفيات

(184) ا ، ب ، ج : ما أسلموك

(185) ك : القصر

بإغلاق[186] الدواوين بعده أياما . وذكر ابن عساكر أنه كفن في خمسين ثوبا ، وكان ركوب العزيز إلى حضور دفنه على بغلة بغير مظلة ، وكانت عادته أن لا يركب إلا بها ، والحزن ظاهر عليه . ويقال إنه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار . وسمع العزيز يقول : واطول أسفي عليك يا وزير[187] .

وشبه ذلك وقع للصاحب بن عباد عند وفاته . ولما توفي أغلقت[188] له مدينة الري[189] ، واجتمع الناس على باب قصره ، ينتظرون خروج جنازته ، وحضر مخدومه فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة ابن بويه وسائر القواد ، وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب ، صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة ، وقبلوا الأرض ومشى فخر[190] الدولة أمام الجنازة وقعد[191] للعزاء أياما[192] .

---

(186) وفيات الأعيان : بغلق

(187) ورد النص في وفيات الأعيان ج 7 ص 33 — 34

(188) د : غلقت

(189) ا ، ب ، د ، ق : الرس

(190) د : الدين

(191) د : وقعد للتعزية

(192) ورد النص في وفيات الأعيان ج 1 ص 232 .

الباب التاسع

في تغافل الملك وحيائه ومروءته ووقاره وتثبته في الأقوال والأفعال، وتأنيه وصبره

قال صاحب السراج : اعلم أيها الملك أنه متى كملت فيك الخصال المحمودة[1]، والأخلاق المشكورة والسير المستقيمة وملكت نفسك ، وقهرت هواها[2] ، ووضعت الأشياء مواضعها ، ثم إن الرعية اهتضمت حقك ، وجهلت قدرك ، ولم توفك قيمتك[3] ، فبلغك منهم ما يسوؤك ورأيت منهم ما لا يعجبك . فاعلم أنك لست بإله فلا تطمعن[4] أن يصفو لك منهم ما لا يصفو منهم[5] للإله[6] .

قال : وفصل الخطاب في هذا الباب ، أن تعلم أن الله تعالى خلق الخلائق أجمعين ، وأنعم عليهم بأنواع النعم ، فأكمل حواسهم ، وخلق فيهم الشهوات ، ثم أفاض عليهم نعمه ، فكملت لهم اللذات ، وبعد هذا فما قدروا الله سبحانه حق قدره ، ولا عظموه حق عظمته ، بل قالوا فيه ما لا يليق به ، ووصفوه بما يستحيل عليه ، وأضافوا إليه ما[7] يتقدس عنه ، وسلبوه ما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، فمنهم من قال : إنه هو ثالث ثلاثة ، ومنهم من قال : له إبن . ومنهم من قال : له زوجة ، ومنهم من قال : له البنات ، ومنهم من يجسمه ،

(1) ق : الحميدة
(2) د ، ج ، ك ، سراج : هواك
(3) سراج : حظك
(4) د : فلا تطمع أن يصفوا لك منهم ما لم يصفه الله
(5) — منهم — زيادة من سراج
(6) السراج ص 113 من الباب 36
(7) ا ، ب ، ج : مما

ومنهم من يشبهه ، ومنهم من أنكره رأسا . وقال : ما للخلق صانع ، كما حكاه الخالق عنهم ، فقال[8] نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر[9] . وهو سبحانه مع ذلك يخلقهم[10] ويحييهم ويبقيهم ، ويصح أجسامهم وأرواحهم وحواسهم ، ويرزقهم وينعشهم ، ويقضي مآربهم وأوطارهم ، ويبلغهم أمانيهم[11] في معظم ما يحتاجون إليه ، فمعاصيهم إليه صاعدة ، وبركاته عليهم نازلة ، كل[12] يعمل على شاكلته ، وينفق مما عنده ، وكل ذي حال أولى به[13] .

وفي مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : إلهي أسألك أن لا يقال في ما ليس في ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى ذلك شيء ما فعلته[14] لنفسي ، فكيف أفعله[15] لك . وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن اذكر ، مع أنك إن[16] التمست رضي جميع الناس ، التمست ما لا يدرك ، فكيف يدرك رضي جميع المخلوقين[17] [18] .

قال صاحب التاج : من أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ، ولا يضع من العز[19] ويزيد ذلك في أبهته[20] . قال : وهذه أخلاق الملوك وسيرتهم[21] نصت عليها كتبهم ، وقد قالت العرب : الشرف[22] التغافل . وأنت لا تجد أحدا يتغافل عن ماله ، إذ أخرج ، وعن مبايعته إذا غبن ، وعن التقاضي إذا بخس ، إلا وجدت في قلبك له فضيلة ، وجلالة ما تقدر على دفعها . وقال الشاعر :

---

(8) ج : فقال
(9) آية 24 الجاثية 45
(10) ج : « خلقهم » زيادة من ج فقط
(11) سراج : آمالهم
(12) الآية هي : قل كل يعمل على شاكلته « آية 84 الاسراء 17 »
(13) سراج : بها .
(14) ج : جعلته
(15) ج : أجعله
(16) د : إذا
(17) ا ، ب ، ج ، ق : المختلفين
(18) ورد في السراج ص 113 الباب 36
(19) د : الملك
(20) التاج ص 162
(21) ج : وسيرهم
(22) د : من الشرف

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي[23]

وكذا أدبنا نبينا ﷺ فقال : رحم الله امرءاً سهل البيع ، سهل الشراء .

وقال معاوية في نحو هذا : إني لأجر ذيلي على الخدائع[24] .

قال سفيان بن عيينة : ما استقص كريم ترك قط حقه . ألم تسمع إلى قول الله تعالى : عرف بعضه وأعرض عن بعض[25] .

أرسطاطاليس : إن من السخاء والكرم ترك التجني ، وترك البحث عن باطن العيوب ، والإمساك عن ذكر العيوب .

كما أن من تمام الفضائل : الصفح عن التوبيخ ، وإكرام الكريم ، والبشر في اللقاء ورد التحية ، والتغافل عن خطأ الجاهل[26] ....

أكثم بن صيفي : من تشدد نفر ، ومن تراخى[27] تألف ، والشرف في التغافل .

قال بعض الشعراء :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب[28]

قلت[29] : وأخبرني بعض[30] خدام مولانا المقدس مجد الخلافة ، وشرف الملك أبي الحسن رحمه الله تعالى ، ورضي عنه ، أنه لقيه بمصر أحد أشياخها المعتبرين سنا وذاتا[31] فقال له : أنت من خدام ملك المغرب ؟ قال : نعم. قال

(23) التاج ص 187 وفي الذخائر والأعلاق ص 118
(24) التاج ص 188
(25) آية 3 التحريم 66
(26) سياسة ص 74
(27) د : تراخ
(28) مصدر ابن رضوان هو البهجة ج 1 ص 664 .
(29) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله
(30) د : أحد
(31) د : ودينا

فإذا عدت إليه فاقرأه السلام وأنشده ـ هذا البيت[32] ـ :

صديق بلا عيب قليل وجوده وكشف عيوب الأصدقاء قبيح

وأنشد أبو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس له :

أغض[33] عيني عن صديق تغافلا كأني بما يأتي من الأمر جاهل[34]

آخر :

وكنت إذا الصديق أراد غيظي
وأشرقني على حنق بريقي
غفرت ذنوبه وصفحت عنه
مخافة أن أعيش بلا صديق[35]

وفي مثل ذلك قيل : لا خير في الناس ، ولابد من الناس[36] .

كان المعتصم ذا بأس وشجاعة وشدة في جسمه . فذكر أحمد بن أبي داود ، وكان به أنيسا : فلما[37] أنكر المعتصم نفسه وقوته ، دخلت عليه يوما ، وعنده ابن ما سويه . فقال : لا تبرح حتى أخرج لك[38] . فقلت ليحيى بن ما سويه : ويلك إني أرى أمير المؤمنين قد حال[39] لونه ، ونقصت[40] قوته ، وذهبت سورته ، فكيف تراه ؟ قال : هو والله زبرة من زبر الحديد ، إلا أن في يده ، فاسا يضرب به[41] تلك الزبرة . فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : كان قبل هذا ، إذا أكل السمك ، اتخذنا له صباغا من الخل والكرويا والكمون والسنداب[42] والكرفس

---

(32) هذا البيت ورد في د فقط

(33) البهجة : أغمض

(34) ورد البيت في عيون الأخبار ج 3 ص 16 وفي البهجة ج 1 ص 667 وفي أمالي القالي ج 3 ص 111 .

(35) ورد البيتان في البهجة ج 1 ص 667

(36) البهجة ج 1 ص 668

(37) ق ، د ، ج : لما ، ك : قال لما

(38) ك : إليك

(39) د : نحل

(40) د ، ك : وانتقصت

(41) إضافة من مروج

(42) د : والسداب وفي مروج : والسذاب

والخردل والجوز، فأكله بذلك الصباغ، فيدفع أذى السمك، وإضراره بالعصب[43] وإذا أكل الرؤوس، اتخذت له أصباغ تدفع أذاها وتلطفها[44]، وكان في أكثر أمره يلطف غذاءه بمشورتي[45]، فصار اليوم إذا أنكرت عليه شيئا، خالفني وقال: آكل هذا على غيظ ابن ما سويه، فما أقدر أن أصنع؟ قال: والمعتصم خلف[46] الستر يسمع ما نحن فيه. فقلت له: ويلك[47] يا يحيى[48] ادخل (أصبعك[49]) في عينه قال: جعلت فداك لا أقدر أن أرده، ولا أجترىء عليه في خلاف، فلما فرغ من كلامه، خرج علينا المعتصم فقال لي: ما الذي كنت فيه مع ابن ما سويه؟ قال: ناظرته[50] يا أمير المؤمنين في لونك الذي أراه حائلا، وفي قلة طعمك[51] الذي هو قد[52] جوارحي، وأنحل جسمي. قال: فما قال لك؟ قلت شكى أنك ما تقبل منه، ما يشير به عليك، وكنت ترى في ذلك ما يجب[53]، وأنك الآن تخالفه قال: فما قلت أنت له؟ قال: فجعلت أحرف الكلام. فضحك وقال: هذا بعدما دخل في عيني، أو قبل ذلك؟ فارفضضت[54] عرقا، وعلمت أنه قد علم ما قلت، وما كنا فيه، ورأى ما قد داخلني. فقال: يغفر الله لك يا أحمد، لقد فرحت بما ظننت أنه أحزنك[55] إذ سمعته، وظننت أنه نوع من أنواع الانبساط والانس[56].

لما ظفر أبو الفتح ملك شاه ابن محمد بن داود بن مكيائيل بن سلجوق بعمه

---

(43) ك: بالغصب

(44) د: وتلطف بها

(45) زيادة من مروج.

(46) ج: تحت

(47) ج: ويحك

(48) د: يا ماسويه

(49) زيادة من مروج

(50) د: نظرت

(51) د: أكلك

(52) ق: قد قد

(53) د، ك: ما يحب

(54) ك: فانفضضت

(55) ا، ب، ج: إذا

(56) مروج الذهب ج 4 ص 345 — 346

الخارج عليه ، وأخذه ، بعث إليه بخريطة مملوءة من كتب أمرائه[57] مضمنها أنهم حملوه على الخروج عن طاعته ، وحسنوا له ذلك ، فدعا السلطان ، وزيره نظام الملك ، فأعطاه الخريطة ليفتحها ، ويقرأ ما فيها ، فلم يفتحها ، وكان هناك كانون نار ، فرمى الخريطة فيه ، فاحترقت الكتب ، فسكنت قلوب العساكر ، وأمنوا ووطنوا أنفسهم على الخدمة بعد أن كانوا قد خافوا من الخريطة ، لأن أكثرهم كان قد كاتبه ، وكان ذلك سبب ثبات دولة ملك شاه في السلطنة ، وكانت هذه معدودة من جميل آراء[58] نظام الملك[59] .

ونظير ذلك ما حكاه أبو علي بن مقلة قال : كان الوزير أبو الحسن[60] بن الفرات قد أمر بتبض ما في دور المخالفين الذين بايعوا ابن المعتز ، وكانت أمتعتهم تقبض ، وتحمل إليه فيراها ، وينفذها إلى خزائن المقتدر ، فجاؤوه يوما بصندوقين ، وقالوا له : هذان وجدناهما في دار ابن المعتز . فقال : أعلمتم[61] ما فيهما ؟ قالوا[62] : نعم جرايد من بايعه من الناس بأسمائهم وأنسابهم . فقال : يا غلمان لا تفتحوهما[63] وأمر بنار[64] فجاء الفراشون بفحم ، وأمرهم فأججوا[65] النار ، فأقبل علي من كان حاضرا ، فقال : والله لو رأيت[66] من هذين الصندوقين ورقة واحدة ، لظن كل من له فيهما إسم أني عرفته ،فتفسد نيات العالم كلهم علي[67] وعلى الخليفة[68] ، وما هذا رأي أحد قال : فطرحا بأقفالها في النار ، فلما احترقا بحضرته ، أقبل علي . فقال[69] : يا أبا علي قد أمنت كل من جنى[70] وبايع ابن

(57) : : يكتب امرائه
(58) د : إرادة الوزير نظام الملك ونظره
(59) وفيات الأعيان ج 5 ص 284
(60) ق ، ج : الحسين
(61) أ ، ب ، ج ، ق : علمتهم ، د : عرفتهم ، وفيات الأعيان : أعلمتهم ، ك : لهم
(62) وفيات : قيل
(63) د ، ك : لا تفتحوا ، أ ، ب ، ج : لا تفتحوها ق : لا تفتح . وفيات : لا تفتحها
(64) ج ، ق ، ك : نارا
(65) ك : يوججوا
(66) ج : نظرت
(67) وفيات علينا «بدل» علي وعلى الخليفة
(68) ورد النص في وفيات الأعيان جـ 3 ص 427 مع إختلاف
(69) د : ثم قال
(70) ج : حبا

المعتز ، وأمرني الخليفة بأمانه ، فاكتب الأمانات للناس عني ، ولا يلتمس[71] منك أحد أمانا كائنا من كان إلا آمنته[72] وكتبته[73] له وجئتني به[74] لأوقع فيه ، فقد أفردتك لهذا العمل[75] . ثم قال ، لمن حضر : أشيعوا ما قلته[76] حتى يأنس المستترون[77] بابي علي ويكاتبونه[78] في طلب الأمان فشكرناه ، ودعت الجماعة له ، وشاع الخبر بذلك[79] ، وكتبت[80] الأمانات ، وكسبت في ذلك مائة ألف دينار .

وفيما يحكى من التغافل عما لا يقدح في الملك أن بهرام بن[81] بهرام ، خرج يوما لطلب الصيد ، فخر[82] به فرسه ، حتى دفع[83] إلى راع تحت شجرة ، وهو حاقن ، فقال للراعي : احفظ علي عنان فرسي ، حتى أنزل[84] . فوثب وأخذ بركابه حتى نزل ، وأمسك بعنانه[85] ، وكان لجامه ملبسا ذهبا ، فوجد الراعي غفلة من بهرام فأخرج (من خفه[86]) سكينا ، فقطع بعض أطراف اللجام ، فرفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستحيا ، ورمى بطرفه إلى الأرض ، وأطال الاستبراء ، ليأخذ الراعي حاجته من اللجام ، وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه ، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام ، قام ، فقال : يا راعي ، قدم إلي فرسي ، فإنه قد دخل شيء في عيني شيء من[87] هذه الريح ، فما أقدر على فتحها ، وغمض عينه يوهمه

(71) ا ، ب ، ج : ولا يلتمس أحدا للعمل
(72) زيادة من د : أمنته ك : ساقطة
(73) ك : كتبت
(74) د : بالكتاب ، ا ، ب : وجئني به
(75) أ ، ب ، د : العمل — ساقطة
(76) ج : هذا الأمر
(77) ا ، ب ، ج : المستهزؤون
(78) أ ، ب ، ق : وكاتبوه — د : ويكتابه
(79) « بذلك » زيادة من ج ك فقط
(80) ك : وكتب
(81) التاج : بهرام جور ، في ك : بهرام
(82) ج : فر به ، ق : فهرب به ، التاج : فغار
(83) أ ، ب ، د ، ق : دفع ، التاج : وقع
(84) التاج : أبول
(85) ج : عنانه
(86) زيادة من التاج
(87) التاج : مما في

أنه لا يفتقد الحلية. فقرب الراعي إليه فرسه فركبه. ثم ان الراعي قال له: أيها العظيم كيف آخذ الطريق إلى كذا وكذا ، وسمى موضعا بعيدا ذكره . قال بهرام : وما سؤالك عن هذا الموضع ؟ قال : هنالك[89] منزلي ، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا ، ولا أراني أعود ثانية . فضحك بهرام ، وفطن لما أراد فقال : أنا رجل مسافر وأنا أحق أن لا أعود إلى هاهنا (أبدا[90]) ثم مضى ، فلما نزل عن فرسه قال لصاحب (دوابه[91] و) مراكبه ، إن معالق اللجام (قد[92]) وهبتها لسائل عن لي ، فلا تتهمن بها أحدا[93] .

ومثال[94] ذلك يحكى عن أنوشروان أنه قعد يوما في نيروز أو مهرجان ، ووضعت الموائد ، ودخل وجوه الناس الإيوان ، وقعدوا على طبقاتهم ومراتبهم . وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس ، وكسرى ينظر إليهم ، فلما أكلوا أوتي[95] بالشراب في آنية[96] الفضة وجامات الذهب ، فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية[97] في آنية[98] الذهب ، فلما انصرف الناس ، ورفعت الموائد أخذ بعض أولئك القوم جام ذهب ، فأخفاه (في قبائه[99]) وأنوشروان يلحظه ، فصرف وجهه[100] عنه ، وافتقد[101] صاحب الشراب الجام فقال : لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش . فقال كسرى : لا تعرضن[102] لأحد ، وأذن للناس ، فانصرفوا . فقال صاحب الشراب : أيها الملك إنا فقدنا بعض آنية الذهب فقال

---

(89) التاج : هناك
(90) زيادة من التاج
(91) زيادة من التاج
(92) زيادة من التاج
(93) التاج ص 182 — 183 — 184 مع إختلاف بسيط مع نص ابن رضوان .
(94) د : مما يحكى في التغافل عن كسرى
(95) أ ، ب ، د : أتني
(96) د : أواني ، ج : كاسات
(97) ك : العليا
(98) ج : جامات
(99) زيادة من التاج
(100) ج : بصره
(101) د : وفقد
(102) التاج : لا تتعرض

الملك : صدقت ، قد أخذها[103] من لا يردها عليك ، ورآه من لا ينم[104] عليه[105] .

ومثال ذلك فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد ، وقد قعد الناس ووضعت الموائد ، وبدر الدراهم للجوائز والصلات فجاء رجل من الجماعة ، والناس يأكلون ، فقعد على كيس فيه[106] دنانير ، فصاح به الخدم : تنح ، فليس هذا بموضع[107] . فسمعه معاوية . فقال لهم : دعوا الرجل يقعد[108] حيث انتهى به المجلس[109] ، فأخذ الكيس بين بطنه وحجزته[110] وقام[111] فلم يجترىء أحد أن يدنو منه فقام الخازن[112] فقال[113] : أصلح الله أمير المؤمنين ، قد نقص من المال كيس دنانير قال : أنا صاحبه ، وهو لك محسوب[114] .

ومما[115] يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة[116] أبيه لمتنزهه فبسط له في صحراء ، فتغدى مع جماعة ، فلما حان انصرافه تشاغل غلمانه بالترحال ، وجاء أعرابي ، فوجد منهم غفلة ، فأخذ تاج سليمان ، فرمى به على عاتقه ، وسليمان ينظر إليه ، فبصر به بعض حشمه[117] ، فصاح به : الق ما معك[118] . فقال الأعرابي : لا لعمري لا ألقيه ولا كرامة[119] لك ، هذه كسوة

---

(103) أ ، ب : فأخذها ، ج : أخذه

(104) د : من لا يتهم بها

(105) التاج ص 184 ــ 185 وورد هذا النص أيضا ملخصا في عيون الأخبار ج 1 ص 339

(106) ج : وفيه

(107) ج : بموضع الجلوس

(108) ج : يجلس

(109) ك : مجلسه

(110) ك : وحجره ، التاج وحجرة سراويله

(111) ك : محذوفة

(112) ا ، ب ، ج : للخازن

(113) ك : قال ــ محذوفة ــ

(114) المصدر السابق

(115) ك : فيما

(116) ج : خلافة

(117) ج : خدمة

(118) ج ، تاج : عليك

(119) ك : ولا كرامتك

الأمير وخلعته[120] علي . فضحك سليمان ، وقال : صدق أنا كسوته إياها . فر[121] به الأعرابي كأنه اعصار[122] الريح[123] . وأحسن من هذا ما فعل[124] جعفر بن علي ، وقد عثر على رجل سرق درة رائعة أخذها من بين يديه ، فطلبت بعد أيام ، فلم توجد . فباعها لرجل ببغداد ، وقد كانت وصفت لأصحاب الجواهر ، فأخذ وحمل إلى جعفر[125] ، فلما بصر به استحيا منه . فقال له : ألم تكن طلبت منا هذه الدرة ، فوهبتها لك؟ قال : بلى أصلح الله الأمير[126] قال : لا تعرضوا له ، فباعها بمائة ألف درهم[127] .

قلت[128] : ولم يؤثر عن أحد من نقلة الأخبار ولا أرباب التواليف في الأحجار النفيسة فيما علمت ، أن درة بيعت بمائة ألف ، والدرة اليتيمة المشهورة إنما كان وزنها مثقالين ونصفا وعشرا وربع عشر فيما ذكره محمد بن إسحاق الفاكهاني[129] عن الحسن ابن الحسن[130] الأزدي عن اسماعيل بن محمد ، ولم يسمع أن أحدا بذل فيها هذا القدر ولا ما يقاربه ، ولكن الخبر وقع في التاج على نص ما سطر[131] ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، وشبه ما تقدم وقع لأحد ملوك الموحدين ، إلا أن الملك لم يتخلق فيها بخلق المتقدمين ، ولعله لم يكن يذكر آدابهم وسيرهم . وذلك أنه أحضر بين يديه لآلئ نفيسة في طبق . وعرضت[132] على الحاضرين بمجلسه تعجبا[133] بها ، واستحسنها القوم[134] ولما عدت بعد ذلك ،

(120) ك : وجعلته
(121) ج : فجرى ، د : فهرب
(122) د : أغصان
(123) ورد هذا النص في التاج ص 189
(124) ك : فعله
(125) د : فحمل الرجل الذي سرقها
(126) د : فقال لهم جعفر : لا تتعرضوا له ، وهذا كله من جعفر حياء ومروءة وكرم رحمه الله
(127) ورد هذا النص في التاج ص 189 — 199
(128) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله
(129) ج : والفاكهني
(130) ق : الحسين
(141) ج : ذكر
(132) د : عرضت
(133) د : أعجابا
(134) ج : الحاضرون

فقدت منها واحدة ، فهم الأمير بتفتيش الحاضرين ، وكان فيهم العالم أبو [illegible] الأصولي البجائي ، فأشار بسوق قلة مملوءة بالماء ، وأن يدخل فيها كل واحد يده ، سترا[135] على الفاعل ، فسيقت القلة ، وابتدىء بمن عن يمين الفقيه المذكور ، أي بمن[136] عن يمين الأمير ، فكان[137] هو على يسار[illegible] انتهت القلة إليه ليدخل يده ، فيها امتنع ، وقال : صبوها ، فإن وجدتم حاجتكم [illegible] عندي . فصبوا[138] القلة فوجدوا الحلية المفقودة ، و[illegible] هو من [illegible] فيه[139] .

قلت[140] : وكان هذا مأخوذاً من الأثر الوارد عن الشعبي ، أن عمر رضي الله عنه كان في بيت ومع جماعة[141] ، ومعه جرير بن عبد الله ، فوجد عمر ريحا ، فقال : عزمت على صاحب هذه الريح إلا قام ، فتوضأ ، فقال جرير : يا أمير المؤمنين أو يتوضأ[142] القوم كلهم فقال عمر[143] : رحمك الله نعم السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت[144] في الإسلام[145] .

ومن حسن التغافل ، ما أخبرنا به شيخنا القاضي الخطيب العالم أبو البركات بن الحاج ، قال : حكى لنا بعض الشيوخ بفاس ، أن عبد المومن بن علي وجه عن الشيخ[146] أبي محمد صالح رضي الله عنه ، لما بلغه أنه تكلم في المهدي فقال له : ما تقول في المهدي ؟ فقال له الشيخ أبو محمد : أفي الله شك ؟ فقال له عبد المومن : هو المظنون بك ، أيها الشيخ ، جزاك الله خيرا ، انصرف رحمك[147] الله . فلما خلا عبد المومن بخاصته ، قال لهم : أتظنون أن الشيخ احتال علي في

---

(135) الديباج : يستر على الفاعل
(136) د : ومن على يمين ، ك : أو عن يمين
(137) ج : وكان
(138) د : الديباج : فصبوها
(139) ورد النص مع إختلاف في الديباج ص 228 وفي عنوان الدراية ص 122
(140) د : قال المؤلف رحمه الله
(141) ق : مع
(142) ك : أيتوظأ
(143) ج : عمر محذوفة
(144) «أنت» وردت في ك فقط
(145) ورد النص في الإستيعاب ج 1 ص 235— 236
(146) د : علي
(147) د ، ك : يرحمك

كلامه ، وورى[148] عني ، بل عرفت والله وجه كلامه ، غير أني إن كشفت القناع معه ، صعب الأمر من جهة المهدي وجهة رجل من أولياء الله ، فغطيت[149] القضية ، ولم أزد على صرفه.

ويشبه ذلك ما حكي من[150] أن القاضي أبا العباس بن عيسى الغماري ، سأله المستنصر[151] عن والي بلده بجاية ، وقال له : سمعنا[152] أن والي بجاية لو أراد أن يبنيها لبنة فضة ولبنة[153] ذهبا لفعل . فقال له مبادرا : يا مولانا يكون ذلك بالتفاتكم إليها ، وتعطفكم عليها ، فتغافل عن سؤاله ، عن القصد الأول ، وعلم أنه حاد عن جوابه[154] .

بطليموس : ينبغي للعاقل أن يستحيي من ربه ، إذا اتصلت فكرته في غير طاعته . قال رسول الله ﷺ : الحياء خير كله .

سئل سفيان بن عيينة عن المروءة ، ماهي ؟ فقال : الإنصاف من نفسك ، والتفضل على[155] غيرك ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، ولا[156] تتم المروءة إلا بهما[157] .

العدل (هو[158]) الإنصاف ، والإحسان التفضل[159] .

قال جعفر بن محمد : لا دين لمن لا مروءة له[160] .

وقيل : المروءة طلاقة الوجه ، والتودد إلى الناس ، وقضاء الحوائج .

---

(148) د ، ك : وروى

(149) ا ، ق : فغضيت ، ج : غطت

(150) ج : عن

(151) ا ، ب ، ج : المتصر

(152) ك : سمعت

(153) د : لبنة فضة ولبنة ذهب

(154) عنوان الدراية ص 55 .

(155) ج : عن

(156) آية 90 سورة النحل 16

(157) البهجة ج 1 ص 644

(158) زيادة من البهجة

(159) البهجة ج 1 ص 644

(160) نفس المصدر السابق ج 1 ص 644

وقيل : المروءة أن تكون عالما كجاهل ، وناطقاً كعي .

وقيل : المروءة تجرع الغصة ، إلى إمكان الفرصة .

وقيل : المروءة في كل ملة ، إستحياء المرء من نفسه ، وهي في الإسلام إستحياؤه من الله أولا ، ثم من نفسه أخيرا .

في كتاب محاسن البلاغة للتدميري : رأس العقل التثبت ، وقائده الحلم والوقار ، وبالأناة تنال الفرصة .

ومن لزم[161] الأناة ، أحرز النجاة[162] .

التثبت من الله ، والعجلة من الشيطان .

أناة في عواقبها درك[163] ، خير من عجلة في عواقبها فوت[164] .

من ركب العجلة لم يأمن المكيدة .

قال بعض الحكماء في خطبة خطبها : بالفكر الثاقب يدرك الرأي العازب ، وبالتأني تسهل المطالب .

وقالت الحكماء : من لم يستشر النصحاء الأولياء ، ولم يفصل رأيه بتكرار النظر والروية ، لم يسر[165] بمواقع رأيه .

ابن المقفع : لا يدعن السلطان التثبت عندما يعطي وعندما يمنع ، فإن الرجوع عن الصمت ، أحسن من الرجوع بعد الكلام ، وإن العطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، وإن الإقدام على العمل ، بعد التأني فيه ، أحسن من الإمساك عنه ، بعد الإقدام عليه ، وكل الناس محتاجون[166] إلى التثبت ، وأحوجهم إليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم[167] دافع ، وليس عليهم مستحث من

---

(161) ج : لازم
(162) التمثيل والمحاضرة ص 420
(163) ق : إدراك
(164) الذخائر والاعلاق ص 99
(165) د : لم يظفر
(166) د : يحتاج ، ك : محتاج
(167) ج : ولا فعلهم

الناس[168] .

وقيل : الزلل مع العجل ، من أسرع[169] كثر عثاره .

وقال بعض الحكماء : التأني في الأمور أول الحزم .

وقال أبو منصور : الأناة حصن السلامة ، والعجلة مفتاح الندامة[170] .

كان أبو العباس السفاح إذا تعادى إثنان من بطانته ، لم يستمع[171] من أحدهما في صاحبه شيئا ، وإن كان عدلا ، وكان يقول : العداوة تزيل العدالة .

ومن أكيد[172] التثبت ، أن ينظر في أحوال الناقلين للمساوي عن الناس ، فإن أهل النميمة والسعاة ، كثيرا ما يوقعون أهل الأمر في عقاب البريء ، ويحملونهم على الإيقاع بمن لم يذنب لحظوظ[173] نفوسهم ، ولحسدهم[174] لمن يسعون به .

قال رسول الله ﷺ : « إياكم[175] ومهلك الثلاثة » ، قيل : وما مهلك الثلاثة ؟ قال : رجل سعى[176] بأخيه المسلم إلى سلطانه ، فأهلك نفسه وأخاه وسلطانه[177] .

وقال رسول الله ﷺ : « من كان يومن بالله واليوم الآخر ، فلا يرفع إلينا عورة مسلم » نقله أبو عمر بن عبد البر[178] .

وقالوا : قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة[179] .

---

(168) ورد هذا النص في الأدب الكبير (المجموعة الكاملة) ص 118
(169) ج : ومن أسرع كثرت عثاره
(170) التمثيل ص 420
(171) د : لم يسمع لها ولا من أحدهما في صاحبه شيئا
(172) د : أكثر ، ق : أكد ، ك : أكبر
(173) د : بحظوظ
(174) د : وحسدهم
(175) البهجة : إياك
(176) البهجة : سعى بأخيه المسلم فقتله فأهلك نفسه...
(177) البهجة : ج 1 ص 403
(178) البهجة : ج 1 ص 402
(179) البهجة : ج 1 ص 403

وقال يحيى بن أبي كثير : يفسد النمام والكذاب في ساعة ، ما لا يفسد الساحر في سنة[180] .

قال سابق[181] .

إذا الواشي بغى[182] يوما صديقا   فلا تدع الصديق لقول واش[183]

قال رجل للوليد بن عبد الملك : فلان نال منك ، فقال : أتريد أن تقضي[184] أوطارك[185] فيّا ؟

روي[186] أن رجلا سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : أما أنت فتخبرني أنك[187] جار[188] سوء ، وإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت صادقا أبغضناك ، وإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن شئت تركناك ، قال : فاتركني يا أمير المؤمنين . قال قد[189] تركتك .

قال صاحب السراج : ومن العجب الذي لا عجب بعده ، أن الرجل يشهد عندك في تافه[190] ، فلا تقبله حتى تسأل عنه ، أهو[191] من أهل الثقة والعدالة والأمانة أم لا . ثم ينم إليك[192] بما فيه الهلاك وفساد الأحوال ، فتقبله[193] .

ابن[194] الجوزي : أن غلامين كانا لبعض الملوك ، فقضى أحدهما لوزير الملك

---

(180) البهجة ج 1 ص 403
(181) ج : وقال
(182) د : نعى
(183) البهجة ج 1 ص 403 وعيون الأخبار ج 2 ص 20 والعقد الفريد ج2 ص 333
(184) ك : تقرضي ، ق ، ك ، ج ، د ، تقضي
(185) د : ثارك ، ا ، ب ، ج ، ق : لو تارك ولعل صوابها ما أثبتناه
(186) ج : وحكى
(187) د : بأنك
(188) د : رجل
(189) د : « قد تركنا ك : بدل « قد تركتك » وقد حذفت هذه العبارة في ج
(190) د ، ك : تافه نفل ، أ ، ب ، ج : تافه بقل ، سراج باقة بقل
(191) ج : هل ، سراج : هل هو
(192) ج : عندك « إليك بما فيه »
(193) ورد في السراج ص 156 في الباب 57
(194) ج ، ك : وحكى ابن الجوزي

يطلب منه شيئا فلم يعطه ، فقال لأخيه : لازيلن الوزير[195] عن عزه . فقال له أخوه : ومن أنت حتى تقدر على هذا ؟ قال : سترى فلما جاء الليل ، جلسا عند الملك يعقدان[196] رجليه ، فلما قرب النوم ، قال لأخيه : يا أخي علمت أني رأيت البارحة الوزير خارجا[197] من عند[198] الملك داخلا إلى نسائه ، فلحقته . فقلت له : إلى أين ؟ قال : غلطت فلم أدر أين آخذ ، فعلمت أنه لم يسلك تلك الطريق إلا وقد اعتاد[199] ذلك ، فلما أصبح الملك قبض على وزيره ، فاستأصله ، فمر به الوصيف يوما . فقال له : يا فلان[200] أيما كان خيرا أن تعطني ما طلبت ، أو هذه الحالة ؟ قال : وإنك لصاحبي ؟ قال : نعم . قال : الله حسيبك . قال : فما تقول ، تعطيني ما طلبت حتى أعيدك إلى منزلتك ؟ قال نعم . قال : كيف لك بذلك ؟ قال : فاستقرض[201] له الوزير ما طلب ، ثم انصرف إلى أخيه المملوك ، فحدثه[202] . فقال[203] : كيف لك أن تصلح ما أفسدت ؟ قال : دعني والأمر ، فلما كان الليل ، وقارب الملك النوم . قال الوصيف[204] لأخيه : وددت لو كنا لرجل من السوقة ، قال : ولم ؟ قال : إن السوقة إذا غضبت علينا وجدنا من ينصفنا منهم ، ويشفع لنا إليهم ، والملك إذا سخط ، ليس إلا العطب[205] . قال : وما ذلك ؟ قال : الوزير قد علمت أمانته ونصيحه[206] ، وما آل إليه أمره ، ولم أعرف لحاله سببا . فاستوى الملك جالسا وقال : ويحك ألست أنت سببه[207] ؟ قال : وكيف ؟ قال : ألست حدثت أنه دخل إلى دار النساء ؟ قال : أيها الملك وإنما هذا لذاك[208] . قال : نعم . قال : إنما كان ذلك مناما رأيته ،

(195) ج : وزير الملك
(196) د : يغمزان رجله
(197) ق : خرج
(198) ج : عند
(199) ج : إعتاده
(200) ج : يا وزير
(201) د : فأعطاه
(202) د ، ك : فعذ له
(203) ج : قال
(204) ج : المملوك
(205) ك : الغصب
(206) أ ، ب ، ج ، ق : ونصيحته
(207) ق : سببته
(208) ق : لذلك

وحدثت به أخي[209] . فندم الملك على ما صنع ، فلما أصبح أعاده[210] إلى مكانه .

فأنظر كيف يكيد الأصاغر على الأكابر على أمر تافه ، هو مطمع قريب ، وتدبر أقوال الناقلين بالنسبة لأحوالهم . وتأمل قول[211] الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين[212] » « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[213] » .

ابن المقفع : واعلم أن من الناس من يبلغ به الغضب إذا غضب أن يحمله على الكلوح والقطوب[214] في غير وجه من أغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له ، والعقوبة لمن لم يكن يريد به إلا دون ذلك[215] ثم يبلغ منه الرضى إذا رضي ، أن يتسرع بالأمر الخطير لمن ليس بمنزلة ذلك عنده . ويعطي لمن لم يكن يرد إعطاءه ، ويكرم من لا حق له ولا مودة ، فاحذر هذا الباب الحذر كله ، فإنه ليس أحد فيه بأشد[216] حالا من أهل السلطنة والأمر فيوديهم ذلك إلى الإفراط في الغضب ، والسرعة في الرضى . وهذا تقلب لا يليق بالمناصب العالية والهمم[217] [218] .

فصـل

في الصـبـر

قال ابن ظفر : وهو[219] عبارة عن ثلاث قوى ، القوة الأولى : قوة الحلم ،

---

(209) وحدثت به أخي ، زيادة من ق ، ج

(210) د : أعاد الوزير

(211) وتأمل قول الله — إلى — فعلتم نادمين سقطت من ك

(212) آية 6 سورة الحجرات 49

(213) آية 4 سورة الأحزاب 33

(214) ك : العطرب ، الأدب الكبير : التقطيب

(215) في د : إلى عقوبة من لا ذنب له وإلى مجاوزة حدا لعقوبة ممن ترتب عليه الأدب ولم ترد هذه الزيادة عند ابن المقفع .

(216) د : أشد

(217) ج : ذاك

(218) ورد النص في الادب الكبير المجموعة الكاملة ص 109 ، مع اختلاف يسير في العبارة .

(219) سلوانات : وصبر الملوك عبارة

وثمرتها العفو . (القوة[220]) الثانية : قوة الكلاءة والحفظ ، وثمرتها عمارة المملكة ، والقوة الثالثة : قوة الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات ، وأما ثمرتها في حماة المملكة المقاتلة بالإقدام في المعارك ، ولا يراد من الملك الإقدام في المكافحة ، فإن ذلك من الملك تهور[221] وطيش وتغرير ، وإنما شجاعة الملك ثباته ، حتى يكون قطبا للمحاربين ، ومعقلا للمنهزمين . وهذا ما دام بحضرته من يثق بذبه عنه ودفاعه وحمايته . فلقد ذكرت[222] الفرس أن فيلا هاج فدخل قصر كسرى أنوشروان ، والفيل إذا اغتلم ، أنكر سواسه ولم يثبت له شيء ، إلا أتى عليه . قالوا : وإن[223] ذلك الفيل قصد مجلسا كان فيه كسرى ومعه[224] جماعة من كفاة أصحابه ، فلما رأى الذين مع كسرى أن الفيل قد قصدهم ، فروا من المجلس ، وثبت كسرى على سريره ، وثبت معه رجل من أساورته ، كان مكينا عنده ، يثق بثباته ، فقام ذلك الأسوار[225] بين يدي سرير[226] كسرى ، وبيده طبرزين ، وقصده الفيل فثبت له حتى غشيه ، فضربه بالطبرزين على فنطستيه[227] ، فكر الفيل راجعا من حيث جاء ، وقد نالت منه الضربة منالا شديدا ، وكسرى لم يتخلخل عن مجلس ملكه ، ولا تغيرت هيئته ، ولا فارقته أبهته ، فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك[228] .

وإذا لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه ، حسن حينئذ منه أن يذب عن نفسه ، إما بالإقدام على العدو وإن غلب[229] على ظنه الامتناع منهم بالإقدام عليهم ، أو بانهزامه[230] ، إن أتاه ما لا قبل له به ، وأشفق من عطب رعيته بهلاكه[231] . كما حكي أن موسى الهادي كان يوما في بستان ، ومعه أهل بيته

---

(220) إضافة من سلوانات

(221) د : تهور طيش وغرور

(222) ج : ذكر ، السلوانات : ذكروا عن الفرس

(223) ج : ثم أن

(224) د : مع

(225) د : الاسور

(226) ج ، ق : سرير — محذوفة —

(227) ك : ونكسه

(228) ا ، ب ، ج ، د : الملوك

(229) ا ، ج ، السلوانات : ان

(230) د : بانهزامهم ، ا ، ب ، ق : وبإنهزامه

(231) د : بهلكه ، ك : فهلك

وبطانته ، وهو راكب[232] على حمار ، وليس معه سلاح ، فدخل حاجبه ، فأخبره أن رجلا من الخوارج جيىء به أسيرا ، وكان الهادي حريصا على الظفر به ، فأمر بإدخاله ، فأدخل[233] بين رجلين قد أمسكا بيديه[234] ، فلما رأى الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين اللذين[235] كانا يمسكانه ، واخترط سيف أحدهما ، ووثب نحو[236] الهادي ، ولما رأى ذلك من كان حول الهادي من أهله وخاصته فروا جميعا ، وثبت الهادي وحده على حماره بمكانه ، حتى إذا قرب الخارجي منه ، وكاد أن يعلوه بالسيف صاح به الهادي وقال : اضرب عنقه يا غلام . فالتفت الخارجي حين سمع ذلك ، ووثب الهادي عن سرجه[237] فإذا هو فوق الخارجي ، وسقط الخارجي تحته فقبض الهادي على يديه وانتزع منه السيف ، فذبحه به . ثم عاد إلى ظهر حماره من فوره ، وتراجع[238] خاصته وأهله يتسللون[239] ، وقد ملئوا منه رعبا وحياء ، فما خاطبهم في ذلك بحرف واحد . ولم يكن بعد ذلك يفارقه سيف ، ولا يركب إلا الخيل[240] .

قال ابن ظفر : أنشدني بعض الملوك[241] لنفسه في حال شدة نزلت به :

نحن من قد علمت بطشا وحلما	ولـنـا المحتـد الأغـر الأعـز
ولـنـا أنـفس عـوارف بـالدهر	تأسى[242] حين الأسى يستفز[243]

أرسطاطاليس : يا إسكندر ، لا تجزع على ما فاتك ، فإن ذلك[244] من

---

(232) ك : فرسه
(233) د : فدخل
(234) د : به
(235) د : المسكان له
(236) ك : على
(237) د : حماره
(238) ك : تراجع إليه
(239) ق : يتسالمون
(240) وردت في السلوانات ص 60 — 61 وكذلك في مروج الذهب ج 4 ص 183 — 184 مع بعض الاختلاف في الألفاظ والعبارات .
(241) د : الخلفاء
(242) د : ثاني
(243) السلوانات ص 33
(244) ج : ذاك

خواص النساء الضعفاء[245] ، وأظهر الادب والمروءة ، فإنه ينمي حالك ويذل أعداءك[246] .

وفي بهجة المجالس : شفاء الصدور في التسليم للمقدور[247] .

قال الله تعالى : وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا[248] .

وقال : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب[249] .

وقال تعالى : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا[250] .

قيل عن الدنيا ، قال أبو عبيدة : لما أخذوا برأس الأمر جعلهم الله رؤساء ، وقال واصبروا إن الله مع الصابرين[251] [252] .

قال سفيان : بلغنا أن لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر الظفر[253] .

وفي الحديث : ما أعطي أحد عطاء[254] خير أوسع من الصبر[255] .

قال علي رضي الله عنه : الصبر مطية لا تكبر ، والقناعة سيف لا ينمو[256] .

وقال رضي الله عنه : الصبر كفيل النجاح[257] [258] .

---

(245) ك : النساء الضعفة

(246) ورد النص في سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ج 1 ص 84 مع إختلاف يسير.

(247) البهجة ج 1 ص 195

(248) آية 137 الأعراف 7

(249) آية 10 الزمر 39

(250) آية 24 السجدة 32

(151) آية 46 الأنفال 8

(252) أنظر السراج ص 96 ــ 97

(253) السراج ص 97

(254) د ، ا ، ب ، ج : عطاء

(255) السراج : ص 97

(256) السراج ص 98 من الباب 32 ووردت أيضا في السلوانات ص 58 عبارة : الصبر مطية لا تكبو ، وفي الذخائر والأعلاق ص 61 .

(257) ق ، د ، ك : بالنجاح

(258) السراج ص 100 باب 32

وقال بعض الحكماء : ليس بمجموع له الرشد من شايع التلهف على[259] فائت أو أكثر[260] الفرح عند مستطرب[261] .

وقال تعالى : ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور[262] .

وقال رسول الله ﷺ : إن النصر مع الصبر .

ومن كلام بعض الحكماء : طوبى لمن غلب بتقواه هواه ، وغلب بصبره الشهوات[263] .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له : كف أذاك عنه ، واصبر على أذاه ، فكفى بالموت مفرقا .

وقال أبو عبيدة : ما اجتمعت العرب على شيء[264] أفضل من اجتماعها على الأمر بالصبر ، وتجنب أخلاق الغدر ، والأخذ على الناس بالعذر .

ومن كلام بعض الحكماء : الصبر حصن منيع المكان ، مشيد البنيان[265] .

ومن كلامه أيضا : الصبر جنة واقية ، وعزة باقية[266] .

وقال بعضهم : الصبر باب العز[267] والجزع باب الذل[268] .

ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[269] :

إني رأيت وللأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يطالبه[270] ... واستصحب الصبر[271] إلا فاز بالظفر

---

(259) ك : على ما فات
(260) ا ، ب ، ج : وأكثر
(261) ج : مستظرف ، ك : مستطرب
(262) آية 43 الشورى 42
(263) نقل من الذخائر ص 57 — 59
(264) د : شيء كاجتماعها
(265) (266) الذخائر والأعلاق ص 60
(267) ك : العزة
(268) (269) الذخائر والأعلاق ص 60
(270) د : يحاوله
(271) د : فاستصحب ، الذخائر : واستصحب

لا تضجرن ولا تدخلك معجزة فالنجح يتلف بين العجز والضجر[272]

وفي بعض الحكم : السعيد من قمع بالصبر شهوته ، ودبر بالحزم أمره[273] .

قال ابن سلام : ومن الصبر ما يكون تفضلا كمثل[274] من وصل إليه أذى من قول أو فعل في نفس أو مال ، وهو قادر على الانتصار متمكن[275] من المكافأة بظاهر الحق ، وموجب الشرع ، فترك ذلك تفضلا وتطولا ، ورده بالصبر شرعا[276] وتورعا[277] .

قال الله عز وجل : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين[278] . فالصبر[279] على الأذى مع القدرة على الانتصار من أرفع مراتب الصبر[280] .

وقال بعض الحكماء : من ألف الجزع قلبه ، عظم عليه خطبه ، وأنكره صحبه ، ولم يرض عنه ربه .

وقيل : الجزع والخور ينكدان العمر ولا يردان القدر .

ومن الصبر احتمال تعب التدبير ، فقد قال الحكماء : ليس في الأرض عمل أكد من سياسة العامة[281] .

ولذلك قالوا : سيد القوم أشقاهم ، وطلب[282] الملوك الراحة ، فحصلوا على التعب

---

(272) وردت هذه الأبيات في الذخائر ص 61 .
(273) الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 62
(274) ج : كمن
(275) الذخائر والأعلاق : ممكن
(276) الذخائر والأعلاق : تشرعا وتورعا
(277) ورد النص في الذخائر والأعلاق لابن سلام ص 64
(278) آية 126 النحل ص 16
(279) ج : والصبر
(280) ورد النص في الذخائر والأعلاق ص 64
(281) أ ، ب ، ج ، د : عامة
(282) ج : طلبوا

وفي محاسن البلاغة للتدميري رحمه الله[283] : ثلاث لا غنى للملك[284] عنها : أولها رحب الذراع ، والثانية : حسن التثبت ، والثالثة : الصبر على معاناة الأمور .

(283) رحمه الله : زيادة من ج
(284) ا ، ب ، ق : بالملك

الباب العاشر

في ذكر الوزارة والوزراء

قال ابن سلام : لا يستغني الملك عن وزير يستعين به في تدبير ملكه ، ويفوض إليه ما يشاء من حكمه ، ويصونه عن الامتهان ، ويرفعه عن التبذل في كل ماكان ، وإذا استكمل أحوال[1] الخصال المحمودة ، كانت وزارته زينا للإمامة ، وجمالا للخلافة ، وقوة على صلاح الدين والدنيا ، كما أنه إذا نقصه[2] منها شيء فيه[3] ، كان الاختلال في الدولة بحسب ذلك نقص[4] .

وفي وجوب اتخاذ الوزارة يقول ابن العميد :

هيهات لم تصدقك فكرتك التي   قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد   أرضا ولا أرض بغير سماء

أرسطاطاليس : ارع وزيرك أكثر من مراعاتك[5] لنفسك ، وشاوره في قليلك وكثيرك ، وادنه من مجالستك[6] ، فإنه زينك في الملا وأنسك في الخلا ، وساترك[7] في البأساء والضراء ، واعتبر الفرزان[8] مع الشاه عند كونه معه وذهابه[9] عنه ، فإنه أصح مثل[10] في هذا المعنى ، ولا تعتقد أن رياسة تقوم دون وزير .

---

(1) جـ ، ك ، ق : أحوال — ساقطة —
(2) د : نقص — وكذلك في الذخائر والأعلاق ، ك : أنقصه
(3) وردت فيه في د فقط
(4) ورد النص في الذخائر والاعلاق لابن سلام ص 154
(5) د : رعايتك
(6) د : مجلسك .
(7) د : وسترك .
(8) ا ، ب : الصبران .
(9) د : وذهابها .
(10) د : مثل

سأل يزدجرد حكيما من الفلاسفة ما صلاح الملك؟ قال : وزراؤه، إذا صلحوا ، صلح[11] .

قال الله سبحانه وتعالى في قصة موسَى عليه السلام : «وَٱجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي»[12] ، فلو كان السلطان يستغني عن الوزارة ، لكان أحق ٱلناس به كليم ٱلله موسَى بن عمران» .

ثم ذكر حكمة الوزارة ، فقال : اشدد به أزري وأشركه في أمري[13] .

وكان يقال : حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم .

في سراج الملوك : اشرف منازل الآدميين النبوءة ، ثم الخلافة ، ثم الوزارة[14] .

في محاسن البلاغة للتدميري : الوزير عون على الأمور ، وشريك في التدبير ، وظهير على السياسة ، ومفزع عند النازلة .

الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه[15] .

قالوا : وأول ما يظهر نبل الملك وقوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب الوزراء وانتقاء الجلساء ومحادثة العقلاء[16] .

وقيل : ظهير[17] الأمير وزيره وزينه حاجبه ، ولسانه كاتبه ، وعينه رسوله[18] .

واختلف أرباب اللغة في اشتقاق الوزارة على قولين :

أحدهما : أنها من الوزر بكسر الواو ، وهو الحمل . وكأن الوزير قد حمل عن السلطان الثقل . وهذا قول ابن قتيبة .

---

(11) السلوانات ص 81 وفي مروج الذهب ج 1 ص 304 .

(12) آية 29 سورة طه 20 .

(13) آية 29 سورة طه 20

(14) سراج ص 70 من الباب 24 وقد وردت نفس العبارة في الباب العاشر من كتاب الشهب .

(15) ورد النص أيضا في السراج ص 70 من الباب 24 .

(16) ورد النص في السراج ص 70 من الباب 24 .

(17) د : ضمير

(18) ا ، ب ، د ، ك : ورسوله عينه

والثاني : أنها من الوزر بفتح الواو والزاي[19] وهو الحبل الذي يعتصم به لينجى من الهلاك ، وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد عليه الخليفة أو السلطان ويلتجىء إلى رأيه ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ، والأول أحسن ، والله أعلم .

قيل : وأول ما يستفيده الملك من الوزراء أمران : علم ما كان يجهله ، وزوال الشك فيما يقوي به علمه ، والسلطان مثل الطبيب ، ومثل الرعية كمثل المرضى ، ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء ، فإن كذب السفير ، بطل التدبير ، وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل[20] أحدا من المرضى ، وصف للطبيب نقيض دائه ، فإذا سقاه[21] الطبيب على صفة السفير هلك العليل ، كذلك الوزير ينقل للملك ما ليس في الرجل ، فيقتله الملك ، فمن هاهنا شرط أن يكون الوزير صدوقا في لسانه ، عدلا في دينه ، مأمونا في أخلاقه[22] ، بصيرا بأمور الرعية . وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الأمانة والبصيرة[23] .

ومن شروطه أيضا أن يكون مكين الرحمة للخلق ، ليأسو[24] برحمته ما يجرحه[25] السلطان بغلظته[26] .

ومن شروطه : أن يكون نقي الجيب ، ناصح الغيب ، مؤديا للنصيحة .

قال صاحب السراج : ومن شروطه أن يكون معتدلا كليل تهامة ، لا حر ولا قر[27] .

ومن شروطه : أن يكون ذاكرا لما يؤديه إلى الخليفة ، وعنه ، لأنه شاهد له ، وعليه .

ومن شروطه : الذكاء والفطنة ، حتى لا تدلس عليه الأمور ، فتشتبه ، ولا

---

(19) د : والراء

(20) ج : يهلك

(21) ك : أسقاه

(22) سراج : الخلافة

(23) ورد هذا النص في السراج ص 70 — 71 الباب 24

(24) د : ليأمن

(25) ك : ما يخرجه

(26) سراج ص 70 — 71 الباب 24

(27) سراج ص 71 — 72 من الباب 24

تموه[28] فتلتبس ، فلا[29] يصح مع اشتباهها عزم ولا يتم مع التباسها حزم .

ومن شروطه : النزاهة وهي من آكدها ، ومنها الحنكة[30] والتجربة التي تؤديه[31] إلى صحة الرأي وصواب التدبير ، فإن في التجارب خبرة بمواقع الأمور .

ومنها أن يكون تام الأعضاء ، مواتيا[32] للأمور التي من شأنها ، أن يكون بها ومنها .

ومنها : أن يكون جميل الوجه غير صلف ولا وقح .

ومنها : أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على ما في قلبه بأوجز الألفاظ .

ومنها : أن يكون حسن الملبس .

ومنها : أن يكون حسن المعاملة ، سمْح الخلق ، لين الجانب ، سهل اللقاء .

ومنها : أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح ، متجنبا[33] اللذات والمزاح .

ومنها : أن يكون عالي الهمة ، محبا للكرامة ، أنوفا من الهضيمة .

ومنها أن يكون محبا للعدل ، وأهله ، مبغضا للجور والظلم ، يعطي النصفة لأهلها ، ويرثي لمن حل به الظلم والجور ، ويمنع من ذكر ذلك ، ولا تصحبه[34] في ذلك مساعدة أحد من خلق الله .

ومنها : أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي ينبغي أن يفعل ، جسورا عليه ، غير خائف ، ولا ضعيف النفس ، ثابت القلب[35] .

ومنها : أن يكون ممن يحسن الفروسية ومباشرة الحروب[36] .

---

(28) ب : تحمده

(29) ا ، ب : ولا

(30) ا ، ب ، ك : الحكمة

(31) د : تؤدي

(32) د ، ك : مرتبا

(33) ا ، ب ، ج ، د ، ق : مجنبا ك : مجلبا . وفي سياسة أرسطو المطبوع : متجنبا وهو ما اعتمدناه .

(34) د : ولا يساعده ، أحدا من خلق الله على أمر

(35) د : القلب

(36) د : الحرب

ومنها : أن يكون من بيت الوزارة ، ممن كان أبوه وزيرا خادما ، فإنه وارث[37] حالة نشأ: عليها ودرب على ممارستها .

ومنها أن يكون عالما بجميع الجبايات وخراجها[38] ، بحيث لا يخفى عليه وجه من وجوه المصلحة فيها ولا تشتكي الرعية إليه إلا علم[39] وجه تشكيها ومداواتها . وإذا علم الخدمة أن الوزير عالم بهم ، لم يقدموا[40] على إدخال داخلة .

ومن شروطه : أن لا[41] يكون كثير الكلام ، مهذارا ، كثير المزاح والتعريض بالناس ، والاستخفاف بهم[42] .

ومنها : أن يكون ليله كنهاره في لقاء الناس وحسن النظر[43] ، والتدبير ، ويكون محله موطنا للصادر والوارد من ذوي الحاجات ، مصغيا إلى أخبارهم ، مسددا لأحوالهم ، مؤنسا لوحشتهم ، صابرا على تحملهم .

ومنها : أن لا يكون من قرابة الخليفة[44] ، فقد قال أرسطاطاليس للاسكندر : أعظم ما أوصيك به أن لا تستوزر أحدا من قرابتك ولا تثق إليهم بشيء من أعمالك[45] .

ومنها : أن يكون عارفا بالادب مع الملوك[46] . وقد افرد الناس لذلك كتبا وافية به[47] .

قال أرسطاطاليس : مما تجرب به وزيرك أن تريه الحاجة إلى نفقة بيت المال ،

---

(37) د : نشأ على حالة ورثها .

(38) ق : وخرجاتها

(39) ا ، ب ، ق : على

(40) ج : يقدروا

(41) د : الا

(42) وردت هذه الشروط في سياسة أرسطو ص 138 ـــ 139 مع اختلاف في الترتيب والصياغة مع زيادة في الأصول أحيانا وأخرى عند ابن رضوان .

(43) ا ، ب ، ج ، ق : الظن

(44) ج : الملك

(45) سياسة أرسطو ص 142

(46) د : بالأدب ، ق : للأدب

(47) د : كتابا وافيا .

فإن حملك على استخراج ما في خزائنك ، وسهل عليك نفقة المال بلا[48] رأس مال له فيك إلا بالضرورة[49] الشديدة التي لا حيلة فيها ، فإن المال لمثل[50] ذلك اعتد وادخر ، وإن حملك على أخذ أموال الناس ، فهذا سيء السياسة ، يبغضك إلى الكافة ، ويحض[51] على ما فيه فساد المملكة . وإن بادر إلى ما كسبه معك من نعمتك[52] ، ونتج من رأيه ما يقيم بغيتك ، فهذا[53] يجب أن تذكر له صنعه ، وتعلم أنه أراد هلاك نفسه في طاعتك[54] .

يحكى أن أحمد بن الخصيب وزير المستنصر بالله والمستعين بالله ، كان فيه[55] طيش وتهور ، فوقف له بعض المتظلمين يوما وشكا حاله ، فأخرج رجليه[56] من الركاب ، وزج المتظلم في فؤاده ، فقتله فتحدث الناس بذلك . وقال فيه بعض الشعراء :

قل للخليفة يا ابن عم محمد
أشكل وزيرك إنه ركال
أشكله[57] عن ركل الرجال فإن ترد
مالا فعند وزيرك الأموال[58]

كان إقطاع الوزير أبي الفرج يعقوب من مخدومه العزيز صاحب مصر، مائة ألف دينار ، ووجد له بعد موته من العبيد والمالك أربعة آلاف ووجد له جوهر

---

(48) د : فلا رأس مال لك فيه . ق : فلا رأس مال له فيك .
(49) ق : في الضرورة .
(50) د : فإن المال لذلك : أعد
(51) د : ويحظ
(52) د ، ك : نعمته .
(53) ج : فبهذا
(54) ورد النص في سياسة أرسطو (الأصول اليونانية ج 1 ص 137) .
(55) د : ذا ، ك : به
(56) ج ، ك : رجله
(57) ورد البيت الثاني في — د — فقط .
(58) وردت القصة في مروج الذهب جـ 5 ص 48 وفي الهفوات النادرة للصابيء ص 261 ط 1967/1 وقد ورد البيتان في الكامل منسوبين لابي العيناء محمد بن القاسم الهاشمي كما وردا في معجم الأدباء وفي محاضرات الراغب وسقط البيت الثاني من ك .

بأربع مائة ألف دينار[59] .

حكى أبو الحسين[60] محمد ابن الحسين الفارسي النحوي أن بعض الملوك كتب إلى الصاحب بن عباد في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدبير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة حمل ، فما الظن بما يليق به من غير ذلك[61] .

قيل : وهو أول ، من لقب بالصاحب ، لصحبته لابن العميد ، وبقي علما عليه ، ثم سمي به عند المشارقة كل من ولي الوزارة[62] .

---

(59) وفيات الأعيان جـ 7 ص 33

(60) د : أبو الحسن

(61) في وفيات : فما الظن بما يليق بها من التجمل

(62) وفيات الأعيان جـ 1 ص 231 ، وجـ 1 ص 229 .

الباب الحادي عشر

في ذكر الكتابة والكتاب

ابن سلام : الكتابة لها آداب وشروط ، فمنها أن يكون الكاتب جيد المعرفة ، حسن الخط ، مهذب الطباع ، نبيل الأدوات ، مشاركا في العلوم ، عالما بالكتاب والسنة ، عارفا بالسير ، واقفا على الأثر مع سلامة الحواس ، وفطنة الأكياس ، وذكاء الذهن ، وأمانة الغيب ، وحفظ[1] السر ، وصدق اللسان .

وينبغي أن يكون حسن الهيئة ، مقوم الخلقة ، نظيف الملبس ، طيب الرائحة . فربما أدناه الملك لأمر يسره[2] إليه ، وقرب مجلسه لمعنى[3] يطلعه عليه ، فلا يرى منه شيئا ينكره[4] ، ولا يشم عليه[5] ما[6] يكرهه[7] .

أرسطاطاليس : يجب أن تختار لكتب كتبك وسجلاتك التي هي (أقوى[8]) دليل على مقدار عقلك ، ونفوذ فهمك ، وموضع غرضك[9] عند المتأملين لها ، من لا يوقعك موقع نقص في شيء من عملك وفهمك[10] ، في رسائلك التي هي صفاتك وبها تستحق اسم الرياسة عند جميع الخاصة . فمعنى الكلام هو روحه ، وألفاظه هي جسمه ، والخط حليته . فكما يجب أن تكون حيا ناطقا حسن الصورة

---

(1) الذخائر والاعلاق : وكتم السر
(2) في الذخائر والاعلاق : يسر به
(3) د ، ك : لامر
(4) د ، ك : يكرهه
(5) ج : منه وكذلك في الذخائر
(6) الذخائر : رائحة يكرهها
(7) وورد النص في الذخائر والاعلاق ص 155 مع اختلاف في اللفظ
(8) إضافة من سياسة أرسطو
(9) د ، ك : عرضك
(10) سياسة : عقلك

والحلية ، فكذلك يجب أن تستعمل من الكتاب من يأتي بالمعنى الكامل في اللفظ الحسن البالغ بالخط الجميل الرائق فكتابك وجهك وهمتك ، وما تفاخرت الملوك على[11] قديم[12] الأيام إلا بكتابها[13] ، ولا رفعت إلى عظيم[14] المنازل إلا بكتابها ، وكما أنه يترجم عن إرادتك[15] ، ويطلع على أسرارك ، ويقيم على[16] المحافل وعند[17] نظرائك جاهك[18] فكذلك يجب أن ترعى من أموره ، بقدر ما يخدمه من إرادتك ويتحمله من أعباء رياستك ، وان تنزله منزلة الجزء منك الذي صلاحه بصلاحك[19] .. انتهى كلام أرسطاطاليس .

في بهجة المجالس ــ قال بعض الملوك : للكاتب الناصح ثلاث خلال[20] ، رفع الحجاب عنه[21] ، واتهام الوشاة عليه ، ودفع غائلة الغدر[22] عنه[23] .

قال العتابي : كاتب الرجل لسانه ، وحاجبه وجهه وجليسه كله[24] ، ونظم في ذلك فقال :

لسان الفتى كاتبه ووجه الفتى حاجبه
وندمانه كله[25] وكل له واجبه[26]

في[27] محاسن البلاغة للتدميري : كاتب الملك مستقر اسراره ، ولسانه الناطق

(11) د : في
(12) ق ، ب ، د : قدم
(13) د ، ك : بكتاباتها
(14) ج : أعظم
(15) ك : على
(16) د ، ج : في
(17) د : عند
(18) ق : جامدا
(19) سياسة أرسطو ص 144 مع اختلاف احيانا في الألفاظ وزيادة عند ابن رضوان .
(20) البهجة : خصال
(21) د : عليه
(22) أ : القدر ، البهجة : العدو
(23) البهجة ج 2 ص 257
(24) زيادة من مروج
(25) ق : كلهم
(26) مروج الذهب ج 4 ص 310
(27) ج : وفي

عنه في آفاق مملكته والمخصوص بقربه ، ولزومه عند[28] نظرائه .

وفي أرجوزة ابن الهبارية :

من كـــان ذا بـيــان	عـنـد الـتـبـاس الشـأن
طـبـا بصيرا بـالحيـل	ما شاء من شيء فعل[29]
فولـه الـرسـائلا	إن كـان شـهما عـاقلا
أو كـان ذا تـلـطـف	في كـل أمـر مسرف
وهـو أمين الـغـيـب	عـف نقي الجيب

واستمر في ذكر شروط الكتابة فقال :

خـط[30] ولـفـظ وأدب	وعـفـة عن[31] الـريب
والـعـقـل والـكتمان	والـقـلب والـلسـان
فـكـاتب الـرسـائـل	وال على المقـاتـل
إذ عـنـده الأسرار	اجـمـع والأخـبـار
يـقـلب قـلـوبـا	ويـؤنس الـغـريـبـا[32]
بـلـفـظـة قـبـيـحـة	أو لـفـظـة مـلـيـحـة[33]
فمصـلـح ومـفـسـد	مـقـرب ومـبـعـد[34]

لما توفي كاتب السر لعبد المومن بن علي اهتم لذلك ، حتى[35] ظهر عليه التأثر له . وقال مسعود بن سلطان الرياحي فسألته : ما الذي أهمه . فقال لي : إن كاتب سرنا قد مات ، واحتجنا إلى من نقيم[36] مقامه ، وما[37] وجدناه لأنه يحتاج في

---

(28) أ ، ب ، ج ، د ، ق : دون

(29) ق : جلل

(30) ج : خطا ولفظا وأدبا

(31) ب ، د : من

(32) وفي الصادح والباغم : ويفعل الغريبا

(33) وفي الصادح والباغم : أو نكتة مليحة

(34) وردت في ديوان الصادح والباغم لابن الهبارية (طبعة القاهرة سنة 1355 هـ ـ 1936م) 87 ـ 88 .

(35) د : حتى أثر فيه الاهتمام وظهر عليه

(36) أ ، ب ، ج : نقيمه

(37) ج : فما

كاتب السر أن يكون على صفة كذا وعلى نعت كذا . قال فقلت له : بشراك[38] يا أمير المؤمنين هذا الرجل ببجاية أبو الفضل ابن محمد بن علي بن طاهر ، ووصف له من صفاته ما وقع (منه) موقع القبول . فكتب إليه الأمير عبد المومن من حينه وأمر والي[39] بجاية أن يتحفى[40] به ، ويحمله خير محمل ، فلم يمكنه بعد وصول الأمر إليه إلا طاعته ، ولم يسعه التخلف ، ولما وصل إلى حضرة مراكش ومثل بين يدي الأمير عبد المومن بن علي ، رأى من حسن سيمته وروائه ، ووقاره ، ما أغناه عن اختباره ، فأكرم نزله ، ورفع منزلته ومحله . ولما وقع الاطلاع على ما عنده من فنون العلم ، علم أن الكتابة التي وقع استدعاؤه بسببها ، إنما هي بعض صفاته ، وإحدى آلاته وأدواته[41] وكان من عادته[42] أنه إذا وجه إليه[43] أمير المؤمنين ليأتي إلى محله ، ويتأنى ويتربص ويأتي على التؤدة والوقار وإصلاح الهيئة . ولم يزل ذلك دأبه ، إلى أن وشى به عند الملك من غص منه فقال : إنه لا يأتي إلا على قعدد على الخليفة . وقال ما شاء الله أن يقول ، فوقع في نفس الملك من ذلك شيء ، فاستدعاه يوما ، وأعجله ، فتأنى ، وجرى على عادته . ولما حضر بين يديه ، عاتبه وقال له : يا فقيه كثيرا ما تبطىء علينا إذا آستدعيناك ، فما هذا منك ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنت إمام المسلمين وما أحسب محل الإمامة إلا كمحل الصلاة ، فكما اتي إلى الصلاة ، اتي هذا المحل[44] .

وقد قال رسول الله ﷺ : إذا أتيتم الصلاة ، فلا تأتوها وأنتم تسعون[45] ، وأتوها وعليكم السكينة[46] فما[47] أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فاتموا ، فاستحسن ذلك منه أمير المؤمنين ، وزاد في تقريبه وتركه على حاله . وحاجة الخليفة إليه كانت أكثر من حاجته هو إليه[48] .

---

(38) د : بشرى لك به

(39) أ : وأمروا

(40) ك : يحتني

(41) د : وأداته

(42) د : عاداته

(43) أ ، ب ، ق : عنه

(44) ج : أتي إلى

(45) ا ، ب : يسرعون

(46) ك : الوقار

(47) ق ، ج : وما

(48) ورد النص في عنوان الدراية ص 30 — 31

رأى الملك الأشرف يوما في دواة كاتبه وشاعره الكمال أبي الحسن[49] علي بن محمد المعروف بابن النبيه المصري قلما واحدا ، فأنكر عليه ذلك ، فأنشده في الحال دوبيت :

قال الملك الأشرف قولا رشدا أقلامك يا كمال قلت عددا
جاوبت[50] لعظم كتب ما تطلقه تحفَى وتقط[51] فهي تفنَى أبدا[52]

ذكر أبو الحسن[53] هلال بن محسن أبي اسحاق الصابي في كتاب الهفوات النادرة له : أن أبا العلاء صاعد بن مخلد كاتب الموفق قرأ على الموفق كتابا لم يفهم معناه ، وقرأه الموفق ففهمه ، فقال فيه بعض الشعراء[54] :

أرى الدهر يمنع من جانبه ويهدي الحظوظ[55] إلى عائبه
وكم طالب سببا مخليا فاعيا (عناه) على طالبه
ومن عجب الدهر أن الأمير أصبح أكتب من كاتبه[56]

أرسطاطاليس : ولا بد للاجناد من كاتب حازم عالم ثقة مأمون ، ليلا يدخل على الجنود[57] داخلة في أعطياتهم ، فتفسد بذلك ضمائرهم ، ومتي أطلعت منه[58] على شيء من ذلك ، فاعزله عنهم ، واجمعهم لذلك ، مخبرا لهم ، أنك لما أطلعت على داخلة تضر بهم ، لم ترضها[59] فيهم .

ويجب أن يكون سمح الخلق ، لين الجانب ، سهل اللقاء ، لا يغيب ولا يشتغل بغير خدمة أحوالهم ، وتعهد أمورهم وحسم عللهم[60] .

---

(49) ق : أبي الحسين ، في المخطوطات الأخرى وفي وفيات الأعيان : أبي الحسن
(50) ورد البيت الثاني في الديوان « ناديت لطول كتب » ديوان النبيه (ط مصر سنة 1313 هـ) ص 52
(51) في وفيات الأعيان : فتقط ، ق :تقط
(52) أخذ ابن رضوان النص من وفيات ج 5 ص 334 .
(53) في جميع النسخ : أبو الحسين ، وفي الهفوات : أبو الجسن وقد فضلنا هذه .
(54) في الهفوات النادرة : عيسي بن القاشي
(55) الحظوظ : محذوفة من ك .
(56) ورد النص في الهفوات النادرة ص 277 وقد نقله أيضا عن الهفوات ابن خلكان جـ 6 ص 104 .
(57) د : الاجناد
(58) د : منهم
(59) ا ، ب ، ج ، د : لم ترضه
(60) ورد النص في سياسة أرسطو ص 148

قال صاحب الأحكام السلطانية : أما اشتراط العدالة فيه ، فلأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية ، فاقتضى أن يكون في العدالة والأمانة على صفات المؤتمنين ، وأما الكفاية فلأنه مباشر لعمل ، يقتضي أن يكون في القيام به مستقلا بكفاية المباشرين [61] .

(61) ورد النص في الأحكام السلطانية ص 215 .

الباب الثاني عشر

في تشييد المفاخر، وتخليد المآثر، واحياء سبل الخيرات واثبات رسوم القربات، وعمارة الأرض واصلاح المملكة واقتناء الذخائر

قال بعض الحكماء : إن أبرَّ الملوك من تم به سعي سلفه ، وأعقلهم من انقطع سعيهم عنده[1] .

وفي محاسن البلاغة : لا ينبغي للملك أن ينقض[2] سنّة صالحة عمل بها الصالحون قبله ، واجتمعت[3] عليها الألفة .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى على اثر وصفه لبعض المفاخر الدينية : ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ، ولمثلها فليعمل العاملون ، فإن فيها عز الدنيا وشرف الآخرة ، وحسن الصيت وخلود جميل الذكر ، فإنا[4] لم نجد شيئا يبقى على الدهر ، إلا الذكر حسنا كان أو قبيحا . وقد قال الشاعر :

ولا شيء[5] يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا[6] حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الأمر ، وقدم لنفسك، كما قدموا ، تذكر بالصالحات كما ذكروا . وادخر لنفسك في القيامة[7] ، كما ادخروا . واعلم أن

(1) السلوانات ص 75
(2) در : يهمل
(3) ج ، د : واجمعت
(4) ج ، سراج : فإنما ، د : فإن
(5) د : ولا شيئا يدوم فكن جميل الذكر في الدنيا حديثا
(6) ج : فإنما الدنيا
(7) ج : والسراج : الاخرة

المأكول[8] للبدن ، والموهوب للمعاد[9] ، والمتروك للعدو : فاختر[10] أي الثلاثة شئت والسلام[11] .

روي أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أمر ببناء المسجد الجامع بدمشق ، ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، فانفق عليهما الأموال الجليلة ، وكان المتولي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز ، وأمر الوليد أن يكتب بالذهب على الازورد في حائط المسجد : ربّنا الله ، لا نعبد إلا الله ، أمر ببناء[12] المسجد وهدم الكنيسة التي فيها[13] عبد الله الوليد أمير المومنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين[14] .

قال ابن جبير : وانتدب لبناء جامع دمشق الوليد ، ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بأشخاص أثني عشر ألف صانع من جميع بلاده ، وتقدم إليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه ، فامتثل أمره ، مذعنا بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك ، مما هو مذكور في كتب التواريخ[15] . فشرع في بنائه ، وبلغت الغاية في التأنق فيه . وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلي الأزدي[16] في جزء وضعه في بنيانه أربعمائة صندوق ، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . فكان مبلغ الجميع أحد عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف ألف[17] دينار . والوليد هو الذي أدخل الكنيسة فيه . وكان قسمين ، قسم للمسلمين ، وهو الشرقي ، وقسم للنصارى وهو الغربي . لأن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد[18] من الجهة الغربية ، فانتهى إلى نصف الكنيسة . وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ، ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجهة الشرقية ، وانتهى إلى النصف الثاني وهو الشرقي ، فاختاره[19] المسلمون ، وصيروه مسجدا وبقي النصف المصالح عليه ،

---

(8) د : الماء

(9) د : للعباد

(10) ج : واختر

(11) سراج ص 129 الباب 48

(12) ق : إلا إياه

(13) د : كانت هنا ، وفي مروج : التي فيه

(14) مروج الذهب ج 3 ص 365 — 366

(15) د : التاريخ

(16) د ، ك : الاسدي

(17) ك : في ، د ، ك : (ألف) محذوفة

(18) د : دمشق عنوة ، ك : البلاد عنوة

(19) ج : فاختار المسلمون النصف الشرقي الذي استفتح خالد رضي الله عنه عنوة ، ق ، ك : فاجتازه

وهو الغربي ، كنيسة بأيدي النصارى إلى أن عوضهم عنها الوليد ، فأبوا ذلك ، فانتزعه[20] من أيديهم قهرا وطلع لهدمه بنفسه ، وكانوا يزعمون أن من يهدم الكنيسة[21] ، يجن فبادر الوليد ، وقال : أنا أول من يجن في الله تعالى . وبدأ بالهدم بيده ، فبادر الناس وأكملوا هدمه . واستعدى[22] النصارى عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، وأخرجوا العهود التي بأيديهم من الصحابة رضي الله عنهم في إبقائه عليهم . فهمّ يصرفه إليهم[23] ، فاشفق المسلمون من ذلك ، ثم عوضهم[24] من[25] ذلك بمال[26] عظيم ، أرضاهم به ، فقبلوه[27] .

كان الوزير نظام الملك قد بنى دور العلم للفقهاء ، وأنشأ المدارس للعلماء ، وأسس الرباطات للعبادة ، والزهاد وأهل الصلاح والفقراء . ثم أجرى لهم الجرايات مشاهرة والكسى[28] والنفقات وأجرى الخبز والورق ، لمن كان من أهل الطلب للعلم ، مضافا إلى أرزاقهم . وعم بذلك سائر أقطار مملكة سلطانه أبي الفتح ابن البارسلان ، فلم يكن من أوائل الشام ، وهي بيت المقدس إلى سائر الشام الأعلى وديار بكر والعراق وخراسان بأقطارها إلى سمرقند من وراء[29] نهر جيحون مسيرة[30] زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو متعبد أو زاهد في زاويته إلا وكرامته شاملة له وسابغة عليه . وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الأبواب ستمائة ألف دينار في كل سنة ، فوشي به الوشاة إلى أبي الفتح الملك وأوغروا صدره عليه وقالوا : إن هذا المال المخرج من بيوت الأموال يقيم به جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية . فخامر ذلك قلب أبي الفتح فلما دخل عليه قال له : يا أبي[31] بلغني

---

(20) ج ، ق : فانتزع منهم

(21) د : يهدمها

(22) د : ولما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أيام خلافته أتاه النصارى واخرجوا العهود التي بأيديهم

(23) ج : فعوضهم

(24) ك : عليهم

(25) د : عن

(26) د ، ك : مالا عظيما

(27) ورد هذا النص في رحلة ابن جبير ص 235 — 236 (دار صادر بيروت 1348 هـ — 1964م)

(28) سراج ، ك : والكساوي

(29) د : إلى

(30) د : زهاء مسيرة

(31) ق ، د ، ج : يا أبتي ، سراج ، ك : يا أبت

عنك أنك تخرج من بيوت[32] الأموال كل سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينفعنا ، ولا يغني عنا . فبكى نظام الملك . وقال : يا بني أنا شيخ أعجمي ، لو نودي[33] علي فيمن يزيد لم أحفظ[34] خمسة دنانير ، وأنت غلام تركي ، لو نودي عليك ، عساك[35] تحفظ[36] ثلاثين دينارا . وأنت مشتغل بلذاتك ومنهمك في شهواتك ، وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصيك دون طاعتك . وجيوشك الذين تعدهم للنوائب إذا احتشدوا كافحوا عنك بسيوف طولها ذراعان وقسي[37] لا ينتهي مدى مرماها[38] ثلاث مائة ذراع ، وهم مع ذلك مستغرقون[39] في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور . وأنا أقمت[40] لك جيشا يسمى جيش الليل ، إذا نامت جيوشك ليلا قامت[41] جيوش الليل على أقدامهم صفوفا بين يدي ربهم ، فأرسلوا دموعهم ، وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ، ومدوا إلى الله تعالى أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك . فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون ، وبدعائهم تثبتون ، وببركاتهم تمطرون وترزقون . تخرق سهامهم إلى السماء السابعة بالدعاء والتضرع . فبكى أبو الفتح بكاءا شديدا ، ثم قال : شاباش يا أبة شاباش يا أبة ، أي أكثر لي من هذا الجيش .

وهذا الرجل هو الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد ، وإليه تنسب رحمه الله تعالى[42] .

قلت[43] : ومن الاستنجاد بالدعاء الصالح واعتماده ، والشيء بالشيء يذكر ، ما حكاه ابن قتيبة قال : حدثني محمد بن عبيد قال : لما صاف[44] قتيبة بن مسلم

---

(32) ج ، د : بيت المال

(33) ا ، ب ، ج : نادى

(34) د : لم أبلغ

(35) د : عسي

(36) ك : تبلغ

(37) ا ، ب ، ج ، ق : وقؤوس . سراج ، ك : وقوس

(38) سراج : مرماه ثلاثة أذرع

(39) ق : متفرقون

(40) د ، ق : وإنما أقمت لك شيئا

(41) د : قاموا

(42) وردت القصة في سراج ص 128 ــ 129 وبعض فقراتها في وفيات الأعيان ج 5 ص 187 .

(43) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

(44) د : أصاب

الترك ، وهاله أمرهم . سأل عن محمد بن واسع : ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جانح[45] على سية[46] قوسه ، ينضنض بأصبعه نحو السماء فقال قتيبة : تلك الأصبع الفاردة[47] أحب إلي من مائة ألف سيف شهير ورمح طرير[48] ، فلما فتح الله تعالى عليهم قال : ما كنت تصنع ؟ قال : آخذ لك بمجامع[49] الطرق[50] .

وشبه ذلك جرى عند التقاء[51] البارسلان ملك الترك مع ملك الروم ، وكان ملك الترك في اثني عشر ألفا من المسلمين ، وكان الروم في أعداد لا تنحصر وقوة لم يسمع[52] بها . وكان المسلمون لهم كأكلة جائع . وكان ذلك يوم الجمعة ، ولما استأذن المسلمون ملكهم في الحمل على العدو. قال لهم : أمهلوا ، فهذا يوم الجمعة ، والمسلمون يخطبون ويدعون لنا على المنابر في مشارق[53] الأرض ومغاربها ، فإذا زالت الشمس وفاءت الأفياء[54] علمنا أن المسلمين قد صلوا ، وصلينا نحن ، عملنا عملنا[55] ، فصبروا إلى أن زالت الشمس فصلوا ، ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه ، وأن يربط على قلوبهم الصبر[56] ، وأن يوهن عدوه ، ويلقي في قلوبهم الرعب ، ثم حملوا فكان الفتح المشهور الذي يقصر عنه الوصف . وشرح ذلك مستوفى في باب سياسة الحروب ، وأمثال ذلك كثير[57] .

رجع بنا الكلام إلى معنى الباب الذي نحن فيه ، قالوا : ومن مفاخر الملك صلاح الدين ما احتفل في انشائه بمشهد الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وبإزائه

---

(45) ك : جاثم
(46) سية القوس ما انعطف من طرفيها ، انظر عيون ج 1 ص 123 هامش 1
(47) ج : الباردة
(48) د ، ك : طويل
(49) د : مجامع
(50) عيون الأخبار ج 1 ص 124
(51) د : بين البارسلان
(52) ا ، ب ، ج : لا
(53) ا ، ب ، ج ، ق ، ك : مشرق الأرض وغربها
(54) ا ، ب : وجاءت
(55) د : حملنا
(56) د : بالصبر ويوهن عدوهم
(57) عيون الأخبار ج 1 ص 123

المدرسة العظيمة التي لم يعد في البلاد أوسع مساحة منها ولا أحفل بناء يخيل لمن يتطوف بها[58] أنها بلد مستقل بذاته ، بازائها الحمام ، وغير ذلك من المرافق[59] .

وممن له في المآثر المخلدة اليد العليا والفوز بأكبر مساعي البر المتكفلة بالحسنى الوزير جمال الدين ، وهو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الأصبهاني ، ولا يدعى إلا جمال الدين الجواد ، وزير صاحب الموصل ، فقد ثبت له من الآثار الكريمة والصنائع الحميدة والمصانع المبنية في ذات الله ، المشيدة ، ما لم يسبقه إليه أحد من أكابر الخلفاء وفضلاء[60] الوزارة . تمادى على هذه المقاصد السنية المشتملة على المنافع العامة للمسلمين في حرم الله سبحانه وحرم رسول الله ﷺ من خمسة عشر عاما ، لم يزل فيها باذلا أموالا لا تحصى في بناء رباع بمكة ، مسبلة في طرق الخير والبر مؤيدة محبسة ، واختطاط صهاريج الماء ، ووضع جباب في الطرق يستقر فيها ماء المطر ، إلى تجديد آثار من البناء في الحرمين الكريمين . وكان من أشرف أعماله أن جلب الماء إلى عرفات ، وقاطع عليه العرب بني شيبة ، سكان تلك النواحي المجلوب منها الماء ، بوظيفة من المال كبيرة على أن لا يقطعوا الماء عن الحاج[61] . فلما توفي الرجل رضي الله عنه ، عادوا إلى عادتهم الذميمة من قطعه .

ومن مفاخره ومناقبه أيضا أنه جعل مدينة الرسول ﷺ تحت سورين عتيقين ، أنفق فيهما أموالا لا تحصى كثرة ، ومن أعجب ما وفقه الله إليه أنه جدد أبواب الحرم كلها ، وجدد باب الكعبة المقدسة ، وغشاه فضة مذهبة وجلل العتبة المباركة بلوح ذهب أبريز . وأخذ الباب القديم ، وأمر بأن يصنع له منه تابوت يدفن فيه . فلما حانت وفاته ، أمر بأن يوضع في ذلك التابوت المبارك ويحج به ميتا ، فدفن بالموصل دون السنة ، وبعد ذلك سيق إلى عرفات ، ووقف به على بعير ، وكشف عن التابوت فلما أفاض الناس ، أفيض به وقضيت له المناسك كلها ، وطيف به طواف الإفاضة . وكان الرجل رحمه الله لم يحج في حياته . ثم حمل إلى مدينة الرسول ﷺ ، وله فيها الآثار الكريمة . فكاد أشرافها يحملونه على رؤوسهم ، وبنيت له روضة بإزاء روضة المصطفى ﷺ وفتح فيها موضع يلاحظ الروضة

---

(58) ا ، ب ، ج ، د ، ك : عليها

(59) وفيات ج 4 ص 24 ج 7 ص 206

(60) ا ، ب ، ق : والفضلاء

(61) د : الحجاج

المقدسة . وأبيح له ذلك على شدة الضنانة بمثله لسابق أفعاله الكريمة . وإليه ينسب أحد الحمامين[62] الذين بمكة المشهور بحمام جمال الدين . ولهذا الرجل رحمة الله عليه من الآثار السنية والمفاخر العلية التي لم يسبقه إليها أكابر الأجواد ، وسراة[63] الأمجاد فيما سلف من الأزمان ، ما يفوت الإحصاء ، ويستغرق الثناء ، ويستصحب طول الأيام من الألسنة الدعاء . وحسبك أنه اتسع اعتناؤه بإصلاح عامة طريق[64] المسلمين بجهة المشرق[65] من العراق ، إلى الشام إلى الحجاز حسبما ذكرناه ، فانبط[66] المياه وبنى الجباب ، واختط المنازل في المفازات ، وأمر بعمارتها مأوى لأبناء السبيل وكافة المسافرين وابتنى بالمدن المتصلة من العراق إلى الشام فنادق عينها لنزول الفقراء وأبناء السبيل الذين تضعف أحوالهم عن تأدية الأكرية ، وأجرى على خدمة تلك الفنادق والمنازل ما يقوم بمعيشتهم[67] . وعين لهم ذلك في وجوه تأبدت لهم ، فبقيت تلك الرسوم الكريمة ثابتة على حالها[68] إلى الآن . فسارت بجميل ذكر هذا الرجل الرفاق ، وملئت ثناء عليه الآفاق . وكان مدة حياته بالموصل قد اتخذ دار كرامة واسعة الفناء ، فسيحة الأرجاء ، يدعو إليها كل يوم الجفلى[69] من الغرباء ، فيعمهم[70] شبعا وريا ، ويجد الوارد والصادر من أبناء السبيل في ظله عيشا هنيا ، ولم يزل على ذلك أيام حياته رحمه الله تعالى ، فبقيت آثاره مخلدة ، وأخباره بالسنة الذكر مجددة ، وقضى حميدا سعيدا ، والذكر الجميل للسعداء حياة ثانية ، ومدة من العمر باقية . والله كفيل بجزاء المحسنين إلى عباده ، فهو أكرم الكرماء سبحانه[71] .

كان الوزير أبو المنصور بن عبد الله الملقب مجاهد الدين كثير الخير والصلاح ،

---

(62) د : الحمامان اللذان بمكة المشهوران بحمامي جمال الدين

(63) د : ولا سرا

(64) د : طرق

(65) ا ، ب : المشرقين العراق

(66) د : فاجرى

(67) د : بهم في عيشهم ، ك : بعيشهم

(68) د : حتى

(69) ك : جمع

(70) د : يكفيهم

(71) ورد بعض نصوص هذه الرواية عن الوزير الجواد جمال الدين في وفيات الأعيان ج 5 ص 143 — 147

عادلا في الرعية ، وبنى باربل مدرسة وزاوية ، وأكثر وقفها[72] ، ثم انتقل إلى الموصل وتولى أمورها وراسل الملوك ، وفوض إليه صاحب الموصل الحكم في جميع بلاده ، واثر بالموصل آثارا جميلة ، منها أنه بنى بظاهرها جامعا كبيرا ومدرسة وزاوية ، ووقف أملاكا[73] كثيرة على خبز الصدقات وأنشأ مكتبا للأيتام ، وأجرى لهم جميع ما يحتاجون إليه ، ومد على نهر الموصل جسرا غير الجسر الأصلي ، ووجد الناس به رفقا كبيرا لعدم كفايتهم بالجسر الأصلي ، وله شيء كثير من وجوه البر[74] .

كان أبو طالب ركن الدين أول الملوك السلجوقية كثير الصدقات ، وأفعال الخير ، وكان يقول : استحي من الله تعالى أن أبني دار ولا أبني إلى جانبها مسجدا[75] .

كان أبو القاسم محمود الملك العادل ملكا عادلا زاهدا عابدا ، ورعا متمسكا بالشريعة ، مائلا إلى أهل الخير مجاهدا في سبيل الله ، كثير الصدقات بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار ، مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة ، وبنى بمدينة الموصل جامع النورى ، وبحماة الجامع الذي على نهر العاصي ، وبنى مارستان دمشق ودار الحديث بها[76] .

كان السلطان أبو سعيد المدعو بالملك المعظم مظفر الدين صاحب أربل ، ممن له في فعل الخيرات غرائب ، ولم يكن شيء[77] في الدنيا أحب إليه من الصدقة[78] . كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز ، يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد ، يجتمع في كل موضع خلق كثير يفرق عليهم في أول النهار . وإذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع جمع كثير عند الدار ، فيدخلهم إليه ، ويدفع لكل واحد منهم كسوة على قدر الفصل من الشتاء أو الصيف أو غيرهما ، ومع الكسوة شيء

(72) د : أوقافها
(73) ج : أموالا
(74) وفيات الاعيان ج 5 ص 66
(75) وفيات الاعيان ج 4 ص 82
(76) ورد النص في وفيات الاعيان ج 5 ص 185 .
(77) د : — شيء — ساقطة
(78) د : الصدقات

من الذهب من الدينار إلى الاثنين والثلاثة[79] وأقل وأكثر[80] . وكان قد بنى أربعة مواضع للزمنى والعميان ، وملأها من هذين الصنفين ، وقرر لهم ما يحتاج إليه كل واحد ، وكان يأتيهم بنفسه في كل عصره[81] اثنين وخميس ، ويدخل إلى كل واحد في بيته ويسأله عن حاله ويتفقده بشيء من النفقة . وينتقل إلى الآخر وهكذا ، حتى يدور على جميعهم ، وهو يباسطهم ، ويمزح معهم ، ويجبر قلوبهم[82] .

قلت[83] : وكأنه استن[84] في هذا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يؤثر عنه في الحكاية الشهيرة[85] حين وجد الصبية يبكون وأمهم تؤنسهم[86] بقدر على النار لا طعام فيها ، وكان الجوع قد أضر بهم فأحضر لهم الدقيق ، وأعان أمهم على تهيئة الطعام لهم . وكان رضي الله عنه يباشر إيقاد النار ، فيتخلل الدخان لحيته الكريمة على الإسلام ، كرم الله وجهه . وحين طعم[87] الصبية ، آنسهم ، وأضحكهم . وقال : أتيتهم وهم يبكون ، فكرهت أن أنصرف عنهم ، حتى أتركهم يضحكون ، أو كلاما هذا معناه .

وقد كان رضي الله عنه يقطع ليله صلاة ، ونهاره صياما ، لا يزال[88] في حوائج الناس ، والسعي في الخير لهم .

وذكر الحسن : أن عمر رضي الله عنه بينما هو يعس في المدينة بالليل[89] ، أتى على امرأة من الأنصار تحمل قربة فسألها ، فذكرت أن لها عيالا ، وأن ليس[90] لها خادم ، وأنها تخرج بالليل فتسقيهم الماء ، وتكره أن تخرج بالنهار . فحمل عمر بن

(79) د : أو الثلاثة
(80) د : أو أكثر
(81) د : عصر ليلة .
(82) ورد هذا النص في وفيات الأعيان ج 4 ص 116 مع إختلاف يسير في اللفظ .
(83) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله
(84) ا ، ب : يستن
(85) ج : المشهورة
(86) د : تنومهم
(87) د : أطعم الصبيان
(88) ج : ولا يزال
(89) د : ليلا
(90) د : وليس لها خادم

الخطاب رضي الله عنه القربة عنها حتي بلغ منزلها . وقال لها : اغدي على عمر غدوة يخدمك خادما . قالت : لا أصل إليه . قال : انك ستجدينه[91] إن شاء الله ، فغدت عليه ، فعرفت أنه الرجل الذي حمل القربة ، فذهبت تولي[92] فأرسل في أثرها ، وأمر لها بخادم وكسوة[93] ونفقة[94] .

رجع الكلام إلى ذكر عادة الملك المعظم أبي سعيد صاحب اربل المتقدم ذكره ، وكان رحمه[95] الله قد بنى دارا للملاقط ودارا لصغار الأيتام ودارا للنساء الأرامل ، رتب بها جماعة من المراضع ، وكل مولود يلتقط يحمل إليها فيرضع ، وأجرى على أهل كل دار ما يحتاجون إليه في كل يوم ، وكان يدخل أيضا إليهم ، ويتفقد أحوالهم ، ويعطي النفقات زيادة على ما قدر لهم ، وكان يدخل إلى المارستان ، ويقف على كل مريض ، يسأله عن مبيته[96] وكيفية حاله ، وما يشتهيه ، وكان له دار مضيف يدخل إليها كل قادم على البلد[97] من فقيه أو فقير أو غيرهما[98] ، وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل[99] من قصد الدخول إليها . ولهم في الدار الغداء والعشاء ، وإذا عزم الإنسان[100] على السفر ، أعطوه نفقة على[101] ما يليق بمثله ، وبنى مدرسة رتب فيها الفريقين من الشافعية والحنفية . وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل السماط بها ، ويبيت ويعمل السماع . وإذا طاب وخلع شيئا من ثيابه سير[102] للجماعة (بكرة شيئا[103]) من الإنعام . ولم يكن له

---

(91) ج :ستجديه

(92) د : مولية ، ج : ترجع حياء منه

(93) «كسوة» وردت في د فقط

(94) ورد هذا النص في سراج : ص 131 — 133 من الباب 49

(95) د : وكان الملك أبو سعد المذكور قد بني دارا

(96) د : حاله ومبيته

(97) ج : للبلد

(98) ج : وغيرهما

(99) ج : أحد ممن قصد إليها

(100) ج : أحد

(101) ج : نفقة تليق بمثله

(102) ك : صير

(103) في جميع النسخ «شيء» ما عدا ، ك : حيث ورد : شيئا . وفي وفيات الأعيان بكرة شيئا ، وفضلنا قراءة الوفيات .

لذة سوى[104] السماع ، فإنه[105] كان لا يتعاطى المنكر ، ولا يمكن من إدخاله إلى البلد[106] ، وبنى للصوفية زاويتين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ، ويجتمع في أيام المواسم فيهما خلق[107] كثير ، ولهما أوقاف وافرة تقوم[108] بجميع ما يحتاج إليه ذلك الجمع ، ولابد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها . وكان يسير في كل سنة دفعتين مع جماعة من أمنائه إلى بلاد الساحل ، ومعهم جملة مستكثرة من المال يفتك بها أسرى المسلمين من أيدي الكفار ، فإذا وصلوا إليه أعطى كل واحد شيئا . وإن لم يصلوا ، فالأمناء يعطونهم بوصية منه في ذلك ، وكان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج[109] ، وسير معه جميع ما تدعو حاجة[110] المسافر إليه في الطريق ، ويسير صحبته أمينا[111] معه خمسة آلاف دينار ، وستة آلاف ، ينفقها بالحرمين على المحاويج وأرباب الرواتب ، وله بمكة[112] حرسها الله آثار جميلة ، وبعضها باق إلى[113] الآن وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف ، وغرم عليه جملة كبيرة من المال ، وعمل بالجبل[114] مصانع للماء ، فإن الحجاج[115] كانوا يتضررون من عدم الماء هناك .

وأما احتفاله بمولد النبي الشريف[116] ﷺ ، فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به ، وقد عمل له الحافظ أبو الخطاب بن دحية كتابا في ذلك سماه كتاب « التنوير في مولد البشير النذير »[117] ، لما رأى من اهتمام مظفر الدين به. وكان رحمه الله تعالى متى أكل شيئا استطابه ، لا يختص به ، بل يقول : احملوا هذا إلى

---

(104) ق ، ج : الا
(105) د : ويمنع من ادخال المذكر للبلد
(106) ج : للبلد
(107) ق : من الخلف ما يعجب الإنسان من كثرتهم
(108) تقوم ـــ ساقطة منك ـــ
(109) د : للحجاج
(110) ج : الحاجة
(111) د : أمين
(112) ك : بركة
(113) ج : إلى الآن ـــ ساقطة ـــ
(114) ج : للجميل ، وفيات : وعمر الجبل
(115) جـ ،ق : الحاج
(116) وردت كلمة الشريف في ق فقط
(117) في وفيات « التنوير في مولد السراج المنير » .

الشيخ فلان أو فلانة ممن[118]هو عندهم مشهور بالصلاح[119] .

قلت[120] : وكأنه نظرا إلى ما روي من أنه كان مكتوبا على جوانب[121] مائدة أنو شروان : ليهنه[122] طعامه من أكله[123] من حله ، وعاد على ذوي الحاجات من فضله .

كان أبو الفتح ملك شاه بن البارسلان السلجوقي مغرما بالعمائر ، فحفر كثيرا من الأنهار ، وعمل على كثير من البلدان الأساور ، وأنشأ في المفاوز[124] رباطات وقناطر ، وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد في سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وزاد في دار السلطنة بها . وصنع بطريق مكة مصانع ، وانفق عليها أموالا كثيرة خارجة عن الحصر ، وأبطل المكوس ، والخفارات[125] في جميع البلاد ، وكان لهجا[126] بالصيد حتى أنه ضبط ما اصطاده بيده ، فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار ، بعد أن نسي كثيرا منه ، وقال : إني خائف من الله سبحانه من إزهاق الأرواح لغير[127] مأكلة . وصار بعد ذلك كلما قتل صيدا ، تصدق بدينار ، وخرج مرة لتوديع الحاج[128] ، فجاوز العذيب ، وشيعهم بالقرب من الواقصة ، وصاد في طريقه وحشا كثيرا فبنى هنالك منارة[129] من حوافر الحمر الوحشية ، وقرون الظباء التي صادها في تلك الطريق . وكانت السبل في أيامه ساكنة ، والمخاوف آمنة ، تسير القوافل مما وراء[130] النهر إلى أقصى الشام ، وليس

(118) د : لمن كان حينئذ
(119) ورد هذا النص في وفيات ج 4 ص 116 — 117
(120) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله
(121) ك : جانب
(122) ق ، ك : ليهنيه ، د : لهيئة
(123) د : أكل
(124) د : الآصواز
(125) ق : والخفارة
(126) د : لهاجار
(127) د : الغير المأكولة الاجساد
(128) د : الحجاج
(129) د ، ج : منارا
(130) ج : عن

معها خفير[131] . ويسافر[132] الواحد والاثنان من غير خوف ، ولا رهب[133] . وحكى محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه : أن السلطان ملك شاه المذكور توجه لحرب أخيه ، فاجتاز بمشهد علي بن موسى الرضي رضي الله عنهما بطوس ، ودخل مع نظام الملك الوزير وصليا فيه وأطالا الدعاء . ثم إنه قال لنظام الملك : بأي شيء دعوت ؟ قال : دعوت الله تعالى أن ينصرك ، ويظفرك بأخيك ، فقال : أما أنا فلم أدع بهذا ، بل قلت : اللهم انصر[134] أصلحنا للمسلمين[135] وأنفعنا للرعية[136] .

يقال إن ملك ايذج وتستر كان ملكا صالحا خيرا . أخبر الثقاة أنه عمر ببلاده أربعمائة (وستين[137]) زاوية منها بحضرته ايذج[138] أربع وأربعون . وقسم خراج بلاده ، أثلاثا ، فالثلث منه لنفقة[139] الزوايا والمدارس ، والثلث منه لمرتب العساكر ، والثلث لنفقته ونفقة عياله وعبيده وخدامه . ويبعث منه لملك العراق هدية في كل سنة[140] .

كان السلطان غياث الدين من ملوك الهند عادلا حليما فاضلا ، ومن مكارمه[141] أنه بنى داراً وسماها دار الأمن . فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه ، ومن دخلها خائفا امن ، ومن دخلها وقد قتل أحدا ، أرضى عنه أولياء[142] المقتول . ومن دخلها أيضا من أهل الجنايات[143] أرضى من يطلبه . وفي تلك الدار دفن لما مات رحمه الله[144] .

---

(131) ك : غفير
(132) ق : يسير
(133) ق : ولا رهبة
(134) ك : نصر — محذوفة —
(135) ا ، ب : للناس
(136) استند ابن رضوان على وفيات الاعيان ج 5 ص 283
(137) وردت ايذج في ج فقط وقد وردت أيضا في رحلة ابن بطوطة
(138) زيادة في رحلة ابن بطوطة
(139) وردت في ج فقط وأيضا في رحلة ابن بطوطة — لنفقة —
(140) ورد النص في رحلة ابن بطوطة (طبعة صادر ودار بيروت 1384 هـ — 1964م) ص 194 — 195
(141) د : أخباره
(142) د : القاتل
(143) د ، ج ، ق : ذوي ، ك : أولياء
(144) رحلة ابن بطوطة ص 424

كان سيف الدولة الحمداني قد جمع من بعض الغبار الذي يجتمع[145] عليه في غزواته شيئا ، وعمله لبنة بقدر الكف وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده ، فنفذت وصيته في[146] ذلك[147] .

قال بعض الرواة : حججت فرأيت مالا عظيما ، وثيابا كثيرة تفرق في المسجد الحرام . فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : بخراسان رجل صالح عظيم النعمة والمال ، أنفذ عام أول مالا عظيما وثيابا إلى هاهنا مع ثقة له وأمره أن يختبر قريشا ، فمن وجده منهم حافظا للقرآن دفع إليه[148] كذا وكذا ثوبا ، وكذا وكذا دينارا .

قال : فحضر الرجل عام أول ، فلم يجد في قريش البتة أحدا يحفظ القرآن ، إلا رجلا واحدا من بني هاشم ، فأعطاه قسطه ، وتحدث[149] الناس بالحديث ، ورد باقي المال إلى صاحبه ، فلما كان في هذه السنة ، عاد بالمال والثياب ، فوجد خلقا كثيرا ، من جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته[150] . وأخذوا الثياب والدراهم قد[151] فنيت ، وبقي منهم من لم يأخذ ، وهم[152] يطالبونه به .

قال : فقلت له لقد توصل هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له .

كان الملك المعظم شرف الدين بن الملك العادل سيف الدين بن أيوب صاحب دمشق عالي الهمة جامعا شمل أرباب الفضائل محبا لهم ، وكان محبا للأدب ، وذكر أنه كان قد شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة ، فحفظه لهذا السبب جماعة كثيرة من أهل[153] بلده .

---

(145) د : يجمع

(146) ج : بذلك

(147) وردت هذه العبارة في وفيات الاعيان ج 3 ص 405 .

(148) ج : أعطاه

(149) د : وحدث

(150) د : فحضرتم وقد أخذوا

(151) د ، ك : وقد نفذت

(152) أ ، ك : فهم

(153) وفيات الأعيان ج 3 ص 494 — 495

فصــل

نظر معبد بن سنان إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو يغرس فسيلة ، فقال[154] : أتغرس هذه الفسيلة وهذه الساعة قد أظلتك ؟ فقال عثمان : لأن يراني الله مصلحا ، أحب إلي من أن يراني الله مفسدا .

كان المعتصم يحب العمارة ويقول : إن فيها أمورا محمودة أولها عمران[155] الأرض ، التي يحيي بها العالم ، وعليها يزكو الخراج ، وتكثر الأموال وتعيش البهائم ، وترخص الأسعار ، ويتسع المعاش . وكان يقول لوزيره : إذا وجدت موضعا ، متى انفقت فيه عشرة دراهم ، جاءني بعد سنة أحد عشر درهما ، فلا تؤامرني فيه[156] .

كتاب محاسن البلاغة : زينة السلطان خلتان : الظفر[157] والاصلاح .

ذكر الفرس أن يزدجر بن بهرام سأل حكيما من الفلاسفة ما صلاح الملك فقال : الرفق بالرعية وأخذ الحق منها[158] بغير عنف والتودد بالعدل[159] ، وأمن السبل وانصاف المظلوم[160] .

ابن قتيبة : قال زياد : احسنوا إلى المزارعين[161] ، فانكم لن تزالوا[162] سمانا ، ما سمنوا[163] .

وفي سراج : إذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين[164] ، فيتركونها ،

---

(154) ج : قال

(155) ك : عمارة

(156) ورد النص في مروج الذهب ج 4 ص 344 — 345

(157) د : الظرف

(158) مروج : منهم

(159) مروج : بالعدل إليهم

(160) ورد النص في مروج الذهب ج 1 ص 304

(161) د : الزارعين

(162) ج ، سراج : لم تزالوا وعيون الانباء : لا تزالون

(163) ورد النص في عيون الأخبار ص 10 وفي سراج ص 123 باب 47

(164) ج ، د : الأرض

فتخرب الأرض ويهرب الزراع ، فتضعف العمارة ، فيضعف الخراج ، وينتج ذلك ضعف الاجناد ، وإذا ضعف الجند ، طمع العدو[165] .

روي أن المامون أرق ذات ليلة فاستدعى سميره فحدثه بحديث . فقال : يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة ، وبالبصرة بومة ، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة ابنتها لابنها : فقالت بومة البصرة : لا أنكحك ابنتي إلا أن تجعلي لي في صداقها مائة ضيعة خرابا . فقالت بومة الموصل : لا أقدر عليها الآن ولكن إن دام والينا ، سلمه الله علينا ، سنة واحدة ، فعلت لك ذلك ، قال : فاستيقظ المامون لها وجلس للمظالم ، وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد[166] أمر الولاة[167] .

قلت[168] : وقد حكى مثل هذا عن بعض الأقدمين والله أعلم[169] .

ابن حزم : يأخذ الناس السلطان بالعمارة ، وكثرة[170] الغراس ، ويقطعهم الاقطاعات[171] في الأرض الموات ويجعل لكل واحد ملك ما عمر[172] ويعينه على ذلك ، فبذلك ترخص الاسعار ، ويعيش الناس والحيوان ويعظم الأجر ، ويكثر الاغنياء ويكثر ما تجب فيه الزكاة . قال : ولا يمنع الإمام من البنيان الواسع وأن يبلغ[173] به غاية الإتقان والقوة ، ولكن يمنع من التزويق والنقش والتزخرف وما أشبه ذلك .

فصل

كان هشام بن عبد الملك بن مروان يستجيد الخيل ، وأقام الحلبة ، فاجتمع له من خيله فيها وخيل غيره أربعة آلاف فرس ، لم يكن[174] ذلك في جاهلية ولا

---

(165) السراج ص 123 من باب 47 .
(166) د : ونفذ
(167) السراج ص 123 من الباب 46
(168) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله
(169) يشير ابن رضوان هنا إلى قصة بهرام بن بهرام مع الموبذان وصياح البومتين مروج الذهب ج 1 ص 293 — 294 .
(170) ج : الغراسة
(171) ج : ويعطيهم
(172) د : بعينه
(173) ق ، ج : بلغ ، د : ويكثر ما تجب غاية الاتقان .
(174) ج : ولم ، مروج الذهب ، ولم يعرف ذلك

اسلام لأحد من الناس . واستجاد أيضا الكساء والفرش وعدد الحرب ولامتها[175] .

وكان الوليد بن عبد الملك مغرما[176] بالخيل[177] وحبها وجمعها ، وإقامة الحلبة ، وله أخبار حسان في جمعه الخيول[178] في الحلبة وأنه اجتمع له يوم الحلبة ألف قارح ، ذكره ابن عفير ، وجعفر بن سليان وغيرهما[179] .

حكى المؤرخون : أن أبا الحارث سنجر بن ملك شاه ابن البارسلان ملك خراسان اجتمع عنده[180] من الجوهر ألف وثلاثون رطلا . ولم يسمع بمثل هذا ، ولا بما[181] يقاربه عند أحد من الملوك . واجتمع أيضا في جملة ثيابه ألف ثوب ديباج أطلس أعطاها في يوم واحد . وأخبر خازنه أنه اجتمع في خزائنه من الأموال ، ما لم يسمع[182] عن أحد من الأكاسرة ، أنه اجتمع[183] له مثله[284] .

---

(175) مروج ج 4 ص 41

(176) ا ، ب ، ج ، د ، ق : مغرى

(177) ج : الخيل

(178) ج : الخيل

(179) مروج الذهب ج 4 ص 55 إلى 57

(180) د ، ك : له

(181) ج : ما

(182) ق : يسمع مثله

(183) ج : مثل ذلك — انتهى النصف الأول بحمد الله تعالى وحسن عونه — منه وكرمه وتوفيقه

(184) ورد النص في وفيات الاعيان ج 2 ص 427 — 428

الباب الثالث عشر

في الجود والسخاء ومكارم الأخلاق، والمكافأة على السوابق والوفاء بالعهود وذكر التهادي، وبذل المعروف والمكرمات

قال صاحب السراج في ذكر السخاء : هذه الخصلة الجليل قدرها ، العظيم موقعها ، الشريف موردها ومصدرها هي إحدى قواعد المملكة ، وأساسها وتاجها وجمالها ، تعنو لها الوجوه ، وتذل لها الرقاب ، وتخضع لها الجبابرة ، ويسترق بها الأحرار ، ويستمال بها[1] الاعداء ، ويستكثر بها الثناء ، ويملك بها الغرباء والبعداء[2] ، وهي بالعزائم والواجبات[3] أشبه منها بالجمال والمحبوبات ، وأحوج خلق الله إليها من احتاج إلى عطف القلوب عليه ، وصرف الوجوه إليه ، وهو الملك[4] .

ابن سلام : قال ابن عباس رضي الله عنهما : سادات[5] الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الأتقياء ، فجميع خلال السخاء محمودة جامعة لخير الدنيا والآخرة ، فأما[6] في الآخرة ، فإنها توضح السبيل إلى النجاة ، وتبعث على دواعي الخلاص والفوز بالأمنية ، فإن صاحبها واثق بالله ، متوكل على الله ، مستمسك بحبل[7] الله ، عارف بما عند الله ، راض بما قسم له[8] الله ، وأما في الدنيا[9]

---

(1) ج : لها
(2) ج : ويستجلب بها البعداء
(3) ج : الواجبات
(4) ورد النص في السراج ص 88 من الباب 30 ونص السراج أطول
(5) ق : سادة ، وكذلك في الذخائر والاعلاق
(6) ق : فأما للآخرة ، ج : فأما الآخرة
(7) د : بحبله
(8) « له » غير موجودة في ا ، ب ، ق ، ك
(9) ج : أما الدنيا ، أ ، ب ، ق : وأما للدنيا

فإنه يورث الحمد، ويشيد المجد، ويكسب حسن الثناء، ويزرع المحبة في القلوب، فهو يعلي المراتب، ويحمد[10] العواقب، ويدفع النوائب. كما قال رسول الله ﷺ: صنائع المعروف[11] تقي مصارع السوء[12].

قال[13] ﷺ: إن بذلاء أمّتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور[14].

قال ﷺ: تجافوا عن ذنب السَّخي[15]، فإن الله آخذ بيده كلما عثر. وروي أنه عليه السلام لما أوتي[16] بأسارى بني العنبر، أمر بضرب رقابهم إلا رجلا واحدا، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال: يا رسول الله، الذنب واحد، والدين واحد، فما بال هذا من بينهم، فضحك رسول الله ﷺ وقال: يا علي، أتاني جبريل عليه السلام فقال: اقتل هؤلاء، وخل هذا، فإن الله شكر له سخاءه.

وروي في بعض الآثار أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام: لا تقتل السامري، فإنه سخي[17].

وقال رسول الله ﷺ: أحب[18] عباد الله إلى الله، أنفعهم لعباد الله[19].

عوتب عبد الله بن جعفر على كثرة[20] بذله وسخائه. فقال: إن الله تعالى عودني أن يتفضل علي، وعودته أن أتفضل على عباده، فأخاف إن قطعت، أن يقطع[21].

---

(10) ورد في جميع النسخ يحمل وكذلك في نص الذخائر المطبوع ولعل الصواب ما أثبتناه

(11) ج: فإنها تقي

(12) الذخائر والاعلاق ص 109 مع إضافات عند ابن رضوان

(13) ق، ج، الذخائر: وقال: «ﷺ» ــ ساقطة من ك

(14) نفس المصدر ص 109

(15) ق: السخاء

(16) ق: أتي

(17) الذخائر والاعلاق ص 110

(18) د: أن أحب

(19) الذخائر.... 110

(20) «كثرة» وردت في ج فقط، ووردت في الذخائر

(21) ورد النص في الذخائر والاعلاق ص 110 حيث جاء أن الحسن والحسين ابني علي هما عاتبا عبد الله بن=

وقال بعض[22] الحكماء : لن يستطع أحد أن يشكر[23] نعمة الله سبحانه ، بمثل الإنعام بها على خلق الله تعالى .

وقال بعضهم : استجلب بالانعام[24] منك ، إنعام الله سبحانه عليك ، تستزد[25] بما تهبه لغيرك ، ما يهبه لك : ثم تستفيد الشكر[26] .

وقال حذيفة : رب فاجر في دينه ، أخرق في معيشته ، يدخل الجنة بسخائه[26] .

أرسطاطاليس : سر الجود إيثار لذة الثناء على لذة المال[26] .

ومن أمثالهم : ما ضاع مال أورث حمدا[26] .

سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما السخاء؟ فقال : ما كان ابتداء ، وأما ما كان عن مسألة ، فحباء وتكرم[26] .

قال : بالافضال على الناس ، تعظم الاقدار .

قيل لبعضهم : ما حد السخاء قال : أن تكون بمالك متبرعا ، وعن مال غيرك متورعا .

حكي أن عبد الله بن عتبة باع غلة بثمانين ألف ، فقيل له : لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك ، لكان حسنا . قال : أنا أجعل هذا المال عند الله ذخرا ، وأجعل الله ذخرا لولدي . ثم أمر بقسم المال كله في أهل[27] الحاجة[28] .

في بعض الآثار : أن يحيى بن زكرياء عليهما السلام لقي ابليس ، فقال له : اخبرني بأحب الناس إليك ، وأبغض الناس إليك؟ قال : أحب الناس إلي المومن

= جعفر وورد النص في الاستيعاب « وعتب في ذلك فقال : إن الله عودني عادة وعودت الناس عادة فأنا أخلف إن قطعتها قطعت عني » الاستيعاب ج 2 ص 277

(22) الذخائر والاعلاق : رجل من الحكماء

(23) الذخائر والاعلاق : بشر الله على نعمة بمثل....

(24) أ ، ب ، ج : الأنعام

(25) ا ، ب ، د ، ق : تسترد بها

(26) وردت هذه النصوص في الذخائر : ص 110 إلى 112

(27) ج : ذوي

(28) د : الحاجات

البخيل ، وأبغض الناس إلي الفاجر السخي ، قال : ولم ؟ قال : لأن المومن البخيل كفاني بخله ، والفاجر السخي أخاف أن يطلع الله عليه في سخائه ، فيقبله ، ثم ولى . وهو يقول لولا أنك يحيى بن زكرياء ، ما أخبرتك .

من محاسن[29] البلاغة للتدميري[30] : كثرة المال عند السمحاء[31] أحد الخصبين ، وكثرته عند البخلاء أحد الجذبين ، انتهى .

فصل

قال رسول الله ﷺ : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[32] .

في محاسن البلاغة : مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة في قول الله عز وجل « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين[33] » .

خطب ثلاثة أخوة من العرب إلى عمهم ثلاث بنات له ، فقال : مرحبا بكم ، ولا أذم عهدكم[34] ، ولا أستطيع ردكم . أخبروني[35] عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر : الصون[36] للعرض والجزاء بالقرض[37] ، قال الأوسط : النهوض بالثقل والأخذ بالفضل ، قال الأصغر : الوفاء بالعهد والانجاز للوعد .

قال أحسنتم في الجواب ، ووفقتم للصواب[38] .

قال الحسن[39] : مكارم الأخلاق للمومن : قوة في لين وحزم في دين ، وإيمان[40] في يقين وحرص على العلم ، واقتصاد في الفقر ، وبذل في السعة ،

---

(29) ج : كتاب
(30) د : للتدميري وفي بقية النسخ للترمذي وصحة الإسم : للتدميري
(31) ج : السخاء
(32) البهجة ج 1 ص 598
(33) آية 199 الأعراب 7
(34) ا ، ب ، ج ، د : سعيكم
(35) البهجة : خبروني
(36) ج : الصدق
(37) ا ، ب ، ج ، د ، ق : بالغرض
(38) البهجة ج1 ص 599
(39) د : ثم قال : أحسن مكارم أخلاق : وقال الحسن ، أ ، ب ، ق : قال الحسين : مكارم الأخلاق المومن . البهكة : قال الحسن : مكارم الأخلاق للمومن .
(40) ق : وأمان .

وقناعة في الفاقة ، ورحمة للمجهود واعطاء في حق ، وبر في استقامة[41]

وقالت عائشة رضي الله عنها : خلال[42] المكارم عشر[43] تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده ، يقسمها الله سبحانه لمن أحب[44] : وهي صدق الحديث ، ومداراة الناس ، وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمم للجار ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وقرى الضيف ، والوفاء بالعهد ، ورأسهن كلهن[45] الحياء[46] .

في البهجة لأبي عمْرو : كان يقال خير أيام المرء ، ما أغاث فيه المضطر واكتسب فيه الأجر ، وارتهن فيه الشكر ، واسترق فيه[47] الحر[48] .

وقال الأشعث[49] بن قيس يوما لقومه : إنما أنا رجل منكم ، ليس لي فضل عليكم ، لكني أبسط لكم[50] وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأقضي حقوقكم ، وأحوط حريمكم . فمن فعل منكم مثل فعلي ، فهو مثلي ، ومن زاد علي فهو خير مني ، ومن زدت عليه ، فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضكم[51] على مكارم الأخلاق[52] .

قيل لبعض العرب : من السيد[53] فيكم فقال : الأحمق في ماله ، الذليل في[54] عرْضه ، المطرح لحقده ، المعتني بأمر عامته ، وقد روي مثل ذلك عن الأحنف[55] .

---

(41) البهجة ج 1 ص 599

(42) د : خلال — محذوفة

(43) ا ، ب ، ج ، ق : عشرة

(44) ق : لمن أحب من عبادة وهي

(45) ب ، د : كلها

(46) البهجة ج 1 ص 599 — 600

(47) د : الحد

(48) نقل بن رضوان النص من البهجة ج 1 ص 600

(49) البهجة : الأحنف

(50) ق : إليكم

(51) ا ، ب ، ج : أحقهم ، البهجة : أحضهم

(52) نقل النص من البهجة ج 1 ص 600 — 601 مع اختلاف بسيط في اللفظ

(53) د : ما السيد — البهجة ، ك : من السيد

(54) « في » زيادة في ق

(55) البهجة ج 1 ص 601

كان علي رضي الله عنه يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويطعم الناس في المسغبة ، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ، ويكسو العريان ، وينصر اللهفان[56] .

لما مات عمْرو بن مسعدة وزير المامون رفعت إلى المامون رقعة ، أنه خلف ثمانين ألف درهم ، فوقع[57] في ظهرها : هذا قليل لمن اتصل بنا ، وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف ، وأحسن لهم النظر فيما ترك[58] .

رفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال : قد قرأتها . حاجتك مقضية .

فقيل له : يا ابن (بنت[59]) رسول الله ﷺ ، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها . قال[60] : أخاف أن أسأل عن ذل مقامه بين يدي ، حتى أقرأها[61] .

كان سعيد بن العاصي قد سامره قوم من أصحابه ليلة ، حتى مضى من الليل جزء ، فلما انصرفوا رأى رجلا قاعدا قد بقي معه . فعلم أن له حاجة ، فأمر بإطفاء الشمعة . وقال له : قل حاجتك[62] يا فتى . فذكر حاجته . فأمر له بأربعة آلاف درهم . وكان اطفاؤه للشمعة أن لا يلحق[63] الفتى خجل ولا استحياء في مسألته .

قال مطرف بن الشخير : إذا كانت لأحدكم إلي حاجة ، فليرفعها في رقعة ، ولا يواجهني بها ، فإني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذل المسألة[64] .

قال أبو عمر بن عبد البر : قد روي عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك ، وتمثل يحيى المذكور بهذين البيتين :

---

(56) مروج الذهب ج 3 ص 174 — 175
(57) ك : فأوقع
(58) ورد النص في وفيات الاعيان ج 3 ص 476
(59) زيادة من الذخائر والاعلاق
(60) د ، ج : فقال
(61) ورد النص في الذخائر والاعلاق ص 112
(62) د ، ج : اذكر ، ق : ما
(63) د : إلا
(64) ورد النص مع اختلاف في اللفظ في السراج ص 94 — الباب 30

ما اعتاض[65] باذل وجهه بسؤاله
عوضا ولو نال الغنَى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنْته
رجح السؤال وخف كل نوال[66]

قلت : ومثله لأبي تمام في هذا[67] المعنَى :

وما أبالي وخير القول أصدقه
حقنت لي ماء وجهي أو حقنت[68] دمي[69]

يروى[70] أن عليا رضي الله عنه وقف عليه أعرابي فقال : إن لي إليك[71] حاجة ، رفعتها إلى الله ، قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن لم تقضها ، حمدت الله وعذرتك . فقال له علي : خط حاجتك في الأرض ، فإني أرى الضر[72] عليك . فكتب الأعرابيّ على الأرض : إني فقير ، فقال علي : يا قنبر ادفع إليه حلتي الفلانية ، فلما أخذها[73] ، تمثل[74] بين يديه وقال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن[75] الثنا حللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا[76]

(65) ج : أعاص
(66) نقل البيتين من البهجة ج 1 ص 168
(67) في هذا المعني — زيادة في — ج —
(68) البهجة : أم حقنت
(69) ورد البيت في البهجة ج 1 ص 170 وفي ديوان أبي تمام ص 145 ، وفي العقد الفريد ج 5 ص 279 ، ونهاية الارب ج 2 ص 110 وفصل المقال ص 293
(70) د : يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
(71) ا ، ب ، د : إليك — محذوفة
(72) د : الضني
(73) ج : أخذها الاعرابي
(74) د : أنشد الاعرابي ، ق : مثل
(75) ك : طيب
(76) ورد النص في السراج بتفصيل ص 94

في البهجة لأبي عمر : أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذن[77] له . فقال له الحاجب : أكتب كتابا وخففه ، أوصله لك ، فقال : لا أزيد على أربعة أسطر . فكتب في السطر الأول : الأمل والضرورة أقدماني على الملك ، وفي السطر الثاني : ليس مع[78] العدم صبر عن الطلب . وفي السطر الثالث : الرجوع بلا افادة[79] شماتة الأعداء ، وفي السطر الرابع : اما نعم مثمرة ، واما لا مؤيسة[80] . فوضع[81] كسرى تحت كل سطر زه[82] فانصرف بستة عشر الف درهم[83] .

فصل

كان مما حفظ عن كسرى أنوشروان ، فقد قيل له : ما أعظم الكنوز قدرا[84] وأنفعها عند الحاجة إليها ، فقال : معروف أودعته عند[85] الأحرار ، أو علم توارثه الأعقاب[86] .

في المقتطف من كلام الحسين بن علي رضي الله عنه : إن حوائج الناس إليكم ، من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم ، فتحول[87] نقما . واعلموا أن المعروف مكسب[88] حمدا ومعقب[89] أجرا ، فلو رأيتم المعروف رجلا ، رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ويفوق[90] العالمين ، ولو رأيتم اللؤم ، رأيتموه سمجا مشوها تنفر عنه القلوب والأبصار .

---

(77) ا ، ب : يأذن
(78) ج : على
(79) د : فائدة
(80) البهجة : لا و موئسة
(81) ج : فوقع ، البهجة : فوقع
(82) زيادة من البهجة : باربعة الاف درهم ، فانصرف
(83) ورد النص في البهجة ج 1 ص 268
(84) ا ، ب : قدرها
(85) عند — وردت فقط في ج
(86) د ، ج : توارثته .
(87) د : فتحجروا
(88) د : يكسب
(89) د : أو يعقب
(90) د : ويروق

ومن[91] الحكم المنثورة : لا شيء أحسن من المعروف إلا ثوابه .

وقال[92] أبو محمد عبد العليم بن عبد الملك الطرطوشي قالت الحكماء : ينبغي لذوي العقول من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه ، ولا يضعه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره . قال أبو الطيب[93] المتنبي في ذلك[94] .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا[95]
ووضع الندَى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندا[96]

ومن البذل الحسن في موضعه[97] ووضع الكرامة[98] في محلها ، ما رواه غير واحد من أن معاوية رضي الله عنه حج ، فلما قضى حجه ، وانصرف قال الحسن رضي الله عنه : إن علي دينا ، ولابد من لقاء هذا الرجل وإعلامه ، فركب في أثره ، وأتبعه ولحقه[99] فسلم عليه ، وأخبره بشأنه ، فبينما هو يخبره إذ مر عليه بختي[100] من بعض رواحله ، عليه ثمانون ألف دينار[101] ، وقد أعيا ، وتخلف عن الإبل فقال لأتباعه : ما هذا ؟ فأخبروه بخبره ، فقال : اصرفوه[102] بما عليه لأبي محمد .

قال ابن سلام : وفي تأخر[103] هذا البعير كرامة للحسن رحمه الله تعالى ورضي عنه[104] .

---

(91) ج : وفي
(92) ا ، ب ، د : قال محمد
(93) أبو الطيب — وردت في ج فقط
(94) في ذلك — وردت في ج فقط
(95) البهجة ج 1 ص 628 وفي ديوان المتنبي ص 361
(96) البهجة ج 1 ص 309 وديوان المتنبي ص 308
(97) ج ، ق : موقعه
(98) د : المكرمات
(99) ا ، ب ، ج : وتبعه ولحقه
(100) ق : بخت
(101) د : درهم
(102) ا ، ب ، ج : أصرفوها
(103) ا ، ب ، ج : تأخير
(104) ورد هذا النص في الذخائر والاعلاق ص 117 مع اختلاف بسيط في الجملة الأخيرة .

فصـــل

قيل للإسكندر : أي شيء نلته في ملكك ، كنت به أشد سرورا من غيره ؟ قال : قوتي على مكافأة من أحسن إلي[105] . حكي أن عبيد الله بن العباس أتاه رجل ، فقام بين يديه وقال له : يابن العباس إن لي عندك يدا ، وقد احتجت إليها ، فنظر[106] إليه وقال له : ما يدك[107] ؟ قال : رأيتك واقفا بزمزم ، وغلامك يمتح لك من مائها ، والشمس قد أضرب بك فظللتك[108] بكسائي ، حتى شربت فقال[109] : أجل إني لأذكر ذلك ، وإنه ليتردد في خاطري ، وقال لقيمه : ما عندك فقال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : أدفعها إليه ، وما أراها تفي بحق يده . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيك[110] ماكفاه ، فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمدا ﷺ ، ثم شفع بك وبأبيك . وهذا عبيد الله أول من وضع الموائد على الطرق[111] .

نظر حسان بن حنظلة الطائي إلى أبرويز قد خانته الرجال ، وأشرف على الهلاك ، فأعطاه فرسه[112] المعروفة بالصليب وقال : أيها الملك أنج على فرسي ، فإن حياتك خير للناس من حياتي . وأعطاه أبرويز فرسه سندير[113] فنجا عليه في جملة من الناس ، ومضي أبرويز إلى أبيه ، فكافأ[114] حسان ، وعرف له ما صنع[115] .

---

(105) جاء في بدائع السلك : قيل للاسكندر : بم نلت قال : باستمالة الاعداء والاحسان إلى الأصدقاء ج 1 ص 405 ، وقد ورد أيضا في نهاية الارب السفر 6 ص 58 . أما مصدر ابن رضوان فهو الذخائر والاعلاق ص 113 .

(106) فنظر إليه — ساقطة في ج « إليه » ساقطة في ك .

(107) ج : وما يدك عندي

(108) د ، ك : بردائي

(109) ج : قال .

(110) د : فيه

(111) د : الطريق وقد ورد النص في العقد الفريد ج 1 ص 294

(112) أ ، ب ، ج : الفرس

(113) ق : ك : شندار . والكلمة غير واردة في ج .

(114) أ ، ب ، ج ، د : فكفا .

(115) ورد النص في مروج الذهب جـ 1 ص 314 — 315 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حدث الفضل[116] بن الربيع ، قال : خرج المهدي متنزها ، ومعه عمر بن بزيغ فانقطع عن العسكر والناس في الصيد ، وأصاب المهدي جوع شديد فقال لعمر : ويحك ارتد إنسانا نجد عنده ما نأكل ، قال فما زال عمر يطوف إلى أن وجد صاحب مبقلة إلى جانبه وعاء له ، فصعد إليه فقال له عمر : هل عندك شيء يؤكل قال : نعم رقاق من خبز شعير وربيثاء[117] (وهو نوع من الصحناء[118]) وهذا البقل والكراث ، فقال له المهدي : إن كان عندك زيت فقد أكملت[119]) قال : نعم عندي فضلة منه ، فقدم إليهما ذلك ، فأكلا كثيرا ، وجعل المهدي يستطيب أكله ويمعن فيه حتى لم يبق منه فضل فقال لعمر : قل شيئا تصف الحال فيه فقال عمر :

ان من يطعم الربيثاء بالزيـ ... ـت وخبز الشعير بالكراث
لحقيق[120] بصفعه أو بثنتيـ ... ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدي : بئس والله ما قلت ، وشر ما جزيت ، ولكن أحسن من ذلك أن تقول :

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ ... ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافي العسكر ، ولحقته الخزائن والخدم ، فأمر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم .

وشبه ذلك[121] جرى له يوما وذلك أنه عدا به فرسه مرة أخرى ؛ وقد خرج للصيد ، فدفع إلى خباء أعرابي ، وهو جائع ، فقال يا أعرابي هل عندك قرى ، فإني ضيفك قال : أراك طريرا جسيما فإن احتملت[122] الموجود ، قربنا لك ما

(116) تاريخ الأمم والملوك ج 1 : عبد الله بن الربيع .
(117) د : وزبيب
(118) زيادة من الفخري
(119) زيادة من الفخري
(120) في الفخري : الجدير
(121) أخذ ابن رضوان القصة من مروج الذهب ج 4 ص 167 ووردت أيضا في الفخري ص 179 وفي الوزراء للجهشياري ص 46 كما وردت في تاريخ الملوك والأمم ج 6 ص 396 مع اختلاف في اللفظ والتفاصيل .
(122) ج : قبلت

يحضر. قال: هات ما عندك، فأخرج له لبنا في كرش له فسقاه، ثم سأله، فقال له[123]: أنا أحد قواد المهدي، ولبنك طيب، ثم قال: هات ما عندك فأخرج له فضلة نبيذ في ركوة[124]، فشرب الأعرابي وسقاه، فلما شرب قال له المهدي: أتدري من أنا؟ قال: (نعم[125]): زعمت أنك أحد قواد المهدي. قال: فلست كذلك أنا أمير المؤمنين بنفسه، فأخذ الأعرابي ركوته، فوكاها[126] فقال له المهدي: اسقنا يا أعرابي[127] قال: لا والله لا شربت[128] منها جرعة فما فوقها: ثم قال: سقيناك واحدة، فزعمت أنك أحد[129] قواد المهدي[130] فاحتملناها لك، ثم سقيناك أخرى[131]، فزعمت أنك أمير المؤمنين، لا والله ما آمن أن أسقيك الثالثة، فتقول أنا رسول الله ﷺ. فضحك المهدي، وإذ بالخيل قد أقبلت، وأحاطت به الخيل، ونزل إليه[132] أبناء الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي، فلم يكن له همة إلا النجاة، فجعل يشتد في عدوه، فرد إليه[133]. فقال: لا بأس عليك، وأمر له بصلة جزيلة من مال وكسوة وبزة وآلة فقال له المهدي: ما ترى يا أعرابي؟ فقال له: أشهد الآن أنك صادق، ولو أدعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها. فضحك المهدي منه حتى كاد أن يقع عن فرسه، وضمه لخواصه[134]، وأجرى له رزقا[135].

ابن المقفع[136]: ليعلم الملك أن الناس يصفون الملوك بسوء[137] العهد،

---

(123) ا، ب، د «له» محذوفة

(124) ا، ب، ق: زكوة، ج: زكرة

(125) زيادة من المروج.

(126) د: فأوكاها

(127) يا أعرابي زيادة من ج فقط

(128) د، ا، ب، ج، ك: ما شربت

(129) د: من

(130) د: الملك

(131) د: الثانية

(132) ق: به

(133) د: فرده إليه المهدي

(134) ج: من خواصه

(135) وردت في مروج الذهب بتفصيل جـ 4 ص 168 — 169

(136) ج: ابن قتيبة

(137) د: بنقض

ونسيان الود ، فليتدبر نقض قولهم ، وليكذب عن نفسه وعنهم صفات السوء التي يوصفون[138] بها[139] .

قلت[140] : وفي هذا المعنى قال أبو العباس السفاح : ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا ، وأولياؤنا خالون من حسن آثارنا[141] . نقله أبو منصور.

فصـــل

قال أرسطاطاليس : يا اسكندر[142] تحفظ من نكث ايمانك وخفر[143] عهودك ، فإنها شعبة قوية من دياناتك التي قدمت تحذيرك من الاستخفاف بشيء منها ، يا اسكندر وما دعاك إلى الحلف ، لا تستعمله ، إلا فيما لو حزت بالمواسي[144] لم تنكثه ، فوالله ما خرّبت مملكة ايتاخ وسقور وهنابخ[145] إلا لأنهم استعملوا ايمانهم في دنياهم وديانتهم منكوثة[146] .

أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام فقال له : « إنه كان صادق الوعد »[147] .

قال كعب : كان لا يعد أحدا شيئا إلا أنجزه .

قال بعض العلماء : إذا أنت قمت بعهود الله تشرعا وإيمانا ، ورعيت عهود الناس مبرة وإحسانا فقد أحرزت من الناس حمدا ، ومن الله عز وجل غفرانا .

وقال آخر : من نقض عهده ، ومنع رفده ، وأظهر حقده ، فلا خير عنده .

---

(138) د : يصفونه بها

(139) ورد النص في الادب الصغير (المجموعة الكاملة) ص 116 وبدائع السلك ص 220 المخطوط التونسي

(140) د : وقال المؤلف رحمه الله

(141) ورد النص في نهاية الارب السفر 6 ص 8

(142) د : للاسكندر

(143) د : ونقض ، ج ، ق : وخفر

(144) ج : المواسي

(145) أ ، ب ، ج ، ق : وهياسم ، ود : وهياتم ، وسياسة أرسطو وهنابخ . وقد اخترنا قراءة سياسة أرسطو

(146) سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ص 83 مع اختلاف .

(147) آية 54 مريم 19

قيل لبعضهم : ما علامة الإيمان ؟ قال : حسن الخلائق ، واتباع الحقائق ، وبذل الموافق[148] ، وحفظ العهود والمواثق ، والتسليم للقدر السابق . قيل : فما علامة النفاق ؟ قال : نقض العهد وخلف الوعد ومنع الرفد والكذب في الهزل والجد .

في محاسن البلاغة : الغدر ضامن من العثرة[149] ، قاطع ليد النصرة ، لم يغدر غادر إلا لصغر همته عن الوفاء . والوفاء وفاءان : أسناهما ، وفاؤك لمن لا ترجوه ، ولا تخافه .

أركان الدين والدنيا : الصدق والحلم والصبر والوفاء ، إذا جمع الله الأولين والآخرين ، رفع لكل غادر لواء فقيل : هذه غدرة فلان .

من مات ناكثا عهده ، جاء يوم القيامة لا حجة له ، فما نقض قوم عهدهم ، إلا أظهر الله عليهم عدوهم .

لا جنة أوقى من الوفاء

احراز العواقب بالاجتهاد وإصابة المحمدة بالوفاء .

في كتاب سمير الأريب للطرطوشي : الوعد سحاب والانجاز مطر[150] .

وفيه قال الزهري : حقيق من أورق بوعده[151] ، أن يثمر بانجازه[152] .

قال الشاعر :

إذا قلت في شيء نعم فاتمه
فإن نعم دين على الحر واجب[153]

---

(148) د : وبذل الموافق — محذوفة

(149) ا ، ب ، ج ، د : للعشرة

(150) ورد النص أيضا في « التمثيل والمحاضرة » هكذا : الوعد سحاب والانجاز مطره . وكذلك في بدائع السلك (النسخة التونسية) ص 663

(151) د : بوعد

(152) ورد النص أيضا في بدائع السلك ص 263 دون سند

(153) ويليه :

والا فقل لا تسترح وارح بها
لئلا يقول الناس انك كاذب

والبيتان لهرم بن غنام السلولي : حماسة البحتري ص 333 .

من كلام الحكماء : من قل وفاؤه ، كثر أعداؤه .

من أمثال الحكماء : حسب المرء من مكارم الأخلاق ، صيانة العهد والميثاق .

في منثور الحكم : من كرم الجدود ، وتمام السعود ، والقيام بالحدود ، الوفاء بالعهود .

قال بعض الحكماء : من لقي الله بلسان صادق ، وعامل الناس بحسن الخلائق ، وألزم نفسه رعي العهود والمواثق ، فقد أرضى المخلوق والخالق ، وأدرك في الفضل كل سابق[154] .

قال بعض العلماء : من وفى بعهود الناس استجاد دنياه ، ومن وفى بعهود الله ، استجاد اخراه . والخاسر من لم يحكم بما أنزل الله[155] .

قال رجل لبعض الصالحين : أوصني . فقال له : اتق الله سرك وعلنك ، وافعل الخير ما أمكنك ، ولا تضيع أمانة من ائتمنك ، وأصدق الحديث ساءك أو أحزنك ، فإن فعلت ذلك فقد استقدت السيادة[156] ورسنك[157] ، وأرحت من المكاره قلبك وبدنك[158] .

وقال غيره : إذا[159] أردت أن تحمي من الغير جنباتك ، وتصفو[160] من الكدر مدة حياتك ، وترى النمو في رزقك وحسناتك ، فلا تضيع عهد من يحافظ على متاعك ، ولا تقطع المعهود من هباتك ولا تجعل المطل ثمرة عداتك[161] .

وقيل في بعض الحكم : أخلق بالوفي[162] بالعهد ، أن يجتني ثمرة[163] المجد[164] .

---

(154) الذخائر والاعلاق : ص 130

(155) ورد النص في الذخائر والاعلاق لابن سلام ص 130

(156) الذخائر : الزيادة

(157) ا ، ب ، ج : ترسنك

(158) الذخائر والاعلاق ص 130

(159) الذخائر : أن

(160) في جميع النسخ : تصفي . وفي الذخائر : تصفو وقد فضلنا قراءة الذخائر والاعلاق

(161) ق : مناتك . الذخائر : ميثاقك

(162) في الذخائر : بالوفاء بالعهد

(163) الذخائر : الحمد

(164) ورد النص في الذخائر والاعلاق ص 130

في كتاب الذخائر لابن سلام : أن ملكا من الملوك كان له يوم بوس ، إذا خرج فيه ، ولقي أحدا على صفة يكرهها حبسه أياما ، ثم أمر بضرب عنقه ، فخرج يوما من تلك الأيام فلقي رجلا قصيا لم يكن عنده علم بشأنه على الصفة التي كان ينكرها فأمر بحبسه ، وأعلم الرجل بالأمر ، فحمد الله وسلم للقدر[165] ، فلما[166] قرب الأمد ، كتب للملك[167] يرغب في تخلية سبيله ، ليودع أهله ، ويوصي في ماله ، فأحضره وقال له : هذا أمر[168] لا يكون إلا بضامن آخذه بما أطلبك به ، فنظر الرجل في الحاضرين يمينا وشمالا : ثم مد يده إلى رجل منهم ، وقال : هذا يضمنني فقال له الملك : أتضمنه وقد عرفت ما يراد به ؟ فقال : نعم ، فأمر بحبسه مكانه ، ونهض المضمون إلى بلده ، فأوصى في ماله[169] وودع أهله ، وانصرف ، وقد وافق يوم تمام المدة ، فلما استأذن على الملك أمر بإحضارهما ، معا ، وقال للضامن : ما حملك على ضمانه ، والمخاطرة بنفسك في شأنه مع عدم معرفتك[170] له، ولو تأخر، لسبق فيك السيف العذل. قال له : أيها الملك ما رأيت، وقد وثق بي أن أخالف[171] ظنه في[172] ، فرجع إلى المضمون وقال له : ما حملك بعد تخلصك على التنشب ، وقد علمت المراد بك ؟ قال : لم يكن[173] يجمل بي أن أراه مكان الثقة ، فيراني مكان الغدر ، فعجب من وفائهما جميعا ، وعفا عنهما ، ورفع بؤس ذلك اليوم ، فلم يقصده بعد[174] ذلك[175] .

---

(165) ق : القدر

(166) ق : فلما حان الامر

(167) الذخائر : إلى الملك .

(168) ج : أمر — وردت في ج فقط

(169) ج : بماله

(170) «مع عدم معرفتك له» ورد في ج فقط ولم يرد أيضا في الذخائر

(171) ق : ألا أخالف

(172) ق : في — محذوفة — الذخائر : مني

(173) الذخائر : أكن

(174) ذلك زيادة من ج : فقط

(175) ورد النص في بذائع السلك ج 1 ص 485 ومصدر ابن رضوان الذخائر والاعلاق ص 131 .

فصـــل

في الـــتهادي

قال رسول الله ﷺ : تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء .

وقال ﷺ : تهادوا ، فإن الهدية تذهب السخيمة ، وتزيل وغر[176] الصدر . وكان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ، ويثيب عليها أفضل[177] منها[178] .

قال ابراهيم بن المهدي : كنت يوما عند الرشيد ، فإذا رسول قد أتى معه أطباق خيزران عليها مناديل ، ومعه كتاب ، فجعل الرشيد يقرأ الكتاب ويقول : بره الله ووصله الله ، وفعل به أو صنع ، فقلت : يا أمير المؤمنين من هذا الذي أطنبت في شكره ، حتى نشاركه في جميل ذكره ، قال : هذا عبد الله بن صالح ، ثم كشف المنديل ، فإذا أطباق بعضها فوق بعض في أحدها فستق ، وفي الأخرى بندق ، إلى غير ذلك من أنواع الفواكه الرطبة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، والله ، ما في هذا البرر ما يستحق به هذا الدعاء والوصف ، إلا أن يكون في الكتاب شيء ، قد خفي علي ، فنبذ الكتاب إلي ، فإذا فيه : دخلت يا أمير المؤمنين بستانا لي في داري عمرته بنعمتك ، وقد أينعت فواكهه ، فأخذت من كل شيء سببا ، وصيرته في أطباق من قضبان ووجهته إلى أمير المؤمنين ، ليصل إلى[179] من بركة دعائه مثل ما وصل إلي من نوافل بره . قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ما في هذا أيضا ما يستحق به هذا الثناء . فقال لي : يا غبي[180] ، أما ترى كيف كنّى بالقضبان عن الخيزران إعظاما لها ، بسبب أمنا رحمها الله تعالى[181] .

---

(176) ق : وجز ـــ البهجة : وحر الصدور

(177) د : بافضل

(178) ورد حديث في هذا المعنى في عيون الأخبار « تهادوا تحابوا فإن الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب . وفي حديث آخر تصافحوا فإن المصافحة تذهب غل الصدور ، وتهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة » عيون الأخبار ج 3 ص 34 وكذلك ورد الحديث في البهجة ج 1 ص 280 .

(179) د : إلى شيء

(180) ق : يا صبي

(181) مروج الذهب ج 4 ص 229

يروى أن المؤبذ[182] أهدى إلى المتوكل قارورة دهن وكتب معها إليه : إن الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير ، فلطفت ودقت ، كان أبهى لها وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير ، فعظمت وجلت ، كان[183] لها أوقع وأنفع[184] .

كان الشريف أبو محمد بن طبا طبا يهدي إلى كافور الأخشيدي في كل يوم[185] جام حلواء ، ورغيفا في منديل مختوم فيقبل ذلك ، فحسده بعض الأعيان ، وقال لكافور[186] : الحلواء حسن ، فما لهذا الرغيف ، فإنه لا يحسن أن يقابلك به . فأرسل إليه كافور وقال : يجرى[187] الشريف من الحلواء على العادة ، ويعفى من الرغيف ، فركب الشريف إليه ، وعلم أنه قد حسدوه على ذلك وقصدوا غير قصده ، فلما اجتمع به قال له : أيدك الله إنا لا ننفذ الرغيف تطاولا ولا تعاظما ، وإنما هي صبية حسنية[188] تعجنه بيدها ،وتخبزه على سبيل التبرك ، فإذا كرهته قطعناه . فقال كافور : لا والله لا نقطعه ، ولا يكون قوتي سواه . فعاد إلى ما كان عليه من إرسال الحلواء والرغيف[189] .

أهدى الملك الصالح صاحب مصر إلى الأمير أبي زكرياء هدية فيها سيف ، يذكر[190] أنه سيف عمار بن ياسر رضي الله عنه ، فوجه به الأمير أبو زكرياء يحيى[191] رحمه الله إلى ابن أبي الحسين لانتسابه لعمار بن ياسر واشتهاره بجودة الضرب ، وكتب إليه :

أيا عبد الاله إليك عضبا ... لجدك قاطع الحدين باتر
فأنت به أحق لذى[192] انتساب ... ويوم الحرب إذ تبلى السرائر

---

(182) ق : المؤيد ، مروج الذهب : وأهدىٰ الموبذان (موبذ)
(183) د : كانت أوقع وأنفع
(184) ورد النص في مروج الذهب ج 5 ص 20 كما ورد في عيون الاخبار ج 3 ص 38 دون ذكر السند
(185) ق ، د ، ج : يومين
(186) د : فقال له أما الحلواء
(187) د : في ، وكذلك في وفيات الاعيان
(188) ق : حسينية ، د : حسنية
(189) أخذ ابن رضوان النص من وفيات الاعيان ج 3 ص 81 .
(190) د : ذكر.
(191) يحيي زيادة من ق فقط
(192) د : إذا انتسابا

فكتب إليه ابن أبي الحسين يمدحه[193] :

أمولانا لئن أصبحت أولى بسيف الجد عمار بن ياسر
فودي[194] لو غزوت به حياتي عِداك ولست محتاجا لناصر
فسعدك قاتل كل الأعادي وحزبك ظاهر أبدا وقاهر

قال أبو الحسين بن سعيد : أصاب الرئيس أبا عبد الله بن أبي الحسين مرض اتصل بسببه انقطاعه[195] عن الخدمة ، فوجه إليه الأمير أبو زكرياء رحمه الله بطبق مغطى فيه ألفا دينار ، اثنان[196] وبطاقة فيها هذه الأبيات[197] :

أبا عبد الاله وقيت شرا ولا طارت بساحتك الخطوب
لقد تاقت لرؤيتك المآقي[198] كما ذابت لشكواك[199] القلوب
إذا نابت مهمات[200] فمن ذا يجليها سواك ومن ينوب
عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فكتب إليه الرئيس أبو عبد الله ابن أبي الحسين رحمه الله مجاوبا :

حييت بنعمتين وذاك نثر وهذا النظم يعشقه حبيب
ومولانا الذي ما زال قدما ينوع جوده مهما يثيب

---

(193) يمدحه : وردت في ج فقط
(194) ج : بودي
(195) ق : انقطاع
(196) اثنان غير موجودة في د.
(197) ج : مكتوب هذه الأبيات
(198) ج : الأماني ، أ ، د : المثاني .
(199) أ ، ب ، د : بشكواك
(200) ج : مهما .

الباب الرابع عشر

في إكرام أهل الوفاء، ورعاية العهود واحتمال قول الحق ولو كان مرا

قال صاحب التاج : من أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وبرهم ، والاستقامة[1] إليهم ، والثقة بهم ، والتقدمة لهم[2] على الخاص والعام ، والحاضر والبادي[3] .

قلت[4] : ومن عادة الملوك مقابلة أضدادهم ، بعكس ذلك قيل : وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحد مؤونة فيه .

يروى أن أبا جعفر المنصور وجه إلى رجل من أهل الشام من شيبان ، وكان من بطانة هشام ، فسأله عن تدبير هشام في بعض حربه للخوارج ، فوصف له الشيخ ما دبر . فقال : فعل « رحمه الله كذا » « وصنع رحمه الله كذا » . فقال المنصور : قم عليك لعنة[5] الله تطأ بساطي ، وتترحم على عدوي . فقام الرجل ، وهو يقول : يا أمير المؤمنين إن نعمة عدوك لقلادة[6] في عنقي ، لا ينزعها إلا غاسلي . فقال المنصور : ارجع يا شيخ ، فرجع ، فقال : أشهد أنك نهيض حرة[7] وغراس كريم ، عد إلى حديثك . فعاد الرجل إلى حديثه ، حتى إذا فرغ ، دعا له بمال ، فأخذه وقال : والله يا أمير المؤمنين ما لي إليه حاجة . ولقد مات عني من كنت في

(1) ا ، ب ، د : والاستنامة
(2) د : لهم — محذوفة
(3) التاج ص 190 مع زيادة
(4) د : قال المؤلف رحمه الله
(5) ج : لعنك الله
(6) د ، ج : قلادة
(7) أ ، ب ، ج : جدة

ذكره آنفا ، فما أحوجني إلى الوقوف على باب أحد بعده ، ولولا جلالة عز أمير المؤمنين وإيثار طاعته ، ما لبست لأحد بعده نعمة . فقال المنصور : مت إذا شئت يا شيخ ، لله أنت ، فلو[8] لم يكن لقومك غيرك ، كنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا[9] .

قال ابن سلام : دعا سليمان بن عبد الملك بيزيد[10] بن أبي مسلم ، وهو موثق[11] في الحديد . وكان صاحب أمر الحجاج ، فلما دخل عليه ازدراه حين[12] رآه ونبت[13] عنه عيناه وقال : ما رأيت كاليوم ، وكان يزيد لا[14] يملأ العين منظره . ثم قال له سليمان : لعن[15] الله رجلا أقادك رسنه ، وحكمك في أمره . فقال له يزيد : لا تقل هذا يا أمير المؤمنين انك ازدريتني[16] ، والأمر عني مدبر ، وعليك مقبل ، ولو رأيتني[17] والأمر علي[18] مقبل ، لاستعظمت من أمري ما استحقرت ، واستكبرت منه ما استصغرت . فقال له سليمان : صدقت ، ثكلتك أمك اجلس فجلس في قيوده فقال له سليمان : عزمت عليك يا ابن أبي مسلم ، لتخبرني عن الحجاج ، أتراه يهوى في نار[19] جهنم ، أم قد قر[20] بها قال : يا أمير المؤمنين لا تقل هذا في الحجاج ، وقد بذل لكم النصيحة واخفر دونكم[21] الذمة ، ووالي وليكم وأخاف عدوكم[22] وإنه يوم القيامة لعن يمين عبد الملك

(8) د : فان.

(9) ورد النص في التاج مع اختلاف ص 200 — 201 كما ورد في مروج الذهب مع اختلاف أيضا ج 4 ص 133 .

(10) الذخائر : يزيد

(11) د ، ج : موثوق في الحديد ، ا ، ب ، ق ، الذخائر : موثق في الحديد . وفيات الأعيان : وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم وهو في جامعة .

(12) الذخائر : حيث

(13) د : وبانت عينه عنه المنظر

(14) ج : ينبو عنه المنظر

(15) ج : فقال سليمان ما رأيت كاليوم — لعن...

(16) د : رأيتني

(17) ق : فلو رأيتني وهو مقبل

(18) د : عني .

(19) نار وردت في د فقط ولم ترد في الذخائر

(20) الذخائر : قاربها ، ق : قربها

(21) ا ، ب : دينكم

(22) ج : وعادى

ويسار الوليد ، فاجعله حيث شئت ، فصاح سليمان استكراها لكلامه ، وأمر بإخراجه ، ثم التفت[23] إلى جلسائه ، وقال : ثكلته أمه ، ما أحسن بديهته ، واحد قريحته ، وأجمل تزينه[24] لنفسه ، ولصاحبه . لقد أحسن المكافأة على الصنيعة وراعى اليد الجميلة ، خلوا سبيله ، وأمر بحل قيوده ، ولم يتعرض لمضرته[25] .

في التاج : أن الاسكندر لما قصد نحو الفرس تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم ، يتقربون به إليه ، فأمر بقتلهم لسوء[26] فعلتهم ، وقلة شكرهم لملوكهم ، ومن أنعم عليهم ، قال : من غدر بملكه ، كان بغيره أغدر[27] .

يحكى عن شيرويه أن رجلا من الرعية وقف له يوما ، وقد رجع من الميدان ، فقال له : الحمد لله الذي قتل ابرويز على يدك ، وملكك ما كنت أحق به منه ، وأراح آل[28] ساسان من جبروته وعتوه ومكره ، فإنه كان ممن يأخذ بالاحنة ، ويقتل بالظنة ، ويخيف البرية ، ويعمل بالهوى ، فقال شيرويه للحاجب : احمله معك إلي ، فحمله . فلما نزل قال : كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟ قال : كنت في كفاية من العيش . قال : فكم رزقك اليوم؟ قال : ما زيد في رزقي شيء . قال : فهل وترك ابرويز فانتصرت منه بما سمعت من كلامك؟ قال : لا ، قال : فما دعاك إلى الوقوع فيه ، وهو لم يقطع عنك مادة رزقك ، ولا وترك في نفسك ، وما للعامة والوقوع في الملوك ، فأمر[29] بعقابه .

في التمثيل : إذا رأيت كلبا تبعك ، وترك صاحبه ، فإنه تاركك كما تركه[30] .

وفي معناه قولهم : لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ، ولا من اغتاب

---

(23) ج : والتفت

(24) الذخائر : تزيينه

(25) ورد النص أيضا في وفيات ج 6 ص 309 — 310 مع اختلاف كما ورد في مروج الذهب ج 4 ص 9 — 10 في صورة أقرب إلى الصورة التي أوردها ابن سلام — ونقلها عن هذا الأخير ابن رضوان . انظر النص في الذخائر والاعلاق لابن سلام ص 97 .

(26) ق ، د ، ج : فعلهم — التاج : رعيتهم

(27) ورد النص في التاج ص 197 .

(28) د : بني

(29) د : وأمر

(30) التمثيل والمحاضرة ص 354

عندك ، أن يغتابك عند غيرك[31] .

وقال أبو عمْرو بن العلا : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك ، فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده .

روي أن عدي بن حاتم دخل على معاوية فقال له[32] معاوية : ما فعلت الطرفات[33]؟ يعني أولاده قال : قتلوا مع علي رضي الله عنه ، قال : فما أنصفك علي ، قتل أولادك وبقي أولاده ؟ فقال عدي : أنا[34] ما انصفت عليا إذ قتل وبقيت بعده . فقال له معاوية : اما انه قد بقيت قطرة من دم عثمان لا يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن . فقال عدي : والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا وإنَّ أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت[35] إلينا من الغدر فترا[36] ، لندنين إليك من الشر شرا ، وان حز[37] الحلقوم ، وحشرجة الحيزوم ، لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي ، فسل[38] السيف يا معاوية ، يبعث السيف . فقال معاوية : هذه كلمات حكم ، فاكتبوها . وأقبل على عدي محادثا له ، كأنه ما خاطبه بشيء[39] .

قلت[40] : هذا نقل[41] المسعودي ، ووقفت لغيره على أن الأحنف دخل يوما على معاوية فقال له : والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين ، إلا كانت حزازة في قلبي

---

(31) التمثيل والمحاضرة ص 447

(32) له — زيادة من مروج

(33) د : القرابات

(34) انا وردت في د فقط

(35) د : لئن تقربت إلينا بشبر من الغدر ، لنتقربن إليك بذراع ، وإن حز الحلقوم .

(36) مروج : شبرا .

(37) مروج : جز

(38) في جميع النسخ : فسم السيف ، تبعث السيف وفي نص مروج الذهب المطبوع « فسلم السيف يا معاوية يبعث السيف ولعل الأرجح هو « فسل السيف ، يا معاوية... ويبعث السيف . » وهو ما أثبتناه في أعلى .

(39) ورد النص في مروج الذهب ج 3 ص 190 ، كما ورد في عيون الأخبار منسوبا إلى الأحنف بن قيس لا إلى عدي بن حاتم ج 2 ص 230 .

(40) د : قال المؤلف رحمه الله .

(41) د : نقله

إلى يوم القيامة . فقال له الأحنف : والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قتلناك بها لفي أغمادها [42] ، وان تدن من الحرب إلينا فترا ، ندن [43] منها شبرا ، وان [44] تمش إليها ، نهرول إليها [45] .

ثم قال : وخرج ، وكانت أخت معاوية من وراء الحجاب تسمع كلامه ، فقالت : يا أمير المؤمنين من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ فقال لها [46] : هذا الذي إذا غضب ، غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب [47] .

روي أن معاوية لما نصب ولده يزيد لولاية العهد ، أقعده في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجل ، ففعل مثل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين ، لأضعتها . والأحنف بن قيس جالس فقال له معاوية : ما بالك لا تقوم يا أبا بحر؟ فقال : أخاف الله ان كذبت ، وأخافكم إن صدقت . فقال له معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيرا ، وأمر له بألوف . فلما خرج ، لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له : يا أبا بحر إني لأعلم أن شر من خلق الله سبحانه هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال ، بالأبواب والأقفال ، فليس يطمع في استخراجها إلا بما سمعت . فقال له الأحنف : امسك عليك ، فإن ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها [48] .

يقال : إن أزدشير بن بابك أقام على حصار الساطرون أربع سنين ، وهو لا يقدر عليه ، وكان للساطرون ابنة يقال لها نضيرة ، وكانت في غاية الجمال ، فأشرفت ذات يوم ، فأبصرت أزدشير ، وكان من أجمل الرجال ، فهويته ، فأرسلت إليه أن يتزوجها ، وتفتح له الحصن ، واشترطت [49] ذلك عليه . والتزم لها

---

(42) د : لعلى عواتقنا
(43) د : دنونا منها إليك شبرا
(44) د : وان تأتيها مشيا ، أتينا إليها هرولة .
(45) إليها — ساقطة في ج .
(46) لها وردت في ج فقط
(47) وفيات الأعيان ج 2 ص 500 وعيون الأخبار ج 1 ص 230 .
(48) وفيات الاعيان ج 2 ص 500 . ووردت في عيون الأخبار ج 2 ص 180 النص مختصرا .
(49) د : وشرطت

ما طلبت ، ثم دلته على ما فتح[50] به الحصن ، ففتحه ودخله ، وخربه ، وأباد أهله ، وسار بنضيرة وتزوجها . فبينما هي نائمة على فراشها ليلا ، إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بالشمع ، ففتش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس فقال لها أزدشير : هذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم . قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ، ويلبسني الحرير ، ويطعمني المخ والزبد ، وشهد أبكار النحل ويسقيني الخمر الصافي . قال : أفكان[51] جزاء أبيك ما صنعت به . أنت[52] إلي بذلك أسرع . ثم أمر بها ، فربطت قرون رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس حتى قتلها[53] .

قال الشعبي : حدثني جماعة من بني أمية ممن كان يسهر[54] مع معاوية قال : بينما معاوية ذات ليلة مع مروان وعمْرو بن سعيد وعتبة والوليد إذ ذكروا الزرقاء بنت قيس الهمذاني[55] ، وكانت شهدت مع قومها صفين فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال : فأشيروا علي في أمرها ؟ فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها . قال : بئس الرأي أشرتم به عليَّ ، أيحسن[56] بمثلي أن يتحدث عنه ، أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها . فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها ، وعدة من فرسان قومها[57] ، وأن يمهد لها وطاءً لينا ، ويسترها بستر خصيف ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار لي ، فإني لا آتيه ، وإن كان حتم ، فالطاعة أولى . فقال : حتم ، فحملها وأحسن جهازها على ما أمره به . فلما دخلت على معاوية قال : مرحبا وحبا[58] وأهلا ، قدمت خير مقدم ، قدمه وافد ، كيف حالك قالت : بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة ، فقال : كيف

---

(50) ق : بفتح

(51) ج : وكان ، د : ما كان

(52) ج : إني بذلك منك أسرع ، د : أنت أولى بذلك أسرع .

(53) وردت القصة كاملة في مروج الذهب ج 2 ص 402 إلى 505 ووردت كذلك في عيون الأخبار ج 4 ص 119 — 120 .

(54) د : يسير مع معاوية ذات ليلة وهم مروان وعمْرو وسعيد .

(55) د : الهمذانية والعقد الفريد : الزرقاء بنت عدي بن قيس الهمذانية .

(56) د : أيجمل

(57) ق : قومه

(58) د : مرحبا وسهلا .

كنت في مسيرك قالت : ربيبة[59] بيت[60] أو طفل ممهد . قال : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت إليك ؟ قالت : وأنى لي بعلم ما لم أعلم . قال : ألست راكبة الجمل الأحمر ، الواقفة بين الصفين ، تحضين على القتال ، وتوقدين الحرب يوم صفين[61] فما حملك على ذلك قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، ولن يعود ما ذهب والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعد[62] الأمر . قال لها معاوية : أتحفظين كلامك يومئذ قالت : لا والله ما[63] أحفظه . ولقد أنسيته قال لها[64] : لكني أحفظه ، لله أبوك حين كنت[65] تقولين أيها الناس عوا[66] واسمعوا إنكم قد أصبحتم في فتنة عمياء ، غشيتكم[67] جلاليب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيا لها فتنة عمياء بكماء صماء لا تسمع لناعقها ولا تسلس[68] لقائدها . إن المصباح لا يضيئ في الشمس ، وإن الكوكب[69] لا ينير مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، إلا من[70] استرشدها ، ومن سألنا أخبرناه[71] . أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص ، فكأن قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ودمغ الحق باطله[72] فلا يجهلن أحد فيقول : كيف واني ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، الا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده ، والصبر خير في عواقب الأمور . أيها الناس هلموا[73] إلى الحرب غير

---

(59) د : كالطفل الممهد

(60) ق : بنت

(61) ا ، ب ، د : يوم صفين — ساقطة

(62) العقد ود : بعده

(63) العقد : لا

(64) لها : وردت في ج فقط

(65) كنت : وردت في ج فقط

(66) ا ، ب ، ج ، ق ، العقد : أرعو وارجعوا .

(67) العقد : غشتكم

(68) العقد : لا تنساق

(69) ان غير موجودة في ج والعقد

(70) د : لله

(71) د : أجبناه

(72) ج : الباطل — العقد — : بالظلمة

(73) ج : أقدموا

ناكسين ، ولا متشاكسين ، ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شركت[74] عليا في كل دم سفكه . قالت : أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين ، وأدام الله[75] سلامتك ، فمثلك من بشر بخير ، وسر به جليسه قال : ويسرك[76] ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سررت بالخبر ، فاني[77] لك بتصديق الفعل ، فضحك معاوية وقال : والله لوفاؤكم له بعد وفاته ، أعجب من حبكم له في حياته . اذكري حاجتك . قالت : يا أمير المومنين آليت على نفسي أن لا أسأل[78] أميرا اعنت عليه أبدا ، ومثلك أعطى من غير مسألة[79] . وجاد من غير طلبة[80] ، وقال : صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكسى[81] .

قال المنصور لاسحاق بن مسلم : أفرطت في وفائك لبني أمية قال : يا أمير المؤمنين : انه من قد وفى لمن لا يرجى ، كان لمن يرجى أوفى .

أقبل المنصور يوما راكبا . والفرج[82] بن فضالة جالس عند باب الذهب ، فقام الناس له ولم يقم ، فاستشاظ المنصور غيظا وغضبا ، ودعا به . فقال له : ما منعك من القيام حين رأيتني ؟ قال : خفت أن يسألني[83] الله عنه ، لم فعلته ، ويسألك الله عنه لم رضيته ، وقد كرهه رسول الله ﷺ ، فسكن غضب المنصور وقربه ، وقضى حوائجه كلها[84] ، وكان عنده ملحوظا .

---

(74) ق : شاركت

(75) الله — وردت في د فقط

(76) العقد : أو يسرك

(77) د : وإني — العقد : فإني

(78) د : إلا

(79) ج : من غير طلب ، د : من دون مسألة

(80) د : مسألة

(81) وردت في العقد الفريد ج 1 ص 213 — 214

(82) محذوفة من د

(83) د : ويسألك أنت عنه

(84) عبارة «كلها وكان عنه ملحوظا» وردت في د فقط .

الباب الخامس عشر

في تودد الملك إلى رعيته[1] وتبسطه وتواضعه في[2] علوه وذم الكبر

قال رسول الله ﷺ : «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس[3]» .

وكتب ارسطاطاليس إلى الاسكندر حين ظفر بما ظفر به ، وافتتح عامة البلاد : املك[4] الرعية بالاحسان إليها ، تظفر بالمحبة منها ، فإن طلبك ذلك بالاحسان إليها ادوم بقاء منه باعتسافك[5] عليها . واعلم أنك لا تملك الأبدان فتحطها[6] إلى القلوب ، إلا بالمعروف . واعلم أن الرعية إذا قدرت أن تقول ، قدرت أن تفعل ، فاجهد أن لا تقول ، تسلم من أن تفعل[7] .

وقال راس استودس[8] : إن فعل الخير في الجملة أفضل من فعل الشر ، وقد تستطيع أن تغلب الشر بالخير دون الشر وذلك أشرف الغلبتين ، لأن الغلبة بالشر

---

(1) ق : الرعية

(2) لم ترد في علوه وذم الكبر في ا ، ب ، أما : د : فوردت كالاتي : في تودد الملك إلى الرعية وتواضعه وفي ذم الكبر.

(3) البهجة ج 1 ص 661

(4) ج : الملك ، د : أملاك

(5) د : بالغظ والاغلاط ، في البهجة : ادوم بقاء لاحسانك منه باعتسافك (وفي الهامش : باعقاقك)

(6) العقد : فاجمع لها القلوب ، في البهجة : واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها .

(7) ورد النص في سياسة (الأصول اليونانية) ج 1 ص 80 وفي عيون الأخبار ج 1 ص 8 وفي العقد الفريد ج 1 ص 13 وفي البهجة ج 1 ص 306 .

(8) لم نعثر على الاسم — ولعله ادريانوس الوارد في كتاب العهود اليونانية المنسوب لافلاطون وقد وردت بعض العبارات الواردة في نص ابن رضوان في العهود اليونانية مثل « أن الغلبة بالخير فضيلة ، والغلبة بالشر جلد » العهود اليونانية (الأصول اليونانية) ص 22 .

جلد ، والغلبة بالخير فضيلة[9] .

وقال : إن أمكنك أن تودع الناس من حسن أثرك ما ينشر ذكرك[10] في آفاق البلاد ويبقى على وجه الدهر ، فاقترض ذلك في أوانه .

واعلم أن الذي يتعجب منه الناس الجزالة وكبر الهمة ، والذين يحبون التواضع ولين الجانب ، فاجمع الأمرين ، تجتمع[11] لك محبة الناس وتعجبهم منك ، ولا تحسبن أن ذلك يضع من قدرك ، بل يزيدك نبلا أن تنطق بالحجة ، إذ أنت على القوة قادر .

واعلم أن التودد من الضعيف يعد ملقا ، والتودد من القوى يعد تواضعا وكبر همة ، فلا تمتنع[12] من أن تتودد إلى العامة ، لتخلص لك محبتهم وتنال الكرامة ، واعلم أن الأيام تأتي على كل شيء ، فتخلق الافعال ، وتمحو الآثار ، وتميت الذكر ، إلا ما رسخ في قلوب الناس بمحبة[13] ، تتوارثها الاعقاب ، فاجتهد أن تظفر بالذكر الذي لا يموت ، فان تودع في قلوب الناس محبة ، تبقى بها ذكر مناقبك وشرف مساعيك .

قال : ولا ينبغي للمدبر أن يتخذ الرعية مالا وقنية ، ولكن يتخذهم أهلا وإخوانا ، ولا يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها ، ولكن[14] في التي يستحقها الأثر ، وصواب التدبير ، والسلام .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أمير المؤمنين ، ما السياسة ؟ فقال : هيبةُ الخاصة مع شدة محبتها ، واقتياد قلوب الرعية بالانصاف منها[15] .

وكتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم : قلوب الرعية خزائن ملوكها ، فما أودعوها فليعلموا أنه فيها[16] .

---

(9) ا ، ب ، ج ، ق : وانه قد أمكنك وفي د : وقال أن وقد سقطت من د عبارة : وقال رأس استودس حتى — وقال : إن أمكنك أن تودع الناس .

(10) ا ، ب ، ج : ذكره

(11) ق : تجمع

(12) د : يمنع

(13) د : محبة أ ، ب : محله

(14) وردت في جـ فقط

(15) البهجة ج 1 ص 335

(16) البهجة ج 1 ص 335

ومن كلام[17] العجم : أسوس[18] الملوك من قاد أبدان رعيته إلى طاعته بقلوبها .

اعتم هشام بن عبد الملك ، فقام الابرش يسوي عمته . فقال هشام : مه إنا لا نتخذ الإخوان خولا[19] .

قال[20] بعضهم : المحبة تكفي الحروب ، وتبلغ المطلوب ، وتبقي[21] الموهوب[22] ، واعلم أن الكلمة الطيبة تسهل الوعر ، وتذلل الصعب ، وتكثر الصحب ، وتملك القلب ، ولو لم يكن في هذا الباب إلا قوله عز وجل : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم[23] » لكان كافيا[24] .

قال سهل بن هارون : الكلام الحسن مصائد القلوب .

قال ملك فارس لموبذ: ما شيء واحد يعز به السلطان ؟ قال الطاعة . قال : فما ملاك الطاعة ؟ قال : التودد إلى الخاصة ، والعدل على العامة . قال صدقت .

في محاسن البلاغة للتدميري : يحتاج الملك من العامة إلى محبة من غير جرأة وهيبة من غير ضغينة ، ومن الخاصة إلى العلم والنصيحة .

المهلب : عجبا[25] لمن يشتري العبيد[26] بماله ، ولا يشترى الأحرار[27] بفعاله[28] .

---

(17) د : ومن كلام العجم ـــ محذوفة
(18) د : وأسوس
(19) ورد هذا النص في عيون الأخبار جـ 1 ص 266
(20) سياسة المرادي : وأعلم أن
(21) سياسة المرادي : في إحدى النسخ : وتنفي
(22) سياسة المرادي : المرهوب
(23) آية 24 سورة فصلت 41
(24) ورد النص في سياسة المرادي مع زيادة كالآتي : « ... كافيا بل وافيا ، فقد قالوا حسن الخلق يدل على طيب الأصل وكرم الفرع ، ويقود إلى راحة القلب » ص 105
(25) ح : عجب ، البهجة : عجبت
(26) البهجة : المماليك
(27) البهجة : المعروفة
(28) البهجة ج 1 ص 308

قال : بعضهم مما يزرع الود[29] في قلوب الخاصة والعامة تفقدهم بالاحسان في بعض الاحيان قبل السؤال ، ولا سيا أهل الحياء منهم ، والاقتصار عن الطلب[30] بعد أن يرتب الاحسان على سبب لئلا[31] تنفعل نفوس الباقين ، إن أحسن لأحدهم دون سبب ، وتركوا .

ذكر المؤرخون : أن المهدي كان محببا إلى الخاص والعام ، لأنه افتتح أمره برد المظالم وكف عن القتل ، وأمن الخائف ، وأنصف المظلوم ، وبسط يده في اعطاء الأموال ، فانفق ما خلف المنصور وهو ستمائة ألف آلاف درهم وأربعة آلاف ألف درهم . بعد ذلك قام شبة[32] بن عقال على رأسه خطيبا فقال في خطبته : «فالمهدي أشباه ، فمنها القمر الزاهر ، والربيع الباكر ، والأسد الخادر ، والبحر الزاخر . فأما القمر الزاهر ، فأشبه منه حسنه وبهاؤه ، وأما الربيع الباكر ، فأشبه منه طيبه وهواه ، وأما الأسد الخادر ، فأشبه منه صرامته ومضاؤه ، وأما البحر الزاخر ، فأشبه منه جوده وسخاؤه[33] .

في بعض الحكم : الانسان عبد الاحسان .

وفي الحديث النبوي : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها .

من كلام أفلاطون : بلين الكلمة تدوم المودة[34] في الصدور ، وبخفض الجناح ، تتم الأمور ، وبسعة الأخلاق ، يطيب العيش ، ويكمل السرور .

قلت[35] : من أحسن القول المالك لأزمة القلب[36] البالغ أقصى مراتب الفضل المثمر لاخلاص الحب ما سمعته من مولانا السلطان الكبير مجد المملكة ، ومحبوب العالم ، الطاهر الشمائل الكريم الشيم أمير المسلمين[37] وناصر الدين أبي

---

(29) ج : المحبة

(30) ج : المطلوب ، أ ، ب : المطالب

(31) ج : لئلا — ساقطة

(32) ق ، د : شيبة

(33) مروج الذهب جـ 4 ص 169 — 170

(34) د : المحبة

(35) د : قال المؤلف رحمه الله

(36) د : العقل ، ج : القلوب

(37) ق : المومنين

الحسن ، قدس الله ثراه ، وقد حضرت يوما بين يديه لمجلسه العلي من مشورة بمنصورة تلمسان ، فاستدعى صاحب أشغاله القبائلي رحمه الله ، وكان نص كلامه : القبائلي . فكان بالقرب[38] أحد الفتيان الصغار ، فقال مسمعا للكلام : القبائلي ، فنظر إليه مولانا رحمه الله تعالى ، وأراد أن يقول شيئا ، ثم أمسك حتى قرب صاحب الأشغال ، بحيث يسمع كلامه ثم قال للفتى الصغير : كيف يا فاعل نقول نحن القبائلي ، وتقول أنت كذلك ، إنما يقول مثلك سيدي على القبائلي ، فما فرغ من كلامه إلا وصاحب الأشغال قد سمع الكلام ، وأكب على تقبيل البساط شكرا ، وظهر عليه من السرور ما لو أعطي ملء الأرض ذهبا وفضة ما بلغ عنده السرور به قدر ذلك . وهذا من الكلام الذي لا أحسن منه . قلت : وتذكرت من كلامه الحسن في معناه ، البليغ في مغزاه ، المالك للنفوس بما أولاه ، ما أخبرني به شيخنا الخطيب الشهير أبو القاسم ابن جزي رحمه الله ، مقدمه[39] علينا ، عائدا من المغرب ، في رسالة كان توجه فيها مع بعض أفاضل أهل الأندلس عن سلطانها[40] ، فشنف الاسماع بما عاينه بحضرة[41] مولانا المقدس أبي الحسن رحمه الله من محاسن الدين والدنيا وعطر الاندية بالثناء على تلك المعالي العظيمة الفخر ، الشهيرة الذكر ، وكان مما أخبرنا به ، أنه لما أرادوا على حضرته العالية ، أكرم نزلهم[42] ، وأكمل أملهم ، وأنجح فيما قصدوه قولهم وعملهم ، ثم أنهم دخلوا عليه شاكرين لاحسانه، وحامدين لحالهم عنده، ولما فرغوا مما أرادوه في ذلك؛ أشاروا إلى طول مقامهم ، وتشوفهم إلى الوداع[43] . فقال لهم رحمه الله ورضي عنه ، ما معناه : إنهم إنما أطال مقامهم للاغتباط بهم ، والمبالغة في برهم ، ثم قال : أنتم لم تطلبوا[44] الوداع ، ونحن لا يسهل علينا فراق أمثالكم ، وأيضا فليس من الحسن أن يصرف الضيف، حتَّى ينصرف على تخيره، وهذا من أحسن ما سمعته من القول في هذا المعنَى. فوالله لقد غرس به المحبة في قلوب المخاطبين

(38) ج : بقرب
(39) ق : فقدمه
(40) د : سلطانه
(41) ج : من حضرة السلطان
(42) ا ، ب ، د : منزلهم
(43) د : للوداع
(44) د : لا

والسامعين للخبر ، واستثمر به ثمرات القلوب كأحسن ما يطيب خيرا وخبرا ، رحمة الله عليه ورضوانه .

قلت[45] : وكيف لا يكون كذلك رحمه الله تعالى ، وهو نجل مولانا الذي طابت شمائله ، وكرمت في التعطف[46] والحنان أفاعله[47] : السلطان الفاضل الجم الفواضل أبي سعيد قدس الله ثراه ، وجدد عليه رحماه ، وله في لين الكلمة[48] وعلو السلطان والخلق الحسن ، القدم العالية والحسنات الباقية ، أخبرني شيخنا الرئيس العالم أبو محمد الحضرمي رحمه الله ، وقد جرى من ذكر حلاوة شمائله ، رضوان[49] الله عليه ، ما لم يعهد قبله في ملك . قال : سألني مولانا أبو سعيد رحمه الله : كيف تعطي الصدقة لطالبها ، إذا باشرت ذلك ؟ قال فقلت : آخذ بيدي وأضع في يده . قال : ليس ذلك بصواب ، وإنما الصواب أن تبسط كفك بها ، وتمكنها له ، لتكون له اليد العليا في أخذها منك . قال : فما وقع منا شيء موقع هذه الفائدة ، وهذه[50] نقطة من بحر تلك المفاخر ، وإشارة تنبيء عما وراءها من شيم المجد الباهر ، وخلال[51] الشرف العالي المظاهر[52] ، رحم الله منهم من سلف ، وأيد بنصره من خلف ، بمنه وطوله .

فصـــل

في الحديث : من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله .

في محاسن البلاغة : اسمان مختلفان معناهما واحد : التواضع والشرف .

ومن كلامهم : الاستهانة[53] توجب التباعد وبخفض الجانب ، تأنس النفوس[54] .

---

(45) د : قال المؤلف رحمه الله .

(46) د : العطف

(47) ج : فعائله

(48) د : الكلام

(49) ج : رضى

(50) ج : وهي

(51) ج : وخلل

(52) ج : الظاهر

(53) الاستهانة توجب التباعد — وردت في ج فقط

(54) ورد هذا النص في عيون الاخبار جـ 1 ص 266 .

كان يجلس إلى زياد رجال ، فانقطعوا عنه ، فسأل عنهم فقيل لهم ، كانوا يتجملون إذا حضروا عندك ، حتّى رقّت حالهم ، فاستحيوا أن يحضروا مجلسك بثياب لا يجمل بهم لبسها فقال : لاخففن عنهم المؤونة ، فأمر بصنعة الثياب الزيادية من كتان ، ثمن الثوب سبعة دراهم ، فلبسها ولبسها الناس ، وخفت مؤونتهم وعادوا إلى مجلسه .

قال صاحب التاج : من شأن الملوك عند المطاعمة لخواصهم ، أن توضع بين كل رجل منهم[55] قصعة ، فيها مثل الذي بين يدي الملك ولا يخص الملك نفسه ، بطعام دون أصحابه ، لأن في ذلك ضعة واستئثارا[56] .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : من أعجب العجب دوام الملك مع الكبر والاعجاب ، ولذلك قال النبي عليه[57] السلام للعباس : أنهاك عن الشرك بالله والكبر ، فإن الله يحتجب منهما .

وقال أزدشير : ما الكبر إلا فضلة حمق لم يدر صاحبها أين يذهب بها ، فصرفها إلى الكبر .

قال الأحنف بن قيس : ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه .

ومن كلامهم : الاستهانة توجد التباعد[58] .

وفي السراج : من مقته رجاله ، لم يستقم[59] حاله ، ومن أبغضته[60] بطانته ، كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحماة ، تطاول عليه الأعداء[61] .

قال الأوزاعي : يهلك السلطان بالإعجاب والاحتجاب[62] .

---

(55) منهم ـــ وردت في ج فقط

(56) ورد هذا النص في التاج ص 56

(57) هـ ، ق : رسول الله ﷺ لعمه العباس

(58) وردت هذه النصوص في السراج ص 56 من الباب 13

(59) ج : لم تتسم ، هـ : لم تستقم

(60) ا ، ب ، ق : بغضته

(61) ورد في السراج ص 56 من الباب 13

(62) ورد في السراج ص 57

وقال بعضهم : الإعجاب يحمل على الاستبداد ، وترك مشورة الرجال ، وكفى بهذا ضررا[63] عليه[64] .

أتى رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه برجل آخر فقال : إن هذا ابن عمي[65] زعم أنه احتلم بأمي .

فقال علي رضي الله عنه : أقمه للشمس ، واضرب ظله ، ثم تبسم وقال : لا بأس بالفكاهة[66] يخرج بها الرجل عن حد العبوس .

ومن كلامهم أيضا[67] : الانبساط يوجب المؤانسة ، والانقباض يوجب الوحشة ، والكبر يوجب المقت ، والتواضع يوجب الشرف[68] ، والتودد يوجب المحبة[69] .

---

(63) د : حذرا
(64) سراج ص 56
(65) ابن عمي : زيادة من د
(66) ج : بالفاكهة ، د : بالفواكه
(67) أيضا — وردت في ج فقط
(68) ج : المقة ، أ ، ب : المقت ، ق ، هـ : المنة
(69) والتودد يوجب المحبة زيادة في ج فقط

الباب السادس عشر

في الحزم والدهاء وكتم السر والقوة وما يلحق بذلك

قال المرادي في سياسته : الحزم هو النظر في الأمور قبل نزولها وتوقي المهالك[1] قبل الوقوع فيها[2] وتدبير الأمور على أحسن ما يكون من وجوهها[3] .

وقد قالت الحكماء : تضييع الحزم جالب للندامة[4] ، ومقرب من الهلكة[5] .[6]

وقد[7] قالت الحكماء : الملوك ثلاثة : حازمان وعاجز ، فأحد الحازمين الذي ينظر في الأمور قبل نزولها[8] ، ويحتال لها قبل الوقوع فيها فيجلب خيرها ، ويتجنب شرها ، كالملاعب الماهر في الشطرنج ، الذي يرى الحركة الردية[9] قبل[10] وصوله إليها[11] فيلجىء[12] ملاعبه إلى اللعب بها[13] والحازم الثاني : هو الذي لا يدبر

---

(1) د : الهلاك

(2) د : فيه

(3) المرادي السياسة (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) ص 191 وورد أيضا النص في الفخري ص 59 مع اختلاف .

(4) د : معقب

(5) ق : د : المهلكة

(6) د : سياسة المرادي ص 84

(7) د : وقالت الحكماء أيضا

(8) قبل نزولها ـــ محذوفة من ك

(9) د : الدنيئة ، سياسة المرادي : الرديئة

(10) سياسة المرادي : من قبل

(11) زيادة من مخطوط المرادي : إليها فيحترس منها ويرى الحركة الجيدة قبل وصوله إليها فيلجىء ملاعبه...

(12) في جميع النسخ ويلجىء وفي هـ فقط فيلجىء وأيضا في المرادي وفي ك : فيلجأ .

(13) به ـــ في كل المخطوطات ، ومنه في ك فقط وفي مخطوط المرادي وبدائع السلك بها

الأمور حتى تحل به ، فإذا حلت به ، عرف وجوه التخلص منها ، وهذا اخفض رتبة من الأول ، واقرب منه إلى التغرير ، وأدنى منه إلى أسباب الهلكة في بعض الأمور ، لأنه ربما وقع بغفلته وتوانه[14] في أمر يتعذر به[15] الخلاص على ذي الحيلة والاجتهاد ، والثالث : العاجز المتواني الذي لا يزال في لبس من أمره[16] وعجز وغفلة من اصلاحه ، حتى يقوده ذلك إلى الخسارة[17] .

وضربت الحكماء لهذه الأقسام الثلاثة[18] مثلا[19] فقالوا : ان صيادا مر بأجمة فيها سمكات ثلاث فقال لصاحبه : عد[20] بنا إلى هذه الأجمة بعد فراغنا من التصيد ، لنصيد ما فيها من السمك ، فاما أحزم السمكات ، فخرجت من منفذ الماء إلى البحر فأمنت ، وأما الثانية التي تليها في الحزم ، فمكنت حتى جاء[21] الصياد ، فسد المنفذ ، فأيقنت بالهلكة ، واحتاجت إلى الحيلة فتماوتت وطفت فوق[22] الماء ، فأخذها الصياد فطرحها غير بعيد من البحر ، فوثبت[23] إلى البحر ، فسلمت بعد التغرير والمخاطرة . وأما الثالثة العاجزة ، فلم تزل تجيىء وتذهب ، حتى صيدت[24] . واعلم أن الحازم يجب عليه استفراغ الوسع وإعمال الاجتهاد في أسباب الفائدة والخلاص ، فإن غلبت الأقدار ، كان بذلك معذورا ، وكان قلبه مستريحا . وغير عجيب أن يغلب الخالق سبحانه مخلوقاته ، وأن يتصرف[25] الصانع كيف يحب ، في مصنوعاته . وليس نفوذ الأقدار مما يقود

---

(14) سياسة المرادي : وتوانيه
(15) سياسة المرادي : منه
(16) سياسة المرادي : وتوانيه وفي مخطوطة ق : أمره
(17) د : البدائع السلك : الخسراء ، هـ : الخسار
(18) كلمة « الثلاثة » وردت في ج فقط
(19) د ، هـ ، ك : سياسة المرادي : مثالا
(20) د : عرج
(21) سياسة المرادي : أتى
(22) ج : على وجه
(23) د : فتواثبت
(24) ورد النص في كليلة ودمنة بتفصيل واختلاف (المجموعة الكاملة) ص 119 ــ 120 كما ورد في بدائع السلك ج 1 ص 500 ، وفي عيون الأخبار جـ 1 ص 36 ــ 280 نص قريب من هذا المعني وقد تكرر في ص 36 ــ 280 أما مصدر ابن رضوان فهو كتاب السياسة للمرادي (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) ص 191 ــ 192 ــ 193 .
(25) ج : يصرف

العاقل[26] إلى تضييع الحزم ، وذلك من خلائق الجهال[27] . ويجب على الحازم اللبيب أن لا يتوانى في أوائل الأمور ، رجاء أن يدرك أواخرها[28] فإن ذلك هو العجز بعينه[29] .

في كتاب العقد ، قالت الحكماء : أحزم الملوك من قهر جده هزله ، وغلب رأيه هواه ، وأعرب عن ضميره فعله ، ولم يخدعه[30] رضاه عن سخطه[31] ولا غضبه عن كيده[32] .

وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ، وكان ولي عهده : يا بني اعلم أن[33] ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الرعية ، إلا حزم أو توان .

قالوا : لا ينبغي للعاقل أن يستصغر شيئا من الخطأ ، فإنه[34] متى استصغر الصغير ، يوشك أن يقع في الكبير . فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر ، ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير ، ورأينا الانهار تنبثق من الجداول الصغار .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : انتهزوا هذه الفرص[35] ، فإنها تمر مر السحاب ، ولا تطلبوا أثرا بعد عين[36] .

قال الفارسي[37] : بادر الفرصة ، قبل أن تكون غصة .

---

(26) سياسة المرادي : الفاضل

(27) سياسة المرادي : 86

(28) ج : آخرها

(29) سياسة المرادي ص 193 وبدائع السلك ج 1 ص 498 — 499

(30) أ ، ب ، ج ، هـ : ولم يختدعه ، وكذلك في الفخري وفي البهجة

(31) ق ، ج : حظه ، أ ، ب ، د : خطه وفي العقد : سخطه . وقد فضلت قراءة العقد ، أما في الفخري ص 58 فورد : حظه وفي البهجة : خطئه

(32) ورد النص في العقد الفريد ج 1 ص 24 وفي البهجة ج 1 ص 336 مع اختلاف بسيط في اللفظ

(33) العقد ، ج : أنه

(34) ج : إن استصغر الصغير .

(35) د : الفرصة

(36) العقد الفريد ج 1 ص 24 وبدائع السلك (المخطوطة التونسية) ج 1 ص 499

(37) في بدائع السلك : وعن بعض الحكماء : بادر الفرصة قبل أن تكون غصة . ومرجع ابن رضوان هو البهجة ج 1 ص 454

كان عمر بن الخطاب[38] رضي الله عنه من[39] أحزم الخلفاء ، وكانت عائشة إذا ذكر عمر تقول : كان أحوذيا[40] ، نسيج وحده ، قد أعد للامور أقرانها .

قال المغيرة بن شعبة : ما رأيت[41] أحدا هو أحزم من عمر ، كان له والله فضل يمنعه أن يخدع ، وعقل يمنعه أن يخدع .

وقال عمر رضي الله عنه : لست بخب ، ولا الخب يخدعني .

في بعض الحكم : من نظر في أحواله وحزم في أفعاله ، وأقسط في أحكامه . وأقصد في وفوره وإعدامه ، فقد أعطي الخير بتمامه .

قال مسلمة بن عبد الملك : ما حمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم .

قيل للمهلب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم ومعصية[42] الهوى .

وفي محاسن البلاغة : الحزم أنفس الحظوظ .

من لم يقدمه الحزم ، أخره العجز .

من العجز أن تترك الفرصة حتى تفوت ، ومن العجز أن تطلبها ، وقد فاتت .

وقالوا : ترو[43] وتحزم ، فإذا[44] استوضحت ، فاعزم[45] .

قال بعض الحكماء : لا تغترن بحسن الكلام وطيبه ، إذا كان الغرض الذي يقصد منه ضارا ، فإن الذين يسمون[46] الناس ، إنما يخلطون السم بالحلواء[47] ،

---

(38) زيادة من العقد

(39) محذوفة في العقد

(40) في العقد : كان والله أحوزيا (وفي الهامش : قوله أحوزيا قال ابن الأثير في تفسير الحديث : هو الحسن السباق للأمور .)

(41) ج : ما نظرت

(42) د : وعصيان

(43) ق : أرو ، هـ : رو

(44) هـ : فإن

(45) وردت هذه النصوص في العقد الفريد ج 1 ص 24 والبعض في السراج ص 38 من الباب الثالث والعشرين وفي بدائع السلك — ج 1 ص 499 — 450

(46) البهجة : يخدعون

(47) البهجة : بالحلو من الأطعمة والأشربة

ولا يصعبن عليك الكلام الغليظ ، إذا كان الغرض الذي يقصد إليه[48] نافعا ، فإن أكثر[49] الأدوية الجالبة للصحة مستبشعة[50] .

في بعض كتب الهند : الملك[51] السلطان الحازم[52] ، وربما[53] أحب الرجل فأقصاه ، وأطرحه ، مخافة ضره ، فعل الذي تلسع[54] الحية أصبعه ، فيقطعها لئلا ينتشر سمها في بدنه[55] ، وربما أبغض الرجل ، فأكره نفسه على توليته وتقريبه ، لغناء يجده عنده ككاره[56] المرء على الدواء المستبشع[57] لنفعه[58] .

قال بعضهم : إذا أردت أن تطاع ، فسل ما يستطاع .

ومن الحزم الاحتراس من المكائد ، فكثيرا ما بلغ ضررها الابرياء[59] وعدم بها الملوكُ أهل الجد في خدمتهم[60] وفارقوا أحب خواصهم ، كما رواه المؤرخون من أن الأتراك كانوا قد راموا قتل المتوكل بدمشق ، فلم تمكنهم حيلة بسبب بغا الكبير ، فإنهم دبروا في ابعاده عنه ، فطرحوا في مضرب[61] المتوكل الرقاع يقولون فيها أن بغا قد دبر أن يقتل أمير المؤمنين ، والعلامة في ذلك أنه يركب في يوم كذا في خيله ورجله[62] فيأخذ عليه أطراف عسكره ، ثم يدس جماعة من الغلمان العجم فيدخلون[63] عليه فيفتكون بأمير المؤمنين ، فقرأ المتوكل الرقاع فتهيب ما تضمنته[64]

(48) هـ : منه

(49) د : كثرة

(50) البهجة ج 1 ص 203

(51) ج ، د ، هـ : الملك ـــ ساقطة

(52) ج ، د ، هـ :الحازم ـــ ساقطة

(53) عيون : ربما

(54) د : الذي تلسعه الحية أصبعه ، أن يقطعها

(55) ا ، ب ، ج ، ق ، د : يده ، وفي هـ : بدنه وفي عيون : جسده

(56) ا ، ب ، ج : كتكارة ، هـ : كتكابرة

(57) هـ ، د ، ج ، وعيون : البشيع

(58) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 18

(59) د : من كان بريئا من الغش في خدمة الملوك

(60) هـ : خدمهم

(61) د : مجلس

(62) هـ : يرد

(63) هـ : ورجاله

(64) ج : ما فيها

ودخل[65] قلبه من بغا كل مدخل ، وشكى ذلك إلى الفتح[66] وزيره وقال له في أمر بغا والإقدام عليه وشاوره في ذلك فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي كتب الرقاع قد جعل للأمر دلائل في وقت بعينه سماه ، ومن ركوب الرجل في جيشه إلى الاطراف من العسكر ، وتوكيله بنواحيه وبعده يبين الأمر ، وأنا أرى أن تمسك ، فإن صح هذا الدليل ، نظرنا كيف نفعل ، وإن بطل ما كتب ، فالحمد لله ، وأقبلت الرقاع تطرح في كل وقت على جهة تنصح[67] ، وأن في أعناق من كتبها بيعة ، لم يجد معها بدا من النصح والصدق[68] .

قال : فلما علموا بما علم به الخليفة ، وتمكن عنده ما كتبوا[69] من الأمر ووغر[70] صدره[71] ، كتبوا رقاعا وطرحوها في مضرب بغا يقولون فيها : إن جماعة من الغلمان والاتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة في عسكره ، ودبروا[72] على ذلك واتفقوا عليه ، وتعاقدوا على أن يأتوه من نواحي كذا ونواحي كذا ، فالله الله إلا ما[73] احترست لأمير المؤمنين وحرسته في هذه الليلة من هذه المواضع ، وشحنتها بنفسك ، وممن تثق به فإنا قد قصدنا ونصحنا ، واكثروا طرح[74] الرقاع بهذا المعنى ، والتوكيد في حراسة الخليفة ، فلما وقف[75] بغا عليها وتتابعت ، لم يأمن أن يكون ما كتب فيها[76] حقا ، مع ما كان وقع عليه[77] من الأمر قبل ذلك . فلما كان في الليلة التي ذكروها جمع جيشه ، وأمرهم بالركوب في السلاح معه ، وركب بهم إلى المواضع التي ذكرت ، فأخذها على المتوكل وحرسها ، واتصل

---

(65) د : وداخل قلبه التهيب

(66) وزيره — وردت في د فقط

(67) د : النصح

(68) د : السبق

(69) ما كتبوا به زيادة في د

(70) من الأمر — ساقطة من د

(71) ووغر صدره زيادة في د

(72) د : ودبروا الحيلة في ذلك

(73) د : إلا ما احترزت

(74) ج : من طرح .

(75) د : وقعت عين بغا على ما تضمنته لم يكن يأمن ذلك

(76) ج : به ، هـ ، ك : فيه

(77) د : له .

الخبر بالمتوكل ، فلم يشك[78] في أن ما كتب به حق ، فأقبل يتوقع من يوافيه[79] ، فيفتك به ، وسهر ليلته[80] وامتنع من الأكل والشرب ، فلم يزل على ذلك إلى الغداة وبغا يحرسه ، والأمر عند المتوكل على ضد ما كان[81] عند بغا ، وقد اتهمه واستوحش من فعله . فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له : يا بغا قد أبت نفسي مكانك معي ، ورأيت أن أقلدك هذا الصقع وأقر[82] عليك ما كان لك من رزق وحياء[83] ، ونزل ومعونة ، وكل سبب فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين ، فافعل ما شئت ومرني بما أحببت فخلفه[84] بالشام . وانصرف ، فاحدث الموالي عليه ما أحدثوا ، وتمت لهم الحيلة . وبعد ذلك تمكنوا من قتل المتوكل بإدارة[85] بغا الصغير عليه في خبر يطول ذكره[86] [87] .

ولله القائل :

لا تترك الحزم في أمر هممت به فإن سلمت فما للحزم من باس
العجز ذل وما بالحزم من ضرر واحزم الحزم سوء الظن بالناس[88]

سئل بعض أصحاب يعقوب بن الليث عمن[89] ينظر حاله في اشغاله[90] وخلواته وعن[91] مجالسته ، وهل يسمر معه أحد أو يجالسه ، فذكر : أنه لا يطلع أحد على سره ولا يعرف أحد عزمه وتدبيره ، نهاره وهو خال[93] بنفسه .

---

(78) د : ، فيها كتب له
(79) د : أين يأتيه
(80) ا ، ب : ليلة
(81) ج : هو
(82) ك : وأقرأ
(83) ا ، ب ، ج : حياء
(84) د : فجعله
(85) ج ، ق : فإرادة
(86) ذكره ... وردت فقط في ق ، ج .
(87) وردت القصة في مروج الذهب ج 5 ص 32 — 33 — 34 .
(88) ورد هذان البيتان في د فقط
(89) في جميع النسخ عمن — غير نسخة ج : فقد ورد ممن كذلك في ، مروج
(90) مروج : اشتغاله في خلواته
(91) ج : وبجالسته ، مروج : وعن مجالسيه من أصل بطانة
(93) ق : هو

يفكر فيما يدبره ، ويظهر غير ما يضمر ، ولا يشرك أحدا فيما يدبره برأي ولا غيره ، وإن تفرجه واشتغاله بغلمان صغار ، يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم فيدعون ، ويدفع إليهم شيئا قد عمله[94] لهم من السيور ، يتضاربون به بين يديه . ففي هذا أكثر شغله ، إذا فرغ من تدبيره[95] .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تؤخر عمل يومك لغدك[96] ، ومن الحزم[97] أن لا تدخل في أمر حتى تعرف منتهاه وتعرف أحواله ، فإن توقفك[98] في العمل قبل أن تفعله ، هو الحذر الممدوح عند أهل الحكمة ، وإذا دخلت في الفعل ، فاضطربت ورجعت عنه بعد ابتدائك فيه ، فذلك هو الحذر المذموم عند أهل العقل والمروءة .

ومن ذلك ما روي[99] عن الرشيد أنه بعث بعد القبض على البرامكة إلى يحيى ابن خالد، وهو في اعتقاله، يشاوره[100] في هدم الإيوان، فبعث إليه لا تفعل. فقال الرشيد ، لمن حضره : في[101] نفسه المجوسية والحنو عليها ، والمنع من إزالة آثارها . فشرع في هدمه ، فإذا به تلزمه على هذا أموال عظيمة ، لا تضبط كثرة فامسك[102] عن ذلك وكتب إلى يحيى يعلمه بذلك فأجاب : أن ينفق في هدمه ما بلغ من الأموال ، ويحرص[103] على فعله ، فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره ، فبعث إليه يسأله عن ذلك . فقال : نعم : اما ما أشرت إليه في الأول ، فإني أردت به بقاء الذكر لأمة[104] الإسلام ، وبعد الصيت[105] ، وان يكون

(94) ا ، ب ، ج ، د : علمه

(95) ورد النص في مروج ج 5 ص 112

(96) ورد في التمثيل والمحاضرة ص 29 كما ورد في بدائع السلك ج 1 ص 501 وفي الكواكب الدرية ج 1 ص 33 .

(97) ا ، ب ، ق : العزم

(98) ا ، ب ، د ، ق : توقعك .

(99) د : يحكى

(100) د : فشاوره

(101) د : أتمنع من إزالة رسوم المجوسية ومحو آثارها

(102) ا ، ب ، ج ، د : فامسك عن ذلك أموال كثيرة لزمت فيه لا تحصى كثرة ، وقد أوردنا أعلاه نص مروج الذهب

(103) ج ، ك : ويحرض

(104) د : في أمه

(105) د : الصيت لأمة الإسلام

من يرد في الاعصار ، ويطرأ من الأمم في الأزمان ، يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول : ان أمة قهرت أمة ، هذا بنيانها ، فأزالت رسومها ، واحتوت على ملكها لأمة عظيمة شديدة منيعة ، وأما جوابي الثاني : فإنه[106] أخبرني[107] أنه شرع في بعض هدمه ، ثم عجز[108] عنه ، فاردت نفي العجز عن أمه الاسلام ، وأن لا يقول من وصفت له ممن يرد في الاعصار ، إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس . فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه قال : قاتله[109] الله ، فما سمعته قال[110] شيئا قط إلا صدق فيه . وأعرض عن هدم الإيوان[111] .

ومثل ذلك أيضا وقع للرشيد فيما حكاه المؤرخون ، لما أراد النزول على حصن هرقلة[112] ، وكان معه أهل الثغور الشامية ، وفيهم شيخاها مخلد بن الحسين ، وأبو إسحاق الفزاري[113] ، فخلا الرشيد[114] بمخلد بن الحسين فقال : أي شيء[115] تقول في نزولنا على هذا الحصن[116] فقال : هذا أول حصن لقيته من حصون الثغور ، وهو في غاية المنعة والقوة فإن نزلت عليه ، وسهل الله فتحه ، لم يتعذر عليك فتح حصن بعده ، فأمره بالانصراف .

ودعا بأبي إسحاق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد . فقال : يا أمير المؤمنين هذا حصن بنته الروم في نحر الدروب ، وجعلته ثغرا من الثغور ، وليس بالآهل ، فإن فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم ، وإن تعذر فتحه ، كان نقصا في التدبير ، والرأي عندي أن يسير أمير المؤمنين إلى مدينة عظيمة من مدن الروم ، فإن

---

(106) د : فانهم أخبروني أنك شرعت في بعض هدمه ثم أمسكت عنه

(107) ق : أخبرني

(108) د : أمسكت

(109) ج : قتله

(110) ق : يقول

(111) وردت هذه القصة في مروج الذهب ج 1 ص 301 — 302 وقد استعمل ابن الازرق هذا النص في بدائع السلك ج 1 ص 405 — 505

(112) ق، د : هرقل

(113) في مروج الذهب — وأبو إسحاق الفزاري صاحب كتاب السير

(114) د : لمحمد بن الحسين

(115) د : ما تقول ، أ ، ب ، ج : ايش تقول

(116) ج : القصر

فتحت عمت غنائمها المسلمين ، وإن تعذر[117] ذلك ، قام العذر . فمال الرشيد إلى قول مخلد ، ونزل على هرقلة ونصب عليها الحرب وأقام عليها سبعة عشر يوما ، فأصيب خلق من المسلمين ، وفنيت الازواد والعلوفات ، وضاق صدر الرشيد من ذلك ، فاحضر أبا إسحاق الفزاري فقال له[118] : يا إبراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين ، فما الرأي الآن عندك؟ فقال : يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه آنفا ، ورأيت أن يكون الحرب والجد من المسلمين على غير هذا الحصن ، والآن فلا سبيل إلى الرحيل عنه بعد المباشرة ، فيكون ذلك نقصا على الملك ، ووهنا على الدين[119] ، واطماعا لغيره من الحصون في الامتناع على المسلمين ، والمصابرة لهم ، ولكن يا أمير المؤمنين تأمر[120] بالنداء في الجيش : إن[121] أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن ، حتى يفتحه الله على المسلمين ، وتأمر بجمع الحجارة ، وقطع الخشب ، وبناء مدينة بإزاء هذا[122] الحصن إلى أن يفتحه الله ، ولا يكون[123] هذا الخبر ينمي[124] إلى من في الجيش إلا على المقام ، فإن النبي ﷺ قال : الحرب خدعة ، وهذه[125] حرب حيلة لا حرب سيف . فامر الرشيد من ساعته بالنداء ، فحملت الحجارة وقطعت الشجر[126] ، وأخذ الناس في البناء فلما رأى ذلك أهل الحصن ، جعلوا يتسللون في الليل ، ويدلون أنفسهم في[127] الحبال . ولما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والنار والسهام ، فتح[128] الباب فاستشرف الناس لذلك ، فإذا رجل من أهلها[129] من أجمل

---

(117) ا ، ب ، د : تعززت

(118) وردت له في ج فقط

(119) د : في

(120) ج : أمر

(121) د : أنك مقيم

(122) هذا — وردت في ج فقط

(123) د : ولا ينمي هذا الخبر إلى الجيش

(124) ا ، ب ، ج ، ق ، ك : ينمو

(125) ج : هذا

(126) ا ، ب : الشجرة ، ج : الخشب

(127) جـ ، ك : بالحبال ، د : في الحبال

(128) د ، ج : فتحوا

(129) ج : أجمل ما يكون من الرجال ، د : كأجمل ما يكون من الرجال ، ق : كأجمل الرجال خرج في أكمل السلاح .

الرجال ، خرج في أكمل السلاح فنادى : يا معشر العرب ، قد طالت مواقعتكم[130] إيانا ، فليخرج إلي منكم الرجل والعشرة إلى العشرين مبارزة ، فلم يخرج إليه من الناس أحد ، وجعلوا ينتظرون إذن الرشيد ، وكان نائما ، فعاد الرومي إلى حصنه ، فلما هب الرشيد من نومه ، أخبر بذلك ، فتأسف ولام خدمه على تركهم إيقاظه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين إن امتناع الناس منه اليوم سيطمعه ويطغيه ، وسيعود في غد إلى قوله ، فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له . إذ[131] فتح الباب ، فإذا الفارس قد خرج ، وعاد إلى كلامه فقال الرشيد : من يبارز هذا ؟ فابتدره جلة القواد ، فعزم على اخراج بعضهم ، فضج أهل الثغور والمطوعة بباب المضرب[132] ، فأذن لبعضهم . وفي مجلسه مخلد بن[133] الحسين وإبراهيم الفزاري ، فدخلوا وقالوا : قوادك يا أمير المؤمنين مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحرب ، ومتى خرج واحد منهم ، فقتل هذا العلج ، لم يكبر ذلك ، وإن قتله العلج ، كانت وصمة على العسكر ، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صيت[134] فإن رأيت أن تخرج منا رجلا تختاره لمبارزته ، فعلت[135] ، فاستصوب الرشيد رأيهم . وقال مخلد وإبراهيم : صدقوا يا أمير المؤمنين . وأومئوا إلى رجل منهم يعرف بابن[136] الخزري مشهور في الثغور ، موصوف بالنجدة ، فقال له الرشيد : أتخرج[137] ؟ قال : نعم ، فاستعين[138] بالله عليه . قال : أعطوه[139] فرسا ورمحا وترسا وسيفا .

قال : يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق وبرمحي في يدي أشد ، ولكن[140] قد

---

(130) ج : موافقتكم ، د : محاصرتكم .
(131) هـ :إذا ، وكذلك في مروج .
(132) د : المجلس
(133) د : المجلس محمد
(134) أ ، ب ، ج ، هـ : صوت
(135) د : فعلنا وفي مروج : فعل
(136) هكذا في جميع النسخ وفي نص مروج الذهب : ابن الخزري وفي هامش المروج قراءتان أخريتان : الجزْزي ، والحزري
(137) مروج الذهب : أتخرج إليه
(138) هـ : فاستعن
(139) د : فأعطوه
(140) هـ : ولكني

قبلت السيف والترس ، فلبس السلاح ، واستدناه الرشيد فودعه ، واتبعه الدعاء ، وخرج[141] معه عشرون من المطوعة ، فلما انفضوا[142] في الوادي قال لهم العلج ، وهو يعدهم واحدا واحدا : إنما كان في الشرط عشرون ، وقد أزددتم[143] رجلا ، ولكن لا بأس[144] ، فنادوه : فقالوا[145] لا يخرج إليك إلا رجل واحد ، فلما فصل[146] منهم ابن الخزري ، تأمله العلج ، وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم فقال له الرومي[147] : أتصدقني عما أسألك عنه ؟ قال : نعم قال : أنت ابن الخزري بالله ، قال : اللهم نعم . فكبر له ، وقال : مثلي كفوء لك[148] ، ثم أخذا في شأنهما . فأطعنا[149] حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان لا يقومان[150] تحتهما ، وليس[151] منهما واحد خدش صاحبه ، ثم زجا برمحيهما فكر[152] هذا نحو أصحابه ، وهذا نحو حصنه ، وانتضيا سيوفهما وقد[153] اشتد الحر عليهما ، وتلبد[154] جوادهما[155] ، ولما يئس كل واحد منهما من صاحبه ، انهزم ابن الخزري فدخلت الرشيد والمسلمين كآبة ، لم تصبهم مثلها وعطعط[156] المشركون ، وإنما كانت[157] من ابن الخزري حيلة ، فاتبعه العلج ،

---

(141) د : وأخرج
(142) د : فافضوا وفي مروج : انقضي
(143) د ، ك : زدتم
(144) هـ : فلا بأس
(145) زيادة هنا في ج : فقالوا
(146) مروج : انفصل
(147) د : العلج
(148) أ ، ب ، د ، ق : ء مليء ، ج : ملؤ : وفي هامش مروج — ذكرت إحدى المخطوطات ملي ، وفي مخطوط آخر مثلي كفو لك .
(149) مروج : فتطاعنا
(150) د : ألا يقوما
(151) د : ولم يخدش واحد منها صاحبه
(152) كلمة « فكر » موجودة في ق فقط ولم توجد في مروج — وبها يستقيم المعني
(153) د : وقد اشتدت الحرب
(154) مروج : وتبلد
(155) د : فرساهما
(156) د : وغطغط
(157) ق : كان

وعلا عليه . فلما[158] تمكن منه ابن الخزري رماه بوهن[159] ، فاختطفه من سرجه ، ثم عطف عليه ، فما وصل إلى الأرض جسمه[160] ، حتى فارقه رأسه ، فكبر المسلمون ، وانكسر المشركون ، وبادروا الباب ليغلقوه ، واتصل الخبر بالرشيد ، فصاح بالقواد أن يجعلوا المنجنيق بالنار ، فليس عند القوم دفع بعد هذا ، وعاجلهم[161] المسلمون إلى الباب ، فدخلوها[162] بالسيف ، وقيل إنهم بادروا[163] بطلب الأمان ، فأمنوا ، وافتتاحها عنوة أشهر[164] .

وسيأتي أمثال هذا في باب سياسة الحروب إن شاء الله تعالى .

قال بعض العقلاء[165] : تحتاج الحيلة إلى التلطف والتمرن[166] والاحتراس منها أن تنعكس[167] ، والاستعداد لها إذا فطن بها ، كيف التخلص منها والاعتذار لها .

وقد قالت الحكماء[168] : من لم يتأمل بعين عقله ، لم يقع سيف حيلته إلا على مقتله[169] ، وربما احتاجت الحيلة إلى مقدمات تؤنس المحتال عليه بها ، حتى يطمئن إليها . واعلم أن كثيرا من الحذر قد يكون عونا على صاحبه ، مشعرا بما يخفيه في قلبه ، فيجب على العاقل أن لا يأتي من ذلك إلا ما ينكتم له ، ولا يفطن به .

فصل

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لن يقيم أمر الناس إلا أمرء حصيف

(158) د : فلما أمكن ابن الخزري التمكن منه

(159) مروج : بوهق وفي هامش مروج قراءة أخرى : برهق

(160) مروج : جسده ، جسمه : ساقطة من ك ، ق .

(161) د : فعاجلهم

(162) ا ، ب ، فدخلوه

(163) مروج : نادوا

(164) استند ابن رضوان على مروج الذهب على أن بين نصوص مخطوطات ابن رضوان ونص مروج الذهب المطبوع اختلافات شديدة — انظر مروج الذهب جـ 2 ص 58 إلى 62

(165) ج : الحكماء

(166) أ : والتمرين ، وهـ : والتمرن

(167) د : تنقلب بالعكس

(168) هـ : العلماء

(169) ق : مقاتله ، أ ، ب ، هـ : مقتله

العقدة ، بعيد الغور ، لا يطلع الناس منه على عورة[170] ، ولا يخاف في الله لومة لائم[171] .

قيل : ومن الدهاء إظهار الغفلة مع شدة الحذر .

في[172] محاسن البلاغة : العاقل يغفل غفلة الآمن ، ويتحفظ تحفظ الخائف .

سئل أيوب بن زيد بن قيس بن القرية عن حد الدهاء فقال : تجرع الغصة ، وتوقع الفرصة[173] .

دخل عبد الملك بن مروان على يزيد بن معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إن لك أرضا بوادي القرى ، ليست لها غلة ، فإن رأيت أن تأمر[174] بها فقال : إنا لا نخدع عن الصغير ولا نبخل بالكبير ، وقد وهبتها لك . فلما ولى قال : يزعم أهل الكتاب أن هذا يرث ما نحن فيه ، فإن كان حقا فقد صانعناه ، وإلا فقد[175] وصلناه[176] .

في سياسة المرادي : الدهاء اسم لوضع الأمور (في[177]) موضعها[178] ، والكف عما لا نفع فيه ، انتظارا لما فيه النفع وقد يقع (أيضا[179]) هذا الإسم على[180] من كثرت حيلته ، وقويت فطنته ، وكان وصوله إلى أغراضه[181] بألطف

---

(170) البهجة : غوره

(171) في حلية الأولياء ج 6 ص 334 : قال عمر رضي الله تعالى عنه : لا يقيم أمر الناس إلا حصيف . وورد هذا النص أيضا في بدائع السلك ج 1 ص 506 أما مرجع ابن رضوان فهو البهجة ج 1 ص 331 .

(172) د ، ج : وفي

(173) نقل ابن رضوان هذا النص من وفيات ج 1 ص 254

(174) د ، ك : تأمرني

(175) ق : واصلناه

(176) مروج الذهب ج 3 ص 264

(177) زيادة من سياسة المرادي

(178) سياسة المرادي : مواضعها

(179) زيادة من سياسة المرادي

(180) د : على كثرة من حيلته وقوة

(181) هـ : غرضه

اللطائف[182] والوجوه التي يمكن التوصل بها إليها ، فتراه أبدا كأنه ابله ، وهو متباله يحصي دقائق الأمور ، ويدبر لطيفات الحيل ، فلا ينطق حتى يجد[183] جوابا مسكتا ، أو خطابا معجزا ، ولا يفعل حتى يرى فرصة حاضرة ، ومضرة غائبة فعدوه[184] مغتر بعداوته . ومقدر[185] عليه الغفلة والبله بغوايته[186] ، وهو مثل النار الكامنة في الرماد ، والصوارم المكنونة في الأغماد[187] .

قال المؤرخون : أشهر الناس بالدهاء معاوية بن أبي سفيان ، ومما يروى من دهائه وحسن إدارته[188] وتدبيره أن المسلمين غزوا في أيامه ، فأسر جماعة منهم فوقفوا بين يدي ملك الروم بقسطنطينية فتكلم بعض أسارى المسلمين ، فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدي الملك ، فلطم حر وجهه ، وكان رجلا من قريش[189] فصاح : وإسلاماه . أين أنت يا معاوية ، إذا أهملتنا وأضعت ثغورنا ، وحكمت العدو في دمائنا وأعراضنا ، فنمى ذلك الخبر إلى معاوية ، فآلمه[190] ، وامتنع من لذيذ الطعام والشراب ، فخلا بنفسه ، وامتنع[191] عن الناس ، ولم يظهر ذلك لأحد من المخلوقين ثم أعمل الحيلة في إقامة الفداء بين المسلمين والروم ، إلى أن فدى ذلك الرجل ، ومن أسر معه من المسلمين ، فلما صار الرجل إلى دار الإسلام ، دعاه معاوية ، فبره وأحسن إليه ثم قال له : لم نهملك ، ولم نضعك[192] ، ولا أبحنا دمك وعرضك .

ومعاوية في أثناء ذلك[193] يدبر الرأي ويعمل الحيلة . ثم[194] بعث إلى رجل

---

(182) كلمة اللطائف غير واردة في سياسة المرادي

(183) سياسة المرادي : يرى

(184) ج : فعدوا مغترا

(185) د : ومقدرا

(186) د : بغاية

(187) ورد النص في سياسة المرادي ص 201 وقد نقله أيضا ابن الأزرق في بدائع السلك ج 1 ص 505 ـــ 506

(188) ا ، ب : إرادته

(189) ق : قرشيا

(190) د : فتألم من ذلك

(191) د : واحتجب

(192) هـ : ولا نضعك

(193) ق : يدبر الأمر

(194) د : وبعث

من ساحل دمشق من مدينة صور ، وكان به عارفا ، كثير الغزوات في البحر صمل من الرجال ، مرطان[195] بالرومية ، فأحضره وخلا به ، وأخبره بما قد عزم عليه ، وسأله[196] إعمال الحيلة فيه ، والتأتي له ، فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما ، ليبتاع به[197] أنواعا من الطرف والملح والجهاز من الطيب والجوهر وغير ذلك ، وأنشأ له مركبا لا يلحق في جريه سرعة ، ولا يدرك في سيره ، إنشاء عجيبا ، فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس[198] فاتصل برئيسها وأخبره أن[199] معه حاجة للملك ، وأنه يريد التجارة إلى القسطنطينية ، قاصدا إلى الملك وخواصه بذلك فراسل[200] الملك بشأنه ، فأذن له ، فدخل خليج القسطنطينية ، فلما وصل[201] أهدى للملك[202] وجميع بطارقته وبايعهم[203] وشاراهم ، وقصدهم ، إلا ذلك البطريق الذي لطم القرشي ، وتأنى الصوري في الأمر على حسب ما رسمه له معاوية ، وأقبل الرجل من القسطنطينية إلى الشام ، وقد أمره[204] أكثر البطارقة بأن يبتاع لهم حوائج ذكروها ، وأنواعا من الأمتعة وصفوها .

فلما وصل[205] إلى الشام سار إلى معاوية سرا[206] ، وذكر له من الأمر ما جرى ، فابتيع[207] له ما طلب[208] منه وما علم أن رغبتهم فيه ، وتقدم إليه معاوية فقال : إن ذلك البطريق ، إذا عدت في كرتك هذه سيعذلك[209] عن تخلفك

---

(195) ممن طرق بلاد الروم ق ، هـ ، مروج ، ك : مرطان بالرومية
(196) هـ ، ق ، ج : يسأله وفي مروج : وسأله — وقد فضلنا قراءة مروج
(197) أ ، ب ، د ، ق : له
(198) ق : قربس
(199) د : أنه جاء في حاجة الملك ، وفي مروج : وأخبره أن معه جارية للملك
(200) د : فاعتني — ك : وسئل
(201) د : وصلها
(202) د : إلى الملك
(203) د : وابتاعوا منه ، وقصده الحيلة في ذلك البطريق
(204) ج : أمروه
(205) ا ، ب ، ج ، ق ومروج : صار
(206) ق ، ومروج : سرا — وردت فيهما فقط
(207) د ، ج : فابتاع
(208) ج : طلبه
(209) د : سيعود لك ويعاتبك

عن بره ، واستهانتك[210] به ، فاعتذر إليه ، ولاطفه بالقول والهدايا ، واجعله القيم[211] بأمرك والمتفقد لأحوالك ، وانظر ماذا يطلب منك حين أوبتك إلى الشام ، فإن منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم ، فإذا أتقنت جميع ما أمرتك به ، وعلمت ما غرض البطريق وايش الذي يأمرك بابتياعه ، فعد به إلينا لتكون الحيلة على حسبه[212] .

فلما رجع الصوري[213] إلى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه ، وزيادة[214] عما لم يطلب منه ، زادت[215] منزلته ، وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية ، فلما كان في بعض الأيام ، وهو يريد الدخول إلى الملك ، قبض عليه ذلك[217] البطريق في دار الملك ، وقال له : ما الذي بيني وبينك[218] وما ذنبي إليك ، وبما استحق غيري أن تقصده ، وتقضي حوائجه ، وتعرض عني . قال له الصوري : أكثر من ذكرت ابتدأني ، وأنا رجل غريب ، وأرحل إلى هذا البلد كالمتنكر من أسارى المسلمين وجواسيسهم أن لا ينموا بخبري ، ويفشوا بأمري[219] إلى المسلمين ، فيكون في ذلك بواري ، والآن فإذ[220] قد علمت ميلك إلي ، فلست أحب أن يعتني بأمري سواك ، ولا يقوم بحالي عند الملك وغيره غيرك ، فمرني بحوائجك ، وجميع ما يعرض[221] من أمورك بأرض الاسلام[222] ، وأهدى إلى ذلك البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب والجوهر والطرف والثياب .

---

(210) هـ ، ق ، د : واستعانتك
(211) د : القائم
(212) ج : حبله ، هـ : حسب
(213) د : السوري
(214) أ ، ب ، د ، ق ، ك : والزيادة مما
(215) د : علت
(217) ذلك — زيادة في هـ ومروج
(218) ما الذي بيني وبينك — زيادة في ج ومروج وك
(219) ج : أمري
(220) أ ، ب : فإذا ، د : ولابد فإذ علمت
(221) ج : يعرض لك في بلاد الاسلام
(222) ق : المسلمين

ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم إلى معاوية ، ومن معاوية إلى الروم ، ويسأله البطريق وغيره من البطارقة الحوائج الجليلة ، والحيلة لا تتوجه لمعاويه حتى مضى على ذلك سنون[223] ، فلما كان في بعضها قال البطريق للصوري ، وقد أراد الخروج إلى دار الإسلام : قد اشتهيت أن تعدني[224] بقضاء حاجة[225] ، وتمن بها علي وهي أن تبتاع لي بساط سوسنجرد[226] بمخاده ووسائده ، يكون فيه من أنواع الألوان الحمرة والزرقة وغيرهما ، ويكون من صفته كذا وكذا ولو بما بلغ ثمنه (كل مبلغ[227]) فانعم له بذلك ، وكان[228] من شأن الصوري أن يكون مركبه إذا ورد القسطنطينية بالقرب من موضع ذلك البطريق . وكان للبطريق ضيعة سرية[229] ، وفيها[230] قصر مشيد ، ومتنزه حسن على[231] أميال من القسطنطينية ، راكبة على الخليج ، وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المتنزه ، وكانت الضيعة فيما بين فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية .

فانصرف الصوري[232] إلى معاوية سرا ، فأخبره بالحال ، فأحضر معاوية بساطا بوسائد[233] ومخاد ومجلس حسن ، فانصرف به مع جميع ما طلب منه اتيانه[234] من أرض الاسلام ، وقد تقدم إليه معاوية بالحيلة ، وكيفية ايقاعها ، وكان الصوري فيما وصف لنا من هذه المدة (قد صار[235]) كأحدهم في المؤانسة والعشرة ، وفي الروم طمع وشره ، فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينية ، وقد طابت له الريح ، وقرب من ضيعة البطريق[236] أخذ الصوري أخبار البطريق من

---

(223) هـ ، ج ، مروج : سنون

(224) د : تمن علي ، مروج : تغمرني

(225) د : حاجتي ، وهي بساط تبتاعه لي

(226) هـ :سوسنجريد

(227) زيادة من مروج — محذوفة من ك

(228) د : وكان السوري من شأنه

(229) هـ : سوية

(230) د : فيها

(231) د : بالقرب من القسطنطينية باميال راعية على الخليج

(232) د : السوري

(233) د : بوسائده ومخاده وفيه مجلس حسن

(234) اتيانه — وزدت في د فقط — ساقطة من ك

(235) زيادة من مروج — محذوفة من ك

(236) د : وسأل البطريق وأخبر أنه في ضيعته ، وذلك أن الخليج .

أصحاب القوارب والمراكب ، فأخبر أن البطريق في ضيعته ، وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلاثة مائة ميل وخمسين ميلا ، والضياع والعمائر على حافتيه[237] ، والمراكب[238] تختلف ، والقوارب بأنواع المتاع والأقوات ، إلى القسطنطينية من هذه العمائر لا تحصي كثرة . فلما علم الصوري أن البطريق في ضيعته[239] فرش[240] البساط ونضد[241] ذلك الصدر والمجلس والوسائد والمخاد في صحن المركب ومجلسه ، والرجال تحت المجلس بأيديهم المقاذيف[242] ، مشكلة قائمة غير قاذفين بها ، ولا يعلم بهم أنهم في بطن المركب إلا من ظهر منهم في عمله ، والريح في القلاع[243] ، والمركب مار في الخليج كأنه سهم خرج عن كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملاه بصره منه لسرعة سيره ، واستقامته في جريه ، فأشرف على قصر البطريق ، وهو جالس في مستشرفه مع حرمه[244] ، وقد أخذت منه الخمر ، وعلاه[245] الطرب ، وذهب[246] به الفرح والسرور ، فلما رأى البطريق مركب الصوري زعق[247] طربا ، وصاح فرحا وسرورا[248] وابتهاجا بقدومه ، فدنا من أسفل القصر فحط القلوع[249] وأشرف البطريق على المركب ، فنظر إلى ما فيه من حسن[250] ذلك البساط ، ونظم تلك الفرش ، كأنه رياض يزهر ، فلم يستطع اللبث في موضعه ، حتّى نزل قبل أن يخرج الصوري من مركبه إليه ، فطلع إلى المركب ، فلما استقر قدمه على المركب ، ودنا من المجلس ، ضرب الصوري بعقبه على ما تحت البساط ، وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين في بطن المركب ، فما

---

(237) ا ، ب : حافيته ، د : حافاته

(238) د : والمراكب والزوارق تختلف إلى القسطنطينية

(239) د : تحقق

(240) د : هيا البساط في وسط المركب ونظم فيه الوسائد والمخاد تنظيما عجيبا

(241) « نضد » وردت فقط في ج ، هـ وكذلك المروج

(242) ج ، ك : المقاذيف

(243) ج ، ق ، ومروج : القلع

(244) د : خدامه — ك : خدمه

(245) د : واستخفه

(246) د : وخامره

(247) صاح

(248) وصاح فرحا وسرورا — محذوفة في د

(249) ق ، ج ، ومروج ، ك : القلع

(250) حسن ، وردت في ق ومروج فقط

استقر قده في المركب ، بقدمه ، حتّى اختطف[251] بالمقاذيف ، وإذا هو في وسط الخليج ، يطلب البحر لا يلوي على شيء[252] .

وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر لمعاجلة[253] الأمر ، فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر ، وقد أوثق البطريق كتافا ، وطابت له الريح ، وأسعده[254] الجد ، وحمله المقدار في ذلك اللج فتعلق في اليوم السابع بساحل الشام ، ورأى البر وحمل الرجل . فكان في اليوم الثالث عشر مأسورا بين يدي معاوية ، فسر بذلك معاوية . وقال : علي بالرجل القرشي فأتي به وقد حضره خواص الناس فأخذوا مجالسهم ، وغص المجلس بأهله ، فقال معاوية للقرشي : قم فاقتص من هذا البطريق الذي لطم وجهك على بساط عظيم[255] الروم ، فإنا لم نضيعك ، ولا أبحنا دمك وعرضك ، فقام القرشي ، فدنا من البطريق فقال له معاوية : انظر لا تتعد ما خرج عليك ، واقتص منه على حسب ما صنع بك ولا تتعد ، وراع ما أوجب الله عليك من المماثلة ، فلطمه القرشي لطمات ، ووكزه[256] في حلقه ، ثم أكب القرشي على يدي معاوية وأطرافه يقبلها ، وقال : ما ضاع[257] رأي من سودك ، ولا خاب فيك أمل من رأسك ، أنت ملك لا يستضام[258] ، تمنع حماك ، وتصون رعيتك ، وأغرق[259] في وصفه ودعائه[260] .

وأحسن معاوية إلى البطريق، وخلع عليه[261] وبره، وحمل معه البساط . وأضاف إلى ذلك أشياء كثيرة وهدايا إلى الملك[262] وقال له : ارجع إلى ملكك .

---

(251) ج : اختطفوا

(252) هـ : أحد

(253) أ ، ب ، د ، ج : لمعالجة

(254) د : الحال

(255) ج : ملك ، د : عظيم

(256) ك : وركن

(257) رأي ، وردت في د فقط

(258) د : مطاع لا تظلم

(259) د : واستغرق

(260) ق ، ج : والدعاء له

(261) ج : على البطريق

(262) ج : ملك الروم .

وقل له : تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ، ويقتص لرعيته في دار مملكتك وسلطانك وعزك . وقال للصوري[263] : سر حتى تأتي الخليج فتطرحه[264] ومن أسر معه ، ممن كان بادر ، فصعد إلى المركب من غلمان البطريق وخاصته ، فحملوا الى صور مكرمين ، وحمل الجميع في المركب ، وطابت لهم الريح ، فكانوا في اليوم الحادي عشر متعلقين بأرض الروم فقربوا من الخليج ، فإذا به قد[265] أحكم فمه بالسلاسل والمنعة من الموكلين به ، فطرح البطريق . وحمل من وقته إلى الملك ومعه الهدايا والأمتعة ، وتباشرت الروم بقدومه ، وتلقوه[266] مهنئين له بخلاصه من الأسر. فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله في أمر البطريق بالهدايا ، فلم يكن يستضام أسير من المسلمين في أيامه ، وقال الملك : هذا أدهى العرب وأمكر الملوك ، ولهذا قدمته[267] العرب عليها ، فساس أمورها ، ولو همّ بأخذي ، لتمت له الحيلة علي[268] .

روي[269] أن المامون كان يوما في مجلس مذاكرته ومناظرته ، إذ دخل عليه[270] علي بن صالح الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين رجل وقف بالباب ، عليه ثياب غلاظ مشمرة ، يطلب الدخول ، فعلمت أنه بعض الصوفية ، فأردت أن أشير بأن لا يؤذن له ، فبدأ المأمون فقال : ايذن له ، فدخل رجل عليه[271] في ثياب قد شمرها ونعله في يده ، فوقف على طرف البساط ثم قال : السلام عليكم ورحمة الله فقال المأمون : وعليك السلام فقال له : أتأذن في الدنو منك ؟ قال ادن ، فدنا ثم قال : أجلس ، فجلس ، ثم قال : أتأذن في[272] كلامك . قال له

---

(263) د : للسوري

(264) د : فاطرحه ومن معه من غلمانه وخواصه المأسورين معه فسافر بهم السوري فوافي الخليج في الحادي عشر من شهر سفره فالفى فمه قد أحكم بالسلاسل

(265) ك : قد حكم فيه

(266) ك : وتلقاه

(267) أ ، ب ، د ، ك : ما قدمته

(268) وردت القصة الكاملة في مروج الذهب جـ 5 ص 123 إلى 126 وهناك اختلافات كثيرة بين نصوص مخطوطات الشهب والنص المطبوع ، كما وردت القصة أيضا في نهاية الارب السفر 6 من ص 185 — 187

(269) ج ، ك : وروى

(270) عليه — محذوفة في ك

(271) د : على حاله تلك

(272) ك : أتأذن لي في الكلام

المأمون : تكلم بما تعلم أن لله تعالى فيه رضى قال : اخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه جلسته[273] باجتماع[274] المسلمين عليك ورضا بك[275] ، أم بالمغالبة لهم[276] والقوة[277] عليهم بسلطانك . قال : لم أجلسه باجتماع[278] منهم ، ولا مغالبة[279] لهم ، بل كان يتولى[280] أمر المسلمين سلطان قبلي ، احتمله المسلمون إما على رضى منهم[281] ، وإما على كره ، فعقد لي ولآخر معي ولاية[282] هذا الأمر بعده في أعناق من حضره من المسلمين ، وأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لي ولآخر معي ، فأعطوه ذلك إما طائعين وإما كارهين ، فمضى الذي عقد له معي على السبيل التي مضى عليها ، فلما صار الأمر إلي ، علمت أني احتاج إلى اجتماع[283] كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الرضى بي ، ثم نظرت فرأيت أني متى خليت[284] على المسلمين أمورهم ، اضطرب حبل الإسلام ، ومرج عهدهم وانتقضت[285] أطرافهم ، وغلب[286] على الناس الهرج والفتنة ووقع التنازع[287] ، فبطلت[288] أحكام الله تعالى[289] ، ولم يحج أحد بيته الحرام ، ولم[290] يجاهد الناس في سبيله ، ولم يكن لهم سلطان يسوسهم ويجمعهم

---

(273) د : أجلسه ، ك : أجلسته

(274) د : باجماع

(275) أ ، ب ، ج : ورضاك

(276) « لهم » ساقطة في ك

(277) د : والقدرة

(278) د : باجماع

(279) د : بمغالبة ، ك : ولا مغالبة عليهم

(280) د : متوليا

(281) منهم — وردت في ج فقط

(282) د : وولاني

(283) أ ، ب ، د ، هـ : جماع

(284) د : حالت

(285) ق : واقتصت ، هـ : انقصت

(286) هـ : وغلبت

(287) د : النزاع

(288) مروج : فتعطلت

(289) د : « تعالى ولا يحج »

(290) د : ولا

وانتقضت السبل ، ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم ، فقمت بهذا الأمر حياطة للمسلمين[291] ، ومجاهدا لعدوهم وضابطا لسبيلهم وآخذا على أيديهم قصد[292] أن يجتمع المسلمون على رجل منهم تتفق كلمتهم على الرضَى به ، فأسلم الأمر إليه ، وأكون كرجل من المسلمين . فمتى اجتمعوا على رجل من المسلمين ورضوا به ، خرجت إليه عن هذا الأمر . فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وقام ، فأمر المأمون علي بن صالح الحاجب أن يوجه من يتبعه حتّى يعلم أين يقصد ، فعمل[293] على ذلك ، ثم رجع إليه فقال : يا أمير المؤمنين وجهت من اتبع الرجل ، فمضَى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا في مثل هيئته وزيه . فقالوا : ألقيت[294] الرجل ؟ قال : نعم قالوا له : فما قاله ؟ قال : ما قال إلا خيرا ، ذكر أنه ضبط أمر المسلمين حتّى تأمن سبلهم ، ويقوم الحج ويجاهد في سبيل الله ، ويؤخذ[295] للمظلوم من الظالم ولا تتعطل[296] الأحكام ، فإذا رضي المسلمون بإمام وأجمعوا[297] عليه ، سلم الأمر إليه . وخرج إليه منه . فقالوا : لسنا[298] نرى بهذا الأمر بأسا ، وافترقوا . قال يحيَى بن أكثم ، فأقبل علي المأمون وقال : يا أبا محمد ، كفينا مؤونة هؤلاء بأيسر خطب[299] . فقلت له : الحمد لله على ما ألهمك من السداد والصواب في القول[300] والفعل .

فصـــل

قال أبو منصور : أربع كلمات صدرت من[301] أربعة ملوك[302] كأنما رميت

(291) ج : حياطة على المسلمين — هـ : حيطة للمسلمين

(292) ج : قصدا إلى أن تجتمع ، هـ : قصدا أن تجتمع . مروج : إلى أن تجمع

(293) مروج : ففعل ذلك

(294) د : لقيت

(295) مروج : ويأخذ

(296) د : يعطل

(297) د : واجتمعوا

(298) د : لا نرى : مروج : ما نرى

(299) ج : حظ

(300) مروج الذهب ج 4 ص 315 — 316 كما ورد في بدائع السلك 280 من المخطوط التونسي .

(301) د : من أربع

(302) وردت كلمة — ملوك — في د فقط

(303) ك : واحدة

قال كسرى : لم أندم على ما لم أقل ، وقد ندمت على ما قلت مرارا[304] .

وقال قيصر : أنا على رد ما لم أقل ، أقدر مني على رد ما قلت .

وقال ملك الصين : إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ، وإذا لم أتكلم بها ملكتها .

وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت ضرته ، وإن لم ترفع ، لم تنفعه .

وفي غير الكتاب المذكور كان عمْرو بن العاص رضي الله عنه يقول : ما أفشيت سرا[305] إلى رجل ، فأفشاه علي ، فلمته إذ كان صدري به أضيق منه[306] انتهى[307] .

وقال الشاعر في المعنى :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن كتم[308] سره فصدر الذي يستودع السر أضيق[309]

قال صاحب السراج : قال الله تعالى حكاية ، عن يعقوب عليه السلام : يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا[310] . ولما أفشي يوسف عليه السلام سره في رؤياه بمشهد امرأة يعقوب ، أخبرت إخوته ، فحل به ما حل[311] .

---

(304) استند ابن ضوان في إيراده — لهذه النصوص على التمثيل والمحاضرة ص 426 — كما وردت في كليلة ودمنة مع اختلاف في الألفاظ واختلاف في أسماء الملوك (المجموعة الكاملة ص 26) ووردت كذلك هذه النصوص مع اختلاف بسيط في اللفظ (ودون ذكر أسماء الملوك) في البهجة ج 1 ص 80 .

(305) ج ، ق : سرى

(306) منه ، انتهى — زيادة من د : منه : محذوفة من ك

(307) ورد قول عمْرو بن العاص في البهجة كما ورد في الذخائر والاعلاق على الصورة التالية : « وقال عمْرو ابن العاص إذا أنا أفشيت سري إلى صديقي فأذاعه فهو في حل . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني أنا كنت أحق بصيانته منه ، وكيف يلام مستودع سرا إذا ضاق صدر مستودعه)

(308) الذخائر والاعلاق : حمل ، البهجة : سر نفسه

(309) ورد البيتان في د فقط . وقد أوردهما ابن سلام في الذخائر والاعلاق منسوبين إلى المتنبي وورد البيت الثاني دون إسناد في البهجة ج 1 ص 77 وفي الكامل ج 2 ص 16 .

(310) آية 5 يوسف 12

(311) ورد هذا النص في السراج ص 104 من باب في كتمان السر.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود[312] .

قال : واعلم أن كتمان السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق . ومن اللوازم في حق الملوك ، ومن الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والأتباع .

قال أنوشروان : من حصن سره ، فله بتحصينه خصلتان : الظفر بحاجته ، والسلامة من السطوات[313] .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : واعلم أن كتمان السر يدل على جواهر الرجال . وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها ، كذلك لا خير في لسان ، لا يمسك سره .

قال بعض الحكماء : ما كتمته عدوك ، فلا تطلعن[314] عليه صديقك ، فإن لم يكن لك بد من اذاعته لقرينة تقتضيه[315] من صديق مباهم ، أو استشارة ناصح مسالم ، فمن صفات أمين السر أن يكون ذا عقل ودين ونصح ومودة ، فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة[316] ، وتوجب حفظ الأمانة ، وقد قيل : لا تودع سرك عند من يستدعيك[317] ، فإن طالب الوديعة خائن[318] .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : والجملة إذا زال سرك عن عذبة[319] لسانك ، فالإذاعة مستولية عليه ، وإن أودعته قلب ناصح محب .

قال بعض الحكماء لابنه : يا بني كن جوادا بالمال في مواضع[320] الحق ،

(312) ورد الحديث في السراج ص 104 من باب 33 وفي العقد الفريد ج 1 ص 120 ، والكواكب الدرية ج 1 ص 23 ، ونهاية الارب في فنون الأدب السفر 6 ص 81 . وورد في التمثيل والمحاضرة ص 419 : « استعينوا على الحوائج بالكتمان » كما ورد أيضا في البهجة ج 1 ص 319

(313) ك : من السوء

(314) د : فلا تطلع

(315) د : تقتضي ذلك

(316) أ ، ب ، ك : الاضاعة

(317) جميع المفوظات ، ما عدا ، يستدعيه

(318) السراج ص 104 من الباب 33 — (في كتمان السر)

(319) د : محله

(320) ق : موضع

ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الانفاق في وجه البر ، والبخل بمكتوم السر[321] .

في[322] كتاب الذخائر : ادنى أخلاق[323] الشريف[324] كتمان السر ، وأعلاها[325] نسيان ما أسر به إليه[326] .

ومن[327] كلام الحكماء : كتمان السر يوجب السلامة ، وافشاؤه يعقب الندامة[326] .

وقال بعضهم : حفظك لسرك أولى من حفظ غيرك له .

أزدشير : لا تكن على إحكام شيء أحرص منك على إحكام أمر الأخبار حتّى تصح[328] ، فإنما تجري أمور المملكة كلها[329] عليها ، وأقل الشركاء في أسرارك ، تنكتم .

يروى أن ملكا كانت أسراره لا تنكتم[330] وتظهر كثيرا إلى عدوه ، فيبطل تدبيره على العدو ، فبلغ ذلك منه فشكَى إلى أحد نصحائه ، وقال : إن جماعة يطلعون[331] على أسراري ، لابد من اظهارها لهم ، ولست[332] أدري أيهم[333] يظهرها ، وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن ؟ فدعا بكتاب ، فكتب[334] فيه أخبارا من أخبار المملكة وجعلها كذبا كلها ، ثم دعا برجل .

---

(321) السراج ص 105 وورد جزء من هذا النص في الذخائر ص 142

(322) د : وفي

(323) الذخائر : الاخلاق

(324) الذخائر : الشريفة

(325) ج ، د : وأحلاها

(326) الذخائر ص 141

(327) د : قال بعض الحكماء : كتمان السر بوجد

(328) ق : لا تصح

(329) د ، ق : عليها كلها . هـ : عليها

(330) لا تنكتم — وردت في جـ فقط —

(331) ج : تتطلع

(332) د : ولا

(333) ج : من يظهرها منهم

(334) د : فكتب باخبار المملكة — ق ، ج ، هـ : فكتب فيه أخبار

رجل[335] ، كل واحد دون أصحابه[336] ، ممن كان يفشي الملك إليه سره[337] وقال الملك : خبر كل واحد منهم بخبره على حدة ولا يظهر عليه سائر أصحابه . ومر كل واحد بستر[338] ما أسررت إليه ، واكتب على كل خبر اسم صاحبه . فلم يلبث أن اظهر الخائن ما أسر إليه ، وانكتمت[339] أخبار الناصحين ، فعرف الملك من يفشي سره ، فحذره .

من كلام بعضهم : من وهن الأمر ، اعلانه قبل احكامه .

فصـــل

أتى[340] الاسكندر يوما جاسوس يخبره عن عسكر دارا الفارسي[341] أن فيه خلقا كثيرا . فقال : إن الذهب ، ولو كان وحده لا تهوله ، كثرة الغنم[342] .

غزا المامون أرض الروم وعمد إلى حصونهم ، ودعاهم إلى الإسلام ، وخيرهم بين الإسلام والجزية والسيف[343] وذلل النصرانية ، فأجابه خلق عظيم[344] إلى الجزية . وذكر القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يزيد الدمشقي قال : لما توجه المامون غازيا ، ونزل[345] البرندون[346] جاءه رسول ملك الروم فقال له : إن الملك يخبرك بين أن يرد عليك نفقتك التي أنفقتها[347] من بلدك إلى هذا الموضع ، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين في بلد[348] الروم بغير فداء ولا درهم ولا

---

(335) في ج : رجل رجل رجل كل واحد (هكذا ثلاث مرات)

(336) د : صاحبه

(337) د : اسر إليهم ما في الكتاب . وقال : كل منكم يستر ما أسررت إليه . وكتب على كل اسم ، اسم صاحبه .

(338) ق : بستر

(339) د : وكتمت

(340) ق : قبل أتى

(341) في جميع النسخ : عسكر دار الفارسي وفي د : دار الفرس . وفي البهجة عسكر دارا الفارسي

(342) البهجة ج 1 ص 201

(343) د : والسيف

(344) د : منهم ، هـ : كثير

(345) ج : وجاءه البرندون رسول ملك الروم

(346) د : البرقدون . ومروج الذهب : البدندون

(347) هـ : أنفقت

(348) د : بلاد

دينار ، وبين أن يعمر لك من بلاد المسلمين ما خربته[349] النصرانية[350] ويرده كما كان ، وترجع عن غزاتك[351] هذه . فقام المامون ودخل إلى مضربه[352] ، وصلى ركعتين ، واستخار الله عز وجل ، وخرج[353] فقال للرسول : قل له : أما قولك ترد نفقتي ، فإني سمعت الله سبحانه يقول في كتابه العظيم « وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان . قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون[354] » وأما قولك : إن كل أسير في بلد الروم من المسلمين تخرجه[355] ، فما في يدك إلا أحد رجلين : إما رجل طلب الله عز وجل ، الآخرة ، فقد صار إلى ما أراد ، وإما رجل طلب الدنيا ، فلا فك الله أسره . وأما قولك : تعمر كل بلد[356] للمسلمين قد خربه[357] الروم ، فلو أني قلعت أقصى حجر في بلاد الروم ما اعتضت[358] بامرأة عثرت في حال أسرها : وقالت : وا محمداه . عد إلى صاحبك فليس بيني وبينه إلا السيف . يا غلام اضرب في الطبل ، فرحل ، ولم ينثن عن غزاته ، تلك[359] حتى فتح أربعة عشر حصنا[360] .

في[361] محاسن البلاغة : ينبغي للسلطان أن يتقدم بالنظر[362] في العواقب وليتق عثرات الزمان ، وفحش تسلط الأيام ، ولؤم[363] غلبة الدهر .

---

(349) د : قاربته

(350) د : النصارى

(351) ق : غزوتك

(352) د : محله

(353) ج : وخرج إلى الرسول وقال له

(354) آية 34 — 35 سورة النمل 27

(355) د : تسره

(356) د : بلاد

(357) د : خربها

(358) د : اعتضته

(359) تلك — وردت في د فقط — غير واردة في ك

(360) وردت هذه النصوص في مروج الذهب ج 4 ص 339 — 340

(361) ج : وفي

(362) د : إلى النظر

(363) ق ، ك : ولوم

وفي الكتاب المذكور : ينبغي للسلطان أن يمضي لكل يوم عمله ، وأن يصدر فيه واردته ، فإن لكل يوم ما فيه ، ولغد ما يحدث[364] . لما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان بن عفان[365] رضي الله عنه ، فقالت عائشة بنت عثمان : واأبتاه . فقال معاوية : يا ابنة أخي إن الناس قد أعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمنا . وأظهرنا لهم حلما تحت غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحت[366] حقد . ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، فإن نكثنا بهم[367] ، نكثوا بنا ، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكوني[368] ابنة عم أمير المؤمنين ، خير[369] من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين .

قال الوضاح بن حبيب : كنا إذا خرجنا من عند المنصور صرنا إلى المهدي ، وهو ولي عهد ، ففعلنا ذلك يوما ، فأبرز لي يده ، ولم يكن ذلك من عادته فأكببت[370] عليها وقبلتها ، وضرب[371] بيده إلى يدي ، وعلمت أنه[372] لم يفعل ذلك إلا لشيء في نفسه ، فوضع في يدي[373] كتابا صغيرا يستره الكف . فلما خرجت ، فتحته[374] ، فإذا فيه : يا وضاح إذا قرأت هذا الكتاب ، فاستأذن إلى ضياعك بالري — فرجعت ، وقلت للربيع ليستأذن[375] لي ، فدخل فاستأذن لي ، فدخلت وقلت[376] : يا أمير المؤمنين ضياعي بالري ، قد اختلت[377] ولي حاجة إلى مطالعتها ، فقال : لا ولا كرامة . فخرجت ، ثم عدت إليه ، فرد بمثل[378]

---

(364) أ ، ب : ولغد يحدث
(365) ابن عفان : وردت في ج فقط
(366) د : تحتها
(367) أ ، ب ، ج ، د : نكثناهم
(368) أ ، ب : ولتكوني
(369) د : خيرا
(370) هـ : فأكببت ، ق ، د : فكببت
(371) أ ، ب ، ج ، ق : وضرب بيدي إلى يده
(372) ج : ان ذلك لم يفعله إلا لشيء
(373) د : يده
(374) د : ففتحته
(375) ق ، د : استأذن
(376) هـ ، ق ، ج ، عيون : فقلت
(377) هـ : اعتلت
(378) ق ، ج ، عيون : إلى مثل — هـ ، د : على مثل

الجواب الأول : فقلت يا أمير المؤمنين : ضياعي بالري قد اختلت ، ولي حاجة إلى مطالعتها ، وما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك ، فسرى عنه . وقال : إذا شئت ، فودع . فقلت : يا أمير المؤمنين لي حاجة أذكرها قال : فقل . فقلت : احتاج إلى خلوة ، فنهض القوم ، وبقي الربيع فقلت : اخلني . قال : ومن الربيع وبينكما ما بينكما ؟ قلت : نعم . فتنحى الربيع فقال : قد خلوت فقل قال : هل يأمرني أمير المؤمنين بأمر أغني[379] فيه ؟. قال : إن جدت[380] لي بمالك ودمك . فقلت[381] : يا أمير المؤمنين، هل أنا ومالي إلا نعمتك ، حقنت دمي ودم أبي ورددت علي مالي وآثرتني بصحبتك[382]. قال : إنه يهجس[383] في نفسي أن جهورا عزم على خلع وليس له غيرك ، لما أعرف بينكما ، فأظهر إذا صرت إليه الوقيعة في التنقص لي ، حتَّى تعرف ما عنده ، فإن رأيته يهم بخلع ، فاكتب إلي ولا تكتب مع بريد ولا مع رسول ولا تفوتني خبرك في كل يوم . فقد نصبت لك فلانا القطان فهو يوصل كتبك[384] إلي قال : فمضيت حتَّى أتيت[385] الري فدخلت على جهور[386] فقال : أفلت ؟ قلت : نعم والحمد لله . ثم جعلت أونسه بالوقيعة فيه ، حتَّى أظهر[387] ما كان ظن به المنصور ، فكتبت[388] إليه بذلك[389] .

---

(379) د : اعتني

(380) د : تجود ، ك : وجدت

(381) د : قلت

(382) د : بمحبتك

(383) د : هجس

(384) أ ، ب : كتابك

(385) ج : قدمت

(386) ج : جوهر ، د : جمهور

(387) جـ : اظهر ما ظن به فكتبت إلى أمير المؤمنين المنصور بالله بذلك وأخبرته بما هو عليه جوهر ، فقبض عليه

(388) أ ، ب ، ج : فكتب بذلك

(389) ورد النص في عيون الأخبار جـ 1 ص 209 — 210

الباب السابع عشر

في التيقظ والتلطف في[1] الوصول إلى المقاصد

ثبت في الصحيح أن امرأتين خرجتا ومعهما صبيان ، فعدا الذئب على أحدهما ، فأخذتا تختصمان[2] في[3] الصبي الباقي[4] ، فاختصمتا إلى داوود عليه السلام ، فقضى به للكبرى ، فمرتا على سليمان عليه السلام وهو[5] صبي فقال : كيف أمركما ؟ فقصتا عليه القصة . فقال : إيتوني بالسكين أشق الغلام بينكما . فقالت : الصغرى أتشقه ؟ قال : نعم قالت : لا تفعل ، حظي منه لها قال : هو[6] ابنك ، فقضى به لها .

ومن أعجب الفطن وجميل التهدي ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر ، وجدنا عندها رجلين : أحدهما قرشي والآخر مولى لعقبة بن أبي معيط . فأما القرشي فأفلت ، وأما مولى عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم ، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ، ضربوه ، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له[7] : كم القوم ؟ قال[8] : هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم ، فجهد النبي ﷺ أن يخبره ، كم هم فأبى ، ثم إن النبي ﷺ سأله : كم يذبحون من الجزر . قال : عشرا كل يوم . فقال النبي ﷺ : القوم ألف ، كل جزر لمائة . وتبعها[9] .

---

(1) ك : والتوصل
(2) د : في الخصام
(3) د : على
(4) د ، ك : الباقي — ساقطة —
(5) وهو صبي ورد في ق ، ج فقط
(6) د : فهو
(7) في « هـ » فقط وردت « له » وفي بقية المخطوطات : لهم
(8) هـ : فقال
(9) د : وتبعها — ساقطة —

ويروى أن امرأة استودعها رجلان من قريش مائة دينار وقالا : لا تدفعيها إلى واحد[15] منا دون صاحبه ، حتى نجتمعا ، فلبثا حولا ، فجاء أحدهما إليها ، فقال : إن صاحبي قد مات ، فادفعي إلي الدنانير. فدفعتها إليه فجاء الآخر يطلب الدنانير ، فقالت : إن صاحبك جاءني ، يزعم أنك ميت ، فدفعتها إليه . فاختصما إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأراد أن يقضي عليها . فقالت : أنشدك الله لا تقض[11] بيننا ارفعنا إلى علي رضي الله عنه ، فرفعها ، فعرف علي رضي الله عنه أنه قد مكر[12] بها ، فقال : أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه قال : بلى[13] . قال : فإن مالك عندها ، فاذهب فجيء بصاحبك حتى تدفعه[14] إليكما .

ومن أحسن التيقظ ما رواه المؤرخون من أن أبا جعفر المنصور لما دخل المدينة المشرفة ، على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، قال للربيع بن يونس وزيره : أبغني[15] رجلا عاقلا عالما يقفني على ديارها ، فقد بعد عهدي بديار قومي . فالتمس له الربيع فتى[16] من أعلم الناس وأعقلهم فكان لا يبتديء بالأخبار عن شيء ، حتى يسأله المنصور ، فيجيبه الفتى[17] بأحسن عبارة ، وأتم بيان ، وأوفى معنى . فأعجب به المنصور ، فأمر له بمال ، فتأخر عنه . ودعته الضرورة إلى استنجازه ، فاجتاز[18] بيت عاتكة[19] بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فقال : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة بنت[20] يزيد الذي[21] يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصاري :

---

(10) ج : لاحدنا ، ق : لواحد
(11) ج : لا تقضي علينا
(12) ق : مكرا
(13) ج : نعم
(14) أ ، ب ، د ، ق : ندفعها
(15) د : أبغي ، أ ، ب ، ج : بغى
(16) ج : رجلا
(17) « الفتى » وردت في ج فقط
(18) ق : فاستجاز
(19) في وفيات الأعيان : عاتكة بنت عبد الله عبد أبي سفيان الأموي
(20) بنت يزيد — وردت في ج فقط —
(21) ق : التي

يا بيت عاتكة التي[22] أتعزل خوف العدى وبه الفؤاد موكل
إني لامنحك الصدود وإنني قسما إليك مع الصدود لأميل[23]

ففكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بابتداء الأخبار ، دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها شيئا فشيئا ، ويتأملها[24] بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها[25] :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث[26] يقول ما لا يفعل

فقال المنصور : يا ربيع ، هل أوصلت[27] إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ قال : تأخر عنه ، لعلة ذكرها . فقال : عجله له مضاعفا . وهذا ألطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور[28] .

قلت[29] : ويشبه هذا التعريض[30] ، وهذا التفطن ما جرى لابن التلميذ النصراني المتطبب من شعراء الخريدة[31] بحضرة الخليفة المقتفي . وذلك أنه كان له راتب بدار القوارير ببغداد ، فقطع عنه ولم يعلم به الخليفة . فاتفق أنه كان عنده يوما ، فلما عزم على القيام ، لم يقدر عليه إلا بكلفة[32] ومشقة من الكبر فقال له المقتفي : كبرت يا حكيم ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وتكسرت قواريري . وهذا في إصطلاح أهل بغداد أن الإنسان إذا كبر يقال : تكسرت قواريره . فلما قال الحكيم هذه اللفظة ، قال الخليفة : هذا الحكيم لم أسمع منه هزلا منذ قدمنا ، فاكشفوا قضيته . فكشفوها فوجدوا راتبه بدار القوارير قد انقطع ، فطالعوا الخليفة

---

(22) التمثيل والمحاضرة وفي عيون : الذي
(23) هذان البيتان في التمثيل والمحاضرة ص 68 — 212 وقد نسبا إلى الرعي في ص 68 ونسبا في ص 212 إلى الأحوص
(24) ويتأملها بيتا بيتا — وردت في ق ، ج : ولم ترد في بقية المخطوطات وفي وفيات الأعيان —
(25) فيها — وردت في ج كما وردت في وفيات الأعيان —
(26) ج : اللسان
(27) د : وصلت
(28) نقل ابن رضوان القصة من وفيات الأعيان ج 2 ص 296 — 297
(29) د : قال
(30) د : عبارة « التعريض » « وهذا التفطن » — ساقطة —
(31) أ ، ب ، ك ، د : الجزيرة
(32) د : كلفه

بذلك ، فتقدم[33] برده عليه . وكان الذي قطعه الوزير عون الدين بن هبيرة ، وزاده[34] إقطاعا آخر[35] .

ومن غريب التيقظ ما روي[36] من أن سديد الملك أبا الحسن بن مقلد صاحب قلعة شيزر[37] ، وكان موصوفا بقوة الفطنة ، ذكر عنه أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر[38] وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك[39] محمود بن صالح بن مرداس ، فجرى أمر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه. فخرج من حلب إلى طرابلس الشام، وصاحبها يومئذ[40] جلال الملك[41] ابن عمار، فأقام عنده، فتقدم محمود بن صالح إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين[42] بن علي بن النحاس الحلبي أن يكتب إلى سديد الملك كتابا يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه إليه. ففهم الكاتب، أنه يقصد به شرا، وكان صديقا لسديد الملك، فكتب الكتاب. كما أمره، إلى أن بلغ «إن شاء الله تعالى» فشدد النون وفتحها، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك ، عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ، ومن بمجلسه من خواصه . فاستحسنوا عبارة الكاتب[43] ، واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه ، فقال سديد الملك : إني أرى في الكتاب ما لا ترون . ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال ، وكتب في جملة الكتاب ، « أنا الخادم والمقر بالأنعام » ، وشدد النون (وكسر الهمزة[44]) من « أنا » فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه[45] الكاتب ، سر بما فيه ، وقال لأصدقائه : قد علمت أن

---

(33) ج : فأمر وفي ق تقدم — وفي الهامش فأمر
(34) أ ، ب ، جـ ، د ، ق : وزاد — في هـ ، ووفيات وزاده —
(35) — نقل ابن رضوان القصة من وفيات جـ 6 ص 75 — 76
(36) د : ما وقع أن ، هـ : ما روى من أن
(37) ق ، د ، ج ، ك : شيزز
(38) ق ، د ، ج : شيراز ك : شيزر
(39) ج : الملك
(40) هـ : إذ ذاك ، أ ، ب ، ج ، ك : يوم ذلك ، ق : يومئذ ذلك
(41) ق : الدين
(42) د : الحسن
(43) أ ، ب ، ج : الكتاب
(44) زيادة من وفيات الاعيان
(45) د : على

الذي كتبته لا يخفَى على سديد الملك ، وقد أجاب بما طابت[46] به نفسي ، وكان الكاتب قد قصد قول الله تبارك وتعالى : «إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ[47]» . فأجاب سديد الملك ، بقوله : «إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا[48]» . وكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه[49] .

ومن[50] أحسن ما روي من أن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود صاحب الموصل[51] ، وكان قوي الفطنة شديد الإدراك، جلس يوما لعرض العسكر، وديوان الجيش بين يديه، فكان كلما حضر واحد من الأجناد، سأله الكتاب[52] عن اسمه، لينزلوه[53] ، حتّى حضر واحد، فسألوه[54] ، فقبل الأرض بين[55] يدي الأمير ، فلم يفطن أحد منهم لما أراد ، فعادوا[56] سواله ، فقال الملك : إسمه غازي ، وكان كذلك . وتأدب الجندي أن يذكر اسمه ، لما كان موافقا لإسم[57] السلطان ، وعرف هو مقصوده[58] .

في المقتطف : أن سليمان عليه السلام شكا إليه رجل من بني إسرائيل أن جارا

---

(46) وفيات الأعيان : طيب نفسي

(47) آية 20 القصص 28

(28) آية 24 المائدة 5

(49) وردت القصة في وفيات الأعيان ج 3 ص 409 — 410 ، كما وردت مختصرة في كتاب زبدة حلب من تاريخ حلب ج 2 ص 36 تأليف ابن العديم تحقيق سامي الدهان (المطبعة الكاثوليكية بيروت 1954) وجاء في هامش المصدر السابق أن الحكاية وردت في كتب التاريخ على أنها للشاعر أبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ، وابن العديم نفسه يتردد في حكايتها عن ابن منقد أو الخافجي ثم يقول لعلها وقعت للإثنين جميعا انظر فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي في ترجمة الخفاجي ج 1 ص 233 .

(50) أ ، ب ، د : ومن ذلك .

(51) أخطأ إبن رضوان في ذكر الاسم ، إن صاحب القصة هو الملك الظاهر صاحب حلب — أبو الفتح — أو أبو منصور — غازي — ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — وفيات ج 4 ص 6 .

(52) ج : الكاتب

(53) ج : لينزله

(54) ج : فسأله

(55) بين يدي الأمير : زيادة من ق ، ج

(56) ج : فأعادوا

(57) أ ، ب ، ق : اسم

(58) وردت في وفيات الاعيان جـ 4 ص 522

من جيرانه سرق له إوزة . فنادى : الصلاة جامعة ، فحضروا وقام خطيبا . فقال : ما بال أحدكم يسرق اوزة جاره ، ثم يجيء إلى الصلاة وبعض ريشها فوق رأسه ، فمد ذلك الرجل يده إلى رأسه ، فألزمه بها[59] .

يحكى عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته ، فرأى رجلا ملهوفا يجول في الطرقات ، فأرسل من أتاه به ، فسأله عن حاله ، فأخبره أنه خرج في تجارة ، فأفاد[60] مالا ، وأنه رجع بالمال إلى منزله ، فدفعه إلى أهله[61] ، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ، ولم ير نقبا في الدار[62] ، ولا أثرا فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة . قال : أبكرا[63] تزوجتها أم ثيبا ؟ قال : ثيبا . قال : ألها[64] ولد من سواك ؟ قال : لا . قال : أشابة هي[65] أم مسنة ؟ قال : بل حدثة[66] . فدعا المنصور بقارورة طيب كان يتخذ[67] له حاد الرائحة غريب النوع ، فدفعها إليه ، وقال له : تطيب من هذا الطيب ، فإنه يذهب همك . فلما خرج الرجل[68] من عند المنصور قال المنصور لأربعة من رجاله ثقاته : ليقعد كل واحد منكم على باب من أبواب المدينة ، فمن مر به أحد فشم به[69] هذا الطيب فليأتني[70] به ، وخرج الرجل[71] بالطيب ، فدفعه إلى امرأته وقال لها : وهبه لي أمير المؤمنين . فلما شمته ، بعثت[72] به إلى رجل كانت تحبه ، وقد كانت دفعت المال إليه . فقالت له : تطيب من هذا الطيب ، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي ،

---

(59) وردت هذه القصة في عيون الاخبار ج 1 ص 201 منسوبة إلى محمد بن كعب القرظي مع اختلاف في التعبير واللفظ .

(60) الطرق الحكمية : فكسب

(61) ج : زوجته

(62) ق ، د ، ج : بالدار ، ك : للدار

(63) أ ، ب ، ج : فبكرا ، هـ : افبكر

(64) أ ، ب ، ج : فلها .

(65) « هي » وردت في د فقط

(66) د : حديثة السن

(67) الطرق الحكمية : يتخذه

(68) ج : الرسول

(69) ق ، د : منه

(70) ج : فيأتني

(71) ج : الرسول

(72) ج : بعثته

فتطيب منه[73] الرجل ، ومر مجتازا ببعض أبواب المدينة ، فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه فأخذه ، فأتى به المنصور . فقال له المنصور : من أين[74] استفدت هذا الطيب ؟ فإن رائحته غريبة[75] ومعجبة[76] ؟ قال : اشتريته ، قال أخبرنا من أين اشتريته فتلجلج[77] الرجل ، واختلط كلامه ، فدعا المنصور صاحب شرطته فقال له : خذ هذا الرجل إليك ، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير ، فخله يذهب حيث يشاء ، وإن امتنع ، فاضربه[78] ألف سوط من غير مؤامرة . فلما خرجا من عنده دعا صاحب شرطته فقال : هول عليه وجرده[79] ، ولا تقدمن بضرب حتى ترى أمري . فخرج به صاحب الشرطة ، فلما جرده وسحبه[80] ، أذعن فرد الدنانير وأحضرها بهيئتها ، فأعلم المنصور بذلك ، فدعا صاحب الدنانير . وقال : أرأيت[81] إن رددت عليك الدنانير بأعيانها ، تحكمني في امرأتك ؟ قال : نعم قال : فهذه دنانيرك ، وقد طلقت امرأتك[82] عليك ، وخبره بخبرها[83] [84] .

يروى أن رجلا قدم بغداد يريد الحج ، وكان معه عقد من الحب يساوي ألف دينار ، فاجتهد في بيعه ، فلم يتفق فجاء إلى عطار ، موصوف بالخير ، فأودعه إياه ، ثم حج وعاد . فأتاه بهدية فقال له العطار : من أنت وما هذا[85] ؟ فقال له : أنا صاحب العقد الذي أودعتك إياه ، فأنكره ، ودفعه عن دكانه . وقال[86] : تدعي علي مثل هذه الدعوى ، فاجتمع الناس وقالوا للحاج :

---

(73) د : به

(74) الطرق الحكمية : من أين لك هذا الطيب

(75) د : غريبة — محذوفة —

(76) د : عجيبة

(77) الطرق الحكمية : فلجلج في كلامه

(78) ق : أضربه

(79) د : وهدده

(80) ج : واسحبه — أ ، ب ، د : وسجنه

(81) ج : أرأيتك ان أرددت

(82) د ، ج ، ق ، هـ : المرآة عليك

(83) ا ، ب ، ج : خبرها

(84) الطرق الحكمية ص 39 — 40

(85) د : هذه

(86) ج : وقال له

ويلك[87] هذا رجل خير[88] ، فما لحقت من تدعي عليه إلا هذا . تحير الحاج ، وتردد إليه ، فما زاده إلا شتما وضربا . فقيل له : لو ذهبت إلى عضد الدولة ، فله في هذه الأشياء فراسة . فكتب قصته ، وجعلها على قصبة ، ورفعها إلى عضد الدولة ، فصاح به ، فجاء فسأله عن حاله ، فأخبره بالقصة . فقال له : اذهب إلى العطار غدوة واقعد على دكانه ، فإن منعك ، فاقعد على دكان[89] تقابله ، من بكرة النهار[90] إلى المغرب[91] ، وافعل هذا ثلاثة أيام فإنني أمر عليك في اليوم الرابع ، وأقف[92] فاسلم عليك ، فلا تقم لي ، ولا تزدني على رد السلام وجواب ما أسألك عنه ، وإذا انصرفت عنك ، فأعد عليه ذكر العقد[93] ، ثم اعلمني بما يقول لك ، فإن أعطاكه فجيء به إلي . قال : فجاء إلى دكان العطار ، ليجلس ، فمنعه ، فجلس مقابله ثلاثة أيام . فلما كان في اليوم الرابع ، جاز[94] عضد الدولة في موكبه[95] العظيم ، فلما رأى الخراساني ، وقف[96] فقال له : سلام[97] عليكم . فقال الخراساني ، ولم يتحرك من موضعه[98] : وعليكم السلام . فقال عضد الدولة[99] : يا أخي تقدم إلى ههنا[100] ، فلا تأتي إلينا ولا تعرض حوائجك علينا . فقال : كذا اتفق . ولم يشبعه الكلام ، وعضد الدولة يسأله وهو يتعامى ويتحفى ، وقد وقف[101] ووقف العسكر كله ، والعطار قد أغمي عليه من الخوف ، فلما انصرف[102] التفت العطار إلى الحاج فقال : ويحك متى أودعتني هذا

---

(87) د : ويحك

(88) ا ، ب ، ج : تاجر

(89) د : مقابلا لدكانه

(90) النهار — وردت في د فقط —

(91) د : الغروب

(92) د : فأقف

(93) أ ، ب : الحق

(94) بدائع السلك : جاء

(95) د : موكب عظيم

(96) د : وقف إليه وسلم ، فلم يقم له الخراساني ولا تحرك ، ولم يزد على رد السلام

(97) ج : السلام

(98) من وضعه — وردت في ج فقط —

(99) « عضد الدولة » زيادة من د

(100) — إلى ههنا — وردت في ج فقط

(101) د : وأوقف

(102) ج : صار

العقد ؟ وفي أي شيء كان ملفوفا ؟ فذكرني لعلي أذكره . فقال : من صفته كذا وكذا ، فقام ، ففتش ثم نفض جرة عنده ، فوقع العقد ، فقال قد كنت نسيته ، ولو لم تذكرني في الحال ، ما ذكرته ثم أخذ العقد وقال : وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة ثم قال في نفسه : فلعله يريد أن يشتريه ، فذهب إليه ، فأعلمه به ، فبعث به مع الحاجب ، وعاقب العطار .

ذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه أنه بلغ عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شاهقة ، فلا يقدر[103] عليهم ، فاستدعى أحد التجار ، ودفع إليه بغلا وعليه صندوقان[104] فيهما[105] حلواء ، قد شيبت بالسم ، وأكثر طيبها في ظروف[106] فاخرة ، وأعطاه دنانير وأمره أن يسير مع القافلة ، ويظهر[107] أن هذه هدية لبعض الأمراء ، ففعل التاجر ذلك ، وسار أمام[108] القافلة ، فنزل القوم فأخذوا الأمتعة ، وانفرد أحدهم بالبغل ، وصعد به إلى الجبل . فلما وجد الحلواء يضوع[109] طيبها ويدهش[110] منظرها ، ويسطع ريحها ، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها[111] ، دعا أصحابه فرأوا ما لم يروه قبل ذلك ، فامعنوا في الأكل عقب مجاعة ، فانقلبوا ، فهلكوا عن آخرهم . فبادر التاجر إلى أخذ أمتعتهم وسلاحهم[112] ، واسترد المأخوذ عن آخره ، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة التي محت أثر المفسدين وحصدت شوكتهم .

روى أبو الحسن بن هلال بن محسن الصابي في تاريخه ، قال حدثني بعض التجار ، قال : كنت في المعسكر[113] واتفق أن ركب السلطان جلال[114] الدولة

---

(103) أ ، ب : يقتدر
(104) د : صندوق
(105) د : فيه
(106) ق : طيغور
(107) د : واظهر
(108) ج : مع
(109) ك : يصدع
(110) د : ويعجب
(111) أ ، ب : بهما
(112) وسلاحهم وردت في ق فقط
(113) ا ، ب : العسكرر
(114) ك : جلال الدين

يوما إلى الصيد على عادته ، فلقيه سوادي يبكي قال[115] : مالك ؟ فقال : لقيني ثلاثة غلمان أخذوا مني حمل بطيخ كان معي ، هو بضاعتي قال : امض إلى المعسكر[116] ، فهناك[117] قبة حمراء فاقعد عندها ، ولا تبرح إلى آخر النهار . فأنا أرجع ، فأعطيك ما يغنيك . فلما عاد السلطان قال : قد اشتهيت[118] بطيخا ، ففتش المعسكر[119] وخيامهم على شيء منه ، وأحضر البطيخ . فقال : عند من رأيتموه[120] ؟ قيل : في خيمة فلان الحاجب قال : احضروه ، فاحضروه ، فاحضر فقال له : من أين هذا البطيخ ؟ فقال : الغلمان جاءوا به . فقال : أريدهم الساعة ، فمضى[121] وقد أحس بالشر ، فهرب الغلمان ، خوفا من أن يقتلهم . وعاد فقال : قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم . فقال احضروا السوادي . فاحضر فقال له : هذا بطيخك الذي أخذ منك ؟ قال : نعم . قال : خذه ، وهذا الحاجب مملوك لي[122] ، وقد سلمته[123] إليك ووهبته ، حين لم يحضر الغلمان[124] الذين أخذوا منك[125] ، والله لئن خليته ، لاضربن عنقك ، فأخذ السوادي بيد الحاجب وخرجا ، فاشترى الحاجب نفسه منه بثلاثمائة دينار . فعاد السوادي إلى السلطان فقال له[126] : يا سلطان ، قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار . قال : ورضيت[127] بذلك ؟ قال : نعم[128] . قال : أقبضها وامض مصاحبا[129] [130] .

---

(115) ق : فقال

(116) أ ، ب : العسكر

(117) د : ففيه

(118) ج : اشهيت

(119) د ، وفيات : العسكر

(120) ق ، د ، ج : وجدتموه

(121) د : فمضوا وقد أحسوا

(122) ج ، ق : لك

(123) ج : وقد سلمته ووهبته لك

(124) الغلمان : وردت في ج فقط

(125) ج : متاعك

(126) ج : فأخبره بذلك

(127) د : وقد رضيت — وفيات : أو قد رضيت ؟—

(128) « نعم قال » محذوفة من د

(129) د : راشدا

(130) ورد هذا النص في وفيات الاعيان ج 5 ص 286 مع اختلافات كثيرة في اللفظ وزيادات

حكى[131] الصابي أيضا قال : حكى لي من كان حاضرا باصبهان . قال : جاء إلى جلال الدولة تركماني قد لزم بيد تركماني ، فلما دخلا[132] إليه قال : هذا وجدته قد ابتنى ببنتي ، وأريد أن أقتله بعد اعلامك . قال : لا بل تزوجها به ، وتعطي[133] المهر من خزانتنا . فقال : لا أقنع إلا بقتله . فقال : هاتوا السيف ، فجيء به ، فسله[134] ، وقال للأب : تعال ، فلما قرب منه ، أعطاه السيف ، وأمسك بيده الجفن ، وأمره أن يعيد[135] السيف إلى الجفن ، ولم يمكنه[136] من ادخال السيف فقال : يا سلطان ما تدعني ؟ قال : وكذلك ابنتك ، لو لم ترد ، ما فعل بها هذا[137] ، فإن كنت تريد قتله لاجل فعله ، فاقتلهما جميعا ، ثم أحضر من زوجه بها ، وأعطاه المهر من خزانته .

ذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني أن أحمد بن طولون جلس يوما في متنزهه يأكل ، فرأى سائلا في ثوب خلق ، فوضع يده على رغيف ودجاجة ، وفرخ وقطعة فالوذج ، وأمر بعض الغلمان بمناولته ، فرجع[138] الغلام ، وذكر أنه ما هش له . فقال ابن طولون : جئني به ، فمثل بين يديه ، فاستنطقه ، فأحسن الجواب ، ولم ينحرف من هيئته[139] . فقال : احضرني الكتب[140] التي معك ، وأصدقني عمن بعثك ، فقد صح عندي أنك صاحب خبر ، وأحضر السياط ، فاعترف له بذلك . فقال بعض[141] من حضر : هذا والله السحر . فقال أحمد : ما هو بسحر ، ولكنه قياس صحيح .

وكان يتنكر ، فيخرج فيستمع قراءة الأئمة في المحاريب ، فدعا بعض أصحابه

---

(131) د : وحكى

(132) د : دخل

(133) د : ونعطي

(134) د : فسل السيف ، ق : وسله

(135) د : يرده إلى الجفن

(136) د : لم يمكنه ذلك من شدة حنقه

(137) د : ذلك

(138) ج : فرجع بعض الغلمان

(139) أ ، ب : هيبته

(140) د : الكتاب الذي

(141) د : بعضهم

يوما وقال له : امض إلى المسجد الفلاني ، واعط إمامه هذه الدنانير. قال : فمضيت فجلست مع الإمام ، وباسطته ، حتى شكى إليَّ أن زوجته أضر[142] بها الطلق ، ولم يكن معه ما يصلح به شأنها ، وأنه صلى ، فغلط مرارا في القراءة فعدت إلى ابن طولون فأخبرته فقال : صدق ، لقد[143] وقفت أمس ، فرأيته يغلط كثيرا ، فعلمت أنه شغل قلبه .

ومن أحسن التيقظ ما أخبرنا به بعض الأصحاب من أن بعض ملوك المغرب[144] أراد أن يقدم قاضيا إلى[145] مراكش ، فنبه على جماعة من فقهائها ، فوجه[146] عنهم ، وكان ممن وجه عنه القاضي أبو إسحاق الزهري فقال : ذلك أقوم لأنه رجل معتدل ، فسأله[147] بعض خاصته[148] عما رأى من اعتداله . فقال : إني عددت خطاه عندما دخل ، فإذا هي بعدد خطاه عندما خرج ، بخلاف[149] غيره ممن دخل علينا من الفقهاء .

(142) ق ، أ : ضر
(143) أ ، ب ، د : وقد — محذوفة في ج —
(144) د : مراكش كان اراد
(145) د : بها إلى مراكش — أ ، ب ، ج : قاضيا بمراكش —
(146) د : فأرسل إليهم وكان في جملتهم القاضي.........
(147) أ ، ب ، ج : وسأله
(148) د : حاجبه (بدل : بعض خاصته) ك : جماعته
(149) العبارة..... بخلاف..... إلى الفقهاء — وردت في ق ، ج فقط — .

الباب الثامن عشر

في الرفق بالرعية وسياستها وتأمين السبل وما يلحق بذلك

قال صاحب العقد : حق[1] لمن قلده الله أزمة حكمه ، وملكه أمور خلقه ، واختصه بإحسانه ، ومكن له في سلطانه ، أن يكون من الاهتبال[2] بمصالح رعيته ، والاعتناء بمرافق أهل طاعته ، بحيث وضعه الله من الكرامة وأجرى له[3] من أسباب السعادة .

في محاسن البلاغة للتدميري : من الحق الواجب على السلطان للرعية الاستصلاح لهم ، والتعهد لأمورهم ، وحسن السيرة[4] فيهم ، والعدل عليهم ، والتعديل بينهم ، وحق الملوك[5] على رعيتهم ، الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة[6] .

في[7] البهجة ، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أحب الأشياء إلى الله عز وجل أربعة : الافضال[8] عند الجدة ، والعفو عند المقدرة ، والحلم عند الغضب ، والرفق بعباد الله في كل حال[9] .

---

(1) العقد : فحق على من

(2) د : الابتهال ، العقد : الاهتمام

(3) العقد : عليه

(4) أ ، ب ، ج : السير

(5) د : الملك

(6) الشكر والمحبة — وردت في ق ، د ، ج —

(7) ج : وفي

(8) البهجة : القصد

(9) ورد النص في البهجة ج 2 ص 135

قال للاسكندر يوما اصحابه : قد بسط الله ملكك وعظم سلطانك ، فبأي الاشياء ، أنت أسر ، أبما[10] نلت من أعدائك أم بما بلغت من سلطانك ؟ فقال : كلاهما يسر ، وأعظم ما أسر[11] به ما سننت في الرعية من السنن الجميلة والشرائع الحسنة[12] .

ابن قتيبة : كان الحجاج يقول لأهل الشام : إنما أنا لكم كالظليم الرامخ[13] عن فراخه ، ينفي عنها المدر[14] ويباعد عنها الحجر[15] ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذئاب[16] .

قال أرسطاطاليس : السخاء[17] والكرم وبقاء الملك إنما هو[18] الإمساك عما في أيدي الناس ، والكف عن أموالهم .

قال : ولقد رأيت لهرمس الأكبر في بعض وصاياه : أن المروءة[19] التامة للملك ورجاحة عقله وتمام ملكه ودوام[20] ناموسه ، أن يكف عن أموال الناس[21] .

قلت : وفي التمثيل لأبي منصور : أن الملك إذا كثرت أمواله بما يأخذ[22] من رعيته ، كان كمن يعمر سطح بيته ، بما يقتلع من قواعد بنيانه[23] .

---

(10) أ، ب ، د : أنتم أسر ، ك : أنت أسر بما بلغت
(11) ج : سررت به
(12) البهجة ج 2 ص201
(13) عيون الأخبار : الرائح
(14) عيون الأخبار : القدرة ، ود : المدار
(15) د : الحجاج
(16) عيون الأنباء جـ 1 ص 10
(17) د : بالسخاء
(18) د : بقاؤه
(19) سياسة أرسطو : من
(20) سياسة أرسطو : وبقاء
(21) سياسة أرسطو مع زيادة عبارة «وتمام ملكه» عند ابن رضوان .
(22) التمثيل : مما ، د : فما
(23) ورد النص في التمثيل والمحاضرة ص 137

وفي[24] محاسن البلاغة : كن بما تتركه في أيدي رعيتك ، أفرح منك بما تأخذه منها .

شكت الرعية بعض العمال ، فارتضى العامل بسهل بن عاصم فسأله الأمير ، فقال : ما في عاملك ما يشتكى[25] إلا أن الله عز وجل أمر بأمرين : امتثل فينا أحدهما وترك الآخر . قال الله عز وجل : « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ[26] » . فعدل فينا ، ولم يحسن إلينا ، وفي العدل بغير إحسان ، عطب الرعية ، فقال له[27] الأمير : صدقت ، وقد وليتك مكانه .

ومن الإفراط في الرفق وإعانة الضعيف ، الحكاية المشهورة عن المعتصم : وهي أنه عبر سر[28] من رأى إلى الجانب الغربي في يوم مطير ، قد تبع[29] ليلة مطيرة ، وانفرد[30] من أصحابه[31] ، فإذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق ، وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر إنسانا يمر به ، فيعينه على حمله ، فوقف[32] عليه فقال : ما لك يا شيخ ؟ قال : فديتك ، وقع حماري ، وعليه هذا الحمل ، وبقيت أنتظر إنسانا يجيء ، فيعينني على حمله ، فنزل وذهب ليخرج الحمار من الطين[33] فقال الشيخ : جعلت فداءك تفسد ثيابك هذه ، وطيبك هذا الذي أشمه عليك من أجل حماري ؟ قال : لا عليك ، فنزل فاحتمل[34] الحمار بيد واحدة ، فأخرجه من الطين ، وجعل عليه حمله ، فبهت الشيخ وجعل ينظر إليه ، ويعجب[35] منه ، وقد ترك الشغل بحماره ، ثم شد

---

(24) ق : في
(25) د : يشكي
(26) آية 90 النحل 16
(27) « له » زيادة من ق ، ج .
(28) ك : عبر نهر مرزا
(29) د : « أعقبته » عوض « قد تبع » .
(30) د : فانفرد عن عسكره ، أ ، ب ، ج : وانفرد أصحابه
(31) د : بأصحابه .
(32) د : فوقف المعتصم عليه
(33) د : الطريق
(34) ج : وحمل ، مروج : واحتمل
(35) ج : ويتعجب : د ، ك : فعجب

المعتصم على عنان فرسه ، فقال الشيخ : رضي الله عنك . وقال[36] بالنبطية ما معناه : فديتك يا شاب ، وأقبلت الخيول فقال لبعض خاصته : أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم ، وكن معه ، حتّى تبلغ به قريته[37] .

كان من عادة ملك الهند السلطان محمد شاه اكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة ، ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته غرباء ، وأنفذ[38] أمره[39] أن يسمى الغرباء في جميع بلاده بالاعزة ، فصار لهم ذلك إسما علما[40] .

ومما يتأكد كثيرا الاعتناء بأمور[41] التجار[42] الذين يضربون في الأرض في طلب رزق الله من حلال المكاسب[43] ، وصونهم من أيدي[44] الظلمة . وفي ذلك استمالة القلوب النازحة واستجلاب الذخائر الخطيرة ، والأحجار النفيسة ، والطرق المستحسنة ، والأخبار الغريبة ، وأمر العمال بصونهم وحياطتهم ، وأن يعرف لكل ذي فضل منهم فضله[45] .

أخبر الثقاة أن بلاد الصين[46] آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافر[47] ، فإن الإنسان بها يسافر منفردا يسير مسيرة تسعة أشهر ، ويكون معه الأموال الطائلة ، فلا يخاف عليها . وترتيب ذلك : أن لهم في كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم ، يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال ، فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة

---

(36) د : فعجب منه ثم رجع المعتصم ، بعدما أعطى للشيخ أربع آلاف درهم ووكل به من يوصله إلى قريته .

(37) مروج الذهب ج 4 ص 348 — 349 .

(38) ق : رحلة ابن بطوطة : ونفذ

(39) د : وأمر أن تسمى — رحلة ابن بطوطة : وأمره بأن يسمى .

(40) ورد النص في رحلة ابن بطوطة ص 395

(41) د : بأمور — محذوفة —

(42) د : بالتجار

(43) ق ، د : المكتسب

(44) د : أذى

(45) منهم : وردت في ق ود فقط

(46) د : الصين أحسن البلاد حالا وأكملها أمنا

(47) الرحلة : للمسافرين .

جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه ، فكتب[48] أسماء جميع من يبيت به من المسافرين ، وختم[49] عليها ، وأقفل باب الفندق عليهم . فإذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه ، فدعا كل إنسان باسمه ، وكتب بذلك تفصيلا[50] ، وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل التالي[51] له ، ويأتيه ببراءة من حاكمه أن[52] الجميع قد وصلوا إليه ، وإن لم يفعل طولب بهم[53] ، وهكذا[54] العمل في كل منزل ببلاد الصين . وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج إليه المسافر[55] من الازواد[56] وخصوصا[57] الدجاج والأوز[58] ، وأما الغنم فهي قليلة عندهم[59] .

ومن عادتهم منع التجار عن الفساد ، وإذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الهند[60] ، خير في النزول عند تاجر من المسلمين المستوطنين معين ، أو في الفندق ، فإن أحب النزول عند التاجر ، حصر[61] ماله وضمنه التاجر المستوطن ، وأنفق عليه منه[62] بالمعروف . فإذا أراد السفر بحث عن ماله ، فإن وجد شيئا[63] منه قد ضاع ، أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه . وإن أراد[64] النزول بالفندق ، سلم ماله لصاحب الفندق ، وضمنه وهو يشتري له ما أحب ، ويحاسبه ، فإن أراد

---

(48) د : فيكتب

(49) د : ويختم عليه ويقفل

(50) في جميع المخطوطات تفسيرا — وفي النص المطبوع لرحلة ابن بطوطة تفصيلا — وقد فضلنا القراءة الأخيرة .

(51) د : الموالي

(52) ج : بوصولهم ، الجميع إليه

(53) جميع النسخ طلبه بهم وفي بدائع السلك طولب بهم ج 1 ص 402 .

(54) د : وكذلك

(55) أ ، ب ، ج ، ق : المسافرين

(56) د : الأرزاق

(57) د : ولا سيما

(58) د : الارز

(59) وردت هذه النصوص في رحلة ابن بطوطة ص 631 .

(60) في جميع النسخ الهند ، وفي رحلة ابن بطوطة : الصين

(61) ق ، ج : احصي

(62) منه — وردت في ج فقط

(63) ا ، ب ، ج : شيء

(64) د : أحب

التسري ، اشترى له جارية ، وأسكنه بدار يكون بها[65] في الفندق ، وأنفق عليهما ، والجواري هناك[66] رخيصة الأثمان ، لأن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم ، وليس ذلك عيبا[67] عندهم ، غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ، ولا يمنعون أيضا منه إن اختاروه . وكذلك إن أراد التزوج تزوج ، وأما إنفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له إليه ، ويقولون : لا يسمع[68] المسلمون أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا ، وهي أرض فساد وجمال فائق[69] [70] .

أرسطاطاليس : يا اسكندر استكثر[71] من ادخار الحبوب حذرا من السنين الجدبة[72] ، وإن كانت سنة جدبة[73] ، فأخرج ما أعددته من ذلك[74] في بلادك وبع من رعيتك ، ففي هذا تسكين كل فساد ، وبناء للرياسة[75] .

قيل[76] في الحكم : البُر ثم الدر .

في الحديث : من أعطى حظه من الرفق ، فقد أعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق ، فقد حرم حظه من الخير كله .

قال الله تعالى لنبيه ﷺ فيما أوصاه به من الرفق بالرعية وسياستها[77] : « وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ[78] » .

---

(65) رحلة ابن بطوطة : يا لها
(66) هناك — وردت في ج فقط ولم ترد في الرحلة
(67) د : عيب
(68) د : لا يسمع
(69) جميع النسخ ما عدا ك فائت
(70) وردت هذه النصوص في رحلة ابن بطوطة ص 631 — 632
(71) د : أكثر
(72) الجدبة : غير موجودة في النص المطبوع من سياسة أرسطو
(73) أ ، ب ، د : الجدبة وفي سياسة أرسطو : جدب
(74) د : لذلك
(75) ورد النص في سياسة أرسطو « الأصول اليونانية » ص 82 مع اختلافات في الألفاظ
(76) ج : وفي الحكم
(77) وسياستها — وردت في ج فقط
(78) 159 آل عمران 3

فصـــل

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : يا أبة مالك لا تنفذ الأمور ، فوالله ما أبالي في الحق شيئا [79] ، لو غلت [80] بي وبك القدر . قال له عمر : لا تعجل يا بني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة واحدة ، فيدفعونه ، وتكون فتنة .

قلت [81] : ونحو ذلك جاء عن معاوية حيث قال : لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . قيل : وكيف ذلك [82] ؟ قال : كنت إذا مدوها خليتها [83] ، وإذا خلوها مددتها [84] .

من [85] كلام بعضهم : لتعرف رعيتك أبوابك التي لا ينال ما عندك من الخير إلا بها ، والأبواب التي لا يخاف من خافك إلا منها .

ابن المقفع : ليعرف الناس فيما يعرفون منك ، انك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب ، فإن ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجي [86] .

في العقد : من حق الرعية على الملك حسن القبول [87] لظاهر لطاعتها وإضرابه صفحا عن مكاشفتها ، كما قال زياد لما قدم العراق : أيها الناس ، إنه قد كانت بيني وبين قوم إحن [88] ، فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، فمن كان محسنا فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته . إني لو [89] علمت أن

---

(79) شيئا — وردت في د فقط —

(80) ج : لو غلت القدر بي أو بك . *فقال له عمر

(81) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

(82) ق ، عيون الاخبار : ذاك

(83) ج : أخليها — نهاية الارب : إذا جذبوها ارخيتها وإذا أرخوها جذبتها .

(84) ورد هذا النص في عيون الأخبار جـ 1 ص 9 وفي نهاية الارب السفر 6 ص 44 ، في السراج ص 61 . وورد جزء من هذا النص (من أول النص إلى — يكفيني لساني —) في البهجة ج 1 ص 345

(85) د : ومن

(86) ورد هذا النص في الاداب الصغير (المجموعة الكاملة) ص 108

(87) ج : القبول لظاهر طاعتها

(88) د : أشياء

(89) إن — وردت في د فقط

أحدهم قتله السل من بغضي ، لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك له سترا حتّى يبدي لي صفحته[90] .

أقسام الناس وما تقابل به طبقاتهم

اعلم[91] أن أقسام الناس ثلاثة : كريم فاضل[92] ، ولئيم سافل، ومتوسط بينهما[93] .

فأما الكريم فملكه وضبطه بالإكرام والإنصاف والمودة والاستعطاف[94] والكريم مأمون إذا شبع قدر ، ومخوف إذا[95] جاع وقهر ، واللئيم مخوف إذا شبع وقدر فارفع الكريم جهدك ، فإنك كلما رفعته ، وتواضع لك وضع اللئيم جهدك فإنك إذا رفعته ترفع عليك[96] وأمزج[97] للمتوسط الرغبة[98] بالرهبة وقابل له الإكرام بالإهانة ، فإنه يطيعك خوفا من عقابك ورجاء في ثوابك وأما الكريم[99] ، فلا بقاء له من خوف العقوبة عندك .

واعلم أنك إذا أهنت الكريم فتحت على نفسك بابا من اللوم والمضرة ، وإذا أكرمت اللئيم اقتضيت منه شرا ، وزاد باكرامك[100] له تمردا . وإذا عاملت المتوسط بأحد الطرفين انتقض عليك الطرف الثاني منه . وقد كان بعض ملوك

---

(90) ورد هذا النص في العقد الفريد ج 1 ص 6 — 2 ص 377 — 378 — وهو جزء من خطبة زياد البتراء . كما ورد في عيوب الأخبار ص 2 ص 243

(91) ابتداء النص في سياسة المرادي كالآتي : اعلم أن الحكماء الماضين والملوك المتقدمين قد قسموا الناس على الثلاثة أجناس .

(92) ا ، ب : وفاضل

(93) زيادة من سياسة المرادي : صار اللؤم إليه من أحد أبويه أو أصحابه ومعاشريه أو من عمل من الأعمال التي تقتضيه .

(94) زيادة من سياسة المرادي : فإذا جعلته سيدا ، كان لك عبدا

(95) ا ، ب : أن

(96) زيادة سياسة المرادي : وعامل المتوسط بقدر ما فيه من الاكرام والإهانة

(97) سياسة المرادي : فامزج ، وفي نسخة ف : وامزج

(98) سياسة المرادي : له

(99) سياسة المرادي : فأما

(100) سياسة المرادي : وزادك عليك باكرامك

الفرس يجعل لكل طبقة من الناس جنسا من اللباس يعرف به مكانه ، فلا ينتقل[101] . عن[102] لباسه حتّى يرَى له من الفعل ما يستدل به على فضلة . فينتقل بإذن الوزير إلى الطبقة التي فوقه ، وذلك احراز منهم لإيقاع السياسة في موضعها[103] ، ومعاملة كل طبقة بما تستحقه[104] .

واعلم أن المدارات درجة رفيعة لا يستغني عنها ملك ولا غيره[105] ، وأن القلوب جبلت[106] على بغض من استعلى عليها . فعامل الناس بالموافقة في غير أماكن الغلظة[107] .

واعلم أن الخلاف يهدم المحبة ، ويدعو إلى الفرقة[108] ، وقد قال أبو الفتح البستي : ربما أغنت المدارات عن المبارات . ومن حسن[109] التدبير أن يأمن أهل الورع والسلامة خوف عقوبتك ، ويوطن أهل الريب والدعارة أنفسهم على نفوذ نقمتك ، حتى يتخيلوا في خلواتهم أن في ذلك عيونا على صنائعهم[110] .

أبو بكر بن[111] أبي شيبة عن عبد الله بن مخلد[112] عن الشعبي قال : قال زياد ما غلبني[113] أمير المؤمنين معاوية في شيء من أمر السياسة إلا مرة واحدة ، استعملت رجلا فكسر خراجه فخشي[114] أن أعاقبه ففر إليه واستجار[115] به ،

---

(101) ق ، أ ، ن ، ج ، د ، يستقل
(102) أ ، ب ، ج : فوقها
(103) سياسة المرادي : مواضعها
(104) زيادة في سياسة المرادي : لنفسها وفضلها وقد ورد النص في سياسة المرادي ص 68 — 69
(105) سياسة المرادي : سوقة
(106) د : مجبولة
(107) سياسة المرادي ص 70
(108) اقتطف ابن رضوان هذه الفقرة من نص أطول في سياسة المرادي ص 70
(109) د : أحسن
(110) ج : صنعهم
(111) د : ابن
(112) ق : مخلد ، أ ، ب : مخالد ، ك : مجاهد
(113) د : غلب
(114) ج : فخاف
(115) به : وردت في د فقط وأيضا في العقد

فكتبت إليه[116] : إن هذا أدب سوء لمن قبلي، فكتب إلي أنه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة ، لا نلين جميعا ، فنجعل الناس في المعصية ، ولا نشتد جميعا ، فنحمل الناس على المهالك ، ولكن لتكن أنت للشدة والغلظة ، وأنا للرأفة والرحمة .

قال أبو جعفر المنصور : « الذي علي للرعية ، أن أحفظ سبلهم فينصرفون آمنين في معاشهم[117] ، ولا يصدون عن حجهم ، وقضاء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم ، وأحصنها من عدوهم ، وأن أختار قضاتهم وأعزهم بالحق كي لا يصل ظلم بعضهم إلى بعض ، وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم ، وأكف جهالهم عن حلمائهم[118] وأمنعهم[119] من ظلم بعضهم لبعض بقضاء الحق ، وأعزهم به[120] » .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدمت فرقة من التجار المدينة[121] فنزلوا بالمصلى فقال عمر لعبد الرحمان : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق[122] ، فباتا يحرسانهم ، ويصليان ما كتب لهما ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه ، فقال[123] لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك[124] . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمه ، فقال لها مثل ذلك . ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى إلى[125] أمه فقال : ويحك إني لأراك أم سوء مالي أرى[126] ابنك لا يقر منذ الليلة . فقالت : يا عبد الله قد[127] أبرمتني منذ الليلة إني أريضه على

---

(116) ق : فكتب
(117) البهجة : سبيلهم ، ق : معاشتهم
(118) ق : قدر
(119) البهجة : حكمائهم — وقد ورد النص في البهجة ج 1 ص 335
(120) من « وأمنعهم — إلى — وأعزهم به » زيادة من د
(121) المدينة ، زيادة في د
(122) ق : السرقة
(123) د : وقال
(124) د : لصبيك
(125) « إلى » زيادة من د
(126) ق : لا أرى ابنك لا يقر ، لا يهدأ له صوت
(127) قد — ساقطة في ج

الفطام[128] ، فيأبى ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض[129] إلا للفطيم . قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهرا . قال : ويحك لا تعجليه ، فصلى الفجر بالتين والزيتون ،لا تستبان[130] قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم ، أمر مناديا ينادي : أن لا[131] تعجلوا صبيانكم عن الفطام[132] ، فإنا[133] نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب[134] بذلك إلى جميع[135] الآفاق والبلدان[136] [137] .

---

(128) ق : الانفطام
(129) ج : لا يفرض للصبيان حتى يفطموا
(130) د : لا يستبين القراءة
(131) د : ألا
(132) ق : الانفطام
(133) در : فإني
(134) ق : فكتب
(135) جمع — وردت في ج فقط
(136) والبلدان — وردت في ج فقط
(137) ورد النص في السراج في هذا المعني مع اختلاف ص 133 .

الباب التاسع عشر

في تولية الخطط الدينية والعملية[1] وما يلحق بذلك

قال ابن حزم في سياسته : ينبغي للإمام أن يولي الصلاة رجلا قارئا للقرآن ، حافظا له[2] ، عالما بأحكام الصلاة والطهارة ، فاضلا في دينه ، خطيبا فصيحا معربا ، فقيها في جميع ذلك ، ومن ولاه[3] الإمام الصلاة باهل بلد ، كانت[4] له الجمعة والعيدان والصلوات الخمس المفروضات[5] ، والكسوف ، والاستسقاء ، في جميع البلدة التي ولي صلاتها ، وحكم منزل صاحب الصلاة أن يكون بقرب الجامع ، كما كان مسجد رسول الله ﷺ ويتخذ مؤذنين أو ثلاثة صيتين ، فاضلين ، فصيحين بالآذان عالمين بالأوقات ، وتجب على الإمام التوسعة[6] عليهم إن كانوا فقراء ، لئلا يحتاجوا إلى الشغل بالاكتساب ، فيخلو بلزوم المسجد في[7] أوقات الصلوات ، ولا بد من خدمة[8] يكتفون بقم المسجد ، وكنسه وتنظيفه ، وبسط حصره ، وتسوية حصاه ، إن كان مبسوطا بالحصى ، وفتح أبوابه وإغلاقها ، وتسوية صفوف المصلين ، ويجب على والي الصلاة أن يتفقد مساجد البلد الذي ولي الصلاة باهله ، فيلزم أهل كل محلة أن يتولى إمامتهم اقرؤهم لكتاب

---

(1) أ ، ب ، ج ، د : والعمل به
(2) ق : قارئا وله — محذوفة —
(3) د : ولى
(4) ق : كان
(5) د ، ك : المفروضة
(6) ج : أن يوسع
(7) ق : في — محذوفة —
(8) د : خدمة لتنظيف المسجد

الله ، فإن استووا فأفقههم ، فإن استووا فأقدمهم[9] صلاحا ، وبأخذهم بإقامة مؤذن راتب لكل مسجد ، فإن[10] لم يكن فيهم من يقوم بالصلاة والأذان ، تكفل لهم الإمام بإمام ومؤذن يجري عليهما ما يكفيهما ، إن كانا فقيرين . ويتعاهد والى الصلاة قبلة ما أحدث من المساجد ، فيقيمها على شطر المسجد الحرام ، ويجري على ما ذكر من كل مال موقوف على مصالح المسلمين ، فإن لم يكن هنالك مال موقوف على ذلك ، أجبر[11] الإمام الأكبر أهل كل محلة وقرية على القيام[12] به[13] .

فصل

قال صاحب الأحكام السلطانية : لا يجوز أن يقلد[14] القضاء إلا من تكاملت[15] فيه شروطه ، التي يصح معها[16] تقليده ، وينفذ بها حكمه ، وهي سبعة :

فالشرط الأول : منها أن يكون رجلا ، وهذا الشرط يجمع صفتين : البلوغ والذكورية .

الشرط الثاني : العقل ، وهو مجمع على اعتباره ، وليس يكتفى فيه بالعقل الذي يتعلق به التكليف من علمه[17] بالمدركات الضرورية ، حتى يكون صحيح التمييز ، جيد الفطنة ، بعيدا من السهو والغفلة .

الشرط الثالث : الحرية ، لأن نقص العبد عن ولاية نفسه ، يمنع من انعقاد ولايته على غيره .

الشرط الرابع : الإسلام ، لكونه شرطا في جواز الشهادة ، فلا يجوز أن

---

(9) أ ، ب : فأقدرهم
(10) ق : ما
(11) في جميع النسخ جبر
(12) أ ، ب : المقام
(13) د : بها
(14) ج : يتقلد ، تقليد
(15) د : تكملت
(16) د : معه
(17) ك : عمله

يقلد[18] الكافر القضاء على المسلمين ولا على الكفار.

وقال أبو حنيفة : يجوز تقليده القضاء على أهل دينه ، وهذا وإن كان عرف الولاة بتقليده جاريا ، فهو تقليد زعامة ورياسة ، وليس بتقليد حكم وقضاء ، وإنما يلزمهم حكمه[19] لالتزامهم له ، لا للزومه لهم. ولا يقبل الإمام قوله فيما حكم به بينهم ، وإذا امتنعوا من تحاكمهم إليه ، لم يجبروا عليه ، وكان حكم الإسلام عليهم أنفذ.

الشرط الخامس : العدالة ، وهي معتبرة في كل ولاية ، والعدالة أن يكون صادق اللهجة ، ظاهر الامانة ، عفيفا عن المحارم ، متوقيا للمآثم ، بعيدا من الريب ، مأمونا في الرضا والغضب ، مستعملا[20] لمروءة مثله في دينه[21] ودنياه ، فإذا تكاملت فيه ، فهي العدالة التي تجوز بها شهادته ، وتصح معها ولايته وإن انخرم[22] منها وصف ، منع من الشهادة والولاية ، فلم يسمع له قول ، ولم ينفذ له حكم.

الشرط السادس : السلامة في السمع والبصر ، ليصح بهما اثبات الحقوق ويفرق بين الطالب والمطلوب ، ويميز[23] المقر من المنكر.

الشرط السابع : أن يكون عالما بالاحكام الشرعية[24].

قال ابن شاس : وليس لاصحابنا في تولية الأمي الذي لا يكتب وإن كان عالما عدلا ، نص. وحكوا[25] عن أصحاب الشافعي وجهين : الجواز والمنع. ثم اختار القاضي أبو الوليد الباجي الجواز. وقال القاضي أبو الوليد بن رشد : الأظهر عندنا الجواز ، وذكر تعليله.

---

(18) ج : يتقلد
(19) د : الحكم
(20) د : تام
(21) د : كامل الدين
(22) د : فقد
(23) ج : ويميز بين المقر والمنكر
(24) استند ابن رضوان على الأحكام السلطانية بإيجاز ص 65 ـ 66
(25) د : وحكى

ثم قال : وإن للمنع من ذلك وجها .

قال : ويستحب أن يكون ورعا غنيا ليس بمديان ولا محتاج ، وأن يكون من أهل البلد معروف النسب جزلا[26] نافذا فطنا غير مخدوع لغفلة ، ذا نزاهة عن الطمع ، حليما عن الخصوم ، مستشيرا لأولي العلم والفقة[27] .

فصــل

في ذكر والي المظالم

قال صاحب الأحكام السلطانية : نظر المظالم هو قود المتظالمين[28] إلى التناصف[29] بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ، فمن شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة ، وتثبت القضاة ، فاحتاج إلى الجمع بين صفتي الفريقين ، وأن يكون بجلالة[30] القدر ، نافذ الأمر[31] في الجهتين[32] .

ومن شروطه[33] : أن يكون سهل الحجاب ، نزه[34] الأصحاب .

والفرق بين نظر ولاة المظالم ونظر القضاة من عشرة أوجه :

أحدها : أن لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة الصرامة ما ليس للقضاة ، بكف الخصوم عن التجاحد ، ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب .

---

(26) جزلا — ساقطة في د —
(27) الفقه زيادة من ج
(28) د : المتظلمين
(29) أ ، ب : التناصب
(30) ج : جليل
(31) أ ، ب : الأمور
(32) هناك تفصيل في شروط الناظر في المظالم مع لمحة تاريخية وأمثلة في الأحكام السلطانية ص 77 — 79 — 80
(33) ج : شرطه
(34) ج : نزيه ، د : نزر

والثاني : أن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب[35] إلى سعة الجواز ، فيكون الناظر فيه أفسح مجالا ، وأوسع مقالا .

الثالث : أنه يستعمل من فضل الإرهاب ، وكشف الاسباب بالإمارات الدالة وشواهد الأحوال اللائحة[36] ، ما يضيق على الحكام ، فيصل[37] به إلى ظهور الحق ، ومعرفة الباطل والمبطل[38] والمحق[39] .

الرابع : أنه يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب ، ويأخذ من بان عليه عدوانه[40] بالتقويم والتهذيب .

والخامس : أن له من التأني في ترداد الخصوم عند[41] اشتباه أمورهم ، واستبهام[42] حقوقهم . ليمعن في الكشف عن أسبابهم وأحوالهم ، ما ليس للحكام . إذا سألهم[43] أحد الخصمين ، فصل الحكم ، فلا[44] يسوغ أن يؤخره الحاكم ، ويسوغ أن يؤخره والي المظالم ، ولا ينشأ[45] عن التأخر شيء .

والسادس : أن له رد الخصوم إذا اعضلوا إلى واسطة[46] الأمناء ، ليفصلوا التنازع بينهم صلحا عن تراض ، وليس للقاضي ذلك إلا عن رضا الخصم بالرد .

والسابع : أنه يصح في ملازمة الخصمين إذا وضحت إمارات التجاحد ، إلزام الكفالة فيما يصح فيه التكفيل لينقاد الخصوم إلى التناصف ، ويعدلوا عن التجاحد[47] والتكاذب .

---

(35) د : الوجوه
(36) أنظر الأحكام السلطانية ص 83 — 84
(37) د : فيؤول
(38) د : الباطل
(39) والمحق — سقطت في د
(40) د : عداوه وفي بقية النسخ عداوة — وفي الأحكام عدوانه — وقد فضلنا قراءة الأحكام
(41) د : عن
(42) د : واستفهام
(43) د : سأله
(44) د : لا
(45) زيادة في د : ولا ينشأ عن التأخر شيء
(46) أ ، ب : وساطة الأشياء
(47) أ ، ب : التجاهل

والثامن : أنه يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة في شهادة العدلين .

والتاسع : أن يسوغ له احلاف الشهود عند ارتيابه بهم ، إذا بدلوا أيمانهم طوعا ، ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك ، وينتفي عنه الارتياب ، وليس ذلك للحاكم[48] .

والعاشر : أنه يجوز أن يبتدىء[49] باستدعاء الشهود ، ويسألهم عما عندهم في تنازع الخصوم ، وعادة القضاة تكليف المدعي إحضار بينته ، ولا يسمعونها إلا بعد مسألته .

فهذه عشرة أوجه يقع الفرق بها[50] .

فصل

في ذكر والي الحسبة

قال صاحب الأحكام السلطانية : هي واسطة بين أحكام القضاة وأحكام المظالم[51] .

قلت[52] : ومن شروطه العدالة والنزاهة ، ومعرفة فقه[53] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعرفة طرف من الحساب لاختيار قيم المبيعات[54] ، ونسب الأسعار ، وشبه ذلك ، والتيقظ لإقامة الموازين بالقسط ، والشعور بغش المتحيلين والصرامة في الحكم ، وعدم الالتفات إلى الشفاعات ، لأن نظره منوط بحقوق عامة المسلمين ، واسقاط حق جماعة لإرضاء واحد أو اثنين ، ليس بصواب[55] .

---

(48) ج ، ك : للحكام

(49) د : يبدأ

(50) استند على الأحكام ص 86

(51) الأحكام ص 141 مع اختصار

(52) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

(53) فقه — محذوفة في ج —

(54) ق : المكيلات

(55) يورد الماوردي في الأحكام شروطا شبيهة بهذه ، انظر ص 241 « منها » فمن شروطه أن يكون حرا عدلا ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات . ولكن ابن رضوان كان أدق في تعيين شروط والي الحسبة .

فصــل

في ذكر والي الشرطة

يجب على الإمام أن يولي ذلك[56] رجلا ثقة[57] دينا صارما[58] في الحقوق والحدود ، متيقظا غير مغفل[59] .

قال ابن حزم : ويلزمه الإمام ألا يبحث على[60] شيء من الحدود كلها أصلا[61] إلا أن يجاهر بها صاحبها أو يشتكى إليه بفاعل[62] شيء منها ، فعلى أي هذين الوجهين كان ، لزمه السؤال عن ذلك ، والإرسال إليه ، كإرسال النبي ﷺ أنسا[63] إلى المرأة ، وسؤاله عليه السلام ، عن زنا الذي كان عسيفا على الآخر ، إذا[64] شكى إليه عليه السلام أمرهما[65] .

---

(56) ج : الشرطة

(57) ثقة ساقطة في د ، ك .

(58) د : صرامة

(59) د : متغفل

(60) ك : على الحقوق كلها

(61) أصلا — محذوفة في د ، ك .

(62) ق : بفعل

(63) هكذا ورد الاسم في جميع المخطوطات ، وصحة الاسم عبد الله بن أنيس . انظر نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي (الطبعة الأولى— القاهرة 1357هـ 1938م) جـ 3 ، ص 38

(64) ج ، ك : إذ

(65) حديث العسيف ، أخرجه البخاري ، ومسلم عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا : إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله فقال : الخصم الآخر ، وهو أفقه منه : نعم إقض بيننا بكتاب الله وأذن لي فقال رسول الله ﷺ قل : قال إن ابني هذا كان عسيفا على هذا ، فزنى بامرأته وإني أخبرت أن على إبني الرجم ، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم ، فأخبروني أن على ابني جلد مائة ، وتغريب عام ، وان على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم ردّ عليك . وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس على إمرأة هذا . فإن اعترفت فارجمها قال : فغدا عليها . فاعترفت . فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت ، انتهى . وفي لفظ لها : وجلد ابنه مائة ، وغربه عاما . قالوا : فعلق رجمها باعترافها ، ولم يشترط الأربع . (نصب الراية للإمام الزيلعي) حـ 3 ص 314

فصـــل

في ذكر صاحب البريد

قال ابن حزم : أما البريد ، فيلزم الإمام أن يرتب قوما من فرسان الجند ، ويقدم[66] عليهم رجلا منهم موثوقا[67] من أهل[68] السياسة والدلالة في الطريق ، والبصر[69] بالقبائل ، يزيد في أرزاقهم ، ويكونون مرتبين في كل قاعدة من قواعد بلاده ، فإذا ناب خبر أو طرق أمر ، يجب على الإمام إعلام بعض أهل عمله به ، ويجب على بعض ولاته إعلام الإمام . قلد الإمام أو الأمير بعض أولئك الفرسان انهاءه إلى المكان الذي يجب انهاؤه[70] إليه ، وتكون لهم علامة يعرفون بها ، لا يشاركهم[71] فيها غيرهم ، ويكونون[72] مشاهير بما تولوا من ذلك ، ليصح ما يأتون به من عند أترابه من الأمراء وسائر الولاة .

قال : ومن نزل به[73] بريد المسلمين ، لزمته ضيافته من غير تقصير ولا إسراف ، وكذلك علف دوابهم ، ويكونون من أهل المعرفة بالطرق وقوة الأجسام ، ويأخذهم الإمام باستجادة الدواب واختيار القوي منها من البراذين والبغال ، فإنها إذا كانت لهم ، كانوا أحوط[74] عليها . ويتفقد الإمام المتولي[75] عليهم ، ويستخبرهم عن أحوال الطرق[76] ، وأحوال الناس فيها . وقد كان لبعض ملوك بني أمية وبني العباس دواب موقوفة على الطرق يسمونها البريد .

---

(66) د : ويقوم رجل

(67) د : موثق

(68) د : بأهل

(69) د : والنظر في القبائل

(70) د : انتهاؤه

(71) ج ، ك : لا يشركهم

(72) ك : ويكونوا

(73) به ــ ساقطة في ق

(74) أ ، ب ، ج ، ق : المحوط

(75) أ ، ب ، ق : المولى

(76) ق : الطريق

قال بعض العلماء[77] : ينبغي للملك أن يكون له قوم يختارهم من جنده للبريد ، وقطع المسافات البعيدة في الأوقات القريبة ، فإن[78] في ذلك عونا على وصول الأخبار بسرعة واستدراك الأمور المتوقع فواتها ، وانتهاز الفرص وسد الثغور ، وكثير من مهمات التدبير وضروريات[79] السياسة .

يحكى أن الأرمن[80] شكوا مرة إلى الملك الناصر صاحب الديار المصرية بالأمير حسام الدين ، وزوروا[81] عليه أمورا لا تليق ، فنفذ أمره لأمير الأمراء بحلب أن يخنقه . فلما توجه الأمر ، بلغ ذلك صديقا له من كبار الأمراء فدخل على الملك الناصر ، وقال له : إن الأمير حسام الدين ، من خيار الأمراء ينصح المسلمين ، ويحفظ الطريق[82] ، وهو من الشجعان ، والأرمن[83] يريدون الفساد في بلاد المسلمين ، فيمنعهم ويقهرهم ، وإنما أرادوا إضعاف شوكة الإسلام بقتله . ولم يزل به حتى أنفذ[84] أمرا ثانيا بالعفو عنه ، والخلع عليه ، ورده لموضعه ، ودعا الملك الناصر بريديا يعرف بناقوس[85] ، وكان لا يبعث[86] إلا في مهم ، وأمره بالإسراع والجد في السير . فسار من مصر إلى حلب في خمس ، وهي مسيرة شهر ، فوجد أمير حلب قد أحضر حسام الدين ، وأخرجه للموضع الذي يخنق به الجناة ، فخلصه الله تعالى ، وعاد إلى موضعه[87] .

قلت[88] : ولو لم يكن لاتخاذ هؤلاء السيارة إلا مثل[89] هذه المنفعة العظيمة من[90] امساك الروح ، والسلامة من الوقوع في وزرها ، لكفى ذلك[91] قربة إلى

(77) ك : الحكماء

(78) د : ق : فإنه عون على

(79) ك : وضرورة

(80) د : بعض الأمراء شكا

(81) د : وزور

(82) د ، ك : الطريق

(83) د : ومن وشي به يريد

(84) ك : نفذ

(85) د : بباقوس ، وفي رحلة ابن بطوطة بالافوش

(86) د : لا يبعث إليه إلا

(87) نقل ابن رضوان القصة من رحلة ابن بطوطة ص 75

(88) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

(89) مثل — ساقطة في ج —

(90) من وردت في د فقط ، وباقي النسخ : وامساك

(91) أ ، ب ، ق : بذلك

الله ومصلحة[92] للدين والدنيا .

وببلاد الهند عادة حسنة في البريد ، أخبر[93] بها الثقاة ، والبريد عندهم صنفان أحدهما بالخيل في مسافة أربعة أميال ، والصنف الثاني بريد الرجالة[94] ، وهو في مسافة الميل[95] الواحد ، منه ثلاثة رتب في ثلث الميل وفي[96] وسطه وفي آخره قرية معمورة ، ويكون[97] بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجال ، مستعدين للحركة ، قد شدوا أوساطهم . وعند كل واحد منهم مقرعة في طول ذراعين باعلاها جلاجل النحاس ، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بإحدى[98] يديه ، والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى . وخرج يشتد بمنتهى جهده ، فإذا سمع الرجال الذين بالقباب[99] صوت الجلاجل ، تأهبوا ، فإذا وصل لهم ، أخذ أحدهم الكتاب من يده ، ومر بأقصى شدة[100] ، وهو يحرك مقرعته حتى يصل إلى الرتبة الأخرى ، ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب إلى حيث يراد منه ذلك[101] ، وهذا البريد أسرع من بريد الخيل ، وربما حمل في هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند من فواكه خراسان في الأطباق ، والماء لشرب[102] السلطان في المواضع المحتاج فيها لذلك فيصل[103] في أسرع حال ووقت ، انتهى .

فصل

في ذكر عمال الزكاة

قال : ويخرج لكل جهة من يكتفي بصدقات أهلها ، ويخرج معه من الأعوان

---

(92) ومصلحة — وردت في د وك

(93) د : خبر

(94) أ ، ب : الرجال

(95) د : ميل وفي الميل الواحد

(96) د : وفي وسطه وفي آخره ، زيادة من د

(97) د : وبخارجها

(98) د : بيده

(99) ق ، ج : في القباب

(100) ق : جده ، وفي رحلة ابن بطوطة : جهده

(101) ذلك محذوفة في ق وكذلك في رحلة ابن بطوطة

(102) ج : المشرب ، د : ليشرب .

(103) زيادة في ج : ولم ترد في رحلة ابن بطوطة : فيصل في أسرع حال ووقت انتهى انظر رحلة ابن بطوطة ص 394 — 395

والرجال ما يستعين[104] به على عمله عدد[105] لا يكتفي بأقل منه أصلا ، ولا يكثر ممن لا يحتاج إليهم ويأمرهم[106] بأن لا يأخذوا من أحد جعلا[107] لأن لهم فيما يقبضون من قليل أو كثير حقا يقوم[108] بهم ، ويفضل عنهم ، وأما في مسيرهم وترددهم فينبغي للإمام أن يدفع لهم نفقة يبلغون بها ، فإن لم يكن مع الإمام مال فاضل ، فضيافتهم فرض على كل من نزلوا به لأنهم أبناء سبيل في خدمة المسلمين ، ولا يكون[109] من يتولى[110] ذلك إلا عالما بأحكام الصدقات ومقاديرها ونصابها وصفات[111] ما يؤخذ منها ، وممن تؤخذ ، وكيف تؤخذ ، حليما ، غير عانف ، متيقظا غير مغفل .

تكميل : في ذكر الخرص[112] . وإذا حان[113] وقت خرص النخل في بلاد النخل ، أخرج الإمام خراصه ، ولا يكونون إلا علماء[114] ثقات دربين[115] بالخرص ، فخرصوا ، وتركوا لأهل كل بلد مقدار ما يأكلون منه رطبا ، ثم أحضروا[116] زماما بما خرصوه ، وبما ألزموه ، فإذا كان الصرام ، أخرج الامام أولئك الولاة ، أو غيرهم ، ممن يوليهم الإمام ذلك العمل ، فقبضوا ما وجب ، فإن شكا[117] أهل الحب بالخرص[118] ، كلف الإمام ذلك الخارص[119] أن يخير

(104) ك : ما يستعان به
(105) ج : عن ذا ـــ ك ، ق : عددا
(106) أ ، ب ، د : بأمرهم
(107) ق : حبلا
(108) ك : فتقوم
(109) د : ويكون من يتولى ذلك عالما
(110) أ ، ب : تولى
(111) د : وصفاتها وما يؤخذ من النقدين وسن ما يؤخذ من الحيوان ، وكيف بالرفق دون ضده ، ويكون الآخذ لها متيقظا غير مغفل .
(112) د : الخراصين ، ولا يكونوا إلا عالمين ثقاة عارفين بالخرص فيخرصوا أو يتركوا لأهل البلد ما يأكلون رطبا .
(113) ك : وإذا كان
(114) ك : عالمين
(115) ق : داريين
(116) د : ثم يحضروا
(117) ق : شكوا
(118) د : بالخرص
(119) د : الخراص أن يخيروا

أصحاب الثمار بين أن يلتزموا[120] ما خرص عليهم ، وبين أن يسلموا إليه الحبوب ، ويضمن لهم ما خرصه عليهم بعد إخراج الزكاة ، فإن اختاروا إسلامه إلى الخارص[121] ، لزمه ذلك ، وألزم[122] أرباب الثمار حوزه ، حتى يكمل كيله ، فإن ظهر أنه أراد ظلمهم ، أدبه الإمام ، ولم يستعمله بعدها ، فإن فضل لأرباب الثمار أكثر مما خرص عليهم الخارص ، رجع الإمام عليهم بالفضل في ذلك .

وأما زكاة البر والشعير وسائر الحبوب ، فلا يخرج لذلك خارصا إلا في وقت الحصاد ، فيخرج الإمام خراصه ، فيخرصون ذلك ويقفون عليه مع أهله ، ولا يكلفونهم لأنفسهم نفقة ، لأن[123] لهم في ذلك الطعام حقا يقوم بهم ، لكن على أهل الطعام ضيافة الخراص ، حيثما حلوا ثلاثة أيام فقط ، وحكم الشكية[124] بالخراص ، كما تقدم .

ابن حزم : يلزم الإمام أن يجعل لوالي الخراج ما يقوم[125] به وبخدمته وأعوانه من غير تقتير ولا تبذير ، فإن لم يكن للإمام مال يفضل لذلك ، فمؤونتهم ومؤونة أعوانهم على المعتمرين لأرض الخراج .

أرسطاطاليس : يا اسكندر : إن الرعية بيت مالك[126] المأمون تلفه ، المرجو خلفه ، الذي تقيم به رياستك ، فانزل رعيتك منزلة البستان ، فيه ضروب من[127] الأشجار ، ولا تنزلها[128] منزلة الزرع الذي يأتيك في الحول مرة ، وتستأنف زراعته[129] في حول ثان ، فإن الأشجار قائمة الأصول ، لا يستأنف لها بذر ، فعلى مقدار[130] منزلة بيت مالك من نفسك الذي هو قوام ملكك وسلطانك ،

---

(120) أ ، ب : يلزموا
(121) د : الخراص
(122) ق ، د : ولزم
(123) د : ولا لهم في ذلك الطعام حق
(124) ق : الشكاية
(125) د : الذي
(126) أ ، ب ، ج ، د : مال
(127) من — وردت في د ، ك وكذلك في كتاب السياسة
(128) أ ، ب : ولا تنزلها منزلة الراعي : ولا منزلة الزرع ، تنزلها : ساقطة في ج
(129) سياسة : وتستأنف بذره
(130) سياسة : قدر

يجب أن تكون رعايتك لأمورها[131] ، ورفع الأشياء المؤذية لها ، ولا تستكف[132] لرعايتها في جميع أحوالها ، واجتناء ما عندها ، إلا واحدا يكون مجربا للأمر[133] غنيا ثقة أمينا يجتني لك الثمرة ، ولا يهلك الشجرة ، ويكون حسن الخلق محتملا صبورا حليما ، فإنه إن لم يكن بهذه الصفة ، نفر النفوس المستأنسة ، وأفسد الضمائر الخالصة ، ولا تكثر المتولين لخدمة خراجاتك وجندك ، فيدخل الفساد عليك ، من[134] حيث قدرت الحزامة بكثرتهم ، وذلك أن كل واحد منهم يريد الظهور على صاحبه ، بإفساد حاله ، ويسعى في إظهار الفائدة بادخال الداخلة على الرعية ، وكل واحد يجتني لنفسه ما يقيم به حاله ، ومنهم من يصنع منه[135] معروفا إلى من يؤيده[136] على حاله ، ويعضده في[137] باطله[138] .

عزل الاسكندر عاملا من عمل نفيس ، وولاه عملا خسيسا ، فقدم عليه بعد حين فقال له : كيف رأيت عملك ؟ فقال له : أيها الملك ليس بالعمل النبيل ينبل[139] الرجل ، لكن الرجل ينبل العمل وإن كان العمل خسيسا ، بحسن السيرة وانصاف الرعية ، فاستحسن ذلك منه وولاه عملا جليلا .

من كلام أرسطاطاليس للاسكندر[140] : انظر من كان له ضيعة ، فأحسن تدبيرها ، فوله الخراج[141] .

في عيون الأخبار : كتب ابرويز إلى ابنه شيرويه : انتخب لخراجك أحد ثلاثة : إما رجل يظهر زهدا في المال ، ويدعي ورعا في الدين ، فإن كان كذلك ، عدل

---

(131) أ ، ب : لأمرها ، ك : لامره .

(132) ج : تكشف ، د : ولا تصنف ، وفي سياسة : ولا تستكلف

(133) أ ، ب : بالأمور

(134) العبارة — من إلى بكثرتهم — غير موجودة في النص المطبوع لسياسة أرسطو . ومن المؤكد أن نص سياسة أرسطو المطبوع غير كامل .

(135) سياسة : به

(136) سياسة : في

(137) جميع النسخ باطنه وفي سياسة باطله

(138) ورد النص في سياسة أرسطو (الأصول اليونانية ص 146)

(139) أ ، ب : نبل

(140) وردت في د فقط

(141) البهجة ج 1 ص 337

على[142] الضعيف ، وأنصف[143] من الشريف ، ووفر الخراج ، واجتهد في العمارة فإن هو لم يعف ، ولم يرع[144] ، ولم يبق على دينه ، ولم ينظر لأمانته ، كان حريا[145] أن يخون[146] قليلا ويوفر كثيرا استتارا بالرياء ، واكتتاما[147] بالخيانة ، فإن ظهرت[148] على ذلك منه عاقبته ، على ما اختان[149] ، ولم تحمده على ما وفر ، أو رجلا[150] عالما بالخراج ، غنيا في[151] المال ، مذكورا[152] بالعقل فيدعوه[153] علمه بالخراج إلى الاقتصاد في الطلب ، والعمارة للأرضين ، والرفق[154] بالرعية ، ويدعوه غناه إلى العفة ، ويدعوه[155] عقله[156] إلى الرغبة فيما ينفعه ، والرهبة فيما يضره ، أو[157] رجلا عالما بالخراج معلوما بالأمانة ، مقترا من المال ، فتوسع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته القليل ، ويستكثر[158] لفاقته اليسير ، ويدر بعمله[159] الخراج ، ويعف بأمانته عن الخيانة[160] .

استشار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في قوم يستعملهم[161] ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل العذر[162] قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن[163]

---

(142) ج : في

(143) د : وانتصف

(144) عيون ود : ولم يرق ولم ينظر لدينه ولا لأمانته

(145) د : وكان

(146) د : يجوز

(147) ك : واكتاما

(148) عيون : أطلعت

(149) عيون : خان

(150) ج : إما عارفا بالخراج

(151) د : بالمال

(152) د : موصوفا — عيون : مأمونا

(153) د : فيدخله

(154) د : وللرفق

(155) ويدعوه غير موجودة في د

(156) د : وعقله

(157) ج : أما

(158) د : فيستكثر

(159) د ، ك : بعلمه

(160) عيون الأخبار ج 1 ص 17 مع اختلافات في اللفظ مع النص المطبوع

(161) د : يشغلهم

(162) د ، ك : العدل

(163) د ، ك : إذا

عدلوا ، فهو ما رجوت[164] منهم، وإن قصروا[165] ، قال الناس : قد اجتهد عمر[166] .

قال عدي بن أرطأة لإياس بن معاوية : دلني على قوم من القراء أولهم[167] فقال له : القراء على ضربين : فضرب يعملون للآخرة ، لا يعملون لك بدنيا[168] ، وضرب يعملون للدنيا ، فما ظنك بهم ، إذا أنت وليتهم ، فمكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأنسابهم[169] ، فولهم[170] .

المامون : من مدح لنا رجلا فقد تضمن عليه عمله .

ابن قتيبة : كان زياد إذا ولى رجلا ، قال له : خذ عهدك ، وسر إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سنتك . وأنك تصير[171] إلى أربع خلال : فاختر لنفسك . إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا ، استبدلنا بك لضعفك ، وسلمتك من معرتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائنا قويا ، استبدلنا بك ، وأحسنا على خيانتك أدبك ، فأوجعنا ظهرك واثقلنا غرمك ، وإن جمعت لنا الجرمين ، جمعنا عليك العقوبتين ، وإن وجدناك أمينا قويا ، زدناك في عملك ، ورفعنا لك ذكرك ، وكثرنا مالك ، وأوطأنا عقبك[172] .

ينبغي للملك أن يتدبر لولاية الأعمال ، من تقدمت له فيها تجربة ، وسيرة حميدة ، ولا يعدل عنه ما وجده . وقد كان في صدر الإسلام من ولى لخمسة من ذوي[173] الأمر ، مثل روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، فإنه ولى لأبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، وذلك لحسن

---

(164) د : نجوت

(165) د : وإذا

(166) د : اجتهدوا . وعمر محذوفة

(167) د ، ج : أوليهم قال

(168) بدنيا — زائدة في د

(169) د : لاحسابهم

(170) وردت هذه النصوص في عيون الأخبار ج 1 ص 17 وفي العقد الفريد ج 1 ص 11

(171) د : ستسير إلى أربعة

(172) عيون الأخبار ج 1 ص 55 مع اختلافات في اللفظ

(173) ج : من الملوك .

سيرته[174] وما جرب من حسن ولايته ، وكان من الكرماء الأجواد ، ويقال إنه لم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فإنه ولي لرسول الله ﷺ ولأبي بكر ولعمر ولعثمان ولعلي رضي الله عنهم ، وكان روح واليا في السند ، وأخوه يزيد في إفريقيا واليا ، فلما توفي يزيد بافريقيا في مدينة القيروان ، ودفن بخارجها رحمه الله تعالى ، وأقام واليا بها خمس عشرة سنة ، وأشهرا[175] ، قال أهل افريقيا : ما أبعد ما بين قبري هذين الأخوين ، فإن أخاه بالسند ، وهذا هنا ، فاتفق أن الرشيد عزل روحا عن السند ، وسيره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل افريقيا ، وبها كانت وفاته ، ودفن حيث قبر أخيه ، فعجب الناس من هذا الاتفاق[176] .

يروى أن عبيد الله بن زياد كانت[177] تغيرت عنده منزلة الأحنف بن قيس ، فصار يقدم عليه من لا يساويه ولا يقاربه . ثم أن عبيد الله جمع أعيان العراق ، وفيهم الأحنف ، وتوجه بهم[178] إلى الشام للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية ، وأعلمه[179] بوصول رؤساء العراق . فقال : تدخلهم[180] إليّ الأول فالأول ، على قدر مراتبهم عندك ، فخرج إليهم ، وأدخلهم على الترتيب ، كما قال معاوية ، وآخر من دخل الأحنف . فلما رآه معاوية — وكان يعرف منزلته ، ويبالغ في إكرامه لتقدمه وسيادته — قال (له[181]) : إليّ يا أبا بحر ، فتقدم إليه ، فأجلسه معه على مرتبته ، وأقبل عليه يسأله عن حاله ، ويحادثه ، وأعرض عن بقية الجماعة ، ثم إن أهل العراق أخذوا في الشكر[182] والثناء على عبيد الله ، والأحنف ساكت . فقال له معاوية : لم لا تتكلم يا أبا بحر؟ فقال : إن تكلمت خالفتهم . فقال لهم معاوية : إشهدوا على أني عزلت عبيد الله

(174) أ ، ب ، ج ، ق ، د : سيره

(175) د : توفي بها وقبره بالقيروان رحمه الله

(176) استند ابن رضوان على وفيات الاعيان ج 2 ص 305 — 306

(177) كانت محذوفة في ج — ك : كان

(178) ب : وردت في د فقط

(179) د : وأخبره

(180) وفيات الأعيان : أدخلهم أولا فأول

(181) زيادت من وفيات

(182) أ ، ب ، ج ، ق ، ك : الشكر من عبيد الله والثناء عليه

عنكم ، قوموا ، فانظروا في[183] أمير أوليه عليكم وترجعون[184] إليّ بعد ثلاثة أيام . فلما خرجوا من عنده ، كان فيهم جماعة يطلبون الإمارة لأنفسهم ، وفيهم من عين غيره ، وسعوا في السر مع خواص معاوية أن يفعل لهم ذلك ، ثم اجتمعوا بعد انقضاء الثلاثة[185] ، كما قال[186] معاوية والأحنف معهم ، ودخلوا عليه ، فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الأول ، وأخذ الأحنف إليه ، كما فعل أولا ، وحادثه ساعة ، ثم قال : ما فعلتم فيما انفصلتم عليه ؟ فجعل كل واحد يذكر شخصا ، وطال حديثهم في ذلك ، وأفضى إلى منازعة وجدال ، والأحنف ساكت ، ولم يكن في تلك الأيام الثلاثة مع أحد في شيء . فقال له معاوية : لم لا تتكلم يا أبا بحر ؟ فقال الأحنف : إن وليت أحدا من أهل بيتك ، لم تجد من يعدل عبيد الله ، فلا يسد مسده ، وإن وليت من غيرهم ، فذلك إلى[187] رأيك . ولم يكن في الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الأول في الثناء على عبيد الله من ذكره في هذا المجلس ، ولا سأل عوده إليهم . فلما سمع معاوية مقالة[188] الأحنف قال للجماعة : اشهدوا علي ، أني أعدت[189] عبيد الله إلى ولايته ، فكل منهم قد ندم على عدم تعيينه . وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما[190] جرت العادة به في حق المتولي . فلما وصل[191] الجماعة من[192] مجلس معاوية ، خلا بعبيد الله ، وقال له : كيف ضيعت مثل هذا الرجل ، يعني الأحنف ، فإنه عزلك وأعادك[193] إلى الولاية ، وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدمتهم عليه ، واعتمدت عليهم ، لم ينفعوك ، ولا عرجوا عليك ، لما أفضت الأمر إلى نظرهم ، فمثل الأحنف من يتخذه الإنسان عونا وذخرا ، فلما عادوا إلى العراق ، أقبل عليه عبيد الله وجعله بطانته وصاحب سره ، ولما جرت لعبيد الله الكائنة

---

(183) أ ، ب : إلى

(184) د : وارجعوا

(185) ج : ثلاثة أيام

(186) ج : كما أمرهم

(187) ج : إليك

(188) ج : كلام

(189) د ، ك : وليت

(190) د : لما

(191) د : انفصل

(192) د : عن

(193) ج : وردك

المشهورة ، لم ينفعه فيها إلا الأحنف ، وتخلى عنه الذين كان يعدهم أعوانا[194] .

قال صاحب التاج : أن أبرويز كتب إلى ابنه شيرويه يوصيه بالرعية : ليكن من تختاره لولايتك ، أمرءا كان في[195] ضعة ، فرفعته ، أو كان ذا شرف مهملا ، فاصطنعته ، ولا تجعله امرءا أصبته بعقوبة ، فاتضع لها ، ولا أحدا ممن يقع بقلبك[196] أن ازالة سلطانك ، أحب إليه من ثبوته ، إياك وأن تستعمله ضرعا غمرا كثيرا اعجابه بنفسه ، قليلا تجربته في غيره ، ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله ، كما أخذت السنون من جسمه[197] .

سأل[198] معاوية رجلا عن زياد قال[199] : يستعمل على الجزاء والأمانة دون الهوى والحرمة ، ويعاقب بقدر الذنب ، ويسمر ويحب السمر ليستجمع بالليل حديث النهار . فقال معاوية : إن التثقيل على القلب مضرة بالرأي . قال : فكيف رأيه في صدق البأس[200] ؟ قال : يأخذ ماله[201] عفوا ، ويعطي ما عليه عفوا .

قال رجل من النساك للمأمون : يا أعز الناس على الله . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الناس كلهم يدعون عليك ، فلا يستجيب[202] لهم فيك . قال : ولم ذلك ؟ قال : لظلم عمالك . فنظر في أمور عماله ، فأصلحها .

قال سابور : لا تستعملن على الأرض الكثيرة الخراج شريفا عظيم الشأن ، ولا قائد جند ولا من يعتمد عليه في الخطوب ، فربما خانوا ، أو ضيعوا العمل[203] ، فإن سوغتهم ، هلك المال ، واقتدى بهم غيرهم ، وإن عاقبتهم أذهبت بهاءهم وهيبتهم[204] ، وأضغنت صدورهم ، وضعفت نياتهم في المناصحة ، فكنت قد فللت سلاحك وهدمت حصنك .

---

(194) أخذ ابن رضوان هذه القصة من وفيات الاعيان ج 2 ص 503 — 504 مع اختلاف يسير في اللفظ

(195) د : فيه

(196) ق : قلبك — عيون الأخبار : جلدك — ك : بقلبك

(197) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 15 — مسندا إلى التاج . ولكننا لم نعثر عليه في التاج .

(198) ك : سأل

(199) د : فقال

(200) أ ، ب : الناس

(201) ج : له

(202) د : يستجاب

(203) د : المال

(204) د : وهيئتهم

قال ابن الجوزي : بلغنا عن هشام بن عبد الملك أنه أحضر إبراهيم ابن أبي عبلة فقال : قد وليتك الخراج بمصر فأبى إبراهيم ، فغضب هشام . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل : « إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ٱلْآيَة[205] فَوَاللَّهِ لاَ لِكُرْهٍ[206] وَلا لِسُخْطٍ[207] عَلَيْهِنَّ ، وَلَقَدْ ذَمَّ ٱلْإِنْسَان ، لَمَّا قَبِلَهَا ، فَأَعْفَاهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ » .

قال أبو اليقظان : ولى الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي قتال الأكراد بفارس ، فأبادهم ، ثم ولاه السند ، فافتتح السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشر سنة فقال الشاعر فيه :

إن السماحة والمروءة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب[208] سورة سؤدد من مولد[209]

ولى عبيد الله بن زياد خراسان ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة لمعاوية .

وولى معاذ اليمن ، وهو دون الثلاثين سنة .

وولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد مكة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة .

ابن[210] حزم : يلزم الإمام أن يتخير ولاته وعماله من المسلمين ، وأهل[211] الدين ، إذ لا تمكنه المباشرة لكل أمور المسلمين ، ولئلا يشتغل عن تدبير الأمور العظيمة التي ابتلاه الله تعالى بها ، واختصه لها ، والأعمال بعد الخلافة اثنا عشر عملا : أولها الصلاة وقبض الزكاة ، وتفريقها ، وقبض الجزية ، وتفريقها ، وولاية

(205) آية 72 الأحزاب 33
(206) أ ، ب : تكرههن . ق : يكرههن
(207) أ ، ب ، ج ، ق : لاسخط
(208) أ ، ب : بقرب سورة حين تولد ، ج : يا قرب سودد من مولد
(209) ورد البيتان (مع قول أبي اليقظان) في البهجة ج 1 ص 515 وهما للشاعر زياد الأعجم . وقد وردا أيضا في عيون الأخبار ج 1 ص 229 وفي محاضرات الأدباء ج 1 ص 76 .
(210) ج : قال ابن حزم
(211) د ، ك ، ق : أهل الدين — محذوفة —

الجيوش وتدبير الحروب وأخذ المغانم وتخميسها وقسمتها ، وما صار من المشركين إلى المسلمين وحكمه وإقامة الحدود والأقضية والشرطة ، والحسبة ، والكتابة والمحاسبة والبريد ، والاختزان ، وإقامة الحج ، فيلزم الإمام أن يتخير الولاة والأمراء والعمال لكل ما ذكرنا ، فإن رأى أن يفرق هذه الأعمال في كل بلد ، وعلى عددها رجال ، فحسن ، كما بعث رسول الله ﷺ ، عليا[212] لليمن وقابضا للاخماس . وبعث خالدا إليها متوليا للحرب ، وبعث معاذا وأبا موسى الأشعري إليها معلمين للقرآن وأحكام الدين وقبض الصدقات ، وولى أعمالها جماعة غير هؤلاء ، وإن رأى أن يجمعها أو بعضها لواحد في بلد واحد ، فحسن ، كما جمع النبي ﷺ اليمن كله لباذان.[213] وجمع عمان كله لعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين .

ويلزم[214] الإمام الأعظم أن يرزق أمراء النواحي رزقا واسعا يقوم بهم - وبمؤونتهم على السعة التي لا يشرهون معها إلى مال أحد من أهل عملهم ، ويرزق من لهم من الأعوان والفرسان والرجال ، ويكونون عددا يستظهرون به على ما هم بسبيله على قدر ما يلي كل واحد منهم من كبر[215] الناحية وصغرها من قمع ظالم ، إن ظلم أو معاند[216] إن عاند . أو اشباه[217] ذلك ، ويلزم الإمام الأكبر أهل كل جهة من جهات بلده أن يفد عليه من خيارهم وعلمائهم ووجوه قومهم ، ليستخبرهم عن حال[218] الأمير ، والناس ، ويكسوهم ويصلهم على نحو ما كان عليه السلام يفعل ، فإذا وفدوا عليه ، انفرد بهم عن كل من ذكر ، ثم ينفرد[219] بوجوه قومهم واحدا[220] واحدا ، حتى يقف على الحق من الباطل في أمر الناس

---

(212) ك : « على » محذوفة

(213) ق : لهاذان — د : لعلي ، ك : للبلدان . وباذان هو باذان الفارسي من الأبناء ، وهم من أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى أنوشروان مع سيف ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة . فأقاموا باليمن وكان باذان بصنعاء ، فأسلم في حياة النبي ﷺ . وله اثر كبير في قتل الأسود العنسي .
ابن الأثير : أسد الغابة ج 1 ص 163

(214) أ ، ب ، ج ، ق : يلزم

(215) ك : كبراء

(216) د : ومعاند

(217) د : وأشبه ، ج : أوشبه

(218) ق ، ج : على حال أميرهم وبلدهم ويكسوهم

(219) في د زيادة بهم

(220) ق : واحدا بعد واحد

وأمور ولاته وجميع أحوال عماله[221] .

ابن حزم : والذي نختاره للإمام على كل حال ، أن لا يطول مدة أمير بلد[222] ، لاسيما البعيدة عنه ، والثغور التي[223] فيها المال الكثير ، بل يعجل عزل كل أمير يوليه شيئا من ذلك ، وإن كان عدلا فاضل السيرة ، فيوليه الإمام بلدا آخر من بلاده ، ليعم بعدله وحسن سيرته ، ما أمكنه من بلاد رعيته ، ويحسم أطماعهم في الرجوع إلى البلاد التي عزلوا منها ، ولا يخص بوال أهل بلد ما ، وأما سائر البلاد ، فبخلاف ذلك ، لا يعزل منهم أحد[224] إلا عن جور ظاهر أو خيانة بينة .

ولا يفتح الإمام باب التشكي بالقضاة ، لا سيما من طالبي الترؤس من أهل البلدان ، فإن شكوا ، كلفوا تبيين ما شكوا به ، فإن فعلوا ، عزل عنهم وبكت ، وإن ظهر تحاملهم عليه ، عوقبوا بالسجن ، والاخمال ، وإسكانهم في غير بلادهم ، حتى يتوبوا عن طلب الفضول ، ويقبلوا على شأنهم .

ابن حزم : ينبغي للإمام أن يتخذ خازنا ثقة عفيفا دينا ضابطا ، يختزن كل ما يرد على الإمام من الأموال ، ولا يخرج منها شيئا إلا عن علم الإمام أو بكتبه ، ويكون له نظار وحراس يحرسون الأموال لئلا تضيع أو تسرق ، حتى توضع موضعها ، ويجب على الخازن تصنيف الأموال وترتيبها ، والكتب عليها وعلى أنواعها ، والوجوه التي قبضت منها ، مفصلا كل ذلك ،

قال[225] : ويتخذ الإمام خازنا للسلاح المستعد[226] ، فمن أعطاه الإمام شيئا من ذلك بالبت ، أثبت ذكره وتاريخه باليوم والشهر والعام ، وإن أعطاه عارية ، كتب عليها إسم الذي استعاره ، وأخذ برد ما لم يثبت أنه ضاع ، فإن اتهم بخيانة ، لم يعطه الإمام شيئا بعدها .

قال : ويتخذ الإمام ناظرا على الخيل يشرف على أعلافها[227] ، ونفقاتها ،

(221) ك : أعماله
(222) ك ، ك : أمير كل بلد
(223) د : فيها القلاع المنيفة أو الجهد الكثير أو التي فيها
(224) أ ، ب ، ج ، د : أحدا ، ومحذوفة من ك .
(225) د : قال ابن حزم
(226) ج : المستعيد
(227) أ ، ب : أعطافها

وخدامها ، وتكون كلها مذكورة في زمام بأثمانها[228] ، وشياتها وسماتها .

قال : وينصب للمواريث[229] التي لا مستحق لها رجلا أمينا في كل بلد عالما بالفرائض[230] وقسمتها ، يحصل ما يجب من ذلك في زمام ، ويرفع المال إلى الإمام ، ليضعه حيث وضعه الله عز وجل ، ويرزق الإمام كل[231] من ذكر ما يغنيهم عن الخيانة ، ويستغنون به عن سائر الكسب الشاغل لهم عما هم بسبيله من خدمة الإمام وحفظ أموال المسلمين .

فصل

في صفة ذكر الرسول والسفير

قال أرسطاطاليس : اعلم أن الرسول يدل على عقل مرسله ، إذ هو عينه ، فيما لا يرى ، وأذنه فيما لا يسمع ، ولسانه عندما[232] غاب عنه ، فيجب عليك أن تختاره أرفع من بحضرتك عقلا وبصيرة وهيئة وأمانة ، مجنبا[233] لجميع الريب ، فإن وجدته كذلك ، فارسل به ، وفوض إليه ، بعد أن يعرف غرضك ، ولا توصيه بما يأتي به ، فربما رأى هو عند المشاهدة الصواب في غيره ، وإن لم يكن بهذه الصفة ، فليكن أمينا ثقة يقظا[234] ولا يزيد ولا ينقص فيما أرسلته به ، ويكون حافظا لوصيتك ، واعيا[235] لما يسمعه من الجواب عليها ، فإن لم تجده كذلك ، فليكن أمينا فقط يؤدي كتابك إلى من وجهته إليه ويأتي عنه بجوابه . ومن أحسست منه حرصا على المال في الموضع[236] الذي توجهه إليه ، فلا تستعمله .

ولا ترسل من يشرب الخمر ، وكانت الفرس إذا ورد عليها رسول كلفته أن يشرب الخمر ، فإن فعل ، علمت أن أسرار ملكه ، مفتضحة عندهم ويعرض عليه

(228) د : بألوانها
(229) أ ، ب : للموارث
(230) ج : بالمواريث والفرائض
(231) د : كل وردت في د فقط
(232) د ، ك : فيما ، الأصول : عند من
(233) سياسة أرسطو : وتجنبا
(234) ك : يقظانا
(235) في سياسة أرسطو : وواعيا
(236) د : المواضع

المال الكثير ، فإن حرص[237] عليه ، علمت أن ذلك الملك[238] في أكفهم[239] .

وإياك أن ترسل وزيرك ، ولا تخرجه عن حضرتك ، فإن في ذلك فساد مملكتك ، وجميع صفات رسلك قد ذكرتها ، ومدارها على الثقة والأمانة ، فمتى لم يكن ذلك ، غشك بقبول الهدايا ، وخانك فيما قلدته ، ودخل من النقصان في تدبيرك بمقدار ما أدخل عليك بخيانته[240] [241] .

في البهجة لأبي عمر : قال رسول الله ﷺ : إذا أبردتم إلى بريدا ، أو بعثتم رسولا ، فليكن حسن الوجه حسن الإسم[242] .

وفيها : كان عبد الملك بن مروان إذا[243] ولى رجلا البريد سأل عن صدقه وعفته وأمانته . وقال : إن كذبه ، يشكك في صدقه ، وشرهه يحمله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه[244] .

وقالوا : الرسول قطعة من المرسل[245] .

وقال عمْرو بن العاص : ثلاثة دالة[246] على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدي ، والكتاب على الكاتب[247] .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا كنت في حاجة مرسلا
فارسل حكيما ولا توصه

(237) د : وإن حرصت
(238) د : المال ، ك : محذوفة
(239) ج : يدهم — سياسة أرسطو : كفهم
(240) أ ، ب ، د : خيانته .
(241) ورد النص في سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ص 245
(242) ورد النص في البهجة ج 1 ص 277
(243) أ ، ب ، ج ، د : إذ
(244) البهجة ج 1 ص 278
(245) البهجة ج 1 ص 278
(246) د : تدل
(247) السراج ص 200 باب 64 ، التمثيل والمحاضرة ص 145 وعيون الأخبار ج 1 ص 281 مع اختلاف في التعبير . ورد نص أيضا في البهجة ج 1 ص 278 مطابقا لما ورد في الشهب .

وإن[248] ناب أمر عليك التوى
فشاور لبيبا ولا تعصه[249]

ولبعضهم[250] :

إذا ما كنت متخذا رسولا
فلا ترسل سوى رجل[251] نبيل
فإن النجح في الحاجات يأتي
لطالبها على قدر الرسول[252]

وقال بعض الحكماء : اختر رسولك في الحرب والمسالمة ، فإن الرسول يلين القلوب ويخشنها ، ويبعد الأمور ويقربها ، ويصلح الود ويفسده .

قلت[253] : ومن حسن توسط الارسال واستجلابهم الخير لمرسليهم ، ما أخبرني به بعض أصحابنا الأندلسيين رحمهم الله . قال : لما وفد[254] الوزير الشهير أبو عبد الله بن الحكيم رسولا عن سلطانه ملك الأندلس رحمة الله عليهما ، على مولانا السلطان الكبير الشهير بأبي يعقوب رضوان الله عليه قال : لما دخل عليه[255] ، قال له : ما مطلب سلطانك ، بعد أن فعلنا له[256] كذا وكذا ، واسعفناه[257] بكذا ، وعدد ما قدم[258] إليه من الصنائع الحسنة فقال له : نعم يا مولانا رضي

(248) البهجة : باب

(249) ورد البيتان في محاضرات الراغب ج 1 ص 280 منسوبة إلى عبد الله بن معاوية مع تغيير في البيت الثاني — إذ وردت كلمة « نبيها » مكان « لبيبا » وقد ورد البيت الأول أيضا في الفخري ص 70 — انظر أيضا البيتين في الموشح للمرزباني ص 16 والبهجة ج 1 ص 278 — 279 ، والبيت الأول في حماسة البحتري ص 198 منسوبا إلى عبد الله بن معاويه الجعفري .

(250) د : قال بعضهم — ج : وقال غيره في هذا المعني .

(251) البهجة : حر .

(252) البهجة ج 1 ص 279 .

(253) د ، ك : قال المؤلف رحمه الله

(254) أ ، ب : وجه

(255) ج : قال لما دخل عليه — ما مطلب سلطانك

(256) له — وردت في د ، ج .

(257) ك : واستعففناه

(258) ج : قدمه

الله عنكم ، كل ذلك كان ، ولم ينكره مولاي ولا جهله ، لكن لسان حاله ينشد[259] :

أيا ملبسي النعمى التي جل قدرها
لقد خلقت[260] تلك الثياب فجدد

قال : فأكمل مطالبه ، ووفى لحسن تلطفه مآربه .

قال صاحب التاج : من الحق[261] على الملك أن يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج ، ذا بيان وعبارة ، بصيرا بمصادر[262] الكلام وأجوبته ، مؤديا لألفاظ الملك ومعانيها[263] ، صادق اللهجة ، لا يميل إلى طمع ، حافظا لما حمل[264] . فقد كان أزدشير بن بابك يقول : كم من دم سفكه الرسول بغير حله ، وكم من جيوش قد قتلت وعساكر قد انتهكت[265] ومال قد نهب ، وعهد قد نقض ، لخيانة الرسول وكذبه ، وكان يقول : يجب على الملك إذا وجه رسولا إلى ملك آخر أن يردفه بآخر ، وإن وجه رسولين ، أتبعهما باثنين ، فإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا في ملاقاة[266] ولا يتعارفان ، فيتوافقان[267] على فعل ، فهو[268] الأصوب[269] .

---

(259) ج : يقول
(260) د ، ج : اخلقت
(261) د ، ك : حق الملك
(262) ج : بمصادير — التاج : بمخارج
(263) ج : ومعانيه
(264) ق : حفظ
(265) ا ، ب : انهكت
(266) في — ساقطة في د ، ق ، ك
267) د ، ك : فيتوافقا — التاج : فيتواطآ
(268) زيادة في د : هو الأصوب ، ق : فحسن
(269) ورد النص في التاج ص 214 — 216 .

الباب العشرون

في مراتب العقوبات ودرء الحدود بالشبهات والأقصار عن التسرع إلى العقاب وقبول الشفاعات

قال أرسطاطاليس : يا اسكندر أؤكد[1] ما أوصيك به، وطالما وصيتك[2] به وبامتثاله[3] يصح أمرك، ويدوم ملكك، التعفف عن الدماء، فإنها عقوبة انفرد بها الخالق العالم بالسرائر، وأنت إنما تقدم في ذلك على شبه لست تعلم باطنها، فتحفظ من هذا جهدك، فقد صح عن هرمس الأكبر أنه قال إن المخلوق، إذا قتل مخلوقا مثله، ضجت ملائكة السماء[4] إلى بارئهم. ينادون تشبه عبدك فلان[5] بك، فإن كان قتله في قصاص. قال لهم الله، تقدست أسماؤه، وجل جلاله : قتل فقتل، وإن قتل لبغي أهل الدنيا عليه أو ظن كاذب[6].

قال لهم الله عز وجل : وعزتي وجلالي وقدرتي إن هدرت دم عبدي[7] فلا تزال الملائكة تدعو عليه، عند كل تسبيح أو استغفار، حتى يؤخذ بدمه. وإن مات حتف انفه، فذلك[8]، غضب الله عليه. أشهد أنه من المخلدين في عقابي وعذابي. ولك في سائر العقوبات كفاية من السجن الطويل والعذاب[9] الأليم. ولست بمعروف بذلك، فامتثل[10] في حدودك وعقابك، صحف آبائك الالهية،

(1) ق : أول
(2) د : أوصيك به، ك : أوصيك به
(3) أ، ب : وبامثاله
(4) ج : السماوات
(5) ك : فلانا
(6) د : كذبا
(7) إضافة في د بعد عبدي : لا هدرت دمك
(8) أ، ب : ج : وبذلك
(9) أ، ب : والأدب
(10) أ، ب : وامتثل

يقترن الصواب بفعلك إن شاء الله[11] .

في محاسن البلاغة : على الملك أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة في سلطان الغضب ، وتعجيل مكافأة[12] المحسن ، والتزام الأناة والتثبت[13] .

فصــل

قال صاحب الطب الروحاني : ينبغي للملك[14] أن يكون في وقت المعاقبة بريئا من أربع خصال[15] : الكبر والقسوة[16] ومن ضد[17] هذين ، لأن الأولين[18] يدعوان إلى أن يكون الانتقام والمعاقبة[19] مجاوزين لمقدار الجناية[20] والآخران[21] أن يكونا مقصرين عنه[22] .

قال الجاحظ : من أخلاق الملك السعيد[23] ، أن لا[24] يعاقب وهو غضبان ، لأن حاله هذه لا يسلم معها من التجاوز[25] لحد العقوبة ، فإذا سكن غضبه ، ورجع إلى طبعه ، أمر بعقوبته على الحد الذي سنته الشريعة ، ونقلته الملة ، فإن[26] لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه[27] ، فمن العدل أن تجعل

---

(11) ورد النص في سياسة أرسطو الأصول اليونانية ص 82 مع اختلافات كثيرة في اللفظ .
(12) د ، ج : مكافآت
(13) ورد النص في البهجة ج 1 ص 338 مع شيء من الاختلاف
(14) للملك — وردت في ج فقط
(15) د : والطب الروحاني ، ك : خلال
(16) الطب الروحاني : والبغض
(17) الطب الروحاني : هذين الضدين
(18) الطب الروحاني : فإن
(19) الطب الروحاني : والعقوبة
(20) د ، ك : الخيانة
(21) في جميع النسخ : والآخران وفي الطب الروحاني : والآخرين .
(22) ورد النص في الطب الروحاني ص 56 .
(23) السعيد — إضافة من نص التاج
(24) د : إلا
(25) التاج : التعدي والتجاوز
(26) د : فلم
(27) د : لذنبه

عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ[28] الذنوب ولينها ، وأن يجعل الحكم عليه فيه ، ونفسه طيبة ، وذكر القصاص منه على بال[29] .

يروى أن جعفر بن محمد دخل على الرشيد ، وقد استخفه الغضب ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك إنما تغضب لله تعالى ، فلا تغضب بأكثر من غضبه لنفسه[30] .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : واعلم أرشدك الله أن هذه الكلمة لا قيمة لها ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فما أفخمها وأجل قدرها وأعظم مقامها ، لأنك إذا كنت أيها السلطان إنما تتصرف في ملك الله تعالى بأمر الله تعالى ، فالله سبحانه قد حد حدودا وشرع شرائع ، وأقام فرائض وسننا[31] ، ونهى عن حدود ورسوم ، ثم قدر في كل خصلة عند مخالفته حدا محدودا ، ونهى أن يتجاوز[32] ذلك الحد ، فلا يقتل من استحق القطع والحبس والادب ، ولا يقطع من استحق الحبس والادب ، ولا يحبس غير من استوجب الحبس ، وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم ، فمن عثر من ذوي المروءات ، أقيلت عثرته ، ولم يقابل بشيء لقول[33] النبي ﷺ : أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ، ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته ، وهفوته ، فكان يقام قائما في مجلس يقعد فيه نظراؤه ، فتكون هذه عقوبته ، وآخر يشق جيبه ، وآخر تنزع عمامته ، وآخر يكلم بالكلام الذي فيه غلظة[34] .

قال غيره : الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان[35] .

قال أرسطاليس : النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان[36] ، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام .

---

(28) د : غلظ

(29) ورد النص في التاج 105

(30) ورد النص في السراج ص 82 من الباب 28

(31) د : وسن سننا

(32) ج : تتجاوز تلك الحدود

(33) د : لأن النبي ﷺ قال :

(34) ورد النص في السراج ص 82 من الباب 28 — وورد الحديث (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم) في الأحكام السلطانية ص 236 وجاء في البهجة ج 1 ص 624 حديث « أقيموا الكرام عثراتهم » ويروى : « أقيلوا ذوي الهبات زلاتهم » .

(35) زيادة في د : وفي الخبر أن العامة تعذب بذنب الخاصة والرعية بذنب الراعي .

(36) د : الهوى

قال غيره : ليست الجنايات سواء فتستوي عقوبتها ، ولا الناس سواء ، فتتماثل عقوباتهم ، بل منهم من يعاقب بالابعاد ، ومنهم من يزاد مع[37] ذلك ، منع قرابته وأصحابه من كلامه ، ومنهم من يعاقب بالزام داره ، ومنهم من يعاقب بإلزام بلده ، فيمنع بالأبواب .

ومن حسن المناسبة في ايقاع العقاب وفق الجناية ما يحكى[38] من أن أبا المظفر الأبيوردي الشاعر ، وكان متكبرا ، وينسب إلى معاوية الأصغر ، كتب رقعة إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله ، وعلى رأسها الخادم المعاوي ، فكره الخليفة النسبة إلى معاوية فبثر الميم ، ورد الرقعة إليه ، فصار الخادم العاوي ، فحطه إلى أدون[39] الرتب ، حين رفع نفسه إلى نسب لم يرضه الملك . وسلك معه سبيل التنكيت[40] الأدبي ، إذ كان من أهل الأدب ، بأن أبقى نسبته بخط نفسه ، وهي من لطائف المستظهر بالله[41] .

ومن عجب ما كان عليه الابيوردي من الكبر ، أنه كان يقول عند صلاته : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها . حكاه ابن[42] مندة في تاريخ اصبهان .

من كلام محمد الباقر : صلاح من جهل الكرامة ، في هوانه .

في المقتطف من كلام الناصر ، وقد أعطى عامل كبير لقب مهذب الدولة مالا جليلا ، على أن يلقب بمهذب الدولة بكسر الذال ، فوقع على القصة : يؤخذ ماله ، ويصفع قذاله ، وتبقى على الفتح ذاله .

تحدث المامون يوما ، فضحك إسحاق بن إبراهيم المصعبي فقال له : يا إسحاق أأوهلك لشرطي[43] ، وتفتح فاك من الضحك ؟ خذوا سواده وسيفه . ثم قال : أنت بمجلس الشراب أشبه . ضعوا منديلا على عاتقه . فقال : أقلني[44] يا أمير

---

(37) أ ، ب : على

(38) ق ، د : ك : ما حكى

(39) ق ، د : دون

(40) ك : الأدب

(41) استخدمها ابن الأزرق في بدائع السلك : ج 2 ص 162 ومصدر ابن رضوان وفيات الأعيان ج 4 ص 446 .

(42) د : ابن السيدة

(43) ج : شرطي ـــ محذوفة ـــ ك : للشرطة

(44) ق ، ج : قلني

المؤمنين . قال : قد أقلتك . فما ضحك بعدها .

ومن وضع العقاب على نسبة المعاقب ، ما روي من أن الشيخ أبا محمد بن أبي حفص ، كان قد تزوج أخت الأمير يعقوب المنصور ، وأقامت عنده ، ثم جرت بينهما منافرة ، فجاءت بيت أخيها ، فسير[45] الشيخ عبد الواحد في طلبها ، فامتنعت عليه ، فشكى ذلك إلى قاضي الجماعة بمراكش ، وكان إذ ذاك أبا عبد الله محمد بن علي بن مروان ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب . وقال له : إن فلانا طلب أهله ، فسكت الأمير ، ومضى على ذلك أيام[46] ، ثم إن عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور بقصر الأمير وأعاد طلب أهله ، فانهى[47] القاضي ذلك إلى الأمير ، فسكت ولم يسعفه بأهله إلا في الثالثة . وهذا السكوت هنا نوع حسن من العقاب على عدم ارضائه لأهله ، وامثال هذا كثير[48] .

قال عبد الله بن عباس : جز اللحية والرأس لا يصلح في العقوبات ، من أجل أن الله تعالى جعل حلق الرأس نسكا لمرضاته[49] .

وقال عمر بن عبد العزيز : إياكم والمثلة في العقوبة : جز الرأس واللحية[50] .

قال صاحب التاج : من حق الملك أن لا يجاوز بأهل الجرائم عقوبة جرائمهم ، فإن لكل ذنب عقوبة ، ومن ترك العقوبة في موضعها ، فبالحرى[51] أن يعاقب من لا ذنب له[52] .

في البهجة لأبي عمر : أن مروان قال لابنه عبد العزيز حين ولاه مصر : لا تعجل بالعقوبة ، إذا اشكل عليك الأمر ، فإنك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها[53] .

---

(45) د ، ج : فصير
(46) د : أياما
(47) د : فأتى القاضي إلى الأمير وأعاده عليه ذلك فلم
(48) وردت هذه القصة في وفيات الأعيان ج 7 ص 10 —.. مع بعض الزيادة —
(49) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 73 كما ورد مع شيء من الإختلاف في اللفظ في البهجة ج 2 ص 172 .
(50) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 79 وفي البهجة ج 2 ص 172
(51) د : فحرى ، ق : فأحرى
(52) التاج ص 96 مع زيادة فيه
(53) ورد ما يشبه هذا في نهاية الأرب ج 6 ص 42 ، ومرجع ابن رضوان هو البهجة ج 1 ص 267 .

سليمان بن داود عليهما السلام : لقد أبغض الله المتسرعين إلى هرق[54] الدماء .

الجاحظ : من حق الملك أن لا يعجل في القتل ، كما حكي عن عبد الملك بن مروان أنه أقام[55] سبع سنين يروي قتل عمْرو بن سعيد الأشدق ، فمرة يرجئه ، ومرة يهم به ، ومرة يحجم وأخرى يقدم ، حتى قتله على أخبث حالاته عنده[56] .

أخبر سليمان الخادم قال : أشهد بالله لكنت من الرشيد وهو متعلق باستار الكعبة ، بحيث يمس ثوبي ثوبه ، ويدي يده وهو يقول في مناجاته : ربي[57] اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى ، ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست .

قال بعض أرباب السياسات[58] : ليكن عقابك معجلا وموجلا ، حتى يظن السالم منه أنه سيأتيه، فلا ينبسط إلى العودة إلى مثل فعله، لخوفه من عقوبته. واجعل لذنب السر ، عقوبة السر ، ولذنب[59] العلانية عقوبة العلانية . فإنك إذا عاقبت على ذنب السر علانية ، رأى الناس العقوبة ، وغفلوا عن الذنب ، فرموا رأيك بالفساد ، ونسبوك إلى الظلم ، وإذا عاقبت على ذنب[60] العلانية سرا ، انبسطت[61] عليك الذنوب ، واجترأ الظالم والسفيه . وقد تندر من ذلك ندرات يعاقب فيها السلطان على ذنب العلانية سرا إذ أراد أن يتصف بالحلم[62] .

ابن عباس رضي الله عنه : لا يحل في هذه الأمة غل ولا صفد ، ولا تجريد ولا مد .

فصل

كان النجاشي الشاعر قد هجا بني العجلان ، فضجوا[63] منه ، وسبوا به .

---

(54) ج : إهراق — د : إراقة
(55) أ ، ب ، ج : قام
(56) التاج ص 125
(57) ق : ربه — وفي ج : ربه — محذوفة
(58) د ، ج : السياسة
(59) د : ولذنب الجهر ، العلانية
(60) ج : عن
(61) د : بسطت
(62) بدائع السلك ج 2 ص 162 — 163 .
(63) د : فسخروا

فاستعدوا[64] عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين ، هجانا فقال : وما قال في هجوكم فأنشدوا[65] :

إذا الله عادى أهل لوم وذلة[66]
يعادي بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال لهم عمر رضي الله عنه : إنما دعا عليكم ، ولعله لا يجاب . قالوا : فإنه قال :

قـبـيـلـة لا يخفـرون بـذمـة
ولا يـظـلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضي الله عنه : ليتني من هؤلاء . أو قال : ليت آل الخطاب كذلك . أو كلاما يشبه[67] هذا . قالوا : فإنه قال :

ولا يـــردون الماء إلا عشـــيـــة
إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر رضي الله عنه : ذلك أقل للركاب[68] يعني الزحام قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر رضي الله عنه : كفَى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا : فإنه قال :

ومـا سمي الـعـجلان إلا لـقـولهم
خذ القعب فاحلب[69] أيها العبد واعجل

(64) ق ، د ، ج : واستعدوا
(65) ج ، د ، العمدة ، ك : فانشدوه .
(66) أ ، ب ، ج ، المعمدة : ودقة ، ك : وذقة
(67) ق : يشبهه
(68) العمدة : السكاك
(69) د ، ج : واحلب

فقال عمر رضي الله عنه : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم . قالوا : يا أمير المؤمنين هجانا . قال : ما أسمع ذلك قالوا : فسل[70] حسان بن ثابت . فسأله ، فقال : ما هجاهم ، ولكنه سلح عليهم . وكان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي . ولكنه[71] أراد أن يدرأ الحد بالشبهات[72] فلما قال حسان ما قال ، سجن النجاشي وقيل إنه جلده[73] [74] .

فيما روي عن الحسن أن رجلا أتى رسول الله ﷺ برجل قد قتل حميا له فقال له النبي ﷺ : أتأخذ الدية ؟ قال : لا ، قال : أفتعفو ؟ قال : لا قال : اذهب فاقتله . فلما جاوزه الرجل قال رسول الله ﷺ : إن قتله فهو مثله . قال : فلحق[75] الرجل رجل آخر فقال له : إن رسول الله ﷺ قال : كذا ، فتركه . فولى[76] وهو يجر نسعه[77] في عنقه . قال : ابن قتيبة : لم يرد رسول الله ﷺ أن يقتص وأحب له العفو . فعرض تعريضا أوهمه[78] أنه إن قتله ، كان مثله في الإثم ، ليعفو عنه[79] . وكان مراده أن يقتل نفسا ، كما قتل الأول نفسا . فهذا قاتل ، وهذا قاتل[80] . فقد استويا في أن هذا قاتل وهذا قاتل إلا أن الأول ظالم ، والآخر مقتص . دل[81] الحديث عن رسول الله ﷺ على حب العفو ومباشرة التسبب فيه .

رفع إلى عبد الله بن طاهر بن الحسين قصة مضمونها أن جماعة خرجوا إلى ظاهر البلد للتفرج ، ومعهم صبي ، فكتب على رأسها[82] : ما السبيل إلى فتية خرجوا

---

(70) ج : فسأل — العمدة : فاسأل

(71) ق ، د ، العمدة : ولكن

(72) أ ، ب ، ج : بالشبه ، ق : الشبهة

(73) العمدة : حده

(74) ورد النص في العمدة ج 1 ص 27 — 28 وورد أيضا في الإصابة ج 3 ص 582 — 583 .

(75) أ ، ب : رجلا

(76) ا ، د : وولى

(77) ج : قسعة ، أ ، ب : سيفه

(78) ج : أوهمه أنه إن مثله في الإثم ليعفو عنه

(79) انظر الحديث مع شيء من الاختلاف في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء المجلد 6 ص 131 .

(80) ج : فقد استويا في القتل إلا أن........

(81) ق : دال

(82) ك : على ظهرها

لمتنزههم[83] ، ليقضون[84] أوطارهم على قدر أخطارهم ، ولعل الغلام ابن أحدهم ، أو قرابة بعضهم[85] .

فصـــل

في قبول الشفاعات

روى أهل السير أن قتيلة بنت النضر بن الحارث عرضت للنبي ﷺ ، وهو يطوف ، واستوقفته ، وجذبته[86] حتى انكشف منكبه ، وقد كان قتل أباها ، فأنشدته[87] :

يا راكبا ان الأثيل مطية
من صبح خامسة وأنت موفق
ابلغ[88] به ميتا بأن قصيدة[89]
ما إن تزال بها[90] الركايب[91] تخفق
مني إليـــه وعبرة مسفوحة
جادت لمائحها[92] وأخرى تخنق
فلتسمعن[93] النضر إن ناديته
أم كيف[94] يسمع ميت لا ينطق

---

(83) ج : للتنزه — ق : إلى متنزههم
(84) د : وهم يريدون قضاء أوطارهم ، فقضى لهم ذلك وقال.... وفي وفيات الأعيان : يقضون أوطارهم .
(85) وردت القصة في وفيات الأعيان ج 3 ص 87 — 89 وتاريخ بغداد ج 9 ص 483 .
(86) العمدة : وجذبت رداءه — وكذلك في الإصابة والاستيعاب
(87) د : وأنشدت
(88) نسب قريش : بلغ
(89) د : (على الهامش) تحية ، وكذلك في الإصابة وفي نسب قريش
(90) ق : فيها
(91) نسب قريش : النجائب
(92) الاستيعاب : بواكفها
(93) نسب قريش ، العمدة : فليسمعن — الإصابة : هل يسمعن — الاستيعاب : هل تسمعن
(94) نسب قريش : إن كان يسمع ميتا لا ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تمزق[95]
قسرا[96] يقاد إلى المنية متعبا[97]
رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ها أنت ظئر[98] نجيبة[99]
في قومها والعجل[100] فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من قتلت وسيلة[101]
وأحقهم إن كان عتق يعتق[102]

فقال النبي ﷺ : لو كنت سمعت شعرها هذا[103] ما قتلته[104] .

لما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني ، المنذر بن ماء السماء ، وهو المنذر الأكبر ، وماء السماء أمه ، أسر جماعة من أصحابه ، وكان فيمن أسر شأس بن عبدة في تسعين رجلا[105] من بني تميم ، وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر ، صاحب امرىء القيس ، فقصد الحارث ممتدحا بقصيدته المشهورة التي أولها :

---

(95) د ، العمدة ، ونسب قريش ، والإصابة : تشقق
(96) د ، الاستيعاب : صبرا ، ق : قهرا
(97) العمدة ، ج : معتبا — ق : متبعا
(98) ق : ضئر ، العمدة : نجل
(99) د ، كريمة
(100) نسب قريش ، والاصابة ، العمدة : والفحل
(101) ورد في نسب قريش كالآتي : فالنضر أقرب من تركت قرابة
(102) وردت هذه الأبيات في ص 255 من كتاب نسب قريش لأبي عبد الله المصعبي نشر ليفي بروفنسال — دار المعارف 1953
(103) الإصابة : قبل أن أقتله ما قتلته ، الاستيعاب : قبل أن أقتله لعفوت عنه
(104) ورد هذا النص في الكامل لابن الأثير ج 2 ص 91 هامش 3 وفي سيرة ابن هشام ج 2 ص 68 وفي العقد ج 1 ص 30 وقد ورد في السيرة أن صاحب القصة أخت النضر — وفي هامش الكامل لابن الأثير أنها ابنته كما أورده السهيلي في الروض الأنف . وقد اتفق ابن حجر في الإصابة مع ابن عبد البر في الاستيعاب على أنها قتيلة ابنة النضر . الاستيعاب ج 4 ص 389 — 392 والإصابة ج 4 ص 389 — 390 وكذلك في نسب قريش أن الأبيات لقتيلة ابنة النضر . نسب قريش ص 255 .
(105) د : رجل

طحا بك قلب في الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

فأنشده إياها ، حتّى بلغ إلى قوله :

فلا تحرمني نائلا عن جناية
فإني امرؤ وسط القباب غريب
وفي كل حي قد خبطت[106] بنعمة
فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الحارث : نعم وأذنبه[107] ، وأطلق شأسا أخاه وجماعة أسرى بني تميم ، ومن سأل[108] فيه ، أو عرفه من غيرهم[109] .

كان[110] لأمية بن حرثان ، ولد اسمه كلاب ، هاجر إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه ، فقال أمية :

سأستأذي[111] على الفاروق ربا
له عمد الحجيج إلى بساق

---

(106) د : حظيت

(107) ق : وأذنبه ، د ـــ محذوفة ـــ

(108) ق : سئل

(109) وردت قصة القتال بين المنذر بن ماء السماء وبين جبلة بن الحارث بن أبي شمر ، وهو الحارث الأعرج في الكامل لابن الأثير ج 1 ص 540 إلى 547 . وذكر ابن الأثير قصة شأس وأسره وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير ، منهم شأس بن عبدة فوفد أخوه علقمة على الحارث يطلب إليه أن يطلق أخاه . ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :
طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
إلى قوله : فحق لشأس من نداك ذنوب .
قال الملك : أي والله ، وأذنبته... ثم أطلق شأسا إلى آخر القصة . وذكر مطلع القصيدة أبو عبد الله بن سلام الجمحي البصري (المتوفي سنة 232 هـ) (في طبقات الشعراء الجاهلين والإسلاميين طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة بدون تاريخ) ص 50 ـــ 51 . وقال : إن علقمة العبد هو الفحل أو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد ابن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وذكر القصيدة كاملة أبو العباس المفضل الضبي بن محمد الضبي في المفضليات (تحقيق الأستاذ حسن السندوبي ـــ القاهرة 1926 ـــ ص 186 ـــ 189) . ووردت كاملة في ديوان علقمة الفحل ص 5 (المكتبة الأهلية بيروت) .

(110) ج : وكان

(111) وفي رواية : استعدى الأغاني ج 21 ص11 وهي ما ورد في مخطوطات الشهب . والمعنى واحد

أرى الفاروق لم يردد كلابا
إلى شيخين هامهما زواق

فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإشخاص كلاب ، فما شعر أمية إلا وبه يقرع الباب[112] .

كلم الشعبي عمر[113] بن هبيرة أمير العراقين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى . فقال له أيها الأمير : إن حبستهم بالباطل ، فالحق يخرجهم ، وإن حبستهم بالحق[114] ، فالعفو يسعهم ، فأطلقهم ، وأمثال هذا كثير[115] .

والشفاعة[116] وقبولها امران شرعيان ، وثوابهما عظيم ، وأجرهما جسيم ، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء ، نسأله جل وتعالى رحمته وعفوه في الدارين بفضله وكرمه .

---

(112) ذكر صاحب الإصابة قصة أمية بن حرثان بن الأسكر مع ولده كلاب وقد أورد الأبيات على الصورة الآتية :

أعاذل قد عذلت بغير علم — وما يدريك ويحك ما ألاقي
فإما كنت عاذلتي فردي — كلابا إذ توجه للعراق
سأستعدي على الفاروق ربا — له دفع الحجيج إلى بساق
إن الفاروق لم يردد كلابا — إلى شيخين هامهما زواقي

الاصابة ج 1 ص 64 — 66 وج 3 ص 303 — 304 ... وفي الأغاني رفع وفي الإصابة دفع وفي طبقات فحول الشعراء لابن سلام :

ستأذي على الفاروق ربا — له عمد الحجيج إلى بساق

ج 1 ص 191 .

(113) أ ، ب : عمر

(114) ج : في الخف .

(115) وفيات الأعيان ج 2 ص 15

(116) ج : الشفاعة .

الباب الحادي والعشرون

ذكر السجون وأحوالها وتفقد أهلها وما يلحق بذلك

ليعلم الملك أن الله تعالى أنطق لسان نبيه يوسف الصديق صلوات الله تعالى على نبينا وعليه بالدعاء لأهل السجون فقال : اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ، ولا تعمي عليهم عيون الأخبار ، فمن خلق الملك الصالح أن يحرص على أن يكون من الأخيار الذين عطف الله قلوبهم عليهم ، فيأمر بتعهدهم بالطعام واللباس ، وتنظيف المكان ، وتسهيل سبل العبادات والصون من شدة البرد والحر بإصلاح المبنى ، حيث استقرارهم وتفقد[1] الأمناء المكلفين[2] بهم ، حذرا من أن يليهم من يضيق عليهم في العذاب ، ليفتدوا منه بما يكون لهم من مسكة باقية أو نفقة ضرورية ، فقد حدث من ذلك في بعض المدن[3] ما يهول سماعه ، ويعظم على الدين وقوعه ، نسأل الله العافية من بيع آخرة الملوك بدنيا السجانين .

يقال إن يوسف عليه السلام كتب على باب السجن : هذه منازل البلوى وقبور الأحياء ، وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء[4] ، وإذ قد شهد يوسف الصديق صلوات الله على نبينا وعليه أنها بهذه الأوصاف وأخبر أنها منازل البلوى ، فمن الواجب أن يعرف قدر عذابها[5] ، وشدة نكالها ، وسوء حال أهلها ، فلا يوضع العقاب بها إلا في محله ، ولا ينزل بلاؤها إلا بأهله[6] .

---

(1) د : وتختار
(2) ق : المتكلفين
(3) ق ، ج ، ك : المدد
(4) ورد النص في عيون الأخبار ج 1 ص 79 ثم أورده ابن الأزرق في بدائع السلك ج 2 ص 169
(5) د ، ك : منازلها
(6) عيون الأخبار ج 1 ص 49 والتبصرة ج 2 ص 215

ابن حزم : يعهد الإمام إلى من قلده ولاية من الولايات أن يكون لهم سجن ثقيف للدعار[7] ، ومن تخاف غائلته ، وسجن آخر غير ذلك للمستورين المحبوسين في الديون[8] والآداب[9] واشباهها ، ويتفقد أحوال جميعهم في جميع ذلك ، وسجن للنساء مفرد بواباته ، موثق[10] بهن[11] ، ولو جعل للمستورات[12] المحبوسات في الديون والآداب سجن على حدة من سجن المحبوسات في التهم القبيحات[13] ، لكان حسنا .

قال : ويجعل الإمام لأهل السجن إماما يصلي بهم الجماعة[14] والفرائض ، ويرزقه من بيت مال المسلمين .

يروى أن أبا جعفر المنصور كان في[15] مجلسه المبني على باب خراسان من مدينته التي بناها ، وأضافها إلى اسمه ، فسماها بمدينة المنصور مشرفا على دجلة ، وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الأعلى[16] من طاقه المعقود ، مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه ، وكانت أربعة أبواب فبينما المنصور في هذا المجلس جالس ، إذا جاء سهم عابر حتى سقط بين يديه ، فذعر المنصور ذعرا شديدا ، ثم أخذه ، فإذا[17] مكتوب عليه بين الريشتين :

أتطمع في الحياة إلى التنادي وتحسب أن مالك من معاد
ستسأل عن ذنوبك والخطايا وتسأل بعد ذاك عن العباد

ثم[18] قرأ على الريشة الأخرى :

---

(7) ج : للدعار — د : لتثقيف أهل الدعارة — ك : للدعاوي
(8) ج : الدين — ك : الذنوب
(9) د : والأدب
(10) د : موثوقة
(11) ق : فيهن — محذوفة في د —
(12) د : للمستورين المحبوسين
(13) ج ، ك : القبيحة .
(14) د : الجمعة
(15) في زيادة من بدائع
(16) د : في — ساقطة —
(17) ج : فإذا هو مكتوب من ثلاثة أوجه — مكتوب في الوجه الأول منه بين الريشتين هذين البيتين :
(18) ج : ثم نظر في الوجه الثاني عند الريشة الأخرى ، فإذا فيه مكتوب هذين البيتين . د : وفي الريشة الأخرى .

احسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وساعدتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر[19]

ثم[20] قرأ على الريشة الأخرى :

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه إلى السماء ، ويوما تخفض العالي

قال : وإذا على[21] جانب السهم مكتوب : همذان منها رجل مظلوم في حبسك[22] . فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا السجون[23] فوجدوا شيخا في بيت من السجن ، فيه سراج يسرج ، وعلى بابه جارية ، وإذا شيخ[24] موثق بالحديد ، متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية : « وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ[25] » فسألوه عن بلده ، فقال : همذان ، فحمل ووضع بين يدي المنصور ، فسأله عن حاله فأخبره أنه من مدينة همذان ، ومن أرباب النعم بها وأن واليك علينا دخل إلى بلدنا ولي ضيعة تساوي ألف ألف درهم فأراد أخذها مني ، فامتنعت ، فكبلني بالحديد وحملني ، وكتب إليك أني عاص ، فطرحت في هذا المكان . فقال المنصور : منذ كم ؟ فقال : منذ أربعة أعوام . فأمر بفك الحديد عنه والإحسان إليه وأنزله[26] أحسن منزل ، وقال له : يا شيخ[27] قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت ، وعشنا ، وأما مدينتك همذان ، فقد وليناك عليها ، وأما الوالي ، فقد حكمناك فيه ، وجعلنا أمره إليك ، فجزاه الشيخ خيرا ، ودعا له بالبقاء وقال : يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها ، وأما الولاية فلا أصلح لها ، وأما واليك فقد عفوت عنه . فأمر له المنصور بمال جزيل وبر واسع ، واستحله ،

---

(19) ورد البيتان في ديوان الشافعي منسوبان إليه ديوان الشافعي (دار الثقافة بيروت ص 96)
(20) ج : ثم نظر في الوجه الثالث عند الريشة الثالثة ، فإذا فيه مكتوب هذين البيتين — د : وفي الريشة الأخرى —.
(21) د : في
(22) د : سجنك
(23) د : يفتشون السجون
(24) د : والشيخ موثق في الحديد
(25) آية 227 الشعراء 26 .
(26) د : وأخذ له
(27) د : يا شيخ قد رددناك إلى محلك وأمرنا لك بخراج بلدك

وحمله إلى بلده مكرما ، بعد أن صرف الوالي ، وعاقبه على ما جناه[28] . وسأل[29] الشيخ مكاتبته في مهاته ، وأخبار[30] بلده ، وإعلامه بما يكون من ولاته على الحرب والخراج ثم أنشأ[31] المنصور يقول :

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه يوماً وللدهر إحلاء وامرار
وكل[32] شيء وإن دامت سلامته إذا انتهى فله لابد اقصار[33]

ذكر بعض المؤرخين : أن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب والي بغداد رأى في منامه كأن النبي ﷺ يقول له : اطلق القاتل . فارتاع لذلك ، ونظر في الكتب الواردة لأصحاب السجون[34] فلم يجد فيها ذكر قاتل . فأمر بإحضار السندي[35] وعياش ، فسألها هل رفع إليهما أحد أدعى عليه بالقتل[36] . قال له عياش : نعم ، وقد كتبنا بخبره ، فأعاد النظر ، فوجد الكتاب في[37] أضعاف[38] القراطيس .

وإذا الرجل قد شهد عليه بالقتل ، فأقر به ، فأمر إسحاق بإحضاره ، فلما دخل عليه ، ورأى ما به من الارتياع . قال له : إن صدقتني ، أطلقتك . فابتدأ يحدثه[39] بخبره . وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ، ويستحلون كل محرم وأنه كان اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور ، يعتكفون فيه على كل بلية . فلما كان في بعض[40] الأيام ، جاءتهم عجوز ، كانت تختلف إليهم للفساد ، ومعها جارية بارعة الجمال . فلما توسطت الجارية الدار ،

---

(28) ج : فعله
(29) د : وسأل من الشيخ أن يكتب
(30) د : فأخبار
(31) د : فأنشأ
(32) د ، ك : ولو
(33) وردت هذه القصة الطويلة في مروج الذهب ج 4 ص 135 — 137 كما وردت في بدائع السلك ج 2 ص 174 — 175
(34) ك ، ا ، ب : الجسور
(35) مروج : وعباس
(36) د : بقتل أحد
(37) د : في جملة كتب
(38) ج : أثناء
(39) مروج : يخبره
(40) مروج : هذا اليوم

صرخت صرخة ، فبادرت إليها من بين أصحابي ، فأدخلتها بيتا ، وسكنت[41] من روعتها ، وسألتها عن قصتها . فقالت : إتق الله فيّ[42] ، فإن هذه العجوز خدعتني ، وأعلمتني أن في جيرانها[43] حقا[44] ، لم يكن مثله[45] ، فشوقتني إلى النظر لما فيه . فخرجت معها ، واثقة بقولها ، فهجمت بي عليكم ، وجدي رسول الله ﷺ وأمي فاطمة ، وأبي الحسين[46] بن علي ، فأحفظوهم[47] فيّ[48] . قال الرجل : فضمنت لها أن أخلصها ، وخرجت معها إلى صحابي ، فعرفتهم ذلك ، فكأني أغريتهم بها ، وقالوا : لما قضيت حاجتك منها ، أردت صرفنا عنها ، وبادروا إليها . فقمت دونها أمنع عنها ، فتفاقم الأمر بيننا إلى نالتني جراح ، وعمدت إلى أشدهم كان في أمرها ، وأكلبهم على هتكها ، فقتلته ، ولم أزل أدافع عنها إلى أن خلصتها ، وأخرجتها ، سالمة آمنة مما خافته على نفسها ، وأخرجتها من الدار فسمعتها ، تقول : سترك الله ، كما سترتني ، وكان لك ، كما كنت لي .

وسمع الجيران الضجة ، فدخلوا إلينا ، والسكين في يدي ، والرجل متشحط[49] في دمه ، فرفعت على هذه الحال ، فقال له إسحاق : قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ، ووهبتك لله ورسوله[50] . قال الرجل : فواحق من وهبتني له لا عاودت[51] معصية ، ولا دخلت في ريبة ، حتى ألقى الله . فأخبره إسحاق بالرؤيا التي رآها ، وأن الله تعالى لم يضع له ذلك ، وعرض عليه برا واسعا ، فأبى قبول شيء من ذلك[52] .

---

(41) جميع المخطوطات : وسكنتها ، مروج : وسكنت ، وقد اخترنا قراءة مروج
(42) في مروج الذهب فقالت : الله الله في
(43) مروج : خزانتها
(44) ج : موضعا
(45) أ ، ب ، ق ، ج ، مروج : مثلها
(46) د : الحسن
(47) ج : فاحفظهم
(48) زيادة من مروج
(49) د : يتشحط — مروج : ينشحط
(50) ج : والرسول
(51) د : أعود لمعصية
(52) مروج الذهب ج 5 ص 14 .

ذكر الحميدي في كتاب جذوة المقتبس : أن الوزير أبا جعفر أحمد بن سعيد بن حزم كان جالسا بين يدي مخدومه المنصور بن أبي عامر في بعض مجالسه العامة[53] ، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون ، كان المنصور اعتقله حنقا عليه ، لجرم استعظمه منه ، فلما قرأها ، اشتد غضبه . وقال : ذكرتني والله به ، وأخذ القلم وأراد أن يكتب يصلب ، فكتب يطلق . ورمى الورقة[54] إلى وزيره المذكور ، فأخذ الوزير القلم ، وتناول ورقة[55] ، وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة . فقال له المنصور : ما هذا الذي تكتب ؟ قال : بإطلاق فلان ، فحرد وقال : من أمرك[56] بهذا ؟ فناوله التوقيع ، فلما رآه قال : وهمت ، والله ليصلبن . ثم خط على التوقيع[57] ، وأراد أن يكتب يصلب ، فكتب يطلق ، فأخذ الوزير الورقة وأراد أن يكتب إلى الوالي بالاطلاق فنظر إليه المنصور ، وغضب أشد الغضب من الأول . وقال : من أمر بهذا ؟ فناوله التوقيع ، فرأى خطه ، فخط ، عليه ، وأراد أن يكتب يصلب ، فكتب يطلق ، وأخذ الوزير التوقيع ، وشرع في الكتابة إلى الوالي ، فرآه المنصور فأنكر أكثر من المرتين الأوليين ، فأراه[58] خطه بالإطلاق ، فلما رآه عجب من ذلك وقال : نعم ، يطلق على رغمي ، فمن أراد الله سبحانه إطلاقه ، لا أقدر أنا على منعه . قال ابن حيان ، فسمي طليق الله ، واشتهر بذلك[59] .

---

(53) وفيات الأعيان في جذوة المقتبس : للعامة
(54) ج : الرقعة ــ الجذوة : الكتاب
(55) وتناول ورقة : ساقطة في ج ــ في الجذوة : وتناول رقعة
(56) ق : من أمر بإطلاق هذا
(57) جذوة المقتبس : ما كتب
(58) د : فرأى
(59) جذوة المقتبس ص 126 ــ 127 وبغية الملتمس رقم 411 واعتاب الكتاب 119 ووفيات الأعيان ج 3 ص 328 ــ 329 مع بعض الاختلاف في اللفظ .

الباب الثاني والعشرون

في ذكر بيت المال والعطاء والمنع وسياسة الجنود

قال صاحب السراج : سلكت ملوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم في بيت المال ، خلاف سير[1] الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين . فكانت الملوك تدخر الأموال وتحتجنها[2] عن الرعية[3] ، وتعدها ليوم كريهة ، وكانت الرسل والأنبياء والخلفاء بعدهم تبذل الأموال ، ولا تدخرها وتصطنع[4] الرجال ، وتوسع عليها . فكانت الرعايا[5] هم الأجناد والحماة ، وهذه سيرة نبينا محمد ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين ، وكثير من الملوك ، ومعظم ما أهلك[6] بلاد الأندلس وسلط عليهم الروم أن الروم التي كانت تجاورها[7] ، لم[8] يكن لهم بيوت أموال ، فكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الأندلس ، ثم يدخلون الكنيسة ، فيقسمها سلطانهم[9]

---

(1) د : سائر ، وفي سراج : سيرة
(2) د : وتحجبها ، السراج ، ك ، ق : وتحتجبها
(3) ج ، ك : على الرعية ، السراج : دون الرعية
(4) د : وتصنع
(5) ا ، ب ، د : رعاياهم
(6) د : مهلك
(7) د : تجاورهم
(8) د : ليست بيوت مال إنما كانوا
(9) د : سلاطين الروم ، ك : سلاطينهم

على رجالهم بالطاس[10] ، ويأخذ[11] مثل ما يأخذون ، وقد لا يأخذ منها شيئا ، وإنما كانوا يصطنعون[12] بها الرجال . وكانت سلاطين الأندلس من المسلمين تحتجن[13] الأموال ، وتضيع[14] الرجال ، فكانت للروم بيوت رجال ، وللمسلمين بيوت أموال ، فبهذه الحيلة قهروا وظهروا[15] . فكان كل من يذهب هذا المذهب ، ولا يدخر المال ، يضرب فيه الأمثال[16] ويقال[17] : عدو الملك بيت المال وصديقه جنده ، فإذا ضعف أحدهما قوي الآخر ، وإذا ضعف بيت المال ببذله للحماة ، قوي الناصر ، واشتد[18] بأس الجند . فقوى الملك ، وإذا قوي بيت المال وامتلأ بالأموال ، قل الناصر وضعفت الحماة ، فضعف الملك ، ووثب عليه الأعداء[19] .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي : وقد شاهدنا[20] ذلك في بلاد الأندلس عيانا .

قال : وإنما مثل الملك في مملكته ، مثل الرجل له بستان فيه عين ماء معينة ، فإن هو قام على البستان ، فأحسن تدبيره ، وهندس أرضه ، وغرس أشجاره ، وحفر على جوانبه ، ثم أرسل عليه الماء فاخضر عوده ، وقويت أشجاره ، وأينعت ثماره ، وزكت بركاته ، وإن هو رغب في غلته[21] ومحياه[22] ، ولم ينفق فيه ما يكفيه ، ولا ساق إليه من الماء ما يرويه ، رغبة في الغلة ، وضنة بالماء[23] ،

---

(10) د : بالطسة

(11) د : ويأخذ السلاطين مثل ذلك ، وقد يأخذون منه شيئا

(12) د ، ك : يصنعون الرجال

(13) ج ، ق : يحتجبون — ج : يحتجنون — د : تحتجن — ك : محذوفة

(14) ج : ويضيعون — د : وتضع — ك : محذوفة

(15) ج : وكل من يذهب — د : ومن كان يذهب — ك : وكان

(16) ج : المثال

(17) ا ، ب ، ك : ويقول

(18) ق : فاشتد

(19) ورد هذا النص في السراج ص 124 — 125 من الباب 48

(20) د : شاهدت

(21) د : غلاته

(22) السراج : وجناها

(23) سراج الملوك : بالمال

ضعفت عمارته[24] وذوت[25] أشجاره[26] ، وقلت[27] ثماره[28] ، وذهبت غلته[29] [30]

وفي أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال ، واقتناء الكنوز وقال : إن الرجال وإن تفرقوا عنك[31] اليوم ، فمتى احتجتهم ، عرضت عليهم[32] الأموال ، فتهافتوا عليك . قال له الملك : هل لهذا من شاهد ؟ قال : نعم . هل يحضرنا الساعة ذباب ؟ قال : لا ، قال : فامر باحضار جفنة فيها عسل ، فحضرت فتساقط[33] عليها الذباب لوقتها ، فاستشار السلطان بعض أصحابه ، فنهاه عن ذلك ، وقال : لا تغير قلوب الرجال ، فليس في كل وقت أردتهم ، حضروا . قال : هل لذلك من دليل ؟ قال : نعم ، إذا أمسينا سأخبرك[34] ، فلما أظلم الليل . قال للملك : هات الجفنة ، فحضرت ، فلم تظهر ذبابة واحدة[35] .

وحكى صاحب السراج عن بعض ملوك المشرق أنه كان يجمع الأموال ، ولا يحفل بالرجال ، فقال له أصحابه[36] : إن ضدك يتوعدك ، وكأنك به قد قدم عليك ، فاستعد الرجال ، وأنفق المال[37] عليهم[38] ، فأومأ إلى صناديق موضوعة عنده . وقال : الرجال في الصناديق ، فغزاه ضده ، وقتله ، ولم تسلم[39] الصناديق ، ولا الملك . وكان رأيه فاسدا لأن رجالا يقيمهم لوقته ، ويجمعهم

---

(24) ا ، ب ، ق : عمارتها
(25) د : ووردت — السراج : ودقت
(26) ا ، ب ، ق : أشجارها
(27) د : وقل
(28) ا ، ب ، ق : ثمارها
(29) ا ، ب ، ق : غلتها
(30) سراج ص 125
(31) ج : عليك
(32) ج : المال
(33) ا ، ب ، ج ، ق : فتساقطت
(34) ج : اخبرك
(35) سراج ص 125
(36) ق ، ا ، ب : صاحبه
(37) ج : الأموال
(38) ق : عليه
(39) ج : وقتله ، فاحتوى على المال ، فلم يسلم الملك ولا الصناديق .

عند[40] حاجته ، إنما يكونون أحيانا ليس فيهم غناء ، ولا عندهم دفاع ، ولا ممارسة للحروب[41] .

حكى المؤرخون أن المهدي لما أخلى بيوت الأموال بالنفقة على جنده ، دخل عليه أبو حارثة النهدي ، صاحب أمواله . فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال — ما معنى[42] مفاتيح بيوت فرغت ، ففرق المهدي عشرين خادما في استحثاث الأموال فوردت الأموال بعد أيام قلائل من كل ناحية ، فتشاغل أبو حارثة النهدي بقبضها وتصحيحها عن[43] الدخول على المهدي ثلاثة أيام . فلما دخل عليه قال : ما أخرك عنا ؟ قال : شغلي[44] بتصحيح الأموال. فقال[45] له: أنت أعرابي أحمق ، أكنت[46] تظن أن الأموال لا تأتينا إلا[47] إذا[48] احتجنا إليها . قال أبو حارثة : إن الحادث إذا وقع ، لم ينتظرك ، حتى توجه في استخراج الأموال وحملها[49] .

ذكر هارون بن العباس المأموني في تاريخه أن عماد الدولة أبا الحسن علي بن بويه ، اتفقت له أشياء عجيبة ، كانت سببا لثبات[50] ملكه ، منها أنه لما ملك شيراز في أول ملكه ، اجتمع أصحابه ، وطالبوه بالأموال . ولم يكن معه ما يرضيهم به ، وأشرف أمره على الانحلال ، واغتم لذلك ، فبينما هو مفكر[51] قد استلقى على ظهره في مجلس قد خلد[52] فيه للتذكرة والتدبير ، إذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس[53] ، ودخلت موضعا آخر منه ، فخاف أن تسقط

---

(40) ج : لوقت الحاجة إليهم .

(41) سراج ص 125

(42) في جميع المخطوطات : معناه وفي مروج معنى

(43) ج : على ، ق : عند

(44) د : شغلتني

(45) د ، ك : قال

(46) ا ، ب ، ق ، د : كنت

(47) إلا — ساقطة في ج ، د ، ك

(48) د : إن

(49) مروج الذهب ج 4 ص 169 ووفيات الأعيان ج 7 ص 22

(50) ج ، ك : الثبوت

(51) ا ، ب : يذكر هذا ، استوى مستلقي

(52) ا ، ب : قد خلا إليه للتذكرة والتدبير ، ج : قد خلا فيه إليه للتفكير ، د ، ك : قد خلا فيه للفكرة

(53) ج : البيت

عليه ، فدعا الفراشين[54] ، وأمرهم بإحضار سلم وأن تخرج الحية ، فلما صعدوا وبحثوا عن الحية ، وجدوا[55] ذلك[56] السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين ، فعرفوه ذلك ، فأمرهم بفتحها ففتحت ، فوجد[57] فيها عدة صناديق من المال والصياغات ، قدر خمسمائة ألف دينار ، فحمل المال بين يديه فسر به ، وأنفقه في رجاله ، وثبت أمره[58] بعد أن كان قد أشفى على الانحلال[59] .

ومنها أنه قطع ثيابا وسأل عن خياط حاذق ، فوصف[60] له خياط ، كان لصاحب البلد قبله ، فأمر بإحضاره ، وكان أطرش ، فوقع بباله أنه قد سعى به إليه في وديعة ، كانت عنده لصاحبه ، وأنه طلبه لهذا السبب ، فلما خاطبه ، حلف أنه ليس عنده إلا إثنا[61] عشر صندوقا لا يدري[62] ما فيها . فعجب عماد الدولة من جوابه ، ووجه معه من حملها ، فوجد فيها أموالا وثيابا بجملة عظيمة ، فكانت هذه الأشياء من أقوى دلائل[63] سعادته[64] .

قال صاحب السراج : سمعت شيوخ[65] بلاد الأندلس من الأجناد وغيرهم يقولون ما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم ، وأمر العدو في ضعف وانتقاص[66] ، لما كانت الأرض مقطعة[67] في أيدي الأجناد ، فكانوا يستغلونها ، ويرفقون بالفلاحين ، ويربونهم ، كما يربي التاجر تجارته ، فكانت الأرض عامرة والأموال وافرة ، والجند كثير ، والكراع[68] والسلاح فوق ما يحتاج إليه ، إلى أن

---

(54) ج : بالفراشين
(55) د : فوجدوا
(56) ق ، ج : ذكر
(57) ج : فوجدت
(58) ج : وتوثق
(59) أخذ هذه الحكاية من وفيات الأعيان ج 3 ص 399 — 400 .
(60) د : فوصفوا لها خياطا
(61) ا ، ب : اثني
(62) د : لا أدري
(63) ج : دلائل على
(64) أخذ ابن رضوان هذه الحكاية من مروج ج 3 ص400
(65) السراج : وسمعت بعض شيوخ الأندلس
(66) سراج : وانتقاض
(67) د ، ك : منقطعة
(68) ق : والكرع

كان الأمر في آخر أيام ابن أبي عامر فرد عطايا الجند[69] مشاهرة ، فقبض[70] الأموال على القطع ، وقدم على الأرضين جباة يجبونها . فأكلوا الرعايا ، واحتجنوا أموالهم ، واستضعفوهم ، فتهاربت الرعايا ، وضعفوا عن العمارة ، فقلت الجبايات المرتفعة ، وضعفت الأجناد ، وقوي العدو على بلاد المسلمين ، حتى أخذ الكثير منها[71] .

في السراج : من حق المال أن يؤخذ من حق ويوضع في حق ، ويمنع من سرق[72] .

وفيه أيضا : مر جباة الأموال بالرفق ومجانبة الخرق[73] ، فإن العلقة تنال من الدم بغير أذى ولا سماع صوت ، ما لا تناله البعوضة ، بلسعتها وصوتها[74] .

من كلام الحكماء : المال قوة السلطان وعمارة المملكة ، ولقاحه الأمن ، ونتاجه العدل .

المال حصن السلطان ومادة[75] الملك[76] .

حسن تدبير القليل من المال مع الكفاف ، خير من كثيره مع الإسراف[77] .

حفظ الفوائد أشد من اكتسابها .

خير المال ما أخذ من الحلال[78] ، وصرف في النوال ، وشر المال ما أخذ من الحرام[79] ، وصرف في الآثام .

أرسطاطاليس : الملوك أربعة : ملك سخي على نفسه ، سخي على رعيته .

---

(69) ج : الجيش

(70) د : فقبض الأموال واحتجبها ومضى على ذلك من أتى بعده فضعفت الرعايا والعمارة وقلت الجبايات

(71) ورد هذا النص في السراج ص 123 باب 46 مع بعض الاختلاف

(72) د : السرق

(73) د : الجور

(74) سراج الملوك ص 123

(75) د : ومائدة المملكة .

(76) سراج الملوك ص 122 — 123

(77) في البهجة ج 2 ص 191 : «حسن التدبير مع الكفاف ، خير من التبذير مع الأيسار»

(78) ج : حلال

(79) ج : حرام

وملك لئيم[80] على نفسه ، لئيم على رعيته . وملك لئيم على نفسه ، سخي[81] على رعيته ، وملك سخي[82] على نفسه ، لئيم على رعيته .

فأما الروم فقالت : لا عيب على الملك إذا كان لئيما على نفسه ، سخيا على رعيته . وقالت الهند : اللؤم على نفسه وعلى رعيته صواب ، وقالت الفرس ردا على الهند : الملك السخي على نفسه وعلى رعيته مصيب . واجمع كل منهم أن السخاء على نفسه مع اللؤم على رعيته عيب وفساد للملك .

قال : وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة ، وأن يوصل ذلك إلى من[83] يستحقه بقدر الطاقة ، فمن جاوز هذا فقد أفرط ، وخرج من حد السخاء إلى التبذير . فكل ملك يبذل ما يحتاج إليه في وقت الحاجة ، ويوصل ذلك للمستحقين له ، فهو سخي على نفسه وعلى رعيته ، مصيب في فعله سائس لأمره ، وهذا الذي سمته الأوائل سخيا كريما لا الذي يبذل المواهب ، ويعطي الرغائب من لا يستحقها ، فذلك المبذر المفسد لأموال المملكة[84] .

قال أرسطاليس : والبخل ، في الجملة ، اسم لا يليق بالملوك ولا يقترن بالمملكة . ومتى كان في جبلة ملك من الملوك ، فواجب أن يسلم عطايا مملكته إلى ثقة يرتضيه من خاصته ، كما يلزم من كانت في جبلته قوة التبذير أن يسند[85] عطاياه إلى ثقة يرتضيه[86] من خاصته ومن يمسك عليه[87] .

قال أرسطاليس : أي ملك قد تجاوز في السعة ما ليس فيه تقصير ، وكلف مملكته ما لا تحتمل ، فقد هلك وأهلك ، لما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاءه مال من العمال ، فصبه في المسجد ، ثم أمر مناديا ينادي : من كان له عند رسول الله ﷺ دين أو عدة ، فليحضر . قال أبو أيوب الأنصاري : فقلت : يا خليفة رسول الله ﷺ ، إن النبي عليه السلام قال لي : لو قد جاءني مال ،

---

(80) سياسة : سخي
(81) سياسة : لئيم
(82) سياسة : لئيم على نفسه ، سخي على رعيته
(83) د : لمن
(84) ورد هذا النص مع اختصار واختلاف مع سياسة أرسطو المطبوع ج 1 ص 73 — 74 .
(85) ق : يسرع
(86) العبارة من كان يلزم.... إلى يرتضيه غير موجودة في سياسة أرسطو المطبوع .
(87) سياسة أرسطو ص 4 — مع اختلاف شديد وزيادة ونقصان

أعطيتكه هكذا وهكذا ، وأشار بكفيه ، فسكت فانصرفت ، ثم عاودت ، فقلت : إما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني ؟ فقال : ما أبخل عنك . اذهب فخذ ، فذهبت ، فحفنت حفنة . فقال عدها ، فعددها ، فوجدت فيها خمس مائة دينار . قال عد[88] مثليها ، فانصرفت بألف وخمس مائة دينار ، وأبو أيوب من أغنياء الأنصار وهو نزيل[89] النبي عليه السلام[90] .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي دل الحديث على أن بيت المال للغني وللفقير ، ودل[91] أيضا على أنه لا يجب[92] أن يتساوى فيه جميع المسلمين ، بل ذلك موكول إلى اجتهاد الإمام .

والدليل عليه أن النبي ﷺ قال له العباس: اعطني من هذا المال، فقال له: اذهب فخذ فبسط ثوبه ، وحشى فيه ، فلما جاء يحمله عجز عنه . فقال : يا رسول الله ، مر من يحمله[93] علي . فقال : لا ، فنثر منه ، ثم حمله على عاتقه ، فأتبعه النبي ﷺ بصره ، حتى غاب عنه .

روي أن عمر بن الخطاب قال لجرير ، والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم : سر إلى قومك فما غلبت عليه ، فلك ربعه ، فلما جمعت غنائم[94] جلولاء ادعى جرير أن له ربع ذلك كله . فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر : صدق جرير ، قد قلت ذلك له ، فإن شاء أن يقول : قاتل هو وقومه على جعل ، فاعطوه جعله ، وإن يكن إنما قاتل لله ولرسوله ولدينه وحسبه ، فهو رجل من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، فلما قدم الكتاب على سعد ، أخبر بذلك جريرا ، فقال جرير : صدق أمير المؤمنين لا حاجة لي به ، بل أنا رجل من المسلمين .

دل هذا الاثر على أن للامام[95] أن يسهم من الغنائم قبل الفتح ، وأن يخص

---

(88) أ ، ب : عد ثانيا بها

(89) د : وهو الذي نزل عنده

(90) سراج صفحة 125 — 126 باب 28

(91) ج : دل

(92) د : يتساوى فيه جميع المسلمين

(93) د ، ج : يحمل

(94) ق : جليلة

(95) ق ، د : إن الإمام بسهم

منها بحظ[96] غير معلوم القدر، بحسب اجتهاده للمصلحة في ذلك.

قدم رجل من فقهاء خراسان من سكان خوارزم على بعض ملوك الهند في هذه الأعصار[97] القريبة رسولا بهدية، واختار الاقامة عنده فصيره في[98] ندمائه، فلما كان ذات يوم، قال له: ادخل إلى الخزانة، فارفع منها قدر ما تستطيع أن[99] تحمله من الذهب. فذهب إلى داره، فجاء بثلاث عشرة خريطة، وجعل في كل خريطة قدر ما وسعته، وربط كل خريطة بعضو من أعضائه، وكان صاحب قوة، وقام بها، فلما خرج عن الخزانة، وقع ولم يستطع النهوض، فأمر السلطان بوزن ما خرج به، فوجد[100] فيه ثلاثمائة وخمسة وعشرين رطلا بالرطل المصري، فأمره أن يأخذ جميع ذلك، فأخذه وذهب به.

قدم على رسول الله ﷺ وفد من العرب فأعطاهم، وفضل رجلا منهم. فقيل له في ذلك. فقال: كل القوم عيال عليه.

أعطى النبي ﷺ يوم حنين المؤلفة قلوبهم، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة ابن حصن مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس خمسين، فشق ذلك عليه، وقال أبياتا، فأتاه بها، وأنشده إياها وهي:

أتجعل[101] نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عـيـيـنـة والأقـرع
وما كان حصن ولا حابس ... يـفـوقـان مـرداس في مجمع
ومـا كـنـت دون امرئ منهما ... ومـن تضـع اليـوم لا يرفع

فقال رسول الله ﷺ لبلال: اقطع عني لسان العباس، فأعطاه حتّى أرضاه[102].

قال صفوان بن أمية: لقد غزوت مع رسول الله ﷺ: وما خلق الله خلقا

(96) ج: بغير حظ معلوم
(97) ج: الأمصار
(98) ج: من
(99) ج: حمله
(100) د: فألفي
(101) أ، ب، ج، ك: أيذهب
(102) العقد الفريد جـ 1 ص 40 وقد ورد النص في الاصابة في تمييز الصحابة من الأول إلى البيت الأولين ج 2 ص 272 كما ورد النص في الاستعاب ج 3 ص 101 إلى 103

أبغض إلي منه ، فما زال يعطيني حتّى ما خلق الله خلقا أحب إلي منه ، وكان (صفوان[103] بن أمية) من المؤلفة قلوبهم[104] .

معاوية رضي الله عنه في وصيته لابنه يزيد : أعط من أتاك صادقا بما تكره ، كما تعطي من أتاك كاذبا بما تحب[105] ، وأعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على الغناء ، فسد ملكه .

قال أبرويز لابنه : لا توسعن[106] على جندك فيستغنوا عنك ، ولا تضيقن[107] عليهم ، فيضجروا[108] منك ، أعطهم عطاء قصدا ، وامنعهم منعا جميلا ، ووسع عليهم في الرجاء[109] ، ولا تسرف لهم في العطاء[110] .

قال المنصور يوما في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجع كلبك يتبعك ، فقال أبو العباس الطوسي : يا أمير المؤمنين ألا تخشَى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ؟[111] .

يروى أن بعض أمراء العرب كان ظالما لرعيته. شديد الأذَى لهم في أموالهم. فعوتب في ذلك فقال : أجع كلبك يتبعك، فوثبوا عليه[112] . فقتلوه. فمر به بعض الحكماء فقال : ربما أكل الكلب صاحبه، إذا لم يجد شبعه[113]. وفي نقيض هذا قالوا : سمن كلبك يأكلك، وذلك أن رجلا كان له كلب يسقيه

---

(103) زيادة من العقد الفريد
(104) العقد الفريد ج 1 ص 140
(105) بما تحب سقطت من ك
(106) في جميع النسخ : لا توسع . وفي عيون الأخبار وسراج الملوك ونهاية الأرب ، والفخري : لا توسعن وقد فضلنا القراءة الأخيرة
(107) د ، سراج الملوك ، الفخري : نهاية الأرب : لا تضيق
(108) أ . ب ، ق : فيضجوا — نهاية الأرب : يضجون
(109) السراج . ك : الرخاء ، أما الفخري فيتفق مع ابن رضوان حيث ورد فيه : الرجاء
(110) السراج ص 122 وعيون الأخبار جـ 1 ص 11 — نقلا عن التاج . ونهاية الأرب جـ 6 ص 17
(111) السراج 122 والعقد جـ 1 ص 14 ج 1 ص 11 والفخري ص 57
(112) ج : عليه
(113) التمثيل ص 354 . السراج ص 122 وعيون الأخبار جـ 1 ص 11 والفخري ص 57

اللبن ، ويطعمه اللحم ، ويرجو أن يصيب به خيرا فيحرسه ، ويصيد به ، فأتاه ذات يوم وهو جائع ، فوثب عليه الكلب ، فأكله ، فقيل : سمن كلبك يأكلك[114] .

ذكر بعض المؤرخين[115] عن سعيد بن تكسير[116] قال : كنت واقفا بين يدي المتوكل في مضربه بدمشق إذ شغب الجند ، واجتمعوا وضجوا يطلبون أعطيتهم[117] ، وخرجوا إلى تجريد السلاح ، والرمي بالنشاب ، فأقبلت أرَى السهام تقع في الرواق ، فقال لي : يا سعيد أدع لي رجاء الحضاري فدعوته ، فدخل ، فقال له : يا رجاء أما ترَى ما قد خرج إليه هؤلاء ، فما الرأي عندك ؟ قال : يا أمير المؤمنين قد كنت مشفقا في هذا السفر من مثل هذا ، وأشرت بما أشرت به من تأخيره ، فمال أمير المؤمنين إليه فقال : دع ما مضَى . وقل الآن فيما حضر برأيك . قال له : يا أمير المؤمنين توضع الأعطية فيهم قال له : فهذا ما أرادوا ، وفيه[118] مع ما خرجوا إليه ما تعلم . قال رجاء : يا أمير المؤمنين مر[119] بهذا . يبين الرأي بعده . فأمر عبيد الله بن يحيَى ، فوضع الأعطية فيهم ، فلما خرج المال ، ونودي بانفاقه ، دجل رجاء فقال : مر الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل إلى العراق ، فإنهم لا يأخذون مما أخرج لهم شيئا ، ففعل ذلك ، فترك الناس الأعطية ، ورجعوا ، حتَّى إن المعطى ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه ، فلا[120] يأخذه[121] رجل من أصحابه قد أسرع إلى دابته والحشيش في فمها ، فأخرجه من فيها[123] خوفا أن تلوكه بعد سماعه النداء ، وأقبل على الدابة كالمخاطب لها فقال لها

---

(114) التمثيل ص 354
(115) د : بعضهم
(116) مروج : نكيس
(117) ج ، ك ، ومروج : الأعطية د : العطاء
(118) مروج : وفيه وجميع النسخ : وفيهم
(119) ـــ مر ـــ زيادة من مروج ليستقيم المعني
(120) ج : فلا يأخذ منه شيئا
(121) أخذ ابن رضوان النص من مروج ج 5 ص 32
(122) ق ، ك : الربيع
(123) د : فمها خوف

بالفارسية : ما معناه قال الأمير اقطعوا الدواب عن الرطبة . وأنه رأى في عسكره رجلا من قواده ذو مرتبة ودرع الحديد على بدنه ، لا ثوب بينه وبين بشرته ، فقيل له في ذلك فقال : نادَى منادى الأمير : البسوا السلاح وكنت عريانا ، أغتسل من جنابة ، فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب عن السلاح .

وكان الرجل إذا أتاه راغبا في خدمته ، مؤثرا للانقطاع إليه . تفرس فيه ، فإذا أعجبه منظره ، امتحنه واستبرأ[124] ما عنده من رمي أو طعان أو ثقاف ، فإذا رأى منه ما يعجبه ، سأله عن خبره وحاله ، من أين أقبل[125] ومع من كان ، فإذا وافقه ما سمع منه ، قال له : أتصدقني[126] عما معك من النفقة والمتاع والسلاح ، فيقف على جميع ما معه[127] ، يبعث أناسا قد رتبوا لذلك ، فيبيعون جميعه ، ويجعلونه[128] ذهبا أو ورقا ، ويدفع إليه ويثبت في الديوان ، ويجري عليه اللباس والسلاح والآلة والمأكل والمشرب[129] والدواب والبغال والحمير من اصطبله ، حتى لا يفقد الرجل جميع ما احتاج إليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته .

فإن نقم[130] عليه بعد ذلك مذهبه ، ولم يرض اختياره ، سلبه جميع ما أنعم به عليه ، حتى يخرج من عسكره نحو[131] ما دخل إليه[132] ، محتملا بما معه[133] من ذلك العين والورق ، إلا أن يكون ذلك الرجل مقتصدا[134] ، فيصير له فضل من ارتزاقه ، لا يمنعه مع ما كان له .

---

(124) د : واطلع

(125) ج : أقبلت وعند من كان

(126) د : أبصرني ما

(127) ج : عنده

(128) ق : يجمعون ، د : يجعلونه ــ ك : ويجعلون ثمنه

(129) د : والمشارب

(130) ق ، ك : نقض

(131) د : كما دخل

(132) ق ، ك : عليه .

(133) ا ، ب ، د ، ق : عنده ، ج ، مروج : معه

(134) مروج : معتضدا

وكان قد اتخذ لنفسه عريشا من الخشب يشبه السرير العظيم مرتفعا على الأرض ، يعلو على شقاق يضربه معه حيثما توجه[135] ، فيكثر الجلوس فوقه[136] ويشرف على أهل معسكره[137] ، وعلى قضيم دوابه ، ويرمق الخلل من وكلائه ، فإذا رأى الخلل بادر بتغييره ، وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على الاختبار[138] لهم والغنى الظاهر منهم ، والنكاية في حروبهم ، فجعلهم أصحاب أعمدة الذهب ، وكل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ، ثم يليهم في البأس والغنى فوج ثان أصحاب الأعمدة من الفضة ، فإذا كان في الأعياد أو في الأيام التي يحتاج فيها إلى مباهاة الأعداء والاحتفال ، دفع إليهم تلك الأعمدة ، وإنما ضربت عدة للنوائب . ولما واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد الحسني بطبرستان وذلك سنة ستين ومائتين ، وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين ، وانكشف الحسن بن زيد ، فامعن يعقوب في طلبه ، وكانت معه رسل المعتمد على الله ، وهم راجعون من طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم ، لما رأى من طاعة رجاله له ، وما كان منهم في تلك الحروب : ما رأيت أيها الأمير كاليوم . قال له يعقوب : وأعجب مما رأيته[139] ما أريك[140] إياه ، ثم قربوا من الموضع الذي كان فيه الحسن بن زيد فوجدوا البدر والعدد والسلاح والكراع وجميع ما خلف في العسكر حين الهزيمة على حاله ، لم يتلبس أحد من أصحابه به ، ولا دنوا منه . فقال له الرسول[141] : هذه سياسة ورياضة راضهم الأمير بها إلى أن تأتي له منهم ما أراد[142] .

في المقتطف : من كلام الرشيد ، وقد شغب الجند عليه ، ثم سكنوا[143] بعد إيقاع بهم : أما بعد فقد كان لكم ذنب ولنا عتب ، وكان منكم اصطلام ، ومنا انتقام ، وعندي بعد هذا لكم التنفيس عن المكروبين ، والتفريج عن المغمومين ،

---

(135) ا ، ب ، د ، ق : وجه ، ج ، ومروج : توجه

(136) ج ، ومروج : عليه

(137) في جميع النسخ عسكره وفي مروج معسكره

(138) مروج : الاختبار

(139) ج : رأيت

(140) د ، ق ، ج : أوريك ، ك : أريكه

(141) د : لهم الرسل

(142) أخذ ابن رضوان هذه القصة من مروج الذهب ج5 ص 111 — 113

(143) ق ، ج : سكتوا

والإحسان إلى المحسنين ، والتعمد[144] لإساءة المسيئين وأن لا[145] ينكر[146] لكم بلاء ولا يحبس عنكم عطاء ، وعليّ إن شاء الله بذلك الوفاء .

من أبلغ السياسة معرفة أمير الجيش منازل طاعات أصحابه واستدعاؤه صحبتهم بلين الكلمة وخفض الجناح وطيب الكلام ورد السلام واعطاء الحقوق[147] واستعمال الصدق في الوعد والوعيد .

كان[148] بعض ملوك العراق إذا عرض عليه الجند ، يحضر بين يديه القسي ، فيختبر بها الرماة ، ويعمل لكل واحد مرتبة على قدر منزلته في النجدة والعناء ، ومن أراد أن يثبت في الفرسان ، اختبر في حلبة معدة لذلك ، وهنالك[149] خاتم معلق في حائط صغير ، فيجري فرسه حتى يحاذيه ، فإن رفعه برمحه فهو جيد عندهم ، ومن أراد أن يثبت راميا فارسا ، فهنالك[150] كرة موضوعة في الأرض ، فيجري فرسه ، ويرميها ، وعلى قدر ما يظهر من الإنسان في ذلك من الإصابة ، تكون مرتبته .

قال بعضهم[151] : الجندي المراد للحرب يجب أن يعتبر[152] فيه خصلتان : إحداهما ، الشدة ، والثانية ، المروءة ، لأن[153] بالشدة يقاتل ، وبالمروءة يثبت ، وتشتد بها حميته[154] ، فتزيد[155] في شجاعته[156]

---

(144) ا ، ب : والتعهد

(145) د ، وإلا ، ج : ولأن لا

(146) ق : لا يكفر ، ك : يفكر .

(147) ق ، د ، ج : الحق

(148) ج : وكان

(149) ج : وهناك

(150) ج : وهناك

(151) من الواضح أن ابن رضوان يقصد بعبارة « قال بعضهم » — يقصد — المرادي

(152) سياسة المرادي : تعتبر

(153) سياسة المرادي : لأنه

(154) ج : حاميته

(155) سياسة المرادي : فيزيد

(156) إضافة من سياسة المرادي : ومائة من كبار الجند يتبعهم خلق كثير ومائة من صغارهم يهرب منهم جزء كثير .

يجب[157] اختيار[158] الجند بأزمتهم وقوادهم[159] ، ومن لا يخفي[160] عن[161] الأمير شيئا من أحوالهم ، ولا يغفل عن حوائجهم وأرزاقهم ، فيؤدي ذلك إلى اختلال أحوالهم وفساد قلوبهم ، ويجب على الملك[162] أن يعرف لكل واحد منهم حق نجدته ، ولا ينسى له محمود أفعاله ، وليعلمهم بالغرض الذي يجرون إليه في[163] خدمته والقدر الذي يستحقون عليه من كرامته ، وإن لم يعلمهم ذلك بلسانه ، أعلمهم إياه بعادته[164] ، ولا يمكن أهل الغنى[165] عنده من التدلل عليه ، ولا من الافتيات على رعيته ، وليرضهم[166] رياضة تؤدي[167] بكل[168] واحد منهم إلى[169] الوقوف عند حكمه ، والمبادرة إلى امتثال أمره . وإذا قوى السلطان جنده باضعاف رعيته ، فهو مضيع[170] لجنده ، متلف[171] لملكه ، وكذلك إذا ضعف جنده بقوة رعيته ، فليكن غرضه العدل في سيرته وجبايته بين جنده ورعيته[172] .

قالوا : ويستحب للسلطان أن يكون جنده اجناسا مفترقة ، وقبائل شتى ، بحيث لا يتهيأ منهم الاتفاق على رأي واحد في الخلاف ، وأن يسوس جنده سياسة تخرج شيوخه ورعيته عن الاتفاق والصداقة وعن الخلاف والعداوة ، فإن الأمرين جميعا يعودان عليه بالمضرة .

---

(157) ج ، سياسة المرادي : ويجب

(158) سياسة المرادي : تثقيف

(159) إضافة من سياسة المرادي : وعرفائهم

(160) د : وألاّ يخفى على الأمير شيء

(161) سياسة المرادي : على الوالي والأمير

(162) سياسة المرادي : الولي

(163) سياسة المرادي : من

(164) سياسة المرادي : بعاداته

(165) سياسة المرادي : البلاء منهم عنده

(166) ج : ولا يرضيهم

(167) سياسة المرادي : تؤذن

(168) ق ، د ، ج : سياسة المرادي : كل

(169) سياسة المرادي : بالوقوف

(170) سياسة المرادي : مضعف

(171) سياسة المرادي : ومتلف

(172) سياسة المرادي : ص 49 — 50

ومما يجب أن يجتنبه إيثار بعض الأجناد والحاشية ، بما لا يليق به ولا يستحقه بعمله ، فان ذلك مفسد لمن[173] فضلته ، ولمن فضل عليه . أما[174] الذي فضلته ، فإنه يتيقن أن عطيتك بالهوى ، فيخاف أن ينتقل هواك عنه ، فهو أبدا خائف من جهتك ، مرتقب لتنقلك ، وأما الذي فضلته عليه ، فقد أعطيته الحجة على نفسك ، وأعلمته أن غيره آثر في رأيك ، وأقرب منه بغير استحقاق إلى قلبك ، وفي ذلك أيضا داعية إلى الاتكال على المصادقة وترك الأعمال التي تنال بها المنزلة .

قال بعضهم : منع الجميع أرضى للجميع .

سأل معاوية رجلا عن زياد ، فكان من[175] سؤاله : كيف عطاياه ؟ قال : يعطي حتى يقال جواد ، ويمنع حتى يقال بخيل ، فقال معاوية : إن العدل لضيق .

في[176] محاسن البلاغة : لا تستصلح نيات الجند إلا بادرار أرزاقهم ، وسد حاجاتهم ، والمكافأة لهم على قدر عنائهم وبلائهم .

قال صاحب السراج : ينبغي للملك أن يتفقد جنوده[177] كتفقد صاحب البستان لبستانه[178] ، فيقلع العشب الذي لا ينفعه ، ومن العشب ما لا ينفع ، ومع ذلك يضر بالنبات النافع ، فهو بالقلع أجدر . ولا يستصلح الجند إلا بادرار أرزاقهم وسد حاجاتهم[179] ، والمكافأة[180] لهم على قدر عنائهم وبلائهم .

شكا[181] بعض أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم ، فدخل على هشام . فقال : يا أمير المؤمنين لو أن مناديا ينادي يا مفلس ، لم يبق من أصحابك أحد إلا التفت ، فضحك وأمر بأرزاقهم .

---

(173) د : لمن هو أفضل منه

(174) ج : وأما

(175) د : مكان — « فكان من سؤال » — ورد : قال

(176) د : وفي

(177) سراج : جنده

(178) ق ، سراج : بستانه

(179) ق : حاجاتهم

(180) ج : والمكافات

(181) بعض : زيادة من د

من[182] كلام بعض الحكماء : من أضاع الجند في السلم ، لم يجدهم في الحرب ، ولا ينفع العطاء عند الحاجة . فإنهم يعلمون أن المال إلى الإقلال .

ومن كلام بعضهم : واحد من جيد الجند خير من ألف رديء .

الملك بالرجال ، والجند بالأموال ، والأموال بالعمران ، والعمران بالعدل[183] .

من[184] أهم الانصاف لأرباب المرتبات من غير مطل ، إذ لا بد من عطائها ، فتعجيلها لحين وجوبها ، أحسن ، لأن تأخير العطاء يحوجهم إلى المداينات من رؤسائهم وغيرهم فيضعفهم ذلك ، وتقل فائدة العطاء بعد التأخر .

قال رسول الله ﷺ : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم ببسط الوجوه وحسن البشر .

قالوا مكتوب في التوراة : ليكن وجهك بسطا ، وكلمتك لينة ، تكن أحب إلى[185] الناس ممن يعطيهم العطاء .

ومن كلام الحكماء : طلاقة الوجه تقوم مقام البذل والعطاء[186] .

قال الشاعر :

أضاحك ضيفي قبل انزال[187] رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف في كثرة القرى ولكنما[188] وجه الكريم خصيب

من كلام بعضهم : إن قصرت يدك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر.

---

(182) د : ومن
(183) سراج الملوك ص 52 نهاية الأرب السفر 6 ص 3 — 5 التمثيل والمحاضرة ص 136 — العقد الفريد ج 1 ص 88 مع اختلاف ، وقد سبق وورد هذا النص في مكان آخر ص 22 .
(184) د ، ج : ومن ، د : ومن الانصاف تعجيل العطاء لأربابه لئلا يحوج الجند إلى السلف فيضعفون بذلك
(185) أ ، ب : من
(186) العطاء — وردت في ج فقط —
(187) ج : بل لا نزال
(188) د : ولكنه

فصــل

في ذكر قواد الأجناد

في[189] محاسن البلاغة للتدميري : لا يصلح لقيادة الجيوش إلا الشريف المتواضع المتقدم في النصيحة ، والشهرة بالنجدة ، والخبرة بالحروب ، وحسن المواساة[190] للاتباع ، وسخاء النفس ببذل المال .

وينبغي لقائد الجيش أن يكون لين الكنف للجند ، مقوما لهم على صالح الأدب ، مانعا لهم من العداء على الرعية ، شاغلا لهم بانتهاز الفرصة من غير تعريض لغرر[191] .

في الكتاب[192] المذكور : رئيس العسكر إن لم يكن شجاعا مدبرا ، كان على من معه آفة ، وليس لمن[193] معه عونا . العسكر الضعيف بالرئيس الحازم الشجاع قوي ، والعسكر القوي بالرئيس العاجز المضيع ضعيف .

أسد يقود ألف ثعلب ، خير من ثعلب يقود ألف أسد .

القائد الحازم كالتاجر الحاذق إن رأى ربحا ، تجر ، وإلا تحفظ برأس ماله ، ولا يطلب الغنيمة حتى يحوز السلامة .

القائد الحازم تارك للمخاطرة والمناجزة ، عامل بالمطاولة والمحاجزة ، إلى امكان الفرصة ، ووجود الغرة .

القائد الحازم من لا يرى غنيمة مع ضيعة ، ولا ظفرا مع تغرير ، ولا معقلا مع غرة ، ولا ربحا إلا بسلامة[194]

قال صاحب السراج : الشأن كل الشأن في استجواد القواد ، وانتخاب

---

(189) د : وفي

(190) د : المراسلة

(191) أ ، ب ، د : لغدر

(192) ج : وفي

(193) ق ، ج : ولمن ليس معه عونا

(194) د : السلامة

الأمراء ، وأصحاب الألوية فلا ينبغي[195] أن يقدم على الجيش إلا الرجل[196] ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجزالة ، ثبت الجنان ، صارم القلب ، رابط[197] الجأش ، صادق البأس ، قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ، ونازل[198] الأقران وقارع الأبطال ، عارفا بمواضع الفرص ، خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب ، وما الذي يجب[199] سده بالأبطال والحماة من ذلك ، بصيرا بصفوف العدو ومواقع الغرة منه ومواضع الشدة ، فإنه إذا كان كذلك ، وصدر الكل عن رأيه ، كان جنده مشبهين[200] له[201] .

يروى أن معز الدولة كان له مملوك تركي بارع الجمال ، فبعث سرية لمحاربة بعض بني حمدان ، وجعل المملوك المذكور مقدم الجيش ، وكان الوزير المهلبي يرَى أنه ليس ممن يصلح لقيادة الجيوش ، فقال في ذلك :

طفل يرق الماء في ... وجناته[202] ويرف عوده
ويكاد من شبه[203] العذا ... رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره ... سيفا ومنطقة تؤوده
جعلوه قائد عسكر ... ضاع الرعيل ومن يقوده[204]

قال أهل التاريخ : وكذلك كان ، فإنه لم ينجح في تلك الحركة وكانت الكرة عليهم .

قالوا : وينبغي للقائد العظيم القيادة أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم : سخاوة الديك وتحنن الدجاجة وشجاعة الأسد ، وحملة الخنزير

(195) ج : يقوم
(196) ج : ذا
(197) ج : ثابت
(198) ج : ونازع
(199) سراج : شحنة
(200) ق : مشتبهين ، د : مثيلا ، سراج : كأنه مثله
(201) سراج : ص 174 — الباب 61 — مع اختلاف في الألفاظ
(202) ج : جنباته
(203) أ ، ب ، ج ، د : شبيه
(204) أخذ ابن رضوان هذه القصة من وفيات الأعيان جـ 1 ص 126 ويتيمه الدهر ص 239 وفوات ص 260 .

وروغان[205] الثعلب ، وصبر الكلب على الجرح[206] ، وحراسة الكركي وغارة[207] الذئب وسمن تعدو ، وهي دويبة بخراسان تسمن على التعب والشقاء[208] .

أرسطاطاليس : الاجناد زبدة[209] المملكة وبهاء الدولة ومدار أمرك على الرتبة[210] الفاضلة في ترتيب الأجناد ، حتى لا يخفى عليك حال البعيد والقريب ، وتخف مؤنة ترتيب البعث والمدد[211] .

قال : وذلك أن أقل الأمراء أربعة ، وإنما قلت أربعة ، لأن كل موضع من الأرض له أربع نواحي ، خلف[212] وقدام ويمين وشمال ، وكذلك نواحي العالم أربع شمال وجنوب[213] وقبول ودبور[214] ، فيتولى كل أمير سد ربعه ، فإن أردت أكثر ، فليكونوا عشرة لأن العشرة هي الأربعة الكاملة ، لأن في الأربعة واحدا[215] واثنين وثلاثة وأربعة — فإذا جمعت ذلك ، كان المجتمع عشرة ، وهو كمال ما أحاطت به الأربعة من الأعداد — ويتبع كل أمير عشرة نقباء ، ويتبع كل نقيب عشرة قواد ، ويتبع كل قائد عشرة عرفاء ، فذلك ألف ، فينجذب[216] مع كل عريف عشرة رجال ، فذلك[217] عشرة آلاف ، فمتى احتجت إلى ألف[218] ، أمرت نقيبا واحدا ، فانجذب معه عشرة عرفاء ، مع كل[219] عريف

---

(205) أ ، ب : رغاوة

(206) سراج : الجراح

(207) د : وغيرة

(208) ورد النص مع اختلاف في السراج ص 174 وكذلك في عيون الأخبار مع اختلاف ج 1 ص 155 وفي التمثيل والمحاضرة ص 154 وفي بدائع السلك ج 1 ص 204 وفي سياسة المرادي ص 52

(209) د : زبد

(210) أ ، ب : المرتبة ، د : المرتبة

(211) ج : العدد

(212) ج : أمام وخلف ويمين وشمال

(213) ج : جنب

(214) ج : ودبر

(215) د : واحد واثنان

(216) ق ، ج : وينجذب

(217) سياسة أرسطو : فجميع ذلك مائة ألف قاتل

(218) سياسة أرسطو : مائة

(219) أ ، ب : كل واحد

عشرة رجال فذلك مائة ، وان احتجت إلى عشرة أمرت عريفا واحدا ، فانجذب معه عشرة ، فتخف المؤنة عليك ، وتقف على ما تحب من أمورك ، ويقل تعبك بالجند ، لأن كل رجل يدبر عشرة من دونه ، فيتيسر الأمر ، ويحضر من أحببته لأول وهلة ، ويكون[220] الجند تحت رقبة كل أحد[221] ممن فوقه درجة فوق درجة ، ويجب أن يكون عليهم منك رقبة تبعثهم على مهابتك والتعظيم بك ، ولا تمكنهم من القرب منك عند السلام عليك .

ولا تجعل لهم سبيلا إلى مكالمتك جهرا ، فكيف سرا ، فإن هذا سبب الإنبساط عليك ، والاستخفاف بك ، وربما كان في ذلك الهلكة بالغدر على ما جرى لتامطيوس الملك وغيره ، واعهد إليهم أن يرفعوا حوائجهم ورغباتهم إليك في بطائق تصل على يد ثقة تلزمه هذه الرتبة وتتصفح البطائق ، فما ظهر لك انفاذ العهد به ، فنفذه على ظهر كتابه ، فإنه تشريف له ، وتنويه به ، وفخر يبقى في عقبه ، ويزيد في نصحه واستعباده ، وما لم يجب النظر فيه ترك فيكون صرفا جميلا ، وأطعمهم في الفصول والأعياد ، فإن هذا عندهم من أرفع ما تكرمهم به ، وتتحبب[222] إليهم من أجله[223] .

فصل

في تقدير عطاء الجند

قال صاحب الأحكام السلطانية : وهو معتبر بالكفاية ، حتى يستغني بها عن التماس مادة تقطعه عن حماية الحوزة[224] ، والكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه :

أحدها : عدد من يعول من الذراري والمالك[225] .

والثاني : عدد ما يرتبطه من الخيل والظهر .

---

(220) ج : ويكن

(221) د : واحد

(222) ج : وتحبب

(223) ورد النص مع اختلافات واضحة وكثيرة في الألفاظ مع سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ص 147

(224) الأحكام : البيضة

(225) الأحكام : المماليك

والثالث : الموضع الذي يحله في الغلاء والرخص ، فتقدر كفايته[226] وكسوته لعامه كله ، فيكون هو[227] المقدر في عطائه ، ثم تعترض[228] حاله في كل عام ، فإن زادت رواتبه الماسة ، زيد ، وإن نقصت ، نقص .

واختلف الفقهاء إذا تعذر رزقه بالكفاية هل يجوز أن يزاد عليها ، فمنع الشافعي من زيادته على كفايته[229] وإن اتسع المال ، لأن[230] أموال[231] بيت المال[232] لا توضع إلا في الحقوق اللازمة .

وجوز أبو حنيفة زيادته على الكفاية ، إذا اتسع المال لها ، ويكون وقت العطاء معلوما ينتظره الجيش لوقته ، وإذا أراد ولي الأمر ، اسقاط بعض الجيش[233] لسبب أوجبه أو لعذر اقتضاه جاز ، وإن كان لغير[234] سبب ، لم يجز ، لأنهم جيش المسلمين في الذب عنهم .

وإذا أراد بعض الجيش[235] اخراج نفسه من الديوان جاز مع الاستغناء عنه ، ولم يجز مع الحاجة إليه ، إلا أن يكون معذورا .

وإذا جرد[236] الجيش للقتال[237] فامتنعوا وهم أكفاء من حاربهم[238] ، سقطت أرزاقهم ، وإن ضعفوا عنه[239] ، لم تسقط ، وإذا نفرت[240] دابة أحدهم في حرب ، عوض عنها . وإذا استهلك سلاحه فيها ، عوض عنه ، وإن لم

---

(226) د ، والأحكام : كفايته في نفقته

(227) الأحكام : هذا

(228) د : يعترض ، الأحكام : تعرض

(229) د : الكفاية

(230) د : المال لها

(231) ج : الأموال

(232) بيت المال — محذوفة في ج

(233) ج : الشيوخ

(234) وفي د ورد والا فلا — مكان : « وإن تغير سبب لم يجز » .

(235) د : الجيوش

(236) د : هيأ

(237) الأحكام : لقتال

(238) ج : لمن

(239) الأحكام : عنهم

(240) ج : تلفت ، ا ، ب ، ك : نفقت

يدخل في تقدير عطائه ، ولم يعط[241] ، إن دخلت .

وإذا مات أحدهم أو قتل كان ما استحقه من مخدوم عطائه[242] موروثا منه[243] على فرائض الله تعالى ، وهو دين لورثته في بيت المال . ومن مات منهم أو قتل وخلف في موضعه أحدا أجرى[244] على مخلفيهم ما يسعهم[245] ، ولا يضيعون معه أصلا ، لا سيما إن كان من أولاد الميت أو المقتول ، فإن آباءهم ماتوا في خدمة المسلمين ، وتركوهم كلا وضياعا ، فهم إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ . وقد كان رسول الله ﷺ يقول للمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم في غزواته كلها : من ترك منكم كلا أو ضياعا فعلي والي[246] ، ومن شاخ منهم أو زمن ، أُجْرِي عليه ما يقوم به ، وبعياله على السعة ، ويسقط[247] له رسم الفرس والسلاح والخديم[248] ، ومن نشأ من أولاد المسلمين ، وليس في مال أبيه فضل يتمون[249] به ، أجرى عليه الإمام ما يقوم به ، حتّى يقوم بنفسه . وإذا كان في بيت المال فضل ، نظر الإمام في إصلاح القناطير وبنيانها وتسهيل الطرق وقطع شعراتها[250] التي يسكن[251] أهل الشر فيها وبنيان قرى حصينة على الطرق المخوفة حتّى يأمن المار فيها ، ولا بأس ببنيان المدن لتجتمع الجماعات المتفرقة فيها ، فتعين[252] على طلب العلم والخير ، وتكون دار هجرة لهم . فقد حض النبي ﷺ الأعراب على الانتقال إلى دار هجرة المسلمين ، كما بنّى الصحابة رضي الله عنهم البصرة والكوفة ومصر والقيروان . ولا يطلق الإمام لأحد بنيان حصن وسكناه فيه

(241) د : وإلا فلا

(242) د : اعطاء

(243) ا ، ب ، ج ، ك : عنه

(244) في د : عليه — مكان : على مخلفيهم

(245) ج : ما يمنعهم ، د : ما يسعه

(246) د : ولي

(247) ج : وليسقط

(248) ج : والخدم ، د : والحريم

(249) ا ، يتمونه ، د : يمونه

(250) ق ، ج ، ك : شرائعها والشعرى والشعار : الشجر الكثير

(251) ج ، ك : يكمن

(252) د : لتعين

(253) ج : أبدا

أصلا[253] إلا في الثغور ، فإذا استغنَى المسلمون عن ذلك وفتح ما يليه ، هدم سوره والصقه[254] بالأرض ويكلف أهل الجبال التي لا منفعة فيها ، سكنَى ما سهل[255] من الأرض والنزول إلى الأوطية[256] .

(254) ا ، ب ، والصق

(255) ق : في

(256) ورد النص في الأحكام السلطانية ص 206 مع زيادة في الأحكام ومع اختلافات في الألفاظ .

الباب الثالث والعشرون

في سياسة الحروب وتدبيرها

في محاسن[1] البلاغة : جمع الله آدب الحروب في قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين[2] » .

أقلوا الخلاف على الأمراء[3] ، فلا ظفر مع اختلاف[4] .

لا جماعة لمن اختلف عليه[5] .

أول الظفر الاجتماع ، وأول الخذلان الافتراق .

عماد الجماعة ، السمع والطاعة .

أحزم مكائد الحروب ، اذكاء العيون ، واستطلاع الأخبار ، وإفشاء الغلبة ، وإظهار السرور ، وإقامة الحذر ، والاحتراس من العدو[6] .

إذا لاقى السيف السيف ، زال الخيار[7] .

---

(1) ج : وفي كتاب

(2) سراج ص 177 باب 61 وعيون الأخبار جـ 1 ص 108 .

(3) د : الأمير

(4) ج : مع الخلاف

(5) سراج ص 177 من باب 61 وعيون الأخبار جـ 1 ص 108 و112 والعقد الفريد ج 1 ص 50

(6) ورد هذا النص في سراج الملوك ص 181 باب 61 وعيون الأخبار ج 1 ص 112 مع زيادة واختلافات في المصدرين .

(7) سراج ص 181 والنص غير موجود في د

من استضعف عدوه اغتر ، ومن اغتر ظفر به عدوه[8].

إذا وقع اللقاء ، وقع القضاء[9]

اذكروا الضغائن ، فإنهما تبعث على الإقدام .

لا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تغلوا عند المغانم[9] ، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا وأخذ الغنائم[10]

أصلح الرجال للحرب ، الشجاع الحازم .

قال بعضهم[11] : إذا ابتليت بالحرب ، فاذك العيون بالنهار ، وبالغ في الحرس[12] بالليل ، وخندق إن كنت مقيما ، وحصن مضاربك ، وليكن جندك عليك حصنا ، ولأنفسهم حرسا ، واحتل للشمس أن تكون معك في وقت اللقاء ، وللريح أن تكون معك في وقت الهجوم ، وللماء وللمرعى[13] أن يكونا معك في مكان النزول ، واخف آثارك عن عدوك ، واعمل في حين لقائه على إراحة[14] الظهر والكراع ، وثقف[15] جهات العدو بمن تثق به من رجالك أو احذر[16] من الانفراج أن تستمر هزيمة ، ومن الكمين أن يأتيك[17] غفلة ، ومن رحلك أن يخالف إليك ، وإن استطعت أن تخالف عدوك إلى رحله ، فافعل ، وإذا[18]

---

(8) سراج 181

(9) سراج ، وعيون الأخبار : الغنائم

(10) ورد النص بتفضيل في سراج الملوك ص 181 باب 61 وورد النص مسندا إلى عمر بن الخطاب في عيون الأخبار ج 1 ص 107 — 108

(11) واضح ابن رضوان يقصد هنا المرادي

(12) أ ، ب ، ق : الحرس ، ج : الحراس

(13) ج : والمرعى أن يكونان

(14) ق ، د : راحة

(15) ج : وثقف جهة العدو ، د : واجعل إتجاه العدو

(16) د : واحذر من الأفواج ، ك : واحذر الأفواج

(17) د : يأتيك غفلة إذا غلبت عدوك فتثبت في محلتك ، وإذا غلبت فعم ، إثارك ، واجعل الليل جنتك وفي نسخة ك : فاعم

(18) الفقرة التالية ناقصة في نسخة ف من سياسة المرادي وفي الشهب الامعة مما يرجح أن ابن رضوان استند على مخطوطه « ر » من سياسة المداري ، والفقرة هي كالتالي : « وإن انهزم عدوك فلا تحل بينه وبين الهزيمة طمعا في استئصاله ، فإن ذلك ربما كان سببا لثباته والذي ينال منه في ظهره أكثر من الذي تنال منه في وقوفه » .

هزمت قوما فقف[19] ثبيتا[20] في محلتك ، وإذا غلبت فعم آثارك ، واجعل الليل جنتك .

واعلم أن الهزيمة تحل العزيمة ، وأن الهارب لا يعرج على صاحب[21] ، وأن الفرار في وقته ظفر ، وأن القتال في غير مكانه عناء[22] [23] .

واكثر[24] ما تكون الحيل في الحرب[25] بالكتب المفتعلة[26] والجواسيس المأخوذة ، وإشعار العدو أن أصحابه عليه لا له ، وأنهم يضمرون خلافه ، وأن عدوه قد تضافر عليه مع غيره من أعدائه ، وأن كثيرا من عماله قد مالأ عليه ، وأرسل إلى عدوه ، وان تعمى عليه الوجوه التي يلقاه عدوه عليها ، ويريه أنه يضرب[27] على ابعاض انظاره ، ليشغله بالاحتياط على غير جهته بتفريق عسكره وأن يريه أنه راجع عن قتله ، لتفريق حشوده ، ليرجع إلى مأمنه[28] [29] .

في محاسن البلاغة : جسم الحرب الشجاعة ، وقلبها التدبير ، وعينها الحذر ، وجناحاها الطاعة ، ولسانها المكيدة ، وقائدها الرفق ، وسائقها النصر[30] .

قال بعضهم : الحرب مرة المذاق ، إذا كشفت عن[31] ساق : من صبر فيها عرف ، ومن ضعف فيها تلف[32] .

---

(19) سياسة المرادي : فثبت

(20) ج : ثابتا

(21) التمثيل والمحاضرة : صاحبه

(22) انهى المرادي النص بعبارة إضافية وهي : « والله يبقيك ويصونك من المكروه »

(23) التمثيل والمحاضرة مع اختلاف ، ونص ابن رضوان أطول ص 153 وقد ورد نفس النص في سياسة المرادي وهي مصدر ابن رضوان ص 104 .

(24) استهل المرادي النص الآتي : وحيل في الحروب وغيرها كثيرة الوجوه ، وقد ضرب الناس لها أمثالا وأكثر ما تكون في الحروب بالكتب المستخرقة .

(25) د ، وسياسة المرادي : الحروب

(26) د : الموجهة — سياسة المرادي : المستخرقة

(27) سياسة المرادي : يضرب له على أبعاض أنظاره

(28) ا ، ب : أبعاض — ج : بعض أنصاره — ق : ك : أبعاص أنظاره

(29) نقل ابن رضوان هذا النص من سياسة المرادي ص 106 — 107

(30) ورد هذا النص في سراج ص 177

(31) أ ، ب ، جـ ، ق : قلصت — وفي العقد ، ود : كشفت

(32) سراج ص 177 وعيون ج 1 ص 127 والعقد ج 1 ص 49 وقد ورد النص على لسان عمرو بن معد يكرب جوابا على سؤال من عمر بن الخطاب

الفار من القتال ، طريدة من طرائد الموت .

الجبان : حتفه من فوقه[33] .

الجبان : معين[34] على نفسه[35] .

أشجع القوم العطوف المقاتل من وراء الفارين ، كالمستغفر من وراء الغافلين .

ثمرة الشجاعة ، الأمن من العدو .

إياكم ، والفزع إلى الفرقة ما وسعتكم الجماعة ، وعمل فيكم بمعالم الدين .

لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار .

وقيل : كدر الجماعة ، خير من صفو الفرقة .

اجتماع الضعيفين قوة تدفع عنهما ، وافتراق القويين ضعف يمكن منهما .

في كتاب عبد العليم بن عبد الملك الطرطوشي قال عمْرو بن معد كرب ، في وصفه الحرب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : الحرب رحى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الأناة ، وزمامها الحذر ، ولكل شيء من هذه ثمرة ، فثمرة الصبر الظفر ، وثمرة المكر التأييد ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ولكل مقام مقال . ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأي فيها أبلغ[36] من القتال[37] .

وفي الكتاب المذكور قيل للمهلب بن أبي صفرة : ما أعجب ما رأيته في حربك الأزارقة ، قال : فتى كان[38] يخرج إلينا كل يوم ويقول[39] :

وسائلةٍ بالغيب عنّيَ لو درت ... مُقارعتي الأبطالَ طال نحيبُها

إذا ما التقينا كنت أول فارس ... يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

(33) السراج ص 172 ، والتمثيل والمحاضرة ص 154

(34) السراج : يعين

(35) السراج : ص 172

(36) ج : أنفع

(37) وردت في العقد الفريد جـ 1 ص 49

(38) «كان» وردت في ج فقط

(39) ج : ويتقدم وهو ينشد

ثم يحمل فلا يقوم له شيء إلا أقعده ، فإذا كان من الغد ، عاد إلى مثل ذلك[40] .

في السلوانات : كان[41] يقال : رب حيلة أنفع من قبيلة ، وكان يقال : إذا طالبت عدوك بالقوة ، فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه عنك ، وإذا طالبته بالمكيدة ، فلا يعظمن أمره عندك ، وإن كان عظيما[42] .

وكان يقال : من تهيب عدوه ، فكأنما جهز لنفسه جيشا[43] .

في التمثيل والمحاضرة لأبي منصور : الكيد أبلغ من الأيد ، لا تمنع عدوك السبيل في هزيمته .

ومن كلام بعضهم : محرض واحد ، خير من ألف مقاتل[44] .

أرسطاطاليس : عد جندك عند الحرب بالصلات والكسوات ، وأوف بذلك[45] ، وأوعد من كع أو أحجم بمؤلم العقوبة والتمثيل والفضيحة . ولا تقاتل مفصحا[46] ولا متحصنا أو ممتنعا ، فإن لقيت من أفصح[47] إليك ، فليكن همك في التحصين على نفسك بالآلات والمحترسين والمطلعين ، والترقب في كل حين[48] من ليل أو نهار ، ولا تنزل بعسكرك إلا في موضع تستند إليه كالجبل وشبهه وعلى مقربة من الماء ، واستكثر من الأزودة ، والعدة ، وإن لم تحتج إليها . وكثر من الآلات والأصوات المفزعة ، فإنها قوة للنفس ، وإقامة للهمم ، وفزع لمن تلقاه . واستعمل في أجنادك خلاف الهيئات : فامة بالدروع ، وأمة بالجواشن وبالتجافيف[49] ، واجعل ميمنتك أهل الضرب والمجالدة ، وميسرتك أهل الطعن ،

---

(40) العقد ج 1 ص 53
(41) السلوانات : وكان
(42) السلوانات ص 15
(43) ورد النص في السلوانات ص 115 — 116
(44) التمثيل والمحاضرة ص 152 — 153
(45) د : بذلك وانجز الوعد
(46) المخطوطات كلها : مفحصا وسياسة : الامفصحا
(47) المخطوطات كلها : أفحص سياسة : أفصح
(48) أ ، ب ، د : شيء
(49) سياسة : بالمجانيق ، ج ، ق : بالتحافيف .

وفي القلب أهل المزارقة والرمي بالسهام والحراقات والأصوات المهولات[50]، ولتكن مشرفا عليهم عند القتال[51]، بحيث تطلع على محسنهم ومسيئهم، فإنهم متى علموا بذلك راقبوك، ومتى راقبوك حذروا وجدوا.

وتأمل أحوال العدو، فمتى[52] رأيت موضعا تخلخل، فاجعل الصدمة فيه، واستعمل البيات[53]، فهو من العون[54]، فقلما ظفر بمقدمة أمة إلا غلبت بانكسار نفوسهم، ودخول الرعب عليهم، واستكثر من الكمائن[55] المفزعة بالنيران[56] والأصوات الهائلة[57]، فإنها من العدد والقوى الممدة، الباعثة على الغلبة[58]، وركن قوي من أركان الحروب، واستعمل المهاوي والربى في بعض مواضع من الحروب، واحفظ منها أجنادك.

وإن قاتلت متحصنا، فاستعمل الآلات التي ترمي بالحجارة على البعد، وتهدم المباني والأسوار، واستكثر منها بقدر ما تدعو الحاجة إليه، وكذلك الآلات النطاحة، ورماة السهام المسمومة، وانصب قسي اللوالب عليها، فإنها تفزع النفوس الجريئة، وتوهن العدد الحصينة، وإن ظفرت بمشروب لهم[59]، فصب فيه السموم، وتحفظ من البيات، فإنه متوقع، ولا تتبع مهزوما، وإن أمكنك أن تكون أمورك كلها خدائع، فافعل، واجعل اللقاء آخر أعمالك، ولا تترك صغير[60] أمر يكبر، وتلافه[61] قبل لحاقه[62] [63].

أوصى الاسكندر صاحب جيش له، أن يحبب الهرب إلى أعدائه فقال: نعم

(50) ج: المهولة
(51) عند القتال: وردت في د فقط
(52) ا، ب، ق، ج: بحيث رأيت تخلخلا
(53) ق: البيات وسياسة: الثبات (وفي الهامش: البيات)
(54) سياسة أرسطو: المعاون
(55) د: من الكتائب المفزعة
(56) أ، ب، ج: من النيران
(57) أ، ب، ج، ق: المفزعات
(58) ج: المغالبة
(59) د: للعدو
(60) ك: حقير
(61) سياسة أرسطو: وتلافاه
(62) ج: لحوقه، ق، د: الحاقة
(63) ورد هذا النص في سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ص 149 — 151 — مع اختلافات كثيرة

قال : وكيف تصنع ؟ فقال : إذا ثبتوا جددت في قتالهم ، وإذا هربوا بين يدي ، لم أطلبهم .

قالوا : وأول ما يجب على أمير الجيش في محاولة الظفر أن يبث جواسيسه في عسكر عدوه ، يستعلم أخباره مع الساعات . ويستعلم رؤساءهم وقادتهم وذوي الشجاعة منهم ، ويدس إليهم ويعدهم وعدا جميلا ، ويوجه إليهم بضروب الخدعة ، ويقوي أطماعهم في أن ينالوا ما عنده من الهبات الفاخرة والولايات[64] السنية . فإن رأى وجها لمعالجتهم بالهدايا والتحف ، كلفهم إما الغدر بصاحبهم ، وإما اعتزاله عند[65] اللقاء . ووجوه الحيل لا تحصى ، والحاضر فيها أبصر من الغائب[66] .

قال صاحب السراج : من الحزم المألوف عند سواس الحروب أن يكون حماة الرجال وكماة الأبطال في القلب ، فإنه مهما انكسر الجناحان ، فالعين ناظرة إلى القلب ، فإذا كانت رايته تخفق وطبوله تدق ، كان حصنا للجناحين ، يأوي إليه كل منهزم ، وإذا انكسر القلب ، تمزق الجناحان ، اللهم إلا تكون مكيدة من صاحب الجيش ، فينجلي[67] القلب قصدا وتعمدا ، ولا يعدونه كبير أمر ، حتى إذا توسطه العدو واشتغل[68] بنهبه أطبقت عليه الجناحان ، فقد فعله رجال من أهل الحروب[69] [70] .

قال صاحب السراج : فأما صفة اللقاء ، وهو أحسن ترتيب رأيناه[71] في بلادنا ، وهو أرجى تدبير نفعله في لقاء عدونا أن تتقلد[72] الرجالة بالدرق الكاملة ، والرماح الطوال ، والمزارق المسنونة النافذة ، فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكز[73] رماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وصدورها شارعة إلى العدو ،

---

(64) ج : والمراتب
(65) ج : عن
(66) ورد هذا النص في السراج مع بعض التغيير ص 174
(67) سراج : فينجل
(68) م ، ب ، ج ، ق : واستقل
(69) م ، ب ، ج ، د ، ك : ولا يغادر به
(70) ورد هذا النص في السراج ص 175 من الباب 61 مع اختلاف يسير
(71) أ ، ب ، ج : رأينا
(72) سراج : تتقدم

وهم جاثون[74] في الأرض ، كل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى ، وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين تخرق[75] سهامهم الدروع ، والخيل خلف الرماة ، فإذا[76] جاءت[77] الروم على المسلمين لم تتزحزح[78] الرجال عن هيئاتها ، ولا قام رجل منهم على قدميه ، فإذا قرب العدو رشقتهم الرماة بالسهام والرجالة بالمزارق ، وصدور الرماح تلقاهم[79] ، فيأخذون يمنة ويسرة ، فتخرج خيل[80] المسلمين ، فتنال منهم ما شاء[81] الله .

قال بعض[82] المؤلفين : كثرة التكبير عند اللقاء فشل[83] .

غضوا الأصوات ، وتحلوا[84] بالسكينة[85] ، وأقلوا اللوم[86] ، واخفتوا[87] الحس وادرعوا الليل .

قال الشيخ أبو بكر الطرطوشي : وليخف قائد[88] الجيش العلامة التي هو[89] يعرف بهذا وكذا[90] زيه ، فإن عدوه قد استعلم[91] حليته ورايته ، ولا يلزم خيمته

(74) سراج : جاثمون
(75) سراج : تمرق
(76) د : فإذا جاء العدو لم تتزحزح
(77) سراج : حملت
(78) أ ، ب : تزحزح
(79) ج : تقابلهم
(80) د : الخيل إليهم
(81) سراج ص 179 من الباب 61
(82) د : بعضهم
(83) ورد هذا القول عن عائشة يوم الجمل : سمعتهم عائشة يكبرون يوم الجمل فقالت لا تكثروا الصياح ، فإن كثرة التكبير عند اللقاء ، من الفشل . عيون الأخبار ج 1 ص 108 وهناك قول لاكثم بن صيفي في هذا المعنى في العقد ج 1 ص 50 — 51
(84) سراج : وتجلببوا
(85) ق ، م ، ن ، ج : السكينة
(86) المخطوطات : وأكملوا اللزام — وسراج : وأقلوا اللوم
(87) أ ، ب ، ج ، ق : واخفوا الحس — سراج : واحتملوا الجبن
(88) ج : صاحب
(89) سراج : مشهور بها
(90) وكذا زيه — زيادة في د
(91) سراج : يستعلم

ليلا ولا نهارا ، وليبدل زيه ، ويغير خيمته ، ويعم مكانه ، كي لا يلتمس عدوه غرته ، وإذا سكنت الحرب ، فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره ، فإن عيون عدوه قد أذكيت[92] عليه ، وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش أفريقية عند فتحها ، وذلك أن الحرب سكنت في وسط النهار ، فخرج مقدم العدو يمشي خارج العسكر ، يتميز عساكر المسلمين ، فجاء الخبر إلى عبد الله بن أبي سرح ، وهو نائم في قبته ، فخرج فيمن وثق[93] به من رجاله ، فحمل على العدو فقتل الملك[94] وكان الفتح العظيم . وكذلك فعل طارق حين جاز إلى الأندلس في ألف رجل وسبعمائة رجل وتحصن بجبل الفتح ، ووصل إليه الملك لذريق في تسعين ألف عنان ، فلقيهم طارق ، فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال ، فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة ، فقام يحضهم على الصبر ويرغبهم في الشهادة ، وبسط في آمالهم[95] .

ثم قال : أين المفر ، والبحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، فليس إلا الصبر منكم ، والنصر من ربكم ، وأنا فاعل شيئا فافعلوا كفعلي ، والله لاقصدن[96] طاغيتهم ، فاما أن أقتله واما[97] أن أقتل دونه . فاستوثق طارق بمعرفة حيلة لذريق وعلامته وخيمته ، ثم حمل مع أصحابه عليه حملة رجل واحد ، فقتل الله لذريق ، بعد قتل ذريع في العدو ، وحمى الله المسلمين ، فلم يقتل منهم كبير عدد ، وانهزمت الروم ، فأقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة أيام ، وأخذ طارق رأس لذريق ، فبعث به إلى موسى بن نصير وهو بافريقية ، وبعث به موسى إلى الوليد بن عبد الملك[98] .

وبهذه الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وقبضه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقال إنها لم يجتمع لمن بعدهم مثلها ، وكان عددهم ستمائة ألف مقاتل ، كتائب متواصلة ، وعساكر مترادفة ، وكراديس يتلو

---

(92) ج : مذكية — سراج : انكبت
(93) أ ، ب ، ج ، ق : وثقة من......
(94) ج : ملكهم — د : فقتله
(95) د : من
(96) ج : لأصدن ، ق : لاصدأ من ، د ، سراج : لأقصدن
(97) د : أو — مكان — واما أن
(98) ورد هذا النص في السراج بتفصيل ص 177 — 178 من الباب 61

بعضها بعضا كالجبال الشامخة وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة لفتح الحصون والحروب ، ما يعجز الوصف عنها ، وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ، ولم يشكوا أن الدولة قد دالت[99] لهم ، ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم واضطربت لها بلاد الإسلام[100] ، فاحتشد للقائهم الملك البارسلان التركي ، وهو الذي يسمى الملك العادل ، وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم . فلم يزل العسكران يتدانيان إلى أن عادت طلائع المسلمين إلى المسلمين ، وقال للبارسلان غدا يتراءى[101] الجمعان ، فبات المسلمون ليلة الجمعة ، والقوم في عدد لا يحصيهم إلا الله تعالى . وفي الغد استوثق من خيمة ملك الروم ، وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله يحضهم : لا يتخلف[102] أحدكم أن يفعل كفعلي ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي . ثم حمل ، وحملوا[103] معه حملة رجل واحد إلى خيمة ملك الروم ، فقتلوا من دونها ، وخلصوا[104] إليه وقتل[105] من حوله وأسر ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم : قتل الملك ، قتل الملك ، فسمعت الروم أنه قتل فتبددوا ، وتمزقوا كل ممزق ، وعمل السيف فيهم أياما ، وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضر[106] ملك الروم بين يدي البارسلان بحبل في عنقه ، فقال له البارسلان : ماذا[107] كنت تصنع بي لو أخذتني قال : وهل كنت تشك أني كنت أقتلك . فقال له البارسلان : أنت أقل في عيني من أن أقتلك ، اذهبوا به فبيعوه[108] ممن يريد . فكان يقتاد بالحبل وينادى عليه من يشتري ملك الروم . فما زالوا كذلك يطيفون به على الخيام[109] ،

---

(99) ا ، ب ، ج : كانت سراج : دارت

(100) ق ، د : المسلمين

(101) ج : يلتقي

(102) د : يختلف .

(103) معه — وردت في د فقط

(104) د : وافضلوا ، سراج : فخلصوا

(105) د : وقتلوا من كان معه وأسروا

(106) د : وأحضر

(107) د : ما هذا الذي كنت تريد أن تصنع بي ، ا ، ب : ما كنت تصنع بي

(108) د : بيعوه — سراج : وبيعوه

(109) د : بين

ومنازل المسلمين وينادى عليه بالدراهم والفلوس ، حتى باعوه ، من انسان[110] بكلب ، فأخذ الذي كان تولى ذلك من أمره الكلب والملك[111] وحملها[112] إلى البارسلان فقال : قد طفت جميع العسكر ، فلم يبذل فيه أحد شيئا إلا رجل واحد دفع إلي فيه كلبا . فقال له البارسلان : قد أنصفك ، لأن الكلب خير منه . فاقبض الكلب وادفع إليه هذا الكلب . ثم أمر بعد ذلك بإطلاقه . فذهب إلى القسطنطينية ، فعزلته الروم ، وكحلته[113] بالنار ، فانظر ماذا[114] يتأتى على الملوك إذا عرفوا في الحرب من الحيلة والمكيدة .

وقد قال القدماء : للكثرة الرعب ، وللقلة النصر .

وقد قال تعالى : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم[115] مدبرين » . والكثرة أبدا يصحبها الاعجاب ، ومع الاعجاب الهلاك ، وخير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربع مائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن[116] يغلب جيش يبلغون أثني عشر ألفا من قلة ، إذا اجتمعت كلمتهم[117] .

يروى أن النصراني الملك الذي أخذ صقلية من أيدي المسلمين أمر أن يبسط بساطا في الأرض ، ثم جعل في وسطه دينارا ، ثم قال لوجوه رجاله : من أخذ منكم هذا الدينار ، ولم يطأ البساط ، علمت أنه يصلح للملك . فوقفوا حوله لا يصل إليه أحد ، فلما أعياهم ذلك طوى ناحية البساط من عنده ، وأمر كل واحد منهم أن يطوى ما قبله ، حتى طوى البساط ، فمدوا أيديهم ، فلحقوا الدينار ، فحينئذ قال لهم : إن أردتم أن تأخذوا مدينة صقلية ، فخذوا ما حولها من الحصون الصغار والمدن والضياع والقرى ، حتى إذا ضعفت أخذتموها[118]

---

(110) أ ، ب : رجل

(111) زيادة في د ، ك ، والسراج

(112) ق : وحمله

(113) ق ، م ، ن ، ج : واحرقته

(114) د : ما يتأتي للملوك

(115) آية 25 التوبة 9

(116) د : ولم يغلب ، عيون الأخبار : وما غلب قوم قط

(117) سراج ص 178 — 179 من باب 61 وورد في عيون الأخبار ج ص 111 النص من « وخير الأصحاب إلى آخر السطر... كلمتهم 111

(118) ورد هذا النص في السراج ص 180 باب 61 مع اختلاف في الألفاظ

قال ثعلب : نظر معاوية يوم صفين إلى إحدى جنبي عسكره ، وقد مالت ، فلمحها ، فاستوت فقال له رجل من أصحابه : أهكذا كنت دبرته منذ زمان عثمان فقال : هذا[118] والله كنت دبرته من زمان عمر[119] .

أفضل أوقات الحرب آخر النهار ونكب[120] استقبال الريح والشمس والمبارزة على أصحاب الميمنة والقلب ولا يبارز من الميسرة إلا من كان أعسر.

أوصى عبد الملك بن مروان أميرا سيره إلى بلاد الروم فقال له : أنت تاجر الله لعباده[121] ، فكن كالمضارب[122] الكيس الذي إن وجد ربحا تجر ، وإلا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة[123] .

قالوا : وليستتر الطلائع في قرار من الأرض ، ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها ، وليكن الكمين في الحجر والأماكن الخفية ، وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها البيات ، وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه[124] ، فإن في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجربين ذوي حنكة وبأس ، فبدار العدو إلى الجند بالوقعة خير للجند ، وإن كان أكثرهم اغمارا ولم يكن من القتال بد ، فبدار الجند إلى مقاتلة العدو أفضل للجند ، وليس[125] ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا ، إلا أن تكون عدتهم[126] أربعة أضعاف العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فإن غزاهم عدوهم ، لزمهم أن يقاتلوهم ، بعد أن يزيدوا[127] على عدة العدو بمثل نصف عدتهم ، وإن توسط العدو بلادهم ، لزمهم أن يقاتلوهم ، وإن كانوا أقل منهم .

---

(119) ق : عثمان
(120) في د : ورد مكان — ونكب — إلى — أعسر — إذا هبت الريح
(121) البهجة : بعباده
(122) د : كالمقارض
(123) العقد الفريد ج 1 ص 68 وعيون الأخبار ج 1 ص 113 وقد ورد النص مع زيادة في البهجة ج 2 ص 251 على لسان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس هم السفاح والمنصور على خلاف ما أورده ابن رضوان الذي أسند النص إلى عبد الملك بن مروان .
(124) ق : عليه
(125) د : قالوا لا
(126) د : يكونوا عدة
(127) ا ، ب ، ق : يزيد

وينبغي[128] أن ينتخب[129] للكمين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة ، وليس[130] بهم أنين ولا سعال ولا عطاس ، ويختار لهم من الدواب ما لا يصهل ، ولا يعبث ، ويختار لكمونهم مواضع لا تغشى ، ولا تؤتى ، قريبة من الماء ، لينالوا منه ، إن كان مكثهم يقتضي ذلك ، وأن يكون[131] إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة ، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا ، وأن يكون إيقاعهم[132] كضرم[133] الحريق ، وليتجنبوا[134] الغنائم ، ولينهضوا[135] من الكمين متفرقين إذا ترك العدو الحراسة ، وإقامة الربايا ، وإذا أونس من طلائعهم توان وإذا أمرجوا[136] دوابهم في المرعى[137] . ذكر عبد الملك بن صالح أن خالد بن برمك حين فصل مع قحطبة من خراسان ، فبينا[138] هو على سطح بيت في قرية قد نزلها ، وهم يتغدون ، نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحاري[139] ، حتى كادت تخالط العسكر فقال لقحطبة : أيها الأمير ناد في الناس يا خيل الله اركبي ، فإن العدو قد نهد[140] إليك وحث رعاة أصحابك أن يسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل ، فقام قحطبة مذعورا ، فلم ير شيئا ، ولم يعاين غبارا . فقال له خالد : أيها الأمير لا تتشاغل وناد في الناس ، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها ، حتى خالطت الناس إن وراءها لجمعا كثيفا قاتلا ، فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا ، حتى رأوا أساطع الغبار ، فسلموا ولولا ذلك لكان الجيش قد اصطلم[141] .

---

(128) ا ، ب ، ق : فينبغي

(129) ج : يختار

(130) د : ولا يكون

(131) ق : كان

(132) د : قيامهم في وجه العدو

(133) د : كضرام

(134) ج : ويجذبوا ، د : وليجتنبوا

(135) د : ونهضوا

(136) ك : ابرزوا

(137) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 113 مع زيادة في عيون

(138) ك : وهو ، د وق : بينا

(139) ا ، ب ، د : الصحراء

(140) ج : نهض

(141) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 117 ووفيات الأعيان ج 6 ص 220

. كان أحب أوقات اللقاء إلى رسول الله ﷺ ، أول النهار ، إذا زالت الشمس وحلت الصلاة ، وهبت الرياح ، ودعا المسلمون ، وكان أحب الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يعقد فيه رايته يوم الخميس ، وكان أحب الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يسافر فيه يوم الخميس[142] .

قالت العجم : أخر الحرب ما استطعت ، فإن لم تجد بدا ، فاجعل ذلك في آخر النهار[143] .

قال بعضهم : كنت مع عمر بن عبد العزيز فوق سطح ، وهو يريد الركوب ، فنظرت ، فإذا القمر بالدبران ، فقلت : انظر إلى القمر ما أحسن استواءه ، ثم نظر فرأى منزلته ، ثم ضحك وقال : إنما أردت أن تنظر إلى منزلته ، وإنا لا نقيم لشمس ولا لقمر[144] ، ولكنا نسير بالله الواحد القهار[145] .

قال أرباب السياسات : ليكن السلطان لفريق من أعدائه مصاحبا ومداهنا ، ليعرف منه[146] أخبار بقيتهم ، ويهدم به اتفاق جمعهم[147] ، ويتسبب به إلى خلافهم وتشتيت رأيهم[148] وإذا ابتلي السلطان بقوم ذوي[149] نفاق وشدة وقلة انقياد إلى الحقيقة ، فليقم منهم رؤساء ويلقي بينهم الخلاف حتى[150] يكفيه بعضهم مؤونة بعض ويبقى هو في أمن وراحة ، فإنه إن صلح[151] ما بينهم ، رجعوا كلهم عليه[152] فليدبرهم بهذا التدبير قبل تدبيرهم بالحرب[153] .

ينبغي للعاقل ، وإن وثق برأيه وقوته وفضله ، أن لا يجني على نفسه عداوة ولا

---

(142) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 122 مع زيادات في عيون

(143) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 122

(144) ا ، ب ، د : قمر

(145) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 122 — 123

(146) ا ، ب ، ق : به

(147) سياسة المرادي : جميعهم

(148) سياسة المرادي : آرائهم

(149) سياسة المرادي : ذي

(150) ق : يكفي

(151) سياسة المرادي : انصلح

(152) وردت زيادة في سياسة المرادي كالآتي : « رجعوا كلهم عليه ، فأتعبوه وأهلكوه ، فليدبرهم... »

(153) ورد النص في عيون الأخبار ج 1 ص 122 وفي سياسة المرادي ص 67

بغضة هو عنها في غنى ، اتكالا على ما عنده من الرأي ، وثقة بما لديه[154] ، فإنه في ذلك ، بمثابة الطبيب الماهر الذي عنده الترياق الفائق لا يحسن منه[155] أن يشرب السم القاتل اتكالا على ما عنده من الدواء النافع .

واعلم أن الصلح أحد الحروب التي يدفع بها الأعداء عن المضرة . فإذا كثر أعداؤك ، فصالح بعضهم واطمع بعضهم في صلحك ، واستقبل بعضهم[156] بحربك ، وإذا ابتليت بحرب ، فلا تأمن عدوك ، وإن كان حقيرا[157] فإن العدو كالنار التي تلهب[158] من الشرارة ، والنخلة التي تنبت من النواة ، وربما نال العدو بصغره ما يعجز عنه عدوه بكبره[159] ، كالسيف الذي يقد القامة[160] ويعجز عن فعل الإبرة[161] [162] ويجب على العاقل إذا بعد عدوه أن لا[163] يأمن معاودته ، وإذا انهزم أن لا يأمن كرته ، وإذا قرب ألا[164] يأمن وثبته[165] ، وإذا رآه وحيدا ألا[166] يأمن من مكره ، وإذا رأى عسكره قليلا أن لا[167] يأمن من كمينه . ويجب على العاقل أن يكون متأهبا للحرب في حال سلمه ، خائفا من العدو في حال صلحه ، فإن العدو الذي يصالحك لأمر يضطر إليه ، لا يخرج بالصلح عن طبعه[168] .

---

(154) ج : عنده

(155) ج : معه

(156) د : البعض

(157) سياسة المرادي : صغيرا

(158) سياسة المرادي : تتربى

(159) سياسة المرادي : مع كبره

(160) سياسة المرادي : الهامة

(161) سياسة المرادي : ص 101

(162) إضافة من المرادي : ولبعض الشعراء في هذا المعنى :

لا تحتقرن عدوا رماك وإن	كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب	وتعجز عما تنال الإبر

(163) د : ألا

(164) ج : أن لا ــ سياسة المرادي ، د : ألا

(165) أ ، ب ، ق : مواثبته

(166) أ ، ب ، ك ، ق : أن لا

(167) أ ، ب : لا

(168) سياسة المرادي : ص 101 ــ 102

يلزم[169] أمير الجيش عشرة أشياء :

أحدهما : حراستهم من غرة يظفر بها العدو منهم[170] وذلك أن يتتبع المكامن[171] فيحفظها عليهم ، ويحوط سوادهم بحرس[172] ، يأمنون به[173] على أنفسهم ورجالهم ، ليسكنوا في وقت الدعة ويأمنوا[174] ما ورائهم في وقت المحاربة .

والثاني : أن يتخير لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم ، وذلك بأن يكون أوطأ الأرض مكانا ، وأكثرها مرعى وماء ، وأحرسها أكنافا وأطرافا ، ليكون أعون لهم على المنازلة ، وأقوى لهم على المرابطة .

والثالث : إعداد ما يحتاج الجيش إليه من زاد وعلوفة ، تفرق[175] عليهم في وقت الحاجة ، حتى تسكن[176] أنفسهم إلى مادة ، فيستغنون عن طلبها[177] ، فيكونون على الحرب أوفر[178] ، وعلى منازلة العدو أقدر .

والرابع : أن يتعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها ، ويتصفح أحوالهم حتى يخبرها ، فيسلم من مكرهم[179] ويلتمس الغرة في الهجوم عليهم .

والخامس : ترتيب الجيش في مصاف الحرب والتعويل[180] في كل جهة على من يراه كفوءا لها ، ويتفقد الصفوف من خلل فيها ، ويراعي كل جهة يميل العدو عليها ، بمدد يكون عونا لها .

---

(169) أ ، ب : فلزم
(170) د : عليهم
(171) ج : الكمائن ، د : الأماكن المخيفة
(172) ج : بحراس
(173) د : بهم
(174) د : ويأمنوهم
(175) د : ويفرق عليهم ذلك
(176) د : لتسكن
(177) ج : بطلبها
(178) ق : أرفق — د ، أ ، ب ، ج : أوفق
(179) أ ، ب : كرهم — الأحكام السلطانية : مكره
(180) ق ، ك : التعديل

والسادس : أن يقوي نفوسهم بما يشعرهم من الظفر ، ويخيل لهم من أسباب النصر ، ليقل العدو في أعينهم فيكونوا عليه أجرأ ، وبالجرأة يتسهل[181] الظفر. قال الله تعالى : إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر[182] .

والسابع : أن يعد أهل الصبر منهم والبلاء بالثواب إن كانوا من أهل الآخرة وبالجزاء والنفل من الغنيمة إن كانوا من أهل الدنيا ، قال الله تعالى : « ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها[183] » وثواب الدنيا الغنيمة ، وثواب الآخرة الجنة ، فجمع الله تعالى في ترغيبه بين الأمرين ، ليكون أرغب للفريقين.

والثامن : أن يشاور ذوي الرأي فيما أعضل ، ويرجع إلى أهل الحزم فيما أشكل ، ليأمن الخطأ ، ويسلم من الزلل ، فيكون من الظفر أقرب.

والتاسع : أن يأخذ جيشه بما أوجبه الله من حقوقه وأمر به من حدوده[184] ، حتى لا يكون بينهم تجوز في دين ، ولا حيف[185] في حق ، فإن من جاهد عن الدين ، كان أحق الناس بالتزام أحكامه ، والفصل بين حلاله وحرامه. قال أبو الدرداء : أيها الناس اعملوا صالحا[186] قبل الغزو ، فإنما تقاتلون بأعمالكم.

والعاشر : أن لا يمكن أحدا في جيشه أن يتشاغل بتجارة[187] ، أو زراعة ، يصرفه[188] الاهتمام بها عن مصابرة[189] العدو ، وصدق الجهاد ، فقد غزا نبي من الأنبياء فقال : لا يغزون معي رجل بنى بناء لم يكمله[190] ، ولا رجل[191]

---

(181) د : يسهل

(182) 43 الأنفال 8

(183) 145 آل عمران 3

(184) د : حدود وأن يجاهد عن الدين فإن من جاهد عن الدين كان...

(185) ق : خلف — الأحكام : تحيف

(186) د : قدموا العمل الصالح قبل ملاقاة العدو — الأحكام السلطانية : اعملوا صالحا قبل الغزوة وفي بقية المخطوطات : عمل صالح

(187) د : بالتجارة أو الزراعة

(188) د : يصرف — الأحكام السلطانية : لصرفه

(189) د : مصادمة

(190) ج : يكمل

(191) أ ، ب : ورجل

تزوج امرأة لم يدخل بها ، ولا رجل زرع زرعا ، لم يحصده[192] .

في كتاب الآيين[193] : ليكن أول ما تحمله معك خبزا ثم خبزا[194] ، ثم خبزا[195] .

روي أن رسول الله ﷺ قال لعمْرو بن العاص أو زيد بن حارثة : إذا بعثتك في سرية فلا تنتقهم ، واقتطعهم[196] ، فإن الله ينصر القوم باضعفهم[197].

ما خرج من الجيوش[198] بالليل يسمى سرية من سريت ، وما خرج بالنهار يسمى السواري[99] .

في السلوانات : كان يقال لا تحقرن من الأتباع أحدا ، لأنك تنتفع به كائنا من كان ، وهو أحد رجلين : إما شريف فتتجمل[200] به ، وإما وضيع فيحمي عرضك ، ويصون مروءتك[201] .

قال رسول الله ﷺ : لا تتمنوا[202] لقاء العدو ، فإذا لقيتموه ، فاثبتوا[203] .

---

(192) وردت هذه الشروط في الأحكام السلطانية ص 43 — 44 وورد جزء من الشرط العاشر في عيون الأخبار ج 1 ص 110 .

(193) ق : الايبان

(194) عبارة « ثم خبزا » لم تكرر في ا ، ب ، د

(195) ورد النص في عيون الأخبار ج 1 ص 116

(196) ج : واقطعهم

(197) عيون الأخبار ج 1 ص 109 وورد لفظ الحديث بشرح العزيزي على الجامع الصغير : كما يلي : « إذا بعثت سرية ، فلا تنتقهم ، أي لا تختر الأقوياء « واقتطعهم » أي خذ قطعة من أصحابك بغير انتقاء وأرسلها ، فإن الله ينصر القوم بأضعفهم » . السراج المنير شرح الجامع الصغير ج 1 ص 102

(198) د : الجيش

(199) ج : السوارب ، د ، ك : السارب ، ق : السوار

(200) د : فيحتمل به

(201) السلوانات ص 23

(202) د : لا تنمو ، في البهجة أيضا : لا تمنوا -

(203) ورد هذا النص في عيون الأخبار ج 1 ص 123 مطولا ومرجع ابن رضوان في هذا الحديث هو البهجة ج 1 ص 466

لما بعث عمر رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس قال له : أوصيك بعشر خصال : لا تقتل امرأة ، ولا وليدا ، ولا فانيا ، ولا تقطع شجرة مثمرة ، ولا تعقر شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، إلا ما أكلتم ، ولا تحرق نخلا ولا كرما ، ولا تخرب عامرا ، ولا تتهور ولا تجبن ، وإذا دخلت أرض العدو ، فإنك ستجد قوما حبسوا أنفسهم لله ، فدعهم ، وما حبسوا أنفسهم له ، وستجد[204] قوما فحصوا عن أوساط رؤوسهم ، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف ، وإياك ومعاصي الله في الجيش ، فإنها مفسدة للحرب ، مغضبة للرب .

قال المختار ليزيد بن أنس حين ولاه الجزيرة وأمره بقتال عبيد الله بن زياد : الق عدوك برأي غير مستبد ، وبحزم غير متكل ، ولا تركنن إلى الدولة ، فربما انقلبت ، واستشر من لا يطمع في عملك ، ولا يسر بهلكك ، واستخر الله تعالى قبل اقدامك ، توفق[205] .

أوصت أم الذبال[206] العبسية ابنها الفتاك ، وهو من أشد العرب : يا بني لا تنشب في حرب[207] ، وإن وثقت بشدتك حتى تعرف وجه الهرب منها ، فإن النفس أقوى شيء إذا وجدت سبيل الحيلة ، واضعف شيء إذا يئست منها ، وأحمد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها . واختلس من تحارب خلسة الذئب ، وطر منه طيران الغراب ، فإن الحذر زمام الشجاعة ، والتهور عدو الشدة[208] .

من أعظم المكائد في الحروب الكمناء ، وذلك أن الفارس لا يزال على جهد في الدفاع وحمي في الدمار ، حتى يرى وراءه بندا منشورا ، أو يسمع[209] ضرب الطبل ، فحينئذ همته[210] خلاص نفسه ، ولتكن همتك وراء ذلك ، وعليه مدار الحرب في اختيار الأبطال واصطناع الرجال[211] الشجعان ، ولا تنس قول الشاعر

---

(204) د : وتجد

(205) سراج ص 175 مع اختلاف

(206) د : الرئال ، ك : الزيال

(207) ج : الحرب

(208) سراج ص 175 الباب 61

(209) د : ويسمع

(210) ج : فهمته

(211) الرجال — وردت في د فقط

وهو ابن[212] دريد :

والناس ألف منهم كواحد   وواحد كالألف إن أمر عنى[213]

بل قد جرب ذلك ، فوجد الواحد خير[214] من عشرة آلاف[215] .

حكى صاحب السراج قال : لما التقى المستعين بالله الصغير بن هود مع الطاغية ابن رذمير[216] النصراني على مدينة وشقة من ثغور بلاد الأندلس ، وكان[217] العسكران كالمتكافئين ، كل واحد منهما يراهق عشرين ألف مقاتل بين خيل ورجل ، فحدثني رجل ممن حضر الوقعة من الأجناد قال : لما دنا اللقاء[218] ، قال ابن رذمير[219] لمن يثق[220] بعقله وممارسته للحروب من رجاله : استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم ، كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر ، فذهب ثم رجع فقال : فيهم فلان وفلان ، حتّى عد[221] سبعة رجال فقال : انظر[222] الآن من في عسكر من الرجال[223] المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم ، فعدوهم فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون ، فقام الطاغية ضاحكا مسرورا ، ثم تناشبت الحرب ، فلم تزل المضاربة بين الفريقين[224] حتّى فني أكثر العسكرين ولما كان وقت العصر حملوا علينا ، وداخلونا[225] ، ففرقوا بيننا[226] ، وصرنا شطرين ، فكان[227] ذلك سبب الهزيمة ، وملك العدو مدينة وشقة ،

---

(212) وهو ابن دريد — غير واردة في ق ، د ، ج ، والسراج .

(213) ورد البيت في شرح مقصورة ابن دريد

(214) ق : خير

(215) سراج : ص 175 الباب 61 مع اختلاف وزيادة في سراج

(216) ق ، ج : ردمير ، سراج : ردميل

(217) ج ، د : وكان كل من عسكرين يناهز عشرين ألف مقاتل

(218) ج ، د : القتال

(219) ج ، ق : ردمير ، سراج : ردميل

(220) د : يثق به ممن مارس الحرب

(221) د : عدهم

(222) د : انظروا في عسكري كم فيه من الرجال.....

(223) ورد في ج بعد الرجال كلمة الشجعان

(224) ج : القوم

(225) د : وأدخلونا ، ق : ودخلونا

(226) د : بين عسكرنا

(227) ق ، د : وكان

فليعتبر[228] ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوي على أربعين ألف مقاتل ، ولا يحضر[229] من الشجعان المعدودين إلا خمسة عشر ، وليعتبر بضمان العلج بالظفر والغنيمة ، لما زاد في أبطاله رجل واحد[230] .

قال : وكان بسرقسطة فارس يقال له ابن فتحون ، وكان أشجع العرب والعجم ، وكان المستعين[231] يرى له ذلك ويعظمه ، وكان يجري له في كل عطية خمسمائة دينار . وكانت النصرانية بأسرها قد عرفت مكانه ، وهابت لقاءه فيحكى أن الرومي كان إذا سقى فرسه ، فلم يشرب يقول له : اشربت أو رأيت ابن فتحون في الماء ، فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان ، وأوغروا به صدر المستعين عليه[232] فمنعه بعض ما كان يعطيه . ثم إن المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم ، فتواقف المسلمون ، والمشركون صفوفا ثم برز علج إلى وسط الميدان ينادي : هل من مبارز ، فخرج إليه فارس من المسلمين ، فتجاولا ساعة ، فقتله الرومي[233] ، فصاح المشركون سرورا ، ثم جعل الرومي[233] يكر على فرسه ويقول : اثنان بواحد . فخرج إليه فارس آخر من المسلمين ، فتجاولا ساعة ، فقتله الرومي ، فصاح الكفار سرورا ، وانكسرت نفوس المسلمين ، وجعل الرومي يكر بين الصفين ينادي : ثلاثة بواحد ، فلم يقدم أحد[234] من المسلمين عليه ، وبقي الناس في حيرة ، فقيل للسلطان : ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون ، فدعاه ، واستلطفه فقال : أما ترى ما يصنع هذا العلج ؟ . فقال : هو بعيني . قال : فما الحيلة فيه ؟ قال أبو الوليد : ماذا تريد ؟ قال : أن يكفي المسلمون شره قال : الساعة يكون ذلك بحول الله عز وجل وقوته ، فلبس غلالة كتان ، واستوى على سرجه بلا سلاح ، وأخذ بيده سوطا طويل الطرف ، وفي طرفه عقد معقودة ، ثم برز إليه ، فعجب منه النصراني ، وحمل كل واحد منهما على صاحبه ، فلم تخط طعنة النصراني[236] سرج ابن فتحون ، وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ،

---

(228) د : فلم يعتبر
(229) د : ولم
(230) سراج ص 175 — 176 من الباب 61 مع اختلاف وزيادة في السراج
(231) سراج : المستعين أبو المقتدر
(232) ا ، ب : لمنعه بعض ما كان يعطيه .
(233) د : العلج
(234) د ، ك : عليه واحد من المسلمين
(236) د : العلج

ونزل بالأرض لا شيء منه على السرج ، ثم ظهر[237] على سرجه، وحمل عليه ، وضربه بالسوط على عنقه ، والتوى على عنقه وأخذه بيده من السرج . فاقتلعه من سرجه وجاء به ، يجره[238] ، فألقاه بين يدي المستعين ، فعلم[239] المستعين أنه كان أخطأ في صنعه معه ، فأكرمه ، إلى أحسن أحواله[240] .

كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها .

أول[241] ما يجب أن يبدأ به أهل الحصن استمالتهم قبل المناهضة ، ما داموا خائفين ، فإن الحرب إذا نشبت كانوا بعدها أسكن روعا ، وآنس بالحرب .

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش[242] أوصاهم بتقوى الله ، ثم قال[243] عند عقد الألوية بسم الله ، وعلى عون الله امضوا بتأييد الله بالنصر ، ولزوم الحق ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[244] ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تميلوا عند الغارة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا[245] .

ذكر العتبي أن أبا بكر رضي الله عنه أوصى يزيد بن أبي سفيان حين وجهه (إلى الشام[246]) فقال : يا يزيد سر على بركة الله تعالى ، فإن دخلت بلاد العدو فكن بعيدا عن الحملة ، فإني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد وسر بالادلاء ، ولا تقاتل بمجروح[247] ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن في الحرب[248] غرة وأقلل من الكلام ، فإنما لك ما وعى عنك ، وإذا أتاك كتابي .

---

(237) ج : رجع
(238) أ ، ب ، د : فجره
(239) ق : فعرف
(240) سراج ص 180 — 181 باب 61
(241) د : أول ما يبدأ به إذا أراد الغزو استمالة أهل الحصون قبل المناهضة ما داموا خائفين
(242) د : الجيش
(243) ج : يقول عند
(244) آية 19 البقرة 2
(245) ورد هذا النص في عيون الأخبار جـ 1 ص 106
(246) زيادة من عيون الأخبار
(247) ج : بجريح
(248) ق . ك : العرب

فانفذه ، فإنما أعمل على حسب انفاذه . وإذا قدمت عليك وفود العجم ، فأنزلهم معظمين في عسكرك ، وأسبغ عليهم النفقة وامنع الناس من محادثتهم ، ليخرجوا جاهلين ، كما دخلوا جاهلين ، ولا تلجن[249] في عقوبة ، فإن أدناها وجع ، ولا تسرعن إليها ، وأنت تكتفي[250] بغيرها وأقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سرائرهم ، ولا تجسسن[251] على عسكرك ، فتفضحه ، ولا تهملنه[252] فتفسده ، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه[253] .

وقال أبو بكر رضي الله عنه لعكرمة حين وجهه إلى عمان ، يا عكرمة سر على بركة الله ، ولا تنزل على مستأمن ، ولا تؤمن على حق مسلم ، وأهدر الكفر بعضه ببعض وقدم النذر[254] بين يديك ، ومهما قلت إني فاعل ، فافعله ، ولا تجعل قولك لغوا في عقوبة ولا عفو ، ولا ترج إذا أمنت ، ولا تخافن إذا خوفت . ولكن أنظر متى تقول ، وما تقول ، ولا تعدن[255] معصية بأكثر من عقوبتها ، فإن فعلت أثمت ، وإن تركت كذبت ، ولا تؤمنن[256] شريفا دون أن تكفل بأهله ، ولا تكفلن وضيعا أكثر من نفسه ، واتق الله ، وإذا لقيت فاصبر انتهى . ينبغي للمبيتين[257] أن يختاروا موضع[258] البيات ، وأن يتوخى[259] بالوقعة[260] نصف الليل ، أو أشد ما يكون إظلاما ، وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو ، وبقيته[261] حوله ، ويبدأ بالوقعة من يصير بالوسط ، ليسمع بالصيحة والضوضاء[262] من ذلك الموضع لا من حوله ، وأن يشرد[263] قبل الوقعة

(249) د : ولا تبالغن
(250) أ ، ب ، ج : تكني
(251) على — وردت في د فقط
(252) ق ، د ، ج : عيون الأخبار : ولا تهمله
(253) عيون الأخبار جـ 1 ص 108 — 109
(254) ج : العدل
(255) ق : ولا تعاين
(256) ج : ترمقن
(257) ك : للمسلمين
(258) ك : مواضيع
(259) ق : يترقي ، ك : يترجى
(260) ج : للوقعة
(261) ج : وبقيتهم
(262) ج : والصرخات
(263) أ ، ب ، د : فإن يتردد ، ج : وإن يشرف ق : وأن يشرك — والتشريك هو الافساد عيون وك : وأن يشرد

الأفره[264] من دوابهم وتقطع أرسانها وتطعن بالرماح حتى تتحير ، وأن يهتف هاتف ويقول : يا معشر[265] أهل العسكر ، النجاة النجاة ، فقد قتل قائدكم فلان ، وقتل خلق كثير ، وهرب خلق ، ويقول قائل : أيها الرجل استحيني لله ، ويقول آخر : العفو العفو ، ويقول آخر : أواه أواه ، ونحو هذا من الكلام[266] .

واعلم ، أنه إنما يحتاج في البيات إلى تحيير العدو وإخافته ، وليجتنب التقاط الأمتعة ، واستياق الدواب ، وأخذ الغنائم[267] .

من كلام بعضهم : لا تأخذ ما ترك لك العدو[268] ، فقد[269] يترك للمكيدة ، كما يترك في الشطرنج .

لا تمل إلى الحرب ما وجدت السبيل إلى السلم ، فينبغي[270] أن يقنع في الحرب بالسلامة ، حتى إذا ظهر وجه الغلب[271] ، فاقدم . فحفظ[272] رأس المال أول ما يطلب التاجر ، وبعده يطلب الربح .

ليس من المعالي قتل الأسرى .

قال ابن القوطية : كان عباس بن ناصح الثقفي في جانب من الثغر ، فسمع امرأة تنادي وتقول : واغوثاه يا حكم تحكم الروم في ثغورنا[273] ولا تغثنا[274] . أين معهود ما عرفنا منك ، أحي أنت ، فلما قدم عباس على الخليفة الحكم عرفه بخبر الثغر ، وبما سمع من المرأة ، وعرفه مكانها . فغزا بنفسه أنفة وحمية ، فافتتح الحصون وخربها ، وأقفر المنازل وحرقها ، وقتل وسبي واستباح الحريم ، وجال في

---

(264) ق : الأفراد

(265) ج : يا أهل العسكر

(266) عيون الأخبار جـ 1 ص 114

(167) عيون الأخبار جـ 1 ص 114

(268) العدو — وردت في د فقط

(269) د : فربما يكون تركه مكيدة

(270) ق : ينبغي

(271) ك : القلب

(272) ق : واحفظ

(273) ج : فينا

(274) ق : تغيثنا

غزواته مدة يقتل ويسبي ويحرق ، وانتصر للمرأة ، وأغار على الثغر ، وأخذ أهله الثأر ، وأقبل على الناحية التي كانت بها المرأة[275] .

ينبغي في محاصرة الحصون أن يستمال من يقدر على استمالته من أهل الحصن أو المدينة ، ليظفر منهم بخصلتين : أحدهما استنباط أسرارهم والأخرى إخافتهم وإفزاعهم ، وأن يدس منهم من يصغر شأنهم ، ويؤيسهم من المدد ، ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكيدتهم ، وأن يدار حول الحصن ويشار إليه بالأيدي ، كأن منه مواضع حصينة والأخرى ذليلة ، ومواضع تنصب المجانيق عليها ومواضع تهيأ[276] العرادات لها ومواضع تنقب نقبا ومواضع توضع السلاليم عليها ، ومواضع يتسور منها ، ومواضع تضرم النار فيها يملأهم ذلك رعبا ، ويكتب على نشابة : إياكم معشر أهل الحصن الاغترار ، وإغفال الحراسة عليكم بحفظ الأبواب . فإن الزمان خبيث ، وأهله أهل غدر ، وقد خدع أكثر أهل الحسن ، فاستملوا ويرمى بتلك النشابة في الحصن ، ثم يدس لمخاطبتهم المنطيق المصيب الداهي الموارب المخاتل[277] غير المهذار ، وتؤخر الحرب ما أمكن ذلك فإن في الحرب جرأة منهم على من حاربهم ودليلا على الحيلة والمكيدة ، فإن كان لا بد من المحاربة ، فليحارب بأخف العدة وأيسر الآلة[278] .

قال شبيب : الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع ، وكان إذا أمسى يقول لأصحابه : أتاكم المدد يعني الليل[279] ذكر الأخباريون أن بغا كان دينا من الأتراك ، وكان من غلمان المعتصم ، يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه ، فيخرج منها سالما ويقول « الأجل جوشن » ، ولم يكن يلبس على بدنه شيئا من حديد ، فعذل في ذلك ، فقال : رأيت في نومي[280] النبي ﷺ ومعه جماعة من أصحابه فقال : لي يا بغا : أحسنت إلى رجل من أمتي فدعا لك بدعوى استجيبت له فيك ، قال : قلت يا رسول الله ومن ذلك الرجل؟ قال الذي خلصته من السباع .

---

(275) وردت القصة في نفح الطيب ج 1 ص 343 — 344

(276) ق : تهب ، ج : تهيء — عيون الأخبار : تهيأ

(277) ق : المحتال

(278) عيون الأخبار جـ 1 ص 114 — 115

(279) عيون الأخبار جـ 1 ص 116

(280) ق : منامي

فقلت : يا رسول الله سل ربك أن يطيل عمري ، فرفع[281] يده نحو السماء وقال : اللهم أطل عمره وانسأ[282] في أجله ، فقال : يا رسول الله خمس وتسعون سنة . فقال خمس وتسعون سنة . فقال رجل كان بين يديه : ويوقى من الآفات فقلت للرجل : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فاستيقظت من نومي وأنا أقول : علي بن أبي طالب ، كان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له : من كان الرجل الذي خلصته من السباع ؟ فقال : أتي المعتصم برجل قد رمي ببدعة ، فجرت بينهما في الليل مخاطبة ، فقال لي المعتصم : خذه فالقه إلى السباع ، فأتيت بالرجل لألقيه إليها ، وأنا مغتاظ عليه ، فسمعته يقول : « اللهم[283] تعلم أني ما تكلمت إلا فيك ولا نصرت[284] إلا دينك[285] ولا أثبت إلا توحيدك ، ولم أرد بذلك غيرك وتقربا إليك بطاعتك وإقامة الحق على من خالفك ، أفتسلمني ؟ » . قال : فارتعدت وداخلتني[286] رقة وملىء قلبي رعبا ، فجذبته من طرف بركة السباع ، وقد كدت أن أزج به فيها ، وأتيت به حجرتي ، فأخفيته ، وأتيت المعتصم فقال : هيه ؟ قلت : ألقيته . قال فما سمعته يقول ؟ قلت : أنا رجل[287] أعجمي ، وكان يتكلم بكلام عربي ، ما كنت أعلم ما يقول . وقد كان الرجل أغلظ للمعتصم في كلامه . فلما كان في السحر ، قلت للرجل : قد فتحت الأبواب ، وأنا[288] أخرجك مع رجال الحرس ، وقد آثرتك على نفسي ووقيتك بروحي ، فاجهد ألا تظهر في أيام المعتصم قال : نعم : قلت فما خبرك ؟ قال هجم رجل من عماله في بلدنا على ارتكاب المحارم والفجور وإماتة الحق ، ونصر[289] الباطل ، فسرى ذلك إلى فساد الشريعة وهدم التوحيد ، فلم أجد ناصرا عليه ، فهجمت عليه في ليلة فقتلته ، لأن جرمه كان يستحق به في الشريعة ، أن يقتل ، فأخذت[290] وأوتي بي إلى المعتصم ، وكان ما رأيت[291] .

---

(281) في جميع المخطوطات : فشال ، وفي مروج : فرفع

(282) أ ، ب ، د : وأنس وفي المروج : وأتم أجله

(283) زيادة من مروج

(284) ق : بصرت

(285) أ ، ب ، د : بك

(286) ج : ودخلتني

(287) زيادة في ج

(288) ق : وإنما

(289) ج : ونشر

(290) زيادة من ج ، ك : وأوتي به إلى المعتصم وكان ما رأيت........

(291) أخذ ابن رضوان القصة من مروج الذهب جـ 5 ص 72 — 73

الباب الرابع والعشرون

في ذكر الخصال التي فيها فساد الدول، ونفور القلوب عن الملوك، وذكر طرف من استدفاع الشدائد

أول ذلك عدم المعرفة بأحوال العمال وتصرفاتهم ، ولا شك أنها[1] إذا علمت[2] ، خاف المسيء ، فأحسن واستبشر المحسن ، فازداد[3] احسانا .

ويقال إن أمر بني أمية ما زال مستقيما ، حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم[4] المترفين ، فآثروا الشهوات ، وأقبلوا على اللذات ، والدخول في المعاصي ، والتعرض لسخط الله ، فسلبهم الله العز ، ونقل عنهم النعمة[5] .

ولما هرب آخر ملوكهم إلى أرض النوبة ، سمع به ملك النوبة فجاءه ، وقعد على الأرض ، ولم يقعد على فراشه فقال له : ألا تقعد على فراشنا ؟ فقال له النوبي : لا . فقال له : ولم ؟ قال : لأني ملك وحق على كل ملك أن يتواضع لأمر الله سبحانه ، إذ[6] رفعه . ثم قال له : لم تشربون الخمر ، وهي محرمة عليكم ، ولم تطئون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم ، ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الحرير والديباج ، وهو محرم عليكم ؟ فقال له : انتصرنا بقوم من الأعاجم حين قل أنصارنا ، ولنا عبيد وأتباع ، فعملوا ذلك على شدة كره منا ،

---

(1) ك : أنك

(2) ج : عملت

(3) د : وازداد

(4) ج : بينهم

(5) ورد هذا النص في السراج ص 54 ــ 55 الباب 12 وفي مروج الذهب ج 4 ص 130 ــ 131 ــ 132 وفي العقد الفريد

(6) د : لله ، لازداد رفعه

فأطرق النوبي مليا ثم قال : ليس كما ذكرت ، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم ، وظلمتم فيما ملكتم ، فسلبكم العز بذنوبكم ، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها ، وأخاف أن يصيبكم العذاب وأنتم ببلدي ، فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة ، فتزودوا ما احتجتم إليه ، وارتحلوا عن بلدي[7] .

سئل برزجمهر[8] : ما بال ملك آل ساسان صار إلى ما صار إليه بعد ما كان فيه من قوة السلطان وشدة الأركان فقال : ذلك لأنهم قلدوا[9] صغار الرجال ، كبار الأعمال .

قال الشافعي : أظلم الناس لنفسه ، اللئيم إذا ارتفع ، جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل . انتهى كلامه .

ولا شك أن من كانت حاله تلك ، فهو يجر المقت إلى نفسه ، والذم إلى من رفعه ، ويستفز قلوب الرعية .

وفي السلوانات : كان يقال : اللئيم كالنار ، إكرامها اضرامها[10] ، كالخمر[11] حبيبها سليبها ، وتبيعها صريعها . ولله در عمْرو بن العاص حيث قال : موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة[12] .

سئل بعض[13] من مضى من الملوك ما الذي سلب عزهم ، وهدم ملكهم : فقالوا شغلتنا لذاتنا[14] عن التفرغ لمهاتنا[15] ، ووثقنا بكفاتنا ، فآثروا مرافقهم علينا ، وظلم عمالنا ، (رعيتنا[16]) ، ففسدت نياتهم لنا ، وتمنوا الراحة منا وحمل

(7) ورد النص في السراج بتفصيل ص 55 من الباب 12 وانظر تفصيلا آخر للقصة في عيون الأخبار جـ 1 ص 203 — 206 وكذلك في مروج الذهب ج 4 ص 130 — 131

(8) ج ، ا : بني ك : ابن

(9) سراج ص 55 من الباب 12

(10) د : اخراقها

(11) أ ، ب ، د : والخمر

(12) السلوانات ص 17 والسراج ص 55

(13) مروج : بعض شيوخ بني أمية

(14) د : اللذات ، مروج : بلذاتنا

(15) د : للمهات

(16) زيادة من السراج ليستقيم المعني

على أهل خراجنا ، فقل دخلنا ، وبطل عطاء جندنا[17] ، فزالت الطاعة منهم لنا . وقصدنا عدونا ، فقل ناصرنا ، وكان أعظم ما زال به ملكنا ، استتار الأخبار عنا[18] .

قيل لرجل سلب ملكة : ما الذي سلبك ملكك : قال : دفع عمل اليوم[19] إلى غد ، والتماس عدة ، بتضييع عدد ، واستكفاء كل مخدوع عن عقله[20] .

قالوا : والمخدوع من بلغ قدرا لا يستحقه ، أو أثيب[21] ثوابا لا يستوجبه .

قالت الحكماء : أسرع الخصال في هدم السلطان وافساده ، وتفريق الجمع عنه ، إظهار المحاباة لقوم دون قوم والميل إلى قبيلة دون قبائل[22] ، وقديما قيل : المحابات مفسدة[23] .

لما[24] أحيط بمروان الجعدي آخر ملوك بني أمية ، قال : يا لهفاه على دولة ما[25] نصرت ، وكف ما ظفرت ، ونعمة ما شكرت . فقال له أحد خدامه : من أغفل الصغير حتى يكبر ، والقليل حتى يكثر ، والخفي حتى يظهر ، أصابه مثل هذا[26] .

في[27] السلوانات : العاقل لا يكون في سلطان ملك اجتمعت[28] فيه خصلتان : الانهماك في اللذات واضاعة الفرص[29] [30] .

---

(17) سراج : عبيدنا
(18) مروج الذهب ج 4 ص 64 — 65 وسراج الملوك ص 55
(19) أ ، ب : يوم
(20) سراج الملوك ص 55
(21) ج : وأثيب
(22) د : قبيلة
(23) سراج ص 55 من الباب 12
(24) د : ولما
(25) ق ، ج : قصرت
(26) ورد هذا النص في السراج ص 55 من الباب 12
(27) د ، ج : وفي
(28) أ ، ب : اجمعت ، والكلمة ساقطة في ج
(29) ق ، د : الفرض
(30) السلوانات ص 38

في[31] سياسة أرسطوطاليس : لم يكن سبب خراب ملك هناجيج[32] ، إلا أن همتهم شفت[33] على جباياتهم فامتدوا إلى أموال الناس ، فقامت الجماعة عليهم ، فباد ملكهم .

قال : وهذا أمر لازم ، لأن المال هو علة بقاء النفوس الحيوانية ، فهو جزء منها ، ولا بقاء للنفس بفساد ذلك الجزء[34] .

قال بعض الحكماء : ينبغي للسلطان أن لا يتخذ الرعية مالا وقنية ، فيكونون عليه بلاء وفتنة ، ولكن ليتخذهم أهلا وإخوانا ، يكونون له جندا وأعوانا .

في البهجة لأبي عمر : أول كتاب كتبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أما بعد[35] فإنما أهلك من كان قبلكم ، انهم منعوا الحق حتى اشترى ، وبسطوا الجور[36] حتى اقتدى[37] .

قال ابن ظفر : بلغني أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لبعض جلسائه ، وهو محصور ، هل لك علم بما يثير الفتن؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . سألت عن هذا شيخا من تنوخ كان باقعة قد نقب في البلاد ، وعلم علما جما ، فقال لي : إن الفتنة يثيرها أمران : أحدهما أثرة تضغن الخاصة ، والثاني حلم يجرىء العامة . فقال عثمان رضي الله عنه : فهل سألته عما يخمدها ؟ قال : نعم . قال لي : إن الذي يخمد الفتن في ابتدائها ، استقالة العثرة ، وتعميم الخاصة بالأثرة ، فإذا استحكمت الفتن[38] في ابتدائها ، فليس لها إلا اللازم[39] ، يعني الصبر . فقال عثمان رضي الله عنه : فهو ذاك حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين[40] .

---

(31) د : في
(32) ج ، ق : هياجيج ، أ ، ب ، د : هناجيج ، وفي سياسة : هنانج
(33) د : أشفت ، ق : شبت
(34) سياسة أرسطو (الأصول اليونانية) ص 74
(35) البهجة : فإنه
(36) أ ، ب ، ق : الحق
(37) ورد النص في بهجة المجالس القسم الأول ص 331
(38) ج : الفتنة
(39) أ ، ب : لازم
(40) السلوانات ص 80

في المقتطف لابن سعيد : قال أبو مسلم : كان أقوى الأسباب في خروج دولة بني أمية عنهم ، كونهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم ، وأدنوا أعداءهم تألفا لهم ، فلم يصر العدو بالدنو صديقا ، وصار الصديق بالبعد عدوا[41] .

قال حكيم الفرس : إن نفور القلوب عن الملوك يكون من ثلاثة أوجه : إما كريم قصر به عن قدره ، فأورثه ذلك ضعة ، وإما لئيم بلغ به قوة قدره ، فأورثه ذلك بطرا ، وإما رجل منع حظه[42] من الانصاف .

قيل للاسكندر : إن فلانا يتنقصك ويسيء الثناء عليك. فقال : أنا أعلم أنه ليس بشرير ، فينبغي أن نعلم هل ناله من ناحيتنا[43] أمر دعاه إلى ذلك ، فبحث عن حاله فوجدها رثة ، فأمر له بصلة سنية ، فبلغه بعد ذلك بسط لسانه بالثناء عليه[44] .

ومن ذلك إقبال الملك على اللهو ، وصحبة[45] أهل البطالة ، والاعلان بالفساد ، وقد كان الأمين على ذلك ، فصار أمره إلى ما صار إليه من الدثور ، وكان أخوه المامون بعكسه ، فصار أمره إلى ما صار إليه من الظهور[46] .

وقديما قيل : أصلح نفسك ، يصلح الناس لك .

ولذلك قال الشاعر :

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا
فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة
لما غدا وهو برج اللهو والطرب[47]

ومن ذلك تولية الأعمال أهل الحرص عليها ، لأنه لا يخطبها إلا لص حريص

---

(41) في السلوانات نص شبيه بهذه المعني ص 55
(42) أ ، ب : حقه
(43) أ ، ب : ناحية
(44) السراج ص 114 من الباب 38
(45) د : ومحبة
(46) سراج ص 117 من الباب 42
(47) ورد البيتان في التثيل . وذكر أن قائلها هو أبو الفتح البستي . 190 وانظر سراج ص 117 ، وورد أيضا في الفخري منسوبين إلى نفس الشاعر ص 45

على[48] جمع الدنيا ، نابذ[49] لدينه ومروءته ، فيجوز في النفوس والأموال . فتفسد نيات الرعية بسببه .

قال المأمون : ما فتق[50] علي فتق قط إلا وجدت سببه جور العمال .

لما قدم رسول ملك غزنة على عضد الدولة ابن بويه ، وقضي الرسالة ، وأراد الانصراف ، قال لعضد الدولة : ماذا أقول لأخيك ؟ قال : قل له جئتك من عند سلطان يظلم وحده .

في[51] العقد : أنه قد يضطغن على الملك رجلان : رجل أحسن في محسنين ، فأثيبوا . ورجل أساء في مسيئين ، فعوقب وعفي عنهم ، فينبغي للسلطان أن يحترس من ذلك[52] .

ومن كلام بعضهم : من لا يحفظ القلوب ، يخذل في الشدة .

قال بعض الحكماء : من لم يلن للأمور عند التوائها ، تعرض[53] لمكروه بلائها .

من حسنت مداراته ، كان في ذمة الحمد والسلامة .

أزدشير[54] : قد تخرج الرعية بعنف السياسة إلا ما لا تريد[55] من المعصية[56] .

ابن المقفع : ليتفقد الملك فيما يتفقد من أمور رعيته حاجة الاحرار والأخيار منهم ، فليعمل[57] في سدها ، وطغيان السفلة منهم ، فليقمعه[58] ، وليحذر من الكريم الجائع واللئيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع[59] .

حامد بن العباس : غرس البلوى يثمر الشكوى .

---

(48) د : عليها
(49) د : لينبذ دينه
(50) د : رتق
(51) ج : وفي
(52) العقد ج 1 ص 15
(53) د : فقد لبلائها
(54) ج : وقال أزدشير ، د : أزدشير قال
(55) السلوانا : ما تريد
(56) السلوانات : ص 78
(57) د : فليسع
(58) ج : فليقمعهم
(59) الآدب الكبير (المجموعة الكاملة) ص 116

فصـــل

قال صاحب السراج : أيها الملك إذا اختلجت الأمور في صدرك ، ومرج الأمر ، وتنكرت المعارف[60] ، ورأيت آثار الغير ، فاترك للناس دينهم ودنياهم ، ولك الأمان ، من طوارق الحدثان .

وقد روي أن المأمون قال في آخر مواقفه مع أخيه الأمين وقد نفذت بيوت الأموال وألحت الأجناد في طلب الأرزاق : بقيت لأخي خصلة[61] لو فعلها ، ملك موضع قدمي هاتين . فقيل له : ماهي ؟ فقال : والله إني لأضن بها على نفسي فضلا عن غيري . فلما خلص له الأمر ، سئل عن تلك الخصلة فقال : لو أن الأمين نادى في جميع بلاده أنه قد حط الخراجات والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشر سنين لملك الأمر علي ، ولكن الله غالب على أمره[62] .

ولما خشي المامون انتقاض بيعته مع أهل خراسان في فتنته مع أخيه الأمين ، استشار الفضل بن سهل ، وكان وزيره . فقال له الفضل : قد قرأت القرآن وحديث الرسول ﷺ ، والرأي عندي أن تجمع الفقهاء ، وتدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنن، وبسط العدل، وتواصل النظر في المظالم، وتكرم القواد والملوك ، وتعدهم بالمواعد الكريمة والمراتب السنية ، والولايات المشاكلة ، ففعل ذلك ، وحط على أهل خراسان ربع الخراج ، فمالت وجوه الخلائق إليه ، وصاروا يقولون : ابن اختنا وابن عم رسول الله عليه السلام ، وانقاد إليه رافع بن المهلب[63] ، وكان من عظماء الملوك بخراسان[64] .

ويدخل تحت هذه الترجمة أمر أتفق عليه حكماء العرب والروم[65] والفرس والهند وهو أن يصطنع وجوه كل قبيلة ، والمقدمين من كل عشيرة ، فليحسن[66]

(60) ج : المعاريف

(61) ج : مسالة

(62) سراج ص 113 ــ 114 من الباب 37 وكتاب الوزارة للجهشياري ص 311

(63) سراج : الليث

(64) سراج ص 114 من الباب 37 والوزراء والكتاب الجهشياري ص 278 ــ 279

(65) د : والعجم

(66) ق ، د ، ج : فيحسن

إلى حملة العلم وحفاظ الشريعة ، ويزين مجالسهم ويقرب الصالحين ، والمتزهدين[67] ، وكل متمسك بعروة الدين[68] ، وكذلك فليفعل[69] بالاشراف من كل قبيلة ، والرؤساء المتبوعين[70] من كل نمط ، فهؤلاء أزمة الخلق ، وبهم يملك من سواهم . فمن كمال السياسة والرياسة أن يبقي على كل ذي رياسة رياسته ، وعلى كل ذي عز عزه ، وعلى كل ذي منزلة منزلته ، فحينئذ يكون الرؤساء أعوانا ، ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة ، فأخلق به أن يدوم سلطانه . والعامة والاتباع دون مقدميهم ، وسادتهم أجسام[71] بلا رؤوس ، وأشباح بلا أرواح[72] . ويناسب هذا ما في باب تودد الملك إلى الرعية ، وقد تقدم .

---

(67) د : والزاهدين

(68) أ ، ب : الدين الوثقي

(69) ج : يفعل

(70) ق ، ج : المتبرعين

(71) ج ، والسراج : اجساد

(72) سراج ص 114

الباب الخامس والعشرون

في كلمات جامعة في السياسة وذكر وصايا صادرة عن الخلفاء والملوك

لما أنفذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ، كان فيما وصاه به وهو مشيع له : إذا قدمت على أهل عملك ، فعدهم الخير وما بعده ، وإذا وعدت فانجز ، ولا تكثر عليهم الكلام ، فإن بعضه ينسي بعضا .

وإذا قدم عليك رسل عدوك ، فأكرم مثواهم ، فإنه أول خيرك[1] إليهم ، وأقلل حبسهم ، حتّى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت الذي تلي كلامهم ، ولا تجعل سرك مع علانيتك ، فيمرج[2] [3] أمرك . وإذا استشرت ، فاصدق الخبر ، تصدق المشورة . ولا تكتم المستشار ، فتؤتي من قبل نفسك[4] ، وإذا بلغتك[5] عن العدو عورة ، فاكتمها حتّى تأتيها ، واستر في عسكرك الأخبار ، وأذك[6] حراسك ، وأكثر مفاجأتك[7] في ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك .

---

(1) أ : خبرك ــ بالباء الموحدة ــ
(2) أ : فيخرج
(3) ــ (7) غير مثبتة في أصل المحقق

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله ، دخل منزله ، فاعترته غشية ، ثم أفاق ، فدعا الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فقال : أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ، ولا تأسفا على شيء ، فاتكما منها ، واعملا الخير وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم عونا . ثم دعا محمدا ، وقال : أما سمعت ما أوصيت به أخويك ، قال : بلى : قال : فإني أوصيك به وعليك ببر أخويك ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما . ثم أقبل على الحسن والحسين . وقال : أوصيكما بأخيكما وابن أبيكما . وقد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحباه ، ثم قال : يا بني : أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، طوبى لمن شغل نفسه عن عيب غيره ، ومن رضي بقسم الله له لم يحزن على ما فاته . ومن سل سيف بغي ، قتل به . ومن حفر لأخيه بئرا ، وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه ، كشف عورات نفسه ، ومن نسي خطيئته[8] استعظم خطيئة غيره ، ومن أعجب برأيه[9] ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن خالط الأنذال[10] احتقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء ، عرف به ، ومن كثر كلامه ، كثر خطأه ، ومن كثر خطأه ، قل حياؤه ، ومن قل حياؤه ، قل ورعه ، ومن قل ورعه ، مات قلبه ، ومن مات قلبه ، دخل النار ، يا بني الأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، يا بني : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، إلا عن ذكر الله تعالى ، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء . يا بني ، زينة الفقر الصبر ، وزينة الغنى الشكر ، يا بني ، لا شرف أعلى من الإسلام ، ولا كرم أعز من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية . الحرص مفتاح التعب ومطية النصب . التدبير[11] قبل العمل ، يؤمنك[12] من الندم .

بئس الزاد إلى المعاد ، العدوان على العباد .

---

(8) د ، ك : خطيئة نفسه

(9) ج : بنفسه

(10) د : الارذال

(11) أ ، ب ، ج ، ك : التبذير

(12) د : يمنع

طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله[13] .

كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : أما بعد . فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، وأعوذ[14] بالله أن تدركني وإياك ، فاقم الحدود ، ولو ساعة من نهار[15] ، وإذا عرض لك أمران ، أحدهما لله ، والآخر[16] للدنيا فآثر نصيبك لله ، فإن الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى . واخف[17] الفساق ، واحملهم[18] يدا يدا ، ورجلا رجلا ، وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم وافتح (لهم[19]) بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله سبحانه جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومشربك[20] ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة ، مرت بواد خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن ، وإنما حتفها في السمن . واعلم أن العامل إذا زاغ ، زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام[21] .

قال معاوية : من وليناه شيئا من أمورنا ، فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل .

قال عبد الملك بن عمير : كان مكتوبا في مجلس زياد الذي ، كان يجلس للناس فيه بالكوفة في أربع زوايا ، بقلم جليل : الوالي شديد في غير عنف ، لين في غير ضعف ، العطية لابانها ، والأرزاق لأوقاتها ، البعوث لا تجمر . المحسن يجزى باحسانه ، والمسيء يؤخذ على يديه . فكان كلما رفع رأسه ، قرأه[22] .

---

(13) وردت الوصية كاملة في شرح نهج البلاغة ج 4 ص 111 ــ 112

(14) عيون ، ق : فاعوذ

(15) ق : النهار

(16) د : والثاني

(17) ج : أخف

(18) ج : واجعلهم ، ك : واحملهم يدا ورجلا

(19) زيادة من عيون

(20) عيون الأخبار : ومركبك

(21) ورد هذا النص في عيون الاخبار ج 1 ص 11 ــ 12 ووردت بعض عبارته في التمثيل : اشقى الولاة من شقيت به رعيته ص 29

(22) ورد هذا النص في العقد الفريد ج 5 ص 7 مع بعض الاختلاف ، وقد استخدمه أيضا ابن الأزرق في بدائع السلك ومرجع ابن رضوان هو البهجة ج 1 ص 334

قال[23] : وسمعت زيادا ، وهو يخطب ، فقال أما بعد حمد الله والثناء عليه : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي ملكنا ونذود عنكم[24] بغنى الله الذي خولنا[25] . فلنا عليكم الطاعة ، فيما أحببنا ، ولكم العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ، ومحض ودنا بمناصحتكم ، ومهما قصرت فيه من أداء حقكم ، فلن أقصر في ثلاث : لست بمجمر[26] لكم جيشا ولست محتجبا عن طالب[27] حاجة ، ولو أتاني طارق بليل . ولا حابس عنكم عطاء ولا رزقا لإبانه ، فادعوا لأئمتكم بالصلاح فإنهم ساستكم المؤدبون ، وكهفكم الذي إليه تأوون ، فإن تصلحوا يصلحوا ، ولا تشعروا قلوبكم بغضهم ، فيشتد غيظكم ، وتطول[28] جرأتكم ولا تدركوا حاجتكم ، فإنه لو استجيب لكم فيهم ، كان شرا لكم . نسأل الله أن يعين كلا على كل[29] .

حضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية فقال معاوية : ممن يخبرني عن الجود والنجدة والمروءة فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين : أما الجود فبذل[30] المال ، والعطية قبل السؤال ، وأما النجدة : فالجرأة على الاقدام ، وأما المروءة : فالصلاح في الدين ، والاصلاح[31] للمال والمحاماة[32] عن الجار[33] . قال معاوية : لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب : فقال : كان عالما برعيته ، عادلا في قضيته ، عاريا من الكبر[34] ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون[35] الباب ، متحريا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محارب[36] للقوي

(23) د : قال بعضهم ، سمعت ، البهجة : قال عبد الملك بن عمير

(24) أ ، ب : بفيء ، د ، ك : بسلطان ، البهجة : بفيء

(25) د ، ق ، العقد : خولنا عليكم ، ج : ولانا

(26) أ ، ب : بمحجر ، ب : بمحمى لكم شيئا ، البهجة : ولا مجمرا

(27) ما بين معقوفتين زيادة من العقد ومن البهجة

(28) د : وتزول حرقتكم ، البهجة : ويطول حزنكم

(29) العقد الفريد : من خطبة زياد البتراء ج 2 ص 378 ، ومرجع ابن رضوان هنا هو البهجة ج 1 ص 337 — 338

(30) أ ، ب ، ق : فابتذال

(31) د : والصلاح

(32) أ ، ب : على ، ق : للجار

(33) ورد النص في مروج الذهب ج 3 ص 197

(34) د : قابلا

(35) د : مصونا للباب

(36) ق : غير عاب

ولا جاف للغريب[37] .

كتب الوليد (بن عبد[38] الملك) إلى الحجاج أن يكتب إليه بسيرته ، فكتب إليه : إني أيقظت رأيي ، وأنمت هواي وأدنيت السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب[39] الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفي[40] لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ، ولطيف عنايتي . وصرفت[41] السيف إلى النطف[42] المسيء ، فخاف المذنب صوله العقاب[43] ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب[44] .

كان أبو العباس السفاح يقول : لأعملن اللين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولاكرمن الخاصة ما ائتمنتهم على العامة ، ولاغمدن سيفي حتى يسله الحق ، ولاعطين حتى لا أرى للعطية موضعا .

قال أبو جعفر المنصور : ما كان أحوجني أن يكون على بابي أربعة ، لا يكون على بابي أعف منهم . قيل من هم يا أمير المؤمنين؟ قال : هم أركان الملك ، ولا يصلح الملك إلا بهم ، قاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، وصاحب الشرطة ينصف الضعيف من القوي ، والثالث : صاحب خراج يستقصي ، ولا يظلم الرعية ، فإني غني عن ظلمهم . ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات . يقول : آه آه قيل : من هو[45] يا أمير المؤمنين؟ قال : صاحب البريد يكتب[46] بخبر هؤلاء على الصحة .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يصلح الأمير إلا بأربع خصال ، إن

---

(37) مروج الذهب ج 3 ص 277 .

(38) زيادة من العقد : بن عبد الملك

(39) سراج ، العقد : المجرب

(40) عيون الأخبار : الموفر

(41) ج : وضربت

(42) ج : ك : القطف ، د : النصف ، وعيون : النطف ، وسراج : البظر

(43) ق : العتاب

(44) السراج ص 6 من الباب 16 وعيون الأخبار جـ 1 ص 10 وفي نهاية الارب السفر 6 ص 43

(45) د : ما

(46) د ، ج : خبر

نقصت واحدة ، لم يصلح له أمره ، قوة على جمع[47] المال من أبواب حله ، ووضعه في حقه ، وشدة لا جبروت فيها ، ولين لا وهن فيه .

لما[48] انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام ، استعمل ابنه عبد العزيز على مصر ، وقال له حين ودعه : أرسل حكيما ولا توصه . أي بني[49] أنظر إلى أهل عملك ، فإن كان لهم عندك حق غدوة ، فلا تأخرهم إلى عشية[50] وإن كان لهم عشية فلا تؤخرهم إلى غدوة ، اعطهم حقوقهم عند محلها ، تستوجب بذلك الطاعة منهم[51] ، وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب ، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق ، واستشر جلساءك وأهل العلم ، وإن لم يستبن لك ، فاكتب إلي يأتيك فيه رأيي ، إن شاء الله[52] .

قال المهدي للربيع بن أبي الجهم ، وهو والي أرض فارس : يا ربيع آثر الحق وألزم الصدق[53] والقصد وابسط العدل وارفق بالرعية ، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه ، وأجورهم من[54] ظلم الناس لغيره[55] .

قال بعض الأمراء لبعض خدامه : لا تساعدني على ما يقبح بي ، ولا ترد على الخطأ[56] في مجلسي ولا تكلفني[57] جواب التشميت والتهنئة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك : كيف أصبح الأمير وكيف أمس ... وكلفني[58] من الكلام بقدر ما استطعت[59] ، واجعل بدل التقريظ لي حسن الاستماع ، وإذا سمعتني

---

(47) ج : خراج

(48) د : ولما

(49) ج : فانظر — أي بني د : وانظر أي شيء عندك لأهل عملك ، ونهاية الارب : انظر أي بني إلى أهل عملك

(50) في ، د : وبالعكس — بدل : « وإن كان لهم عشية فلا »

(51) ج : الرفعة عندهم

(52) العقد الفريد ج 1 ص 23 ونهاية الأرب السفر 6 ص 42

(53) وردت في د فقط

(54) د : الظالم

(55) العقد الفريد ج 1 ص 17

(56) د : الخطاب

(57) د : تلمومني

(58) مروج وعيون : وكلمني

(59) عيون : استنطقتك ومروج : استطعمك وهو خطأ

أتحدث ، فلا يفوتنك مني شيء ، وأرني فهمك[60] في طرفك ، ولا تجهد نفسك في إطراء صوابي ، ولا تستدع الزيادة من كلامي ، بما تظهر من استحسان ما يكون مني[61] .

من كلام الواثق : من أحب أن يتقرب إلينا ، فلا يطل ، ولا يدل .

من كلام المامون : إياكم والوقوع في الملوك بحضرتنا ، وإن كانوا مباينين لنا ، فإن المرتبة نسب[62] تجمع أهلها ، فشريف العرب أولى بشريف العجم .

من كلام المتوكل : إذا خرج توقيعي إليك بما فيه مصلحة[63] للناس ، فانفذ ، ولا تراجعني فيه . وإذا خرج بما فيه حيف على الرعية ، فراجعني ، فإن قلبي بيد الله عز وجل .

والأصمعي قال : قال لي الرشيد[64] ، أول يوم عزم فيه على تأنيسي ، يا عبد الملك أنت أحفظ[65] منا ، ونحن أعقل منك ، ولا تعلمني في ملاء ، ولا تسرع ، إلى تذكيرنا في خلاء . واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال ، فإذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه[66] ، فلا تزد . وإياك والبدار[67] إلى تصديقنا ، وشدة العجب بما يكون منا ، وعلمنا من العلم ما نحتاج إليه على عتبات المنابر في فواصل[68] المخاطبات ، ودعنا من رواية حوشي[69] الكلام وغرائب الأشعار . وإياك وإطالة الحديث إلا أن يستدعي ذلك منك ، ومتى رأيتنا صادين عن الحق ، فارجعنا إليه من غير تقرير[70] بالخطأ ولا اضجار بطول الترداد[71] .

---

(60) د : حبك

(61) مروج ج 3 ص 292 وعيون الأخبار جـ 1 ص 21 وورد هذا النص أيضا في عيون الأخبار جـ 1 ص 21 منسوبا إلى عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده

(62) د : سبب

(63) ق : منفعة

(64) لي : وردت في د فقط

(65) د : مني

(66) ج : استحسانه

(67) أ ، ب : الابتدار

(68) د : وفي

(69) ق ، د : وحشي

(70) د : تقريع

(71) د : ولا إصرار على طول الترداد

قال الاصمعي ، فقلت له : أنا إلى حفظ هذا الكلام أحوج مني[72] إلى كثير من البر[73] .

أوصى يزيد بن عبد الملك بن مخلد[74] ابنه حين استخلفه على خراسان ، فقال : كن لقحطان[75] كما قال أبو داود .

إذا كنت مرتاد[76] الرجال لنفعهم
فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي[77]

انظر صنائع أبيك فلا تفسدها ، فحسب الرجال من الخيبة أن يهدم ما بنى[78] أبوه ، وإياك والدماء ، فلا بقية بعدها ، واكفف[79] عن أعراض الأحرار ، فلا يرضي الحر من عرضه شيء واجتنب[80] العقوبة في الأجساد ، فإنه وتر مطلوب ، وعار باق . ولا يمنعك من ذي فضل تصطنعه ، أن يكون غيرك قد سبقك إليه . وليكن جلساؤك غير ذوي سنك ، وإذا كتبت كتابا ، فأكثر فيه النظر ، فالكتاب موضع عقل الرجل ، ورسوله موضع رأيه[81] .

قال أبو وائل الثقفي دعاني سليمان[82] بن وهب وقال لي : إني قدمت حسن

---

(72) ق : لحفظ

(73) مروج الذهب جـ 3 ص 292 ووفيات الأعيان جـ 3 ص 174 كما ورد أيضا في بدائع السلك لابن الأزرق وفي كتابة الآخر « روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام » (مخطوط الخزانة الملكية رقم 6636) المنهج الرابع — في صون العربية من الاهانة .

(74) د : ابنه مخلد ، ويبدوان قراءة « د » هي الصواب وأن المقصود هو يزيد بن المهلب وقد استخلف ابنه مخلدا على جرجان (انظر مروج الذهب ج 3 ص 284 — 285)

(75) د : الخراسان

(76) أ ، ب ، ق : مرتد

(77) وقد ورد البيت في البهجة ج 1 ص 658 منسوبا لأبي داود الأيادي مع اختلاف في الشطر الثاني إذا جاء كالاتي : فرش والتمس نفع الذي بهم ترمي

(78) ج : بناه

(79) د : وكف

(80) د : واحتسب

(81) في عيون جـ 1 ص 881 وردت فقط العبارة « فالكتاب موضع عقل الرجل ورسوله موضع رأيه » مع شيء من الاختلاف

(82) ج : الحسن

الظن بك ، والثقة بأمانتك ووليتك قلادة في عنقي ، فصدق ظني فيك وحقق ثقتي بك ، ولا تفارق[83] العدل في المخلوقين ظاهرا[84] ، والعدل بينك وبين الخالق باطنا ، والله المستعان . ثم دفع إلي رقعة فيها توليتي على بعض الأمور .

في كتاب محاسن البلاغة : يحتاج سائس الناس إلى سعة الصدر ، واستشعار الصبر ، واحتمال بوادر العامة وافهام الجاهل وارضاء المحكوم عليه . والممنوع مما يسأل ، وتعريفه من أين حكم عليه ، ومنع ما سأله .

من لم يزجر لحظه ، لم يزجر سوطه .

شر[85] خصال الملوك الجبن عن الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عند الاعطاء . وفيه : تثني على كل أمرىء دولته .

شر الدول دولة لا أمن فيها .

عمر الدول سعد ملوكها ، إذا أتت دولة نسخت أمة وإذا ولّت دولة ولّت أمة .

لقمان[86] : لا تحدث من تخاف تكذيبه ، ولا تسأل من تخاف منعه ، ولا تعد ما لا تجد[87] انجازه ، ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ، ولا تقدم على أمر تخاف العجز عنه .

قيل لسابور[88] ذي الأكتاف : بم ضبطت ملكك ؟ قال بثمان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهي ، ولم أخلف وعدا ولا وعيدا . ووليت للغنا لا لهوى ، وعاقبت للأدب لا لغضب ، فأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة ، وملأتها محبة من غير جرأة وأعطيتها القوت[89] ، ومنعتها من[90] الفضول[91] .

---

(83) د : وبسط

(84) ج : أو الرشد منك بما يرضي الخالق باطنا ، والله المستعان

(85) د : وسر

(86) د : لقمان الحكيم

(87) د : من

(88) البهجة : السابور

(89) د : القوة

(90) د : وردت في د فقط

(91) مروج جـ 1 ص 290 مع زيادة في البداية واختلاف في اللفظ وقد نقل ابن رضوان النص من البهجة ج 1 ص 337

ابن المقفع : ليس للملك أن يغضب لأن[92] القدرة من وراء حاجته ، وليس له أن يبخل ، لأنه أقل الناس عذرا في خوف الفقر . وليس له أن يكون حقودا ، لأن خطره قد عظم عن المجازات[93] للناس ، وليس له أن يكون حلافا ، فإن أحق الناس بترك الايمان الملك ، لأنه إنما يحمل الرجل على الحلف أحد[94] هذه الخلال : إما مهانة يجدها في نفسه ، وضرع وحاجة إلى تصديق الناس إياه ، وإما عي بالكلام ، فيجعل الإيمان (له[95]) حشوا ووصلا ، وإما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه ، فهو ينزل نفسه بمنزلة من لا يقبل حديثه ، إلا بعد جهد اليمين ، وإما عبث الكلام وارسال اللسان على غير روية ولا تقدير[96] .

قال أنشروان يوما لبرزجمهر[97] : من يصلح من ولدي للملك ، فأظهر ترشيحه والإيماء إليه ، فقال : لا أعرف ولدك ، ولكني[98] أصف لك من يصلح للملك ، أسماهم للمعالي ، وأطلبهم للأدب ، وأجزعهم من العامة ، وأرأفهم بالرعية[99] وأوصلهم للرحم ، وأبعدهم من الظلم . فمن كانت هذه صفته ، فهو حقيق بالملك[100] .

قال أنوشروان[101] : الملك بالجند والجند بالمال ، والمال بالخراج ، والخراج بالعمارة ، والعمارة بالعدل ، والعدل باصلاح العمال ، وإصلاح العمال باستقامة الوزراء ، ورأس الكل تفقد الملك[102] أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ، ولا تملكه . وكان يقول[103] : صلاح الرعية أنصر من[104] الجند[105] .

---

(92) في جميع النسخ : من أجل ، وفي الأدب الصغير لأن : وقد فضلنا القراءة الأخيرة

(93) في الأدب الصغير : مجازاة كل الناس

(94) في الأدب الصغير : إحدى

(95) له زيادة — من الأدب الصغير

(96) ورد هذا النص في الأدب الصغير (المجموعة الكاملة) من 113 — 114

(97) د : لابن زجمهر

(98) ج : ولكن

(99) د : للرعية

(100) مروج الذهب ج 1 ص 311

(101) ج : وقال ، د : وكان أنوشروان يقول ، ق : كان أنوشروان : يقول

(102) ج : الملوك أمر أنفسهم

(103) د ، ج : يقال

(104) ق ، ج ، مروج : الجنود

(105) مروج الذهب ج 1 ص 311 وورد جزء من هذا النص في البهجة ج 1 ص 334 مع اختلاف بسيط في اللفظ

ولما احتضر يونان أوصى أكبر ولده حرموس[106] فقال له : يا بني إني قد وافيت الأجل ، وقربت من الحتم الواجب ، وإني راحل عنك ، مفارقك[107] ومفارق اخوتك وأهل بيتك ، وقد كانت أحوالكم حسنة النظام ، وكنت لكم كهفا[108] في الشدائد ، وعونا على المحن ، ومجنا في الكروبات[109] ، فعليك بالجود ، فإنه قطب الملك ، ومفتاح السياسة ، وباب السيادة ، وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم ، تكن سيدا راشدا ، وإياك والحيد عن الطريقة المثلى التي نبه عليها العقل ، فإن من ترك رأي اللب وثمرة العقل ، تورط في المهالك ، ووقع في مقابض المتالف .

لما غزا سابور ملك الروم وخرب[110] بلاده ، وقتل جنوده ، وأفنى بطارقته ، قال له ملك الروم : إنك قد قتلت وأخربت ، فأخبرني بالأمر الذي سست به ، حتى قويت على ما أرى ، وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك ، فإن كان مما يضبط بمثله[111] الأمر أديت لك الخراج ، وصرت كبعض الرعية في الطاعة لك . فقال له سابور : لم أزد في السياسة على ثمان خصال ، وذكر الخصال المتقدم ذكرها عنه في صدر الباب ، فاذعن له وأدى له[112] الخراج .

قال الحكماء : تاج الملك عفافه ، وحصنه[113] انصافه[114] ، وسلاحه كفايته ، وماله رعيته[115] .

قيل للاسكندر : بم نلت ما نلت ؟ قال : باستمالة الأعداء والإحسان إلى الأصدقاء[116] .

---

(106) ق : حرمومن
(107) ج : مفارقك : وردت في ج فقط
(108) ق : كفئا
(109) ق : الأزمات
(110) ق ، ك : وأخرب
(111) وردت في ج : فقط
(112) وردت في ج : فقط
(113) د : وحسنته
(114) ق : سراج : انصافه — د : وانصاف
(115) سراج ص 61
(116) السراج ص 61

قال أنوشروان : لا يتم للملك أمر ، حتى يرفع نفسه من كل عيب ، ويكون له جليس ، مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب .

وصت امرأة ابنها ، وكان ملكا ، فقالت : يا بني ، ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء : وزير يثق برأيه ويفضي إليه بأسراره ، وحصن يلجأ إليه إذا فزع ، وسيف إذا نازل الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة ، كانت معه ، وامرأة إذا دخلت(117) عليه ، أذهبت همه ، وطباخ إذا لم يشته الطعام(118) ، صنع له ما يشتهيه(119) .

في كتب(120) العجم ، كتاب نسخته من أزدشير المؤيد بالبهاء ملك الملوك وارث العظماء إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حماة البيضة ، والكتاب الذين هم زين المملكة(121) وذوي الحرث الذين هم عمرة(122) البلاد : السلام عليكم ، فإنا بحمد الله صالحون ، وقد وضعنا(123) عن رعيتنا بفضل رأفتنا أتاوتها الموظفة عليها ، ونحن مع ذلك كاتبون بوصية : لا تستشعروا الحقد(124) فيدهمكم العدو ، ولا تحتكروا ، فيشملكم القحط ، وتزوجوا في الأقربين ، فإنه أمس للرحم ، وأثبت للنسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا ، فإنها لا تبقى لأحد ولا ترفضوها ، فإن الآخرة لا تنال إلا بها(125) .

ينبغي(126) للملك أن يتفرغ للنظر في أحوال الولاة وأعوانهم وخدامهم ، حيثما كانوا ، والنظر في أحوال أقاصي البلاد ، وأدانيها ومعرفة ماله من الجنايات ، ويتفرغ بسماع الشكوى ، ممن يشتكي(127) بأحد ولاته ، ولاختيار من يتولى مكان

---

(117) ج : دخل عليها
(118) ج : طعاما
(119) السراج ص 72
(120) ج : وفي كتاب
(121) ج : وكذلك العقد : زينة
(122) مروج : عمار
(123) مروج : رفعنا
(124) الحقد : ساقطة في أ ، ب ، د
(125) مروج الذهب ج 1 ص 289 — 290 مع اختلاف في الألفاظ : ووردت أيضا في العقد الفريد ج 1 ص 23
(126) د : وينبغي
(127) د : يتظلم

من مات منهم ، أو عزل ، ويتفرغ لتجهيز الجيوش والكتائب ، وقراءة كتب الأخبار الواردة عليه من كل بلد مما لا ينظر فيه غيره من فتق ثغر أو موت وال وما يوجب عزله وفي معاناة خلة[128] أهل بلد تحل بهم جائحة من جوع أو سيل أو مرض أو عدو أو غير ذلك[129] .

جلس أنوشروان يوما للحكماء ليأخذ من آدابهم ، فقال لهم ، وقد أخذوا مراتبهم في مجلسه : دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي ، وعامة رعيتي ، فتكلم كل واحد بما حضره من الرأي وأنوشروان مطرق مفكر في أقاويلهم ، وانتهى القول إلى برزجمهر ، فقال : أيها الملك أنا جامع[130] لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة قال : هات[131] . قال : أولهن[132] تقوى الله في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والهوى فاجعل ما عرض لك من ذلك كله لله لا للناس . والثانية : الصدق في القول والوفاء بالعهد[133] والشروط والمواثيق ، والثالثة : مشورة العلماء فيما يحدث من الأمور، والرابعة: إكرام العلماء والأشراف وأهل[134] الثغور والقواد والخدم والكتاب والخول بقدر[135] منازلهم ، والخامسة : التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبتهم محاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم بإحسانه والمسيء على اساءته ، والسادسة : تعهد أهل السجون بالعرض لهم في الأيام ليستوثق من المسيء ويطلق البريء . والسابعة : تعهد سبل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجارتهم . والثامنة : حسن تأديب[136] الرعية على الجرائم ، وإقامة الحدود . والتاسعة : اعداد السلاح وجمع آلات الحرب ، والعاشرة : إكرام الولد[137] والأهل والأقارب وتفقد ما يصلح[138] لهم . والحادية عشر : اذكاء العيون في الثغور

---

(128) ق : حلة

(129) ورد النص في بدائع السلك : الكتاب الثالث ــ الباب الأول

(130) د : نجمع

(131) ج : وما هي

(132) ج : أولها

(133) د : بالوعد : أ ، ب ، مروج : بالعدات والشروط والعهود والمواثيق

(134) د : والوزراء ــ يدل : وأهل الثغور

(135) د : على قدر مكانتهم

(136) د : التأدب للرعية

(137) د : الوليد

(138) ق ، د ، ج ، مروج : ما يصلحهم

لعلم[139] ما يتخوف بهم فتؤخذ أهبته قبل الهجمة ، والثانية عشر : تفقد الوزارة والخول والاستبدال بذوي الغش والعجز منهم ، فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب . وقال هذا الكلام[140] فيه جوامع أنواع السياسات الملوكية والحكم المأثورة عن الحكماء[141] .

وقفت على عهد[142] عقده بعض الملوك لابنه من انشاء الوزير الكاتب أبي الحسن بن جودى رحمه الله ، فأوردت هنا ، ما بعد صدره ، ونصه : فكان أول ما تقدم إليه فيه ، أن يجتهد في اصلاح نفسه ، ويعمل في كل حال بمراقبة ربه ، ويشمر لعظيم ما نيط به ، وخطير ما جعل إليه ويعلم أول[143] علمه أنه كواحد ممن ولي عليه ، إلا أنه أثقلهم عبئا ، بما حمله من أمورهم ، وأشدهم علاجا لما فوض إليه من تدبيرهم ، وأنصبهم اجتهادا ، بما قلد[144] من سياستهم ، وعصب به من مزاولة شؤونهم ، فليستعن بمشاورة العقلاء الذين حنكتهم التجربة ووقرهم الدين وشمخت بأنوفهم المروءة ورجح أعطافهم[145] الاحتمال والحلم ، وليكن همه الرعية فيما يكف أيديها ، ويجمع كلمتها ويثمر مالها ، وينكي عدوها ، وليخلص[146] نفوسها ويستمحض به طاعتها ، فإنه لا أمن مع التعدي ، ولا خير مع التشتت ، ولا نظام مع العسرة ، ولا بقاء مع التقلب ، ولا طاعة مع كمون الضغائن .

وليعمل على أن حياطة الرعية رأس ماله وتدبيرهم[147] مربح تجارته ، وتوسع عمارتهم نباهة ملكه ، وليتفقد الأكرية أولا بالمعدلة[148] ، حتى تزكو حروثها ، وبالرفق[149] حتى ينعش ناشئتها ، وبالمعونة[150] حتى يلحق آخرها ، وليأخذ الولاة

---

(139) د ، مروج : ليعلم
(140) ج : الكلام
(141) ورد هذا النص في مروج ج 1 ص 310
(142) ج : عقد عقده بعض الملوك ، ق : عقد
(143) أ ، ب ، ج : أقل
(144) ق ، ج : كلفه
(145) ج : أعظامهم
(146) ج : وتتخلص به
(147) ق ، ج : وتوفرهم ربح
(148) زيادة في ج : وتوسع عماراتهم نباهة ملكه ، وليتفقد الأكرة أولا
(149) ق : والرفق
(150) ق : والمعونة

والعاملين بالتحري في أخذ صدقاتهم ، حتى لا يتعدوا[151] بها أوقاتها ، ولا يأخذوا[152] من غير نصابها ، وليكن وراءهم عينا مذكاة ، وطليعة مترقبة حتى لا يسرف آمر ولا يقصر[153] مؤتمر ، ولا تنطوي على دغل نية ، ولا يظاهر بالباطل .، وليستعمل[154] أهل الغناء ، ويوثر بالمناب ، ولا يحابي بالقربة ، ولا يفضل الا من فضلته كفايته ، وآثره اطلاعه ، ونهضت به معدلته ، وزكته خبرته ، وشفعت[155] فيه مخيلته . ومتى عثر على خطأ ، فلا يؤخر العقاب على قدر ، ولا التشديد في واجب . وإياه والتعييب[156] عن ذي ذنب والمطال في مجازاة المحسن ، فإن ذلك مما يدع الإساءة في أهلها ولا يغبط المحسن باحسانه ، ولينزع ذا الغواية عن غيه ، وليحذر بعد عن تأخير العطاء عن أهله ، والتوقف بالمعروف عن رسمه .

الخول الخول ، والاجناد الاجناد ، فإن الله تعالى قد حمى بهم الحوزة ، وجعلهم نكالا للباغي وبلاء على العدو وظهيرا للسلطان ، وعمادا للعزة ، وليكن أقل ما يكون حاجة إليهم ، أكثر ما يكون تعهدا بالصلة والعارفة لهم ، فإن اصطناع الرجال عند ظهور الاستغناء عنهم منة تضع الرق في رقابهم ، ونعمة يمضي شكرها على ألسنة أعقابهم ، وليربأ بكرمه أن يسبقه عناء وبنواله أن يتقدمه عمل ، فإن المجازي جار إلى غاية ، قد سبق إليها ومكاف عن عارفة ، قد وضع مثلها عنده ، ثم لينهاهم جهده عن الحواضر[157] والمدائن ، حتى لا يضروا[158] الرعية ، ولا يألفوا الرخاوة ، ولا تثقلهم السمنة ، ولا تعبدهم[159] تلك الترفة ، ولتكن أمة مرهوبة بتوحشها ، محبوبة بحميتها وغنائها وليقدم بعنايته[160] ، ويستقل بمبرته ، من عين له علمه مكانا ، ورتب له تدينه حقا ، فإن حملة العلوم وقوام الأديان حفظة الله في أرضه ، ودعاته إلى شرائعه ، وسدنته الموكلون بحفظ حدوده ، ومراعاة

---

(151) ج : لا تعدوا

(152) أ ، ب ، د ، ق : وليأخذوها

(153) ج : يقصر — أ ، ب ، د ، ق : يعصي

(154) ج : ويستعمل

(155) أ ، ب ، ج ، د ، ك : به

(156) ق : والتعيب

(157) أ ، ب ، د : الحاضر

(158) أ ، ب : ينصروا الرعية

(159) ق : ولا تعهدهم تلك الشرفة ، له : تعدهم تلك الترفة

(160) ج : بغايته

محارمه ، وليتخذ من خيارهم وأهل العزيمة والمنة فيهم قضاة يقفون أثره في العدل ، ويأخذون بهديه في النصف ، حتى لا يهاب القوي أن يأثره[161] على الحكم ، ولا يبالي النابه أن يضع منه بالحق . وليتقدم إليهم في أئمة الصلاة وعمرة الصوامع أن يكونوا اخيارا تالين للكتاب عارفين بالمفروض والمسنون ، متحققين لمظان القبول ، حتى لا يعزب عنهم صواب ، ولا تجدعنهم في وقت شبهة ، فإنه لاحظ في الإسلام لمن ضيعها ، ولا عذر مع الاستطاعة لمن ذهب بها عن وقتها . ثم ليأخذهم بتغيير المنكرات على أهلها ، ودرء الحدود بشبهاتها ، وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم ، والاحتياط على ذوي الاحساب بمصالح مناكحهم وليعهد إليهم في أموال اليتامى والتوقيفات للسبيل بما يحميها من أكلة الباطل ، ونظر الدمار وضيعة التغشيش والحبس . فليجعل كل فن في أهله ، ويقسمه بالمعدلة في ذويه ، ولا يميل بشيء منه عن موضعه الذي عين له ولا عن وجهه الذي عين له .

وليوص بالمساجد أن ترفع أعلامها ، وتوسع افنيتها ، وتوثق قواعدها وتحصن[163] أعاليها وتختصر مصانعها ، ويعطى بالمعروف أهل السدانة بها وليبعد بهمته عن أن يتقرب إليه في أحد يبغي أن يتفق عنده بتنصح زور .

وليكن له من مراقبته لأمور خاصته وتفقده لأحوال رعيته ، ما لا يعدو به أحد قدره ، ولا يبسط في أكثر مما سوغ له يده ، وليأنف لدينه وسلطانه أن تخاف سبله ، أو يروع مأمنه[164] أو يباح شيء قد حماه ، فإن كان جاني ذلك من فساق الملة فليعاقبه[165] بالأشد ، مما جاء به الكتاب ، وأحكمته السنّة . وإن كان من معاندي دينه ومحاربي حزبه ، فلينظر إلى حفظة الثغور والاطراف ، فمن وجده ضيع من رصده ، ونام عن حراسة مرقبه ، شرد به وعوض المسلمين منه . وليكن ذلك إلى الكفاة الذين لم تترفهم النعمة بتخنثهم الحضارة ، وليأخذهم بتنقيل المسالح[166] والأرصاد للطرق بكل فدفد وثنية ، حتى لا ينفر سرب ، ولا

---

(161) ج ، ك : ياطره

(162) ق : متعففين لمكان القبول

(163) ا ، ب ، د : وتحص

(164) ج ، ق : ما أمنه

(165) ج : فليعاقب باشد

(166) ك : المصالح

تند[167] سارحة ولا يخاف على صرم من بيات . وليعاجل النواشيء المفسدة قبل استفحالها[168] والعداوات المخاتلة قبل امكان مجاهرتها ، وليظهر إلى الله مجاهدا في سبيله ، وذابا عن دينه ، وقامعا لعدوه ، ودامغا للباطل بما لديه من حقه ، مستشعرا للغالب ، واثقا بالنصر ، عاملا على أن فئته المظفرة ، وأن حزب الله هم الغالبون[169] .

(167) أ ، ب : تنده ، ج : تنزه
(168) ك : استعجالها
(169) ك : المفلحون .



فهارس الكتاب

فهرس الأعلام والأشخاص

حرف الألف

الابنـــاء

الآبـاء

سائر حرف الألف

حرف البـاء

حرف التـاء

حرف الثـاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفـاء

حرف القـاف

حرف الكـاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهـاء

حرف الـواو

حرف اليـاء

فهرس الأسر والدول

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

فهرس الأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

فهرس الموضوعات

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الإيداع القانوني رقم 329 / 1984



دار الثقافة

صدر عن :

روضة التعريف بالحب الشريف 1 – 2	تحقيق د. محمد الكتاني
محمد اقبال مفكرا اسلاميا	د. محمد الكتاني
الخوارج في بلاد المغرب	د. محمود اسماعيل عبد الرازق
سوسيولوجية الفكر الاسلامي 1 – 2	د. محمود اسماعيل عبد الرازق
تأملات في الأدب المعاصر	د. ابراهيم السولامي
كتاب السياسة أو الاشارة في تدبير الامارة	الحسن المرادي : تحقيق د. علي سامي النشار
الأصول : دراسة ايبتسيمولوجية	د. تمام حسان
مناهج البحث في اللغة	د. تمام حسان
اللغة العربية مبناها ومعناها	د. تمام حسان
اللغة العربية بين المعيارية والوصفية	د. تمام حسان
المدخل لدراسة التاريخ والأدب العربيين	د. محمد نجيب البهبيتي
المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ 1 – 2	د. محمد نجيب البهبيتي
تاريخ الشعر العربي	د. محمد نجيب البهبيتي
أبو تمام الطائي	د. محمد نجيب البهبيتي
أحاديث عن الأدب المغربي	العلامة عبد الله كنون
تفسير سور المفصل من القرآن الكريم	العلامة عبد الله كنون
رسائل ابن علي الحسن اليوسي 1 – 2	تحقيق الأستاذة فاطمة خليل
زهر الأكم في الامثال والحكم 1 – 3 لأبي علي الحسن اليوسي	تحقيق د. محمد حجي و د. محمد الأخضر
وقعة وادي المخازن	د. ابراهيم شحاتة حسن
فلسفة بيكون	د. الحبيب الشاروني
تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية	الدكتور لبيب يونان رزق
عالم شاعر الحمراء	الأستاذ عبد الكريم غلاب
دفنا الماضي	الأستاذ عبد الكريم غلاب

مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء

الثمن 60,00 درهم